

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

الحمد لله
طالب العلم بالعلوم
طالب فيه
د. محمد بن محمد الصباغ
عبد العزيز بن عبد الله
د. محمد بن محمد الصباغ
د. محمد بن محمد الصباغ

اقوال الخلفاء الذهبية للنقد

في علوم الحديث من كتابه
سير أعلام النبلاء
جمع ودراسة
الطالب

بمدرسة عبد الملك

أشرف

الدكتور عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
١٤٠٩ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة الماجستير

" أقوال الحافظ الذهبي النقدية في علوم الحديث "

من كتابه " سير أعلام النبلاء "

ان كتاب " سير أعلام النبلاء " من الدواوين العلمية العظيمة التي تحتوي على غرر الفوائد ودرر الفرائد ، تتجلى فيه شخصية الذهبي النقدية الفذة ، ومعرفته الواسعة في الحديث . وقد قمت بجمع أقواله النقدية وفوائده الحديثية ، ودرست هذه الأقوال ، ونظمت بحثي في مقدمة ومدخل وثلاثة أبواب ، واشتمل المدخل على فصلين : الأول : في ترجمة الحافظ الذهبي والثاني : في دراسة جوانب من كتاب " سير أعلام النبلاء " .

أما الباب الأول فهو : دراسة الأقوال النقدية في الجرح والتعديل ، واشتمل هذا الباب على فصلين : الأول : في البدعة وأثرها في الجرح ، والثاني : في دراسة بعض مباحث الجرح والتعديل . أما الباب الثاني فهو : دراسة أقوال الذهبي النقدية في الحديث وأئمة الجرح والتعديل ، واشتمل على فصلين أيضاً : الأول : في دراسة أقواله النقدية في الحديث وما يتعلق بنقد السند والعتن وأقواله في الرواة وشرحه لبعض الأحاديث . والثاني : في دراسة أقواله النقدية لمسائل من علوم الحديث .

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها وأوجزها فيما يلي :

- ١ - استدركت أسماء عدة كتب للذهبي لم يذكرها من قام بدراسة وترجمة الحافظ الذهبي .
 - ٢ - قمت بجمع أقواله النقدية العامة وأظهرت فيها براعته النقدية وورعه وانصافه .
 - ٣ - حققت تاريخ تأليفه للكتاب حيث ابتدأ به سنة ٧٣٢ واستمر في تهذيبه الى " ٧٤٤ " .
 - ٤ - أظهرت مفهوم الطبقة وطريقته في ترتيبها ، وأثبت أن الكتاب تنقصه خمس طبقات .
 - ٥ - قمت بدراسة وافية نظرية وتطبيقية لمسألة البدعة وأثرها في الجرح .
 - ٦ - أظهرت الفرق الدقيقة بين الاختلاط والتغير ، وبين الكتابة والتدوين .
 - ٧ - استدركت كثيراً من الأنساب التي فاتت ابن الأثير في اللباب .
 - ٨ - استدركت أكثر من (٩٠) لقباً فاتت الحافظ ابن حجر في " نزهة الألباب " .
- وأسأل الله سبحانه أن يرزقني الاخلاص والصواب ، وأن يتقبل مني جهدي بالقبول الذي هو أهله سبحانه ، صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

المشرف على الرسالة عميد الكلية الطالب

د / عبد العزيز العثيمين د / علي بن نفيح العلياني مجد أحمد سعيد مكي



الملف رقم ٢٤



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد سيد الأولين
والآخرين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الفرّاليامين ، ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .
اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت إن شئت تجعل الحزن سهلاً .
وممد :

فإن من أفضل القربات عند الله عز وجل منزلة ، وأعلىها قدراً ، وأبقاها ذكراً ، وأعظمها
أجراً طلب العلم النافع ابتغاء وجه الله تعالى ، فإنه يعود على صاحبه بالخير العميم
والذكر الجميل في الدنيا ، ويكون أنيساً له في وحشة قبره ، وظلمة رُمسه ، وذخراً يـوم
يقوم الناس لرب العالمين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .
اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، وعملاً خالصاً متقبلاً ، يكون سبباً لرحمتك ، والفوز
برضاك ومغفرتك ، ومد خلاً لدار كرامتك .

وإن من نعم الله عز وجل عليّ وفضله العميم أن وفقني لطلب العلم الشرعي ، وأكرمني بالإقامة
بالبلد الأمين في جوار البيت العتيق ، ويسر لي إتمام دراستي الشرعية في جامعة أم القرى .
ومعد أن اجتزت السّنة التمهيدية - بمون الله وتوفيقه - شرعت في البحث عن موضوع
لرسالتي ، ومعد تتبّع وتفكر ، وقع اختياري على جمع ودراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية
في علوم الحديث من كتابه " سير أعلام النبلاء "

أسباب اختيار الموضوع :

وكان من بين الأسباب التي حدّث بي للكتابة في هذا الموضوع :

- ١ - محبتي للحديث النبوي الشريف وما يتصل به من علوم تتعلّق بروايته ودرأيته وخاصة ما يتعلق
بالنقد ومناهج العلماء فيه ، والذهبي له منهجه المتميز في النقد ، ومعد من كبار أئمة
النقد في القرن الثامن .

٢ - وإنَّ من جملة الأسباب التي دَفَعَتْنِي إلى اختيار هذا الموضوع، رغبتى فى التخصُّص فى معرفة الرجال وأحوالهم وأقوالهم وطبقاتهم وفى ذلك فوائد كثيرة .
(منها : معرفة مناقبهم وأحوالهم فَيَتَأَدَّبُ بِآدابهم وتُقَبَّصُ المحاسنُ من آثارهم .
ومنها : مراتبهم وأعمارهم فيُزَلُّونَ منازلهم ، ولا يقصر بالعالي فى الجلالة عن درجته ولا يرفع غيره عن مرتبته .

ومنها : أنهم أئمتنا وأسلافنا كالوالدَيْنِ لنا ، وأجْدَى علينا فى مصالح آخرتنا التي هى دار قرارنا ، وأنصح لنا فيما هو أَعُوذُ علينا ، فيقبح بنا أن نجعلهم وأن نهمل معرفتهم (١)
٣ - إنَّ كتاب "سير أعلام النبلاء" من الدواوين العلمية العظيمة التي تحتوى على غرر الفوائد ودرر الفرائد التي يجود بها قلم الحافظ الذهبي فى كتاباته وتعليقاته وانتقاداته وكتاب "سير أعلام النبلاء" من أواخر كتبه العلمية، يعدُّ ثمرة وخلاصة جهود الحافظ الذهبي فى النقد ، تتجلى فيه شخصيته العلمية النقدية الفذة ، ومعرفته الواسعة بالرجال والحديث والتاريخ .

ويمرُّ المطالع له بكثير من الإفادات والتحقيقات والانتقادات بثَّها فى تضاعيف كتابه وافتتحها به (قال وقلت) يجدُّ فيها الباحث الإفادات الغالية ، والتحقيقات النفيسة والنكت العلمية البديعة ، والتوجيهات والإرشادات النافعة التي ترقق قلب القارئ وتهذب سلوكه ، وتكون كواحة وارفة الظلال يلجأ إليها بعد الكدِّ فى القراءة والمُنا فى البحث .
فرايت جمع هذه الأقوال وترتيبها ودراستها من هذا السَّفر النفس لتكون مُيسَّرة للباحثين .

طريقة البحث فى هذه الرسالة :

قد كان المنهج الذي سَمَرْتُ عليه فى إعداد هذه الرسالة :

١ - شَرَعْتُ بقراءة الكتاب قراءةً متأنَّةً والإشارة أثناء المطالعة على هامش نسختي إلى الفوائد العلمية المنشورة المتنوعة .

٢ - قرأت الكتاب مرة ثانية بأكمله ، ودونت جميع الأقوال النقدية والفوائد الحديشية

٣ - رتبت هذه الأقوال النقدية والحديشية حسب المواضيع .

٤ - درست هذه الأقوال النقدية وعلقت عليها من خلال أقوال الذهبي في كتبه

الأخرى، وفي مقدمتها: الميزان ، ثم تذكرة الحفاظ ، والمغني ، والموقظة ، وتوسعت بذكر الأدلة ومذاهب العلماء مؤيداً كل ذلك بأقوال غيره من مشاهير النقاد وأئمة الحديث، واستفدت من مختلف المصادر التي تكمل جوانب البحث وتظهر القدر الذي أضافه الذهبي وحرره .

٥ - افتتحت كل بحث من سباحة الرسالة بأقوال الذهبي النقدية في كتابه "سير

أعلام النبلاء"، وأتبعتها بأقواله النقدية في كتبه الأخرى ، وقد أمهد لبعض المباحث بتقديم كلام غيره من العلماء من تعريف أو تمهيد تقتضيه طبيعة البحث .

٦ - لم أترجم للأعلام الوارد في الرسالة ، لأن ذلك يضاعف حجمها ، ويثقل هوامشها

بملا فائدة فيه ، وخاصة أن كل قول أوردته من الكتاب أذكر موضع الترجمة التي ذكر فيها هذا القول ، وعامة هؤلاء ترجم لهم الذهبي ترجمة مفصلة واسعة . ولذلك اكتفيت بذكر أسماء الأعلام وفياتهم في الأعم الأغلب ، وترجمت لبعض الأعلام الذين وجدت فائدة في ترجمتهم .

٧ - عزوت الآيات القرآنية الكريمة ، وخارجت الأحاديث النبوية الشريفة ، وضبطت

كثيراً من الأسماء والكلمات بالشكل ، وأوضحت الكلمات الفاسدة التي يرد ذكرها أثناء البحث .

خطة البحث :

وقد نظمت البحث في مقدمة ، ومدخل ، وثلاثة أبواب : وخاتمة :

أما المقدمة : فهذه .

أما المدخل فقد اشتمل على فصلين :

الفصل الأول : الإمام الذهبي الناقد في ضوء كتابه "سير أعلام النبلاء" .

واشتمل هذا الفصل على مبحثين :

- المبحث الأول : الحافظ الذهبي وساعاته ومصنفاته في ضوء كتابه "سير أعلام النبلاء"
 المبحث الثاني : الذهبي الناقد في ضوء أقواله في "سير أعلام النبلاء".
الفصل الثاني : دراسة جوانب من كتاب "سير أعلام النبلاء"

واشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث :

- المبحث الأول : تاريخ تأليف الذهبي لكتاب "سير أعلام النبلاء".
 المبحث الثاني : مفهوم الطبقة عند الحافظ الذهبي ومنهجه في ترتيبها .
 المبحث الثالث : ذكر الشيوخ والتلاميذ وما يتعلق بذلك من مباحث الرواية .
 المبحث الرابع : منهجه في ذكر الوفيات والولادات وأعمار المترجمين .
الباب الأول : دراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية في الجرح والتعديل :

وتحتله فصلان :

- الفصل الأول : البدعة وأثرها في الجرح .

ويشتمل هذا الفصل على تمهيد وثلاثة مباحث :

- التمهيد : ذكر لمحة تاريخية موجزة عن ظهور البدع والفرق .
 المبحث الأول : حكم رواية المبتدع .
 المبحث الثاني : أثر الاختلاف بسبب العقائد في الجرح .
 المبحث الثالث : مسألة تكفير أهل البدع والأهواء .
 المبحث الرابع : أقسام البدع .

أولاً - التشبيح والرفض

ثانياً - النصيب

ثالثاً - بدعة الخوارج

رابعاً - الإرجاء .

خامساً - القدر

سادساً - التجهم والاعتزال

سابعاً - الفلسفة وعلوم الأوائيل .

المبحث الخامس : بدعة القول بخلق القرآن وأثرها في الجرح والتعديل .

الفصل الثاني : دراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية في مباحث الجرح والتعديل

ويشتمل على تسعة مباحث :

المبحث الأول : الجرح ليس بغيبة .

المبحث الثاني : الجرح والتعديل المبهمان .

المبحث الثالث : تعارض الجرح والتعديل .

المبحث الرابع : عداوة الأقران وأثره في الجرح .

المبحث الخامس : الاختلاط والتغير وأثره في الجرح .

المبحث السادس : التلقين وأثره في الجرح .

المبحث السابع : سرقة الحديث وأثرها في الجرح .

المبحث الثامن : أخذ الأجرة على الحديث وأثره في الجرح .

المبحث التاسع : شرح بعض أقوال أئمة الجرح والتعديل .

الباب الثاني : دراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية في الحديث وأئمة الجرح والتعديل :

وتحتة فصلان :

الفصل الأول : دراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية في الحديث .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نقد الأحاديث، وفيه سبعة مطالب :

أولاً : نقد المسند .

ثانياً : نقد المتن .

ثالثاً : علل الحديث .

رابعاً : الأحاديث المتواترة .

خامساً : الأحاديث الموضوعة .

سادساً : الأحاديث المنكرة .

سابعاً : الأحاديث الغريبة .

المبحث الثاني : أقوال الذهبي النقدية في الرواة ومباحث الاتصال والانقطاع .

المبحث الثالث : أقوال الذهبي النقدية في شرح الأحاديث .

الفصل الثاني : أقوال الحافظ الذهبي النقدية لأئمة الجرح والتعديل .

الباب الثالث : دراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية في مسائل من علوم الحديث .

وتحتة فصلان :

الفصل الاول : دراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية لكتب السنة .

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الاول : مسند الإمام أحمد .

المبحث الثاني : سنن الإمام أبي داود .

المبحث الثالث : سنن الإمام الترمذي .

المبحث الرابع : سنن النسائي وتصحيح نسبة المجتبى اليه .

المبحث الخامس : سنن ابن ماجه .

المبحث السادس : مستدرك الحاكم .

الفصل الثاني : دراسة أقوال الحافظ الذهبي النقدية في مباحث من مصطلح الحديث .

ويشتمل على عشر مباحث :

المبحث الاول : كتابة الحديث وتدوينه .

المبحث الثاني : الحديث الحسن ومرتبة راويه .

المبحث الثالث : حكم رواية الحديث الموضوع .

المبحث الرابع : الثقة : تعريفه، وأنه ليس من شرطه عدم الخطأ ، ومن لم يرو إلا عن ثقة

في الغالب ، وحكم زيادة الثقة .

المبحث الخامس : التدليس : أقسامه وأحكامه .

المبحث السادس : طرق تحمل الحديث وأدائه .

المبحث السابع : الرواية من أصل الكتاب وعدم الاتكال على الحفظ فقط .

المبحث الثامن : معرفة الصحابة رضي الله عنهم وفيه مطالب :

أولا : فوائد في تعريف الصحابة ومعرفتهم .

ثانيا : تفاوت الصحابة رضي الله عنهم في الفضل والمعدالة وبيان من

هو أفضل الصحابة .

ثالثا : عدالة الصحابة وموقف المسلم مما وقع من تشاجر وتقاتل بينهم .

المبحث التاسع : الإسناد وما يتعلق به ، وتحت مطالبان :

أولا : الحديث المسلسل .

ثانيا : السابق واللاحق .

المبحث العاشر : معرفة الرواة ، وتحت خمسة مطالب :

أولا : المؤتلف والمختلف .

ثانيا : المتفق والمفترق ، والمتشابه .

ثالثا : بيان المهمل .

رابعا : الأنساب .

خامسا : الألقاب .

أما الخاتمة فقد بينت فيها بعض النتائج .

ثم صنعت فهرساً للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات .

هذا هو المخطّط العام للرسالة ، وقد بذلت فيها وسعي واستنفذت طاقتي وجهدي -

على كثرة العوائق والصوارف وتشتت البال والخطر - راجياً أن أكون قد أضفت كِبَنةً متواضعةً

وقدمت عملاً علمياً - على مافيه من هنات - يضاف إلى المكتبة الإسلامية الزاخرة
وإن أكون قد وفقت إلى الحق والصواب إذ هو غاية المطلوب والرجاء .

وإن كانت الأخرى : فمن نفسي الضعيفة ، وأستغفر الله وأبرأ إليه من حولي وقوتي
ستميناً بحول الله وقوته ، وحسبي أني أتيت ما بوسمي ، وما أردت إلا الخير .
وما أحسن قول الإمام الخطابي في مقدمة كتابه غريب الحديث ^(١) : " فأما سائر ما تكلمنا
عليه مما استدركناه ببلغ أفهامنا ، وأخذناه عن أمثالنا فإننا أحقّاء ألا نزكيه ، وألا نوكره
الثقة به ، وكلُّ من عثر منه على حرفٍ أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله في إصلاحه
وأداء حق النصيحة فيه ، فإنَّ الإنسانَ ضعيفٌ لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه ،
ونحنُ نسأل الله ذلك ، ونرغبُ إليه في ذكره إنه جَوَّادٌ وهوبٌ " .

وفي الختام أحمد الله سبحانه على عونه وتوفيقه لإتمام هذه الرسالة ، حيث سهّل لـي
الصعب ، ودلّل لي العقبات ، وهبّ لي من العلماء الناصحين من أخذ بيدي وأخلص في
توجيهي وإرشادي .

وأرى لزماً عليّ أن أتقدّم بوافر الشكر والثناء وصادق الدعاء ، وعظيم التقدير والامتنان إلى
الأستاذ المشرف على هذه الرسالة فضيلة الدكتور عبد العزيز عبد الرحمن محمد العثيم الذي
جاء بالوافر من وقته ، ومدّل الكثير من نصحه وإرشاده ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وجعل
حظّه من الجنة مؤقراً لأجزاء .

ولا أنسى في هذا المقام أن أخصّ بهذا الشكر والعرفان والدعاء جميع مشايخي الذين
ترشّيت في أكنافهم ، ونهلّت من معينهم ، تفعدّ الله بوسع رحمته وفسيح جنته من مضى منهم ،
وحفظ من بقي منهم بخير وعافية وسرور .

ولا يفوتني أن أخصّ بالشكر الوافر والثناء الجميل القائمين على شؤون هذه الجامعة
الباركة ، جامعة أم القرى بحكمة المكرمة ، وعلى رأسهم سعادة عميد الجامعة ، وعميد كلية
أصول الدين ، وسائر العاملين في هذا الصرح العلمي المكين ، على ما بذلوا وبذلوا من

خدمة جُلِّي لطلبة العلم والراغبين فيه .

والله الكريم أسأل ، أن يعصمني من الزلل ، وينفع بهذا العمل ، وأسأله السلامة من
آفة النفس وما يفسد الإخلاص ويحبط العمل ، وأسأله سبحانه أن يتقبل مني هذا الجهد
بالقبول الذي هو أهله سبحانه ، وأن ينفعني به يوم العرض عليه .

اللهم اغفر لي ولوالدي ولإخواني وشايعي وأصحاب الحقوق عليّ ولجميع المسلمين إنك

غفور رحيم جواد كريم .

وصلّى الله وسلّم ببارك على خاتم رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

مجد أحمد مكي



الملاحك

ويشمل على فصلين :-

الفصل الأول ، الإسماء الذهبية لناقد في ضوء كتابه « سير أعلام النبلاء »

الفصل الثاني ، دراسة جوانب من كتاب « سير أعلام النبلاء »

الفصل الأول

الإمام الذهبي الناقد في ضوء كتابه "سير أعلام النبلاء"

تمهيد : قام الاستاذ المحقق المؤرخ الدكتور بشار عواد معروف البغدادي بترجمة

واقفية، دراسة شاملة مستفيضة عن الإمام الذهبي في كتابه النفيس: "الذهبي ومنهجه في كتابه
"تاريخ الإسلام" استوفى فيها ترجمة الذهبي واستوعب آثاره ومؤلفاته .

ثم قام الأستاذ الباحث الغابيه الشيخ قاسم علي سعد بكتابة رسالة نافلة في ترجمة
الذهبي استدرك فيها على الدكتور بشار أسماء تصانيف كثيرة لم يذكرها ، وَصَحَّحَ عِدَّةَ أَوْهَامٍ
وَقَعَ فِيهَا ، وَأَثَمَ بَعْضَ الْفَوَائِدِ الَّتِي لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا .

فَرَأَيْتُ أَمَامَ هَذَيْنِ الْعَمَلَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ أَنَّ أَسَاهُم بِإِضَافَةِ لَيْئَنَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ فِي صَرْحِ سِيرَةِ هَذَا
الْعِلْمِ الشَّهِيرِ وَالنَّاقِدِ الْجَاهِدِ الْبَصِيرِ . وَذَلِكَ بِالترجمة له من خلال كتابه الذي أقوم بدراسة
أقواله النقدية في علوم الحديث .

وَأَفْضَلُ مَنْ يَتَرَجَّمُ لِلشَّخْصِ وَخَيْرُ مَنْ يَظْهَرُ آرَأؤه وَاتِّجَاهَاتُه وَيَجَلِّي شَخْصِيَّتُه هُوَ كِتَابَاتُه
وَأَقْوَالُه .

وقد جعلت هذه الترجمة في بحثين:

١ - المبحث الأول : الحافظ الذهبي وساعاته ومصنفاته في ضوء كتابه : "سير أعلام النبلاء"

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ترجمة موجزة للإمام الذهبي ، وتشمل على ذكر لقبه ، وكنيته ، واسمه ، وولادته ،
وطلبه للعلم ، ورحلاته ، وأشهر شيوخه وتلاميذه ، واشتغاله بالتصنيف والتدريس ، وزمن وفاته ،
وذكر بعض الكلمات التي قيلت في شأنه من كبار عارفيه من أهل العلم في عصره وَمَنْ بَعْدَهُمْ .

المطلب الثاني : ساعاته وقراءاته لعدد كبير من الكتب والأجزاء ذكرها في كتابه "سير أعلام

النبلاء"

المطلب الثالث : مصنفاته التي صَرَّحَ بِذِكْرِهَا فِي كتابه "سير أعلام النبلاء" أَيْضاً .

٢ - المبحث الثاني : الذهبي الناقد في ضوء أقواله في "سير أعلام النبلاء" وفيه المطلب الآتية :

- المطلب الاول : أقوال الحافظ الذهبي النقدية في العقيدة .
- المطلب الثاني : أقوال الذهبي النقدية في الفقه .
- المطلب الثالث : أقوال الحافظ الذهبي النقدية في التصوف والصوفية .
- المطلب الرابع : أقوال الحافظ الذهبي النقدية في العلم والعلماء .
- المطلب الخامس : أقوال الحافظ الذهبي النقدية للمحدثين في عصره .
- المطلب السادس : أقوال الحافظ الذهبي النقدية في الحكم والسياسة .
- المطلب السابع : أقوال الحافظ الذهبي النقدية للكتب والمصنفات .
- المطلب الثامن : نقد أقوال المترجمين .
- المطلب التاسع : نقد أحوال المترجمين .
- المطلب العاشر : نقد الأخبار والحكايات .
- المطلب الحادي عشر : النقد باستعمال التاريخ .
- المطلب الثاني عشر : إنصاف الذهبي وورعه في النقد .

* * * * *



المبحث الأول

الحافظ الذهبي وسماعاته ومصنفاته في ضوء كتابه "سير أعلام النبلاء" *

المطلب الأول

ترجمة موجزة للحافظ الذهبي

لقبه وكنيته واسمه ، وأسماء آبائه : هو الإمام شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ^(١) ابن عثمان ^(٢) بن قايمار ^(٣) بن عبد الله التركماني الفارقي ^(٤) الأصل ، الدمشقي الذهبي أو ابن الذهبي ^(٥) الشافعي .

ولادته : ولد بدمشق سنة ثلاث وسبعين وست مئة في ثالث شهر ربيع الآخر ، وأجاز

(١) ترجم الذهبي لوالده في معجم شيوخه ٧٥ / ١ فقال : أحمد بن عثمان بن قايمار ابن الشيخ عبد الله التركماني ، الفارقي الأصل ، ثم الدمشقي ، شهاب الدين الذهبي ، والدي أحسن الله جزاءه . ولد سنة إحدى وأربعين وست مئة تقريباً . وَرَّعَ في دَقِّ الذهب ، وَحَصَلَ ما عَتَقَ منه خمس رقاب . توفي في آخر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وست مئة قبل ليلة الجمعة .

(٢) ترجم الذهبي لجده في معجم شيوخه الكبير ٤٣٦ / ١ فقال : عثمان بن قايمار بن عبد الله التركماني الفارقي ثم الدمشقي النجار ، أبو أحمد ، فخر الدين . رجل أُمِّيٌّ حسن اليمين بالله ، والله يغفر له . . قلت : شهدت دفنه بسفح قاسيون عقيب الجمعة في سنة ثلاث وثمانين . (٣) ترجم الذهبي لوالد جده عند ترجمته لجده في المعجم الكبير ٤٣٦ / ١ فقال : ومات أبوه الحاج قايمار في سنة إحدى وستين ، وقد أُضِرَّ ودُخِلَ في الهرم ، وجاوز المئة ببشير كما ترجم له أيضاً في رسالته في أهل المئة فصاعداً ص ١٣٧ .

(٤) نسبة إلى مَيَّا فارقين وهي أشهر مدينة بد ياربكر . كما في معجم البلدان ٢٣٥ / ٥ .

(٥) اشتهر وصف الإمام الذهبي بابن الذهبي وكان يَمَرُّ نفسه بقوله ابن الذهبي ، وكذلك عرفه أصحابه ومعاصروه . وانظر أمثلة كثيرة على ذلك في حاشية قاعدة في الجرح والتعديل ص ٣٢ - ٣٦ ، وانظر أيضاً : صفحات في ترجمة الحافظ الذهبي ص ١٠ - ١١

له في هذه السنة قوم من الأئمة ^(١) بعناية أخيه من الرضاة ^(٢).

بدء عنايته بعلم الحديث : توجَّهت همته إلى طلب الحديث الشريف في سنة (٦٩٢) وله ثماني عشرة سنة ، فسمع الكثير من شيوخ عصره ببلده دمشق ، واعتنى بعلم الحديث ومال إلى سماعه واستغرق كل حياته ، إضافة إلى اهتمامه بعلم القراءات والتاريخ .

رحلاته : رحل إلى بعلبك وحمص ، وحماه ، وحلب ، وطرابلس ، ونابلس ، والرملة ، والقاهرة ^(٣) والاسكندرية والقدس ، والحجاز ، وغيرها من المدن والبلدان . وسمع مالا يحصى كثرة من الكتب والاجزاء ^(٤) . ولقى كثيرا من الشيوخ .

أشهر شيوخه : تلقى الحديث على أئمة عصره ، ومنهم الإمام يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج المزي الدمشقي ت (٧٤٢) ، ومنهم الإمام أحمد بن محمد بن عبد الله جمال الدين .

(١) ذكر الذهبي كثيرا ممن أجازوه في سنة ولادته ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : أحمد ابن عبد القادر العامري الدمشقي قال في المعجم الكبير ٦٩/١ : " مات بالمزة في سنة ثلاث وسبعين وست مئة ، وفيها أجاز لي مروياته " .
ومنهم الإمام محمد بن علي بن محمود الصابوني الدمشقي ت (٦٨٠) قال في المعجم الكبير ٢٤٧/٢ : " وأجاز لي بمروياته عام مولدي سنة ثلاث وسبعين وست مئة ، ومنهم الإمام محمد بن محمد بن أحمد القسطلاني المكي ت (٧٠٤) ، قال في المعجم الكبير ٢٦٧/٢ : " كتب إلي بالإجازة عام ولدت ، وهو شاب " .

(٢) ترجم له الذهبي في المعجم الكبير ٧/٢ فقال : علي بن إبراهيم بن داود ، المُقَفِّي الصالح علاء الدين أبو الحسن الدمشقي ابن المطار الشافعي خُرجت له معجماً ، واشتغل مدة على النواوي وصحبه ، وكتب وجمع ودرَّس وأفتى ، واشتهر ذكره . توفي في ذي الحجة سنة أربع وعشرين وسبع مئة " .

وقال في المعجم المختصر ١٥٧ : " خُرجت له معجماً في مجلد ، انتفعت به وأحسن إليَّ استجازته لي كبار المشيخة " .

(٣) قال التقي الفاسي في " تعريف ذوي العلا " (ق ١٢٠) : وكانت رحلته إلى مصر سنة خمس وتسعين وست مئة ، وقصَّد بالرحلة السندة سيدة بنت موسى الماراني ، فماتت قبل أن يصل القاهرة ، وهو بالرملة ، وانظر ترجمة سيدة في المعجم الكبير ٢٩٤/١ ، وانظر : الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام للدكتور بشار معروف ص ٩٠ - ٩٢ .

(٤) وقد أفردت بحثاً في سماعات الذهبي وقراءاته التي تدلُّ على سعة اطلاعه وكثرة مروياته

(٥) انظر : المعجم الكبير ٣٨٩/٢

أبو العباس الحلبي المعروف بابن الظاهري ت (٦٩٦)^(١) ، والإمام أحمد بن إسحاق بسن
 محمد ، أبو المعالي شهاب الدين المصري المقرئ المعروف بالأبرقوهي ت (٧٠١)^(٢) ، والإمام
 محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، أبو الفتح ، تقي الدين المعروف بابن دقيق العيد
 ت (٧٠٢)^(٣) ، والإمام عبد المؤمن بن خلف ، أبو محمد شرف الدين الدمياطي ت (٧٠٥)^(٤)
 وغيرهم من كبار الأئمة^(٥)

وشييوخه بالسماع والإجازة قرابة (١٢٧٨) شيخ وشيخه ذكرهم في معجم شيوخه الكبير ، وقال
 في مقدمته : " فهذا معجم المسكين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الشيخ عبد الله
 التركماني الفارقي ثم الدمشقي ابن الذهبي ، يشتمل على ذكر من لقيته أو كتب إليّ بالإجازة
 في الصغر ، وعلى كثير من المجيزين لي في الكبر ، ولم أستوعبهم ، وربما أجاز لي الرجل ولم أشعر
 به ، بخلاف من سمعته منه ، فإنني أعرفه " ^(٦)

(١) انظر : المعجم الكبير ٩٣ / ١

(٢) انظر : المعجم الكبير ٣٧ / ١

(٣) انظر المعجم الكبير ٢٤٩ / ٣

(٤) انظر المعجم الكبير ٤٢٤ / ١

(٥) وذكر الحافظ الذهبي كبار علماء عصره فقال في ترجمة سفيان الثوري ٢٥٠ / ٧ من السير :
 فرأس المحدثين اليوم أبو الحجاج القضاعي المزي ، ورأس الفقهاء القاضي شرف الدين
 البارزي ، ورأس المقرئين جماعة ، ورأس المربية أبو حيان الأندلسي ، ورأس القباد الشيخ
 علي الواسطي ، وفي الناس بقايا خير ، ولله الحمد " وقال التقي الفاي في " تعريف ذوي القلاء "
 ق (٢١ أ) : " إنَّ الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكدي العلائي سأله عن الشيخ تقي
 الدين بن دقيق العيد ، والحافظ شرف الدين الدمياطي ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية
 والحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي فقال : ابن دقيق العيد أعلمهم باستنباط —
 الأحكام ، والحافظ الدمياطي أعلمهم بالأنساب ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية أحفظهم
 للسنن ، والحافظ المزي أحفظهم بالأسماء " .

(٦) المعجم الكبير ٢١ / ١

أشهر تلاميذه : كان الذهبي مدرسة قائمة بذاتها خَرَّجَت العديد من الحفاظ والعلماء

ومن مشاهيرهم : التاج الشبكي ، والبرزالي ، والملائي ، وابن كثير ، وابن رافع ، وابن رجب
ومن نظر في الكتب التي أُرِّخَت للقرن الثامن وَجَدَهَا تزخُّر بمئات من تلاميذ الذهبي من
كبار الأئمة والحفاظ .

مناسبة التدريس : أقام الذهبي بدمشق متصِّداً للتحدث والإقراء ، والإفادة والتدريس

وولي مشيخه الحديث في عدد من المدارس : دار الحديث بقرية أم الصالح ، ودار الحديث
الظاهرية ، ودرس الحديث بالمدرسة النفيسية ، والتكزية ، والفاضلية . . . (١)

اشتغاله بالتصنيف : اشتغل الذهبي رحمه الله تعالى بالتصنيف والتخريج مع ملازمة

التدريس ، وكتبه كثيرة يطول ذكرها (٢) قال الحافظ تقي الدين القاسي : " وقد أن رأى كتاباً
مفيداً لغيره إلا اختصره أو استدرك فيه أو انتقى منه (٣) وقال أيضاً : " وما زال يكتب ويصنِّف
ويخرِّج حتى أضرَّ في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة (٤) وقد ذكر الذهبي في كتابه سير أعلام
النبلاء ضعف بصره فقال في ترجمة سفيان الثوري :

" ذكر فصلاً طويلاً ، ضعف بصري أنا عن قراءته (٥) وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد بن

حسن بنبل عند كلامه عن مسند والده الإمام أحمد : " فلملَّ الله يقبض لهذا الديوان العظيم
من يرتبه ويهذبه ، ويحذف ما كرر فيه ، ويصلح ما تصحَّف ويوضح حال كثير من رجاله ، وينبئه على
مرسله ، ويوهن ما ينبغي من مناكيره ، ويرتب الصحابة على المعجم ، وكذلك أصحابهم على المعجم ،
ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب الستة ، وإن رتبته على الأبواب فحسن جميل ، ولولا أنني
قد عجزت عن ذلك لضعف البصر ، وعدم النية ، وقرب الرحيل ، لمملت في ذلك . (٦)

(١) انظر : الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام ص ١٠٦ - ١١٠ .

(٢) وقد أفردت ذكر المصنفات التي ذكرها في كتابه " سير أعلام النبلاء " .

(٣) تعريف ذوي العلاق (٢٠ ب) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سير ٢٥١ / ٧ .

(٦) سير ٥٢٥ / ١٣ .

وفاته : أُضْـرَّ - رحمه الله تعالى - قبل موته بسبع سنين ، وتوفي بعد العشاء وقيل

نصف الليل ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بترية أم الصالح
ودفن في مقابر باب الصغير بدمشق .

شأن العلماء عليه : أسوق بعض الكلمات التي قيلت في شأنه ، والشأن عليه ، توضح مكانته

العلمية ، ومنزلته الرفيعة السامية .

(١)

١ - قال تلميذه العلامة المؤرخ الأديب صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤) في كتابه : " الوافي بالوفيات " الإمام العلامة ، الحافظ ، شمس الدين الذهبي ، حافظ لا يجارى ولا فظ لا يجارى ، أتعن الحديث ورجاله ، ونظر علله وأحواله ، وهرف تراجم الناس ، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس ، ذهن يتوقد ذكاؤه ، ويصح إلى الذهب نسبته وانتاؤه ، جمع الكثير ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف . اجتمعت به ، وأخذت عنه ، وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه

دُرِّية بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات ، وأعجبني منه ما يعانیه في تصانيفه ، من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن ، أو ظلام إسناد ، أو طعن في رواه ، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده . (٢)

٢ - وقال تلميذه الحافظ أبو المعاسن الحسيني الدمشقي المتوفى سنة (٧٦٥) في " ذيل طبقات الحفاظ " : الإمام العلامة شيخ المحدثين ، قدوة الحفاظ والقراء ، محدث الشام ومؤرخه ومفيدة . . . جرح وعدل ، وصحح وعلل ، واستدرك وأفاد ، وانتقى واختصر كثيراً من تأليف المتقدمين والمتأخرين ، وكتب علماً كثيراً ، وصنف الكتب المفيدة . . . وقد سارت بجملتها الركب في أقطار البلدان ، وكان أحد الأذكياء المعدودين ، والحفاظ المبرزين . (٣)

٣ - وقال تلميذه الإمام الحافظ المحدث الفقيه الأصولي تاج الدين عبد الوهاب بن علي

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنه ٢ : ٨٧ ، وطبقات الشافعية ٦ : ٩٤ .

(٢) الوافي بالوفيات ٢ / ١٦٣ ، وقارن بنكت اليهيمان ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ .

السيكي المتوفى سنة (٧٧١) في طبقات الشافعية الكبرى : " وأما أستاذنا أبو عبد الله فيهر لانظير له ، وَكَتَبَ هُوَ الطَّجَأَ إِذَا نَزَلَتِ الْمُفْضِلَةُ ، إمام الوجود حفظاً ، وذهب المعصر معنى ولفظاً وشيخُ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كَأَنَّمَا جُمِعَتِ الْأُمَّةُ فِي صَمِيدٍ فَنَظَرَهَا ثُمَّ أَخَذَ يَخْبِرُ عَنْهَا إِخْبَارَ مَنْ حَضَرَهَا ، وهو الذي خَرَّجَنَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَأَدْخَلَنَا فِي عَدَادِ الْجَمَاعَةِ ، جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، وَجَعَلَ حَظَّهُ مِنْ غُرَفَاتِ الْجَنَانِ مَوْفَرَ الْأَجْزَاءِ " (١)

٤ - وقال الإمام المحدث المؤرخ تقي الدين ، محمد بن أحمد الفاسي المتوفى سنة (٨٣٢) في كتابه " تمريف ذوي القلائد من فآت الذهب من النبلا " : " الحافظ العلامة المغنن المحقق المعتمد . . . اعترف له علماء عصره بوافر الفضل في فنون الحديث والتاريخ . . . وكان الذهبسني متبحراً في معرفة المتقدمين والمتأخرين ولا يحابي منهم أحداً ، ولا يتحامل على أحد ، ويوضح ما يقع في كلام غيره من إسراف في جرح ، أو انتقاد فيما يحكيه عن غيره . وكان كثير الحفظ للمتوسون والآثار ، جيد الخبرة بعمل الحديث ، والعالي والنازل مليح العبارة في تصانيفه وتعاليقه . . . " (٢)

٥ - وقال الحافظ المحدث ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة (٨٤٢) في الرد الوافر : " إمام التعديل والجرح ، والمعتمد عليه في المدح والقدح ، أبو عبد الله محمد ابن الذهبي « (٣) -

وقال أيضاً : « الشيخ الإمام الحافظ الهمام ، مفيد الشام ، ومؤرخ الإسلام ، ناقد المحدثين وإمام المعدلين والمجرحين . . . وكان آية في نقد الرجال ، عُدَّة في الجرح والتعديل ، عالماً بالتفريع والتأصيل ، إماماً في القراءات ، فقيهاً في النظريات ، له دُرَّةٌ بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات ، قائماً بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف . . . وله المؤلفات المفيدة ، والمختصرات الحسنة ، والمصنّفات السديدة » (٤)

٦ - وقال حافظ عصره ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢) في الدرر الكامنة : " مَهْرٌ فِي فَنِّ الْحَدِيثِ ، وَجَمَعَ فِيهِ الْمَجَامِيعَ الْمَفِيدَةَ الْكَثِيرَةَ ، حَتَّى كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِ عَصْرِهِ تَصْنِيفًا ، وَرَغَبَ النَّاسُ فِي تَوَالِيْفِهِ ، وَرَحَلُوا إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا ، وَتَدَاوَلَوْهَا قِرَاءَةً وَنَسْخًا وَسَمَاعًا . . . " (٥)

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩ / ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) تمريف ذوي العلاق (٢١ ب) .

(٣) الرد الوافر ص ٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٥ - ٦٦ .

(٥) الدرر الكامنة ٣ / ٤٢٦ - ٤٢٧ .

٧ - وقال الحافظ السيوطي المتوفى سنة (٩١١) في طبقات الحفاظ: " حكى عن شيخ الاسلام أبي الفضل بن حجر أنه قال : شَرِّيتُ ماءً زَمْزَمَ لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفاظ والذي أقوله : إِنَّ المحدثين عيالٌ الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أريسة : المِزِّي ، والذهبي ، والمراقي ، وابن حجر " (١) انتهى

* * *

المطلب الثاني

سماعات الذهبي وقراءاته من خلال كتابه " سير أعلام النبلاء "

ذكر الذهبي في كتابه " سير أعلام النبلاء " كثيراً من سماعاته وقراءاته ومطالعاته ، لعدد كبير من كتب الحديث والأجزاء والأُمالي والموالي والشيخات والمعاجم ، تدل دلالة ظاهرة على سعة مرويّاته ، وعظيم اطلاعه ومعرفته . فهو يورد أثناء كثير من التراجم ما وقع له من كتبهم وعوالسهم اسانيدهم وما سمعه من حديثهم ، وعن طريقهم من الكتب الحديثية والتاريخية . . . ويقول : وقع لي ، أو وقع لنا ، أو سمعت ، وقرأت ، وطالعت ، وعلّقت . . . وأذكر بعض الأمثلة على ذلك واقتصر على ما صرح فيه بالسماع أو القراءة ، وأرتب ذلك حسب وروده في الكتاب :

١ - في ترجمة قيس بن الطّح : " سمعنا أخباره تأليف ابن المزيان " (٢)

٢ - وفي ترجمة الإمام محمد بن جُحادة الكوفي : " جمع الطبراني حديث محمد بن جحادة سمعناه " (٣)

٣ - وفي ترجمة الإمام يونس بن عبيد البصري : " وقد جمع أبو عروبة الحرّاني حديث يونس ابن عبيد الإمام ، وقرأت من ذلك الجزء الأول والثاني ، على أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن تاج الأُمّاء في سنة أربع وتسعين . . . " (٤)

٤ - وفي ترجمة الإمام المعافئ بن عمران الموصلي : " وقد وقع لنا من عواليه ، وله سند صغير سمعناه " (٥)

(١) طبقات الحفاظ ص ٥١٨ وانظر : الإعلان بالتبويب ص ٤٧٢ .

(٢) سير ١٥/٤ (٣) سير ١١٧٥/٦

(٤) سير ٢٩٦/٦ (٥) سير ٨٤/٩

- ٥ - وفي ترجمة الإمام محمد بن عبد الله بن المثنى البصري : وله جزء مشهور من العوالي تفرد به التاج، وجزء آخر من رواية أبي حاتم الرازي عنه ، سمعناه من طريق السلفي . . (١)
- ٦ - وفي ترجمة الإمام محمد بن إدريس الشافعي : " قال الحافظ أبو بكر الخطيب في مسألة الاحتجاج بالإمام الشافعي فيما قرأت على أبي الفضل بن عساكر . . . (٢)
- ٧ - وفي ترجمة الإمام أبي عبيد ، القاسم بن سلام : " له كتاب الأموال في مجلد ، سمعناه بالاتصال " (٣)
- ٨ - وفي ترجمة الشيخ المحدث الثقة أبي الجهم ، العلاء بن موسى الباهلي البفسيداني صاحب ذاك الجزء العالي : " سمعنا نسخته من نيف وستين نفساً ، سمعوها من أصحاب أبي الوقت السجني . . . (٤)
- ٩ - وفي ترجمة الإمام عبيد الله بن محمد النخعي البصري : " قلت : سمعنا نسخة العيشي بالإجازة ، ووقع لنا بالاتصال من عواليه " (٥)
- ١٠ - وفي ترجمة الحافظ الحجة محمد بن الصَّبَّاح الدُّوَلابي : " مصنف السنن الذي نرويه في مجيليد " (٦)
- ١١ - وفي ترجمة الحافظ القدوة عبد الله بن محمد بن أسماء البصري : " له نسخة مشهورة سمعناها " (٧)
- ١٢ - وفي ترجمة الإمام المؤرخ الصادق ، محمد بن عائذ الدمشقي : " قلت : جمع كتاب " المفازي " ، سمعت معظمه " (٨)
- ١٣ - وفي ترجمة الإمام أحمد بن حنبل : " وقد جمع أبو محمد الخلال جزءاً في تسمية الرواة عن أحمد ، سمعناه من الحسن بن علي ، عن جعفر عن السلفي ، عن جعفر السَّراج عنه . (٩)
-
- (١) سير ٥٣٧/٩ (٢) سير ٩٥/١٠
 (٣) سير ٤٩١/١٠ (٤) سير ٥٤٦/١٠
 (٥) سير ٥٦٥/١٠ (٦) سير ٦٧١/١٠
 (٧) سير ٦٨٦/١٠ (٨) سير ١٠٦/١١
 (٩) سير ١٨٣/١١ وانظر ترجمة الحسن بن علي الدمشقي القلاسي في المعجم الكبير (٢٢٢)

- ١٤ - وفي ترجمة الإمام الثقة أبي مصعب أحمد بن القاسم الزهري المدني : قلت : سمعت " موطأه " من أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن تاج الأمان ، في سنة خمس وتسعين وست مئة سوى ذاك الفتوة القديم ، وهو الساقاة والقراض بإجازته عن المؤيد الطوسي . . . (١)
- ١٥ - وفي ترجمة الشيخ المحدث الصدوق ، محمد بن ملاح النعماني الدمشقي : " قلت : له جزء عال ، سمعناه من أصحاب أبي القاسم بن راحة " (٢)
- ١٦ - وفي ترجمة محمد بن عاصم الأصبهاني : " سمعنا جزءاً محمد بن عاصم بالاتصال " (٣)
- ١٧ - وفي ترجمة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري : " وأما " الصحيح " فهو أعلى ما وقع لنا من الكتب الستة في أول ما سمعت الحديث ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وست مئة . فما ظنك بعلوه اليوم وهو سنة خمس عشرة وسبع مئة : لو رُحِّل الرجل من مسيرة سنة لسماعه لما قُطِر . كيف وقد دام علوه إلى عام ثلاثين " (٤)
- وفي ترجمة غانم بن أحمد الأصبهاني : " وقرأت " صحيح البخاري " على أبي العباس الحجار لأولادى بإجازته من ابن مقمر " (٥)
- وفي ترجمة سعيد بن محمد ابن الرزاز البغدادي : " وسمع الصحيح من أبي الوقت الشجري وسمعت الصحيح بكماله من الحافظ الكبير أبي الحجاج يوسف بن الزكي الكلبى بسماعه من النجيب القيسي عنه " (٦)
- ١٨ - وفي ترجمة الربيع بن سليمان المراوي : " وقد سمعنا من طريقه " المسند " للشافعي انتقاه أبو العباس الأصم من كتاب " الأم " لينشط لروايته للرحالة . وإلا فالشافعي رحمه الله لم يؤلف مسنداً " (٧)

(١) سير ٤٣٨ / ١١

(٢) سير ٣٥٤ / ١٢

(٣) سير ٣٢٧٨ / ١٢

(٤) سير ٤٠٠ / ١٢

(٥) سير ٩٩ / ٢٠ وابن معمر هو داود بن معمر بن عبد الواحد الأصبهاني المتوفى سنة (٦٤٢) وقد حَدَّثَ عن غانم بن أحمد المتوفى سنة (٥٣٨) وابن معمر ترجم له الذهبي

في السير ٢٦٨ / ٢٢

(٧) سير ٥٨٩ / ١٢

(٦) سير ٩٧ / ٢٢

وفي ترجمة أبي بكر، أحمد بن الحسن الحيرى النيسابورى : " وسمعنا مسند الشافعى من طريقه " (١)

١٩ - وفي ترجمة المحدث الثقة الحسن بن علي بن عَفَّان الكوفى : " سمعنا من طريقه كتاب " الحَرَج " ليحيى بن آدم ، وسمعنا جزءاً من حديثه انفرد به ابن اللّتي " (٢)

٢٠ - وفي ترجمة الحافظ حنبل بن إسحاق : " وله " تاريخ " مفيد ، رأيته ، وعلقت منه " (٣)

٢١ - وفي ترجمة الإمام ابن ماجه : " سمعت كتاب " سنن ابن ماجه " ببعلبك من القاضي تاج

الدين عبد الخالق بن عبد السلام ، ومن ذلك بقراءتي نحو الثلث الأول من الكتاب . —

وحدثني بالكتاب كله عن الشيخ الإمام موفق الدين عبد الله بن قدامة ، سماعاً فى سنة إحدى عشرة وست مئة . وسمعت كلاً بحلب من أبي سميد ، سُنقر الزينى بسماعه من الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف ، بسماعهما من أبي زرعه المقدسى ، عن محمد بن الحسين المقومى ، عن القاسم بن أبي المنذر الخطيب ، عن أبي الحسن القطان عنه " (٤)

٢٢ - وفي ترجمة الشيخ الزاهد أحمد بن محمد بن مسروق البغدادى : " سمعنا القناعسة من تأليفه " (٥)

٢٣ - وفي ترجمة الإمام الحافظ يوسف بن يعقوب القاضى : " ومن تأليفه : كتاب " العلم " سمعناه " (٦)

٢٤ - وفي ترجمة الإمام الثبّت أحمد بن شعيب النسائى : " والذى وقع لنا من سننه هو الكتاب

المجتبى منه ، انتخاب أبي بكر بن الشّنى ، سمعته مطلقاً من جماعة . . وما يروى اليوم

فى عام أربعة وثلاثين وسبع مئة من السنن عالياً جزآن : الثانى من الطهارة والجمعة ، تفرد

البوصيرى بملوهما فى وقته ، وقد أنبأني أحمد بن أبي الخير بهما ، عن البوصيرى . فبينى وبين

النسائى فيهما خمسة رجال .

(١) سير ٣٥٧/١٧

(٢) سير ٢٥/١٣ وابن اللّتي ، هو عبد الله بن عمر البغدادى الحريبي المتوفى سنة (٦٣٥)

ترجم له الذهبى فى السير ٢٣/١٥ - ١٧ وقال : سمعت نحو ثمانين نفساً من أصحابه .

(٣) سير ٥٣/١٣ (٤) سير ٢٨٠/٣ وانظر ترجمة عبد الخالق بن عبد السلام -

وسنقر الزينى فى المعجم الكبير ١/ ٣٥١ و ٢٧٦

(٥) سير ٤٩٥/١٣ (٦) سير ٨٦/١٤

وعندى جزء من حديث الطبراني عن النسائي ، وقع لنا بعلو أيضاً .

ووقع لنا جزء كبير انتخبه السلفى من السنن ، سمعناه من الشيخ أبي المعالي بن النجاشي
التنوخى (١) .

وفى ترجمة أبي بكر أحمد بن محمد بن الشَّيْبَانِي : " قلت : وهو الذى اختصر سنن النسائي
واقصر على رواية المختصر ، وسماه " المجتبى " سمعناه عالياً من طريقه " (٢) .

٢٥ - وفى ترجمة الإمام الحافظ ، أبي عروبة الحراني : " وله كتاب " تاريخ الجزيرة " سمعناه (٣) .

٢٦ - وفى ترجمة عبد الصمد بن سعيد الحمصي : " وجمع تاريخاً لطيفاً فيمن نزل حمص من
الصحابة . سمعناه " (٤) .

٢٧ - وفى ترجمة الإمام المقرئ أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد مصنف كتاب السبعة : -
سمعت كتابه بإسناد عال " (٥) .

وفى ترجمة الإمام المقرئ أبي الحسن محمد بن أحمد بن توبة : " وسمعت " سبعة " ابن مجاهد
من عمر بن القَّوَّاس ، عن الكندي ، أخبرنا ابن توبة ، أخبرنا الصريفي ، أخبرنا الكنانى عنه (٦) .

٢٨ - وفى ترجمة العلامة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي : " وله جزء سمعناه " (٧) .

٢٩ - وفى ترجمة الإمام أبي الحسن ، علي بن محمد المصرى : " قلت : عند الشَّيْبَانِي جزء " قال
من حديثه سمعناه " (٨) .

٣٠ - وفى ترجمة المحدث أبي الحسن علي بن محمد بن مهرويه القزويني : " قلت : سمعنا من
طريقه " فضائل القرآن " لأبي عبيد عالياً " (٩) .

٣١ - وفى ترجمة القاضي عمر بن الحسن الأشناني : " له مجلس سمعناه " (١٠) .

٣٢ - وفى ترجمة الامام عبد الباقي بن قانع البغدادي : " صاحب كتاب " معجم الصحابة " السدي
سمعناه " (١١) .

(١) سير ١٣٤/١٤ وانظر أيضاً ٢٦/٢١ .

(٢) سير ٢٥٦/١٦ . ودعوى اختصار ابن الشَّيْبَانِي لسنن النسائي أفردت لها بحثاً فى الرسالة .

(٣) سير ٥١١/١٤ (٤) سير ٢٦٧/١٥

(٥) سير ٢٧٤/١٥ (٦) سير ٣٥/٢٠ ، المعجم الكبير (٥٨) .

(٧) سير ٣٠٢/١٥ (٨) سير ٣٨٢/١٥ والشَّيْبَانِي هو سبط السَّلفى ، عبد الرحمن بن

مكي المتوفى سنة (٦٥١) .

(٩) سير ٣٩٧/١٥ (١٠) سير ٤٠٦/١٥

(١١) سير ٥٢٦/١٥

- ٣٣ - وفي ترجمة مسند وقته أحمد بن محمد السُّنْدِي المصري : "وعندي جزءٌ من حديثه أخبرناهُ العزُّ بنُ الفراء" . . . (١)
- ٣٤ - وفي ترجمة الشيخ المعمر ، محمد بن عبدالله المعروف بابن عَلم : "له جزءٌ مشهور سمعناه" . (٢)
- ٣٥ - وفي ترجمة ميمون بن إسحاق البغدادي : "قلت : له جزءٌ مروى سمعناه من أصحاب البهاء عبد الرحمن" . (٣)
- ٣٦ - وفي ترجمة محمد بن أحمد الأصبهاني المعروف بالمَسَّال : "تلا عليه ولده أبو عامر عبد الوهاب . . . طالعت كتاب "المعرفة" له في السنة ، ينبئ عن حفظه وإمامته" . (٤)
- ٣٧ - وفي ترجمة الإمام أبي بكر محمد بن عبدالله البغدادي الشافعي : "قلت : قد انتقى عليه الدارقطني ربايعاته في جزءٍ كبيرٍ سمعناه" . (٥)
- ٣٨ - وفي ترجمة الإمام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرُزِّي : "مصنَّف كتاب "المحدثات الفاضلة بين الراوي والواعي" في علوم الحديث ، وما أحسنه من كتاب : . . . سمعنا كتابه من أبي الحسين علي بن محمد ، عن جعفر بن علي ، عن السَّلفي ، عن أبي الحسين ابن الطُّيُوري ، عن أبي الحسن الغالي ، عن القاضي أبي عبدالله النُّهاوندِي عنه ، ويقع لنا حديثه أعلى من هذا" . (٦)
- ٣٩ - وفي ترجمة المعمر أبي الحسن أحمد بن القاسم اللكي : "وله جزءٌ سمعناه ، فيه ما ينكر" . (٧)
- ٤٠ - وفي ترجمة إسماعيل بن نُجَيد النيسابوري : "وله جزءٌ من أعلى ما سمعناه" . (٨)
- ٤١ - وفي ترجمة المسند محمد بن موسى بن فضالة الأموي : "دمشقي معروف ، له جزءٌ سمعناه" . (٩)
- ٤٢ - وفي ترجمة أبي سعيد السيرافي : "سمعنا من طريقه جزءاً من أخبار الزبير بن بكار" . (١٠)

(٢) سير ٥٤٤/١٥

(١) سير ٥٤٢/١٥

(٤) سير ٧/١٦

(٣) سير ٥٥١/١٥

(٦) سير ٧٤/١٦

(٥) سير ٤٢/١٦

(٨) سير ١٤٦/١٦

(٧) سير ١١٣/١٦

(١٠) سير ٢٤٨/١٦

(٩) سير ١٥٨/١٦

- ٤٣ - وفي ترجمة أحمد بن محمد المصري الخياش: "سمعنا الجزء الخامس من حديثه" (١)
- ٤٤ - وفي ترجمة محمد بن سليمان الرّيمى الدمشقى: "قلت: سمعنا جزء الرّيمى" (٢)
- ٤٥ - وفي ترجمة محمد بن إسماعيل البغدادي الوراق: "قلت: عند أبي اليمن الكندي من أمالي الوراق هذا جزء"، سمعناه على أبي حفص القّواس بالإجازة" (٣)
- ٤٦ - وفي ترجمة مسند العراق عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري العوفي: "سمعنا من طريقه" صفة المنافق" للفرابي" (٤)
- ٤٧ - وفي ترجمة الإمام أبي بكر محمد بن عبد الله الجوّزقي: "وله أربعون سمعناها" (٥)
- ٤٨ - وفي ترجمة المسند أبي بكر محمد بن عمر بن زنبور البغدادي: "قلت: سمعنا من طريقه كتاب" البعث" لابن أبي داود، والثاني من رواية زغبة عن الليث، والثالث من مسند ابن مسعود لابن صاعد، وهذه الأجزاء من أعلى ما عندي مع ضعفه" (٦)
- ٤٩ - وفي ترجمة الإمام الحافظ أبي عمرو محمد بن أحمد البّحيريّ النيسابوري: "ولله أربعون حديثاً سمعناها" (٧)
- ٥٠ - وفي ترجمة المسند المحدث أبي الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيْع الصّيداوي: "قرأت" معجمه" على ابن القّواس، عن أبي القاسم الحرستاني، عن جمال الإسلام السّلكي، عن ابن طَلّاب، عنه... (٨)
- ٥١ - وفي ترجمة الشيخ المعمر، الحسين بن إبراهيم الأصبهاني الجّمال: "له جزء مشهور سمعناه" (٩)
- ٥٢ - وفي ترجمة أبي بكر، محمد بن علي بن جَيد النّيسابوري: "وله جزء مشهور عن الأصم، سمعناه عالياً" (١٠)

(٢) سير ٣٣٩/١٦

(٤) سير ٣٩٣/١٦

(٦) سير ٥٥٥/١٦

(٨) سير ١٥٥/١٧

(١٠) سير ٣٨٨/١٧

(١) سير ٣١٢/١٦

(٣) سير ٣٩٠/١٦

(٥) سير ٤٩٤/١٦

(٧) سير ٩٠/١٧

(٩) سير ٣٧٧/١٧

- ٥٣ - وفي ترجمة الإمام الحافظ ، أبي بكر أحمد بن محمد البرقاني : " وقد سمعنا المصافحة له في مجلد بإسناد عال " (١)
- ٥٤ - وفي ترجمة صاعد بن محمد الأستوائي : " سمعنا جزءاً من حديثه من أبي نصر المزي عن جده " (٢)
- ٥٥ - وفي ترجمة عبيد الله بن عمر بن شاهين البغدادي : " قلت : سمعنا من طريقه كتاب " سجود القرآن " للحري ، بسامع من أبي بحر - البريهاري - عنه " (٣)
- ٥٦ - وفي ترجمة الفقيه علي بن ابراهيم بن سحّام السمرقندي : " وله ثلاثة أجزاء سمعناها " (٤)
- ٥٧ - وفي ترجمة الحافظ أبي يعلى الخليلي : " مصنف كتاب " الإرشاد في معرفة المحدثين " وهو كتاب كبير انتخبه الحافظ السلفي ، سمعنا " المنتخب " . . وله غلطات فليس إرشاده ، قرأناه على أبي علي بن الخلال عن الهمداني ، عن السلفي ، عن ابن ماك ، عنه " (٥)
- ٥٨ - وفي ترجمة المسند أبي يعلى ، إسحاق بن عبد الرحمن النيسابوري الصابونسي : " وخرجت له عشرة أجزاء سمعناها " (٦)
- ٥٩ - وفي ترجمة المسند أبي الحسين ، محمد بن أحمد النّوسي البغدادي : " سمعنا شيخه من أبي حفص القّواس ، أنبأنا الكندي ، أخبرنا أبو بكر الأنصاري ، أخبرنا أبو الحسين رحمه الله " (٧)
- (٨)
- ٦٠ - وفي ترجمة الشيخ أحمد بن منصور المغربي النيسابوري : " وله أربعون حديثاً سمعناها " (٩)
- ٦١ - وفي ترجمة أبي سلم ، عبد الرحمن بن عَزْوَ المطار : " له جزء سمعناه من طريق السلفي " (١٠)
- ٦٢ - وفي ترجمة الإمام أبي القاسم ، عبد الكريم بن هَوَازن القشيري : " ولأبي القاسم أربعون حديثاً من تخريجه سمعناها عالية " (١٠)

(٢) سير ٥٠٨ / ١٧

(١) سير ٤٦٧ / ١٧

(٤) سير ٦٠٤ / ١٧

(٣) سير ٦٠١ / ١٧

(٦) سير ٧٥ / ١٨

(٥) سير ٦٦٦ / ١٧ - ٦٦٧

(٨) سير ٩٤ / ١٨

(٧) سير ٨٤ / ١٨

(١٠) سير ٢٣٢ / ١٨

(٩) سير ٩٦ / ١٨

- ٦٣ - وفي ترجمة أبي منصور العُكْبَرِي : " قلت : وَقَعَ لِي " المجتبى " لابن دريد عالياً مسن
طريقه ، سمعناه من عمر بن القَّوَّاس " (١)
- ٦٤ - وفي ترجمة إمام الحرمين ، أبي المَعَالِي الجويني : " وله أربعون حديثاً سمعناها " (٢)
- ٦٥ - وفي ترجمة أبي إسماعيل الأنصاري : " وقد جَمَعَ هذا " سيرة الإمام أحمد " في مجلد ،
سمعناها من أبي حفص بن القَّوَّاس بإجازته من الكندي ، أخبرنا الكروجي ، أخبرنا
المؤلف " (٣)
- ٦٦ - وفي ترجمة المحدث أبي طاهر ، محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري : " سمعنا
شيخه في جزأين " (٤)
- ٦٧ - وفي ترجمة أبي القاسم علي بن محمد بن أبي العلاء المِصْبِصِي الدمشقي : " قلت :
سمعنا من طريقه عدَّة أجزاء ، كحديث ابن أبي ثابت ، وجزء علي بن حرب ، ومن
فضائل الصحابة لخيصة " (٥)
- ٦٨ - وفي ترجمة أبي الخطَّاب ، نصر بن أحمد بن البَطْرِ البغدادي : " أخبرنا بجزء فيه
حديث الإفك للأجري ، الطواشي بلال الصفيثي " (٦)
- ٦٩ - وفي ترجمة أبي علي أحمد بن محمد البرداني : " قلت : جمع مجلداً في " المنامات
النبوية " ، سمعنا منتقاه على الأيمن الصَّغَار ، عن السَّوَي ، عن السَّلَفِي ، عنه " (٧)
- ٧٠ - وفي ترجمة الإمام جعفر بن أحمد البغدادي السَّراج : " خَرَّجَ له شيخه الخطيب
خمسة أجزاء مشهورة سمعناها " (٨)
- ٧١ - وفي ترجمة الإمام أبي علي الحسن بن أحمد الحَدَّاد : " وَخَرَّجَ لنفسه معجماً سمعناه ،
أولم له بتخريج ولده الحافظ المَجُود عبيد الله بن الحداد " (٩)

• (٢) سير ٤٦٩ / ١٨

• (٤) سير ٥٧٨ / ١٨

• (٦) سير ٤٨ / ١٩

• (٨) سير ٢٢٩ / ١٩

• (١) سير ٣٩٣ / ١٨

• (٣) سير ٥١٠ / ١٨

• (٥) سير ١٣ - ١٤

• (٧) سير ٢٢٠ / ١٩

• (٩) سير ٣٠٤ / ١٩

- ٧٢ - وفي ترجمة النسيب أبي القاسم ، على بن إبراهيم العَلَوِيّ الدمشقي : " انتخب عليه الحافظ أبو بكر الخطيب عشرين جزءاً سمعتها ، تعرف بفوائد النسيب " (١)
- ٧٣ - وفي ترجمة مسند خراسان ، محمد بن الفضل الصاعدي الفراءى : " قلت : وخرّجوا له أحاديث سداسية سمعتها " (٢)
- ٧٤ - وفي ترجمة مسند العراق ، شهدة بنت أحمد الدينوري : " ولها مشيخة سمعتها " (٣)
- ٧٥ - وفي ترجمة الإمام أبي القاسم ابن عساكر : " وعدد شيوخه . . بضع وثمانون امرأة لهنّ "معجم صغير سمعناه" (٤)
- ٧٦ - وفي ترجمة أبي طاهر السلفي : " وله كتاب " السفينة الأصبهانية " في جزء ضخم رويناه " (٥)
- ٧٧ - وفي ترجمة محمد بن علي الطوسي : " وله أربعون حديثاً سمعتها ، خرّجها له علي ابن عمر الطوسي " (٦)
- ٧٨ - وفي ترجمة مسند خراسان عبد المنعم بن عبدالله بن محمد الصاعدي النيسابوري : " وله أربعون حديثاً سمعتها " (٧)
- ٧٩ - وفي ترجمة الإمام عبد الغني المقدسي : " قرأت سيرته في جزئين جمع الحافظ ضياء الدين أبي عبدالله المقدسي ، على الشيخ عبد الحميد بن أحمد البناء ، بسماع عام ستة وعشرين وست مئة " (٨)
- ٨٠ - وفي ترجمة موسى بن عبد القادر الجيلاني : " قلت : سمعت من طريقه المنتقى مسنن أجزاء " المخلص " ، والثاني من حديث زغبة ، ومنتقى من مسند عيد بن حميد ، وجزء أبي الجهم " (٩)
- ٨١ - وفي ترجمة الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي : " وله مشيخة سمعتها " (١٠)

(٢) سير ١٩ / ١٩٦١ .

(٤) سير ٢٠ / ٥٥٦ .

(٦) سير ٢١ / ٦٥ .

(٨) سير ٢١ / ٤٤٤ .

(١٠) سير ٢٢ / ١٦٦ .

(١) سير ١٩ / ٣٥٩ .

(٣) سير ٢٠ / ٥٤٢ .

(٥) سير ٢١ / ٢١ .

(٧) سير ٢١ / ١٨٠ .

(٩) سير ٢٢ / ١٥١ .

٨٢ - وفي ترجمة المسند أحمد بن يوسف بن صرّما الأزجي : " سمعنا من طريقه نسخة يحيى ابن معين " (١)

٨٣ - وفي ترجمة عبد القوي بن عبد العزيز ابن الجباب المصري : " وقرأت " السيرة " على الأبرقوهي بسماعه منه في صفر سنة إحدى وعشرين وست مئة " (٢)

٨٤ - وفي ترجمة محمد بن الخضر ابن تيمية الحراني : " سمعت من طريقه جزء البانياسي " (٣)

٨٥ - وفي ترجمة محمد بن إبراهيم الإربلي : " حَدَّثَ عَنْ . . . وله عنهم جزء سمعناه " (٤)

٨٦ - وفي ترجمة كريمة بنت عبد الوهاب الدمشقية : " خَرَجَ لَهَا زَكِيُّ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ مَشِيخَةً فِي ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءَ سَمِعْنَاهَا " (٥)

٨٧ - وفي ترجمة الامام يوسف بن خليل شيخ حلب : " سمعت من حديثه شيئاً كثيراً ، وما سمعت العُشْرَ منه ، وهو يدخل في شرط الصحيح لفضيلته وجودة معرفته ، وقوة فهمه ، واتقان كتبه ، وصدقه وخيره " (٦)

٨٨ - وفي ترجمة مسند دمشق أحمد بن المقرئ بن مسلمة : " له مشيخة في ثلاثة أجزاء سمعناها " (٧)

وهذا العدد الكثير من المرويات والسماعات والقراءات للكتب والأجزاء والمعاجم والمشيخات

يدل على سعة اطلاع هذا الإمام ، وما ذكرته إنما هو نبذة من مروياته وسماعاته ، وقد صرح بأكثر من هذه الأعداد بما وقع له من الكتب ، وكذلك بنقله الكثير الهائلة عن عدد كبير من الموارد المتنوعة في كتابه " سير أعلام النبلاء " .

(١) سير ١٩٢/٢٢ .

(٢) سير ٢٤٦/٢٢ .

(٣) سير ٢٩٠/٢٢ والبانياسي هو مالك بن أحمد البانياسي البغدادي المتوفى سنة (١٨٥)

انظر السير ٥٢٦/١٨ .

(٤) سير ٣٩٥/٢٢ .

(٥) سير ٩٣/٢٣ .

(٦) سير ١٥٣/٢٣ .

(٧) سير ٢٨٢/٢٣ .

كما أنه ذكر في المعجم الكبير كثيراً من سماعاته وقراءاته على شيوخه ، ^(١) ولو تمّ جمع جميع الكتب التي رواها عن شيوخه وسمعها منهم أو قرأها عليهم ، لتمّ معجم كبير مفيد .

* * *

المطلب الثالث

مصنفات الحافظ الذهبي التي ذكرها في كتابه "سير أعلام النبلاء"

لقد قام الأستاذ بشار عواد معروف بجمع وتصنيف آثار الذهبي العلمية ، وأشار إلى من ذكرها من المؤلفين السابقين ، ونَبّه فيما إذا كان الكتاب مخطوطاً أو مطبوعاً ، ^(٢) وأشار

(١) وهذه بعض المواضع التي صُرح فيها بالسماع والقراءة في معجمه الكبير ، والرقم المذكور

للترجمة ٣ ، ٤ ، ١٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ،

٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦ ، ٤٦٨ ،

٥٠٩ ، ٥٥٢ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨١ ، ٥٩١ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦٢٣ ، ٦٣٣ ، ٦٥٦ ،

٦٦٣ ، ٦٦٧ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٦ ، ٦٧٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٧٠٣ ، ٧٠٥ ، ٧٢٤ ،

٧٣٦ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٧٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٨ ، ٨١٨ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٥٤ ،

٨٩٩ ، ٩١١ ، ٩٢٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٧٣ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٨ ،

كما ذكر في المعجم المختص بعض سماعاته وهذه مواطن ذكرها ، والأرقام المذكورة

للترجمة أيضاً : ١٨٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٣٥٠ .

(٢) وقد صدر كثير من كتب الإمام الذهبي في الآونة الأخيرة ، وأشار هنا إلى بعض

المطبوعات التي وقعت عليها ، ولم يذكرها الأستاذ بشار لصدرها بعد كتابه

١- أربعون حديثاً بلدانية من المعجم الصغير للطبراني ، حققها كمال الحسوت ،

٢- الموقظة في علم مصطلح الحديث حققها الاستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ،

٣- الأربعين في صفات رب العالمين حققه الأستاذ جاسم الدوسري ، ٤- كتاب

الكبائر طبع طبعه محققة تتميز عن سائر الطباعات وتُثل الكتاب الحقيقي للذهبي

بتحقيق الأستاذ محيي الدين مستو ، ثم مشهور حسن سلمان وطبعته أجود وانظر

مقدمة الطبعتين ، ٥- تشبيه الخسيس بأهل الخميس طبع بتحقيق علي عبد الحميد ،

٦- حقوق الجار طبع في مكتبة عالم الكتب بالرياض ، ٧- الأضرار والآثار طبع

بتحقيق محمود أرناؤوط وهي طبعة رديئة ، ثم حققه الأستاذ الشيخ قاسم سعد وطبع

في دار البشائر الإسلامية ببيروت ، ٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ==

.....

= صدر منه إلى الآن من الطبقة الحادية والستين إلى الرابعة والستين بتحقيق الأساتذة شبيب أرناؤوط وشار معروف وصالح عباس، وصدرت أخيراً بعض الأجزاء الأولى منه بتحقيق الأستاذ عمر التدمري، ٩- تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد عنهم البخاري طبع بتحقيق الأستاذ عبدالفتاح أبوغدة، ١٠- ديوان الضعفاء والمتروكين طبع بتحقيق الأستاذ حماد الأنصاري، ١١- زكراً من أشهر بكنيته من الأعيان طبع بتحقيق الأستاذ جاسم الدوسري، ١٢- زكراً من يمتد قوله في الجرح والتعديل طبع بتحقيق الأستاذ عبدالفتاح أبوغدة، ١٣- ذكراً ديوان الضعفاء والمتروكين، طبع بتحقيق الشيخ حماد الأنصاري، ١٤- جزء من اختصار الذهبي لكتاب بيان الوهم والايهام، حققه الدكتور فاروق حمادة، ١٥- سير أعلام النبلاء، طبع طبعة متقنة مجودة في ثلاثة وعشرين مجلداً، وهو الكتاب الذي أقوم على دراسة الجوانب الحديثة فيه، حققه الأستاذ شبيب الأرناؤوط وجماعة من الأساتذة الفضلاء، ١٦- المجرد في أسماء رجال ابن ماجه طبع بتحقيق محمد المنتقى الكشناوي وهي طبعة رديئة، ثم حققه الأستاذ جاسم الدوسري، ثم حققه أيضاً الأستاذ باسم الجوابرة ١٧- معجم الشيوخ الكبير صدر قريباً بتحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة في مجلدين، ١٨- المعجم المختص صدر أيضاً بتحقيق الهيلة، ١٩- المعجم اللطيف حققه الأستاذ جاسم الدوسري ٢٠- معرفة القراء الكبار صدرت طبعة محققة متقنة حققها الأفاضل : شبيب أرناؤوط وشار معروف وصالح عباس، ٢١- المعين في طبقات المحدثين طبع بتحقيق الدكتور همام سعيد، ٢٢- الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب رد هم حققه الأستاذ عبد الله ضيف الرحيلي، وحققه أيضاً محمد شكور مرير، ٢٣- مسائل في طلب العلم وأقسامه حققها الأستاذ جاسم الدوسري، ٢٤- أحاديث مختارة من الموضوعات من الأباطيل للجورقاني، حققه عبد الجبار الغريوائي، ٢٥- تلخيص العلل المتناهية، حققه محفوظ الرحمن السلفي، ٢٦- مختصر الجهر بالبسملة للخطيب البغدادي، حققه الأستاذ جاسم الدوسري، ٢٧- الكاشف حققه عزت عطية وهي طبعة رديئة، ثم حققه الاستاذ الشيخ محمد عوامة مع حاشية سبط ابن العجمي، ٢٨- المقتنى في سُرر الكنى، طبع بتحقيق أحمد صالح المراد، ٢٩- الجزء الملقب بالدينار من حديث المشايخ الكبار حققه مجدى سيد إبراهيم.

إلى أماكن وجود النسخ الخطية فكانت دراسته حافلة متقنة . وقد بلغ عدد الكتب التي أحصاها في القراءات والحديث والعقائد والفقه والتاريخ والتراجم والمختصرات والمنوعات والتخاريج (٢١٤) كتاباً مابين مجلدات وأجزاء .

ومع أهمية العمل واستيعابه وشموله ، فقد استطاع الباحث النابه الأستاذ قاسم على سعد أن يستدرك على الأستاذ بشار في كتابه " صفحات في ترجمة الحافظ الذهبي " ونُبه إلى بعض الأوهام مع تصحيحها ، وأشار إلى فوائد لم يتوصل إليها . واستدرك عدداً من الكتب والرسائل والأجزاء والتخاريج التي لم يذكرها الأستاذ بشار ، فبلغت (٣٨) أثراً . فيكون مجموع آثاره (٢٥٢) أثراً .

ومع هذه الدراسة الجامعة المستوفاة ، فقد استطعت أن أضيف إلى هذا العدد الكبير ثمانية كتب فأتت الأستاذين الفاضلين ، وهذه أسماؤها :

١ - جزء للبعلی : قال الذهبي في ترجمة محمد بن محمد بن عيسى البعلی : " خرجت له جزءاً " (١)

٢ - جزء في شيوخ الذهبي الرواة عن أصحاب ابن عساكر . سيأتي ذكره ص ٣٥ .

٣ - مختصر الجهر بالبسطة لأبي شامة (٢) ٦ - صحيفة نظيفة من حديث أبي حنيفة (٤)

٤ - مختصر كتاب الايمان لابن تيمية ، سيأتي ذكره . ص ٣٤ .

٥ - مسائل في طلب العلم وأقسامه ، (٣) ٧ - فوائد الرحلة (٥) ٨ - فضل العلم (٦)

فيكون مجموع آثاره (٢٦٠) أثراً ، ولعل الأيام القادمة تكشف عن أسماء كتب جديدة ، وتوقف

الباحثين على بعض الكتب المفقودة .

وأذكر الآن أسماء مصنفات الحافظ الذهبي التي أشار إليها في كتابه " سیر اعلام النبلاء " مرتباً لها حسب الموضوعات ، وفائدة ذكرها زيادة التوثيق في نسبتها ، والاستدراك على من كُتب في هذا الموضوع .

(١) المعجم المختصر ص ٢٥٩

(٢) منه نسخة المكتبة الظاهرية في مجموع رقم (٥٥) .

(٣) منه نسخة في الظاهرية برقم (٣٢١٦) ق (٢٢٥ - ٢٣١) وطُبعت بتحقيق الأستاذ

جاسم الدوسري ضمن مجموع رسائل للحافظ الذهبي "

(٤) تعريف ذوي العلاق (٣١ ب) (٥) فتح المغيبي للسخاوي (١٨١ / ١)

(٦) ذكره العلامة مرتضى الزبيدي في " اتحاف السادة المتقين " ١ : ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٢ .

أولاً - الحديث :

- ١ - طرق حديث الطير : قال الذهبي في ترجمة أبي بكر بن أبي داود السجستاني : " وحديث الطير - على ضعفه - فله طرق جمة ، وقد أفردتها في جزء ^(١) " وقال في ترجمة الحاكم النيسابوري : " وقد جمعت طرق حديث الطير في جزء ^(٢) " .
- ٢ - طرق حديث : " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ " : في ترجمة الحاكم : " وقد جمعت . . . طرق حديث " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ " وهو أصح ^(٣) أي من حديث الطير .
- ٣ - جزء في الأحاديث الموضوعة في مستدرك الحاكم : وفي ترجمة الحاكم أبي عبد الله أيضاً تكلم من المستدرك فقال : وباقي الكتاب مناكير وعجائب ، وفي غضون ذلك أحاديث نحو المئة يشهد القلب ببطلانها ، كنت قد أفردت منها جزءاً ^(٤) .

ثانياً - العقائد :

- ٤ - العزة للعليّ العظيم : قال الذهبي في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل : " وللإمام أحمد كلام كثير في التحذير من البدع وأهلها ، وأقوال في السنة . . . وقد أوردت من ذلك جملة . . . في كتاب " العزة للعليّ العظيم ، فترني من إعادته هنا عدم النية ، فنسأل الله الهدى وحسن القصد " ^(٥) .
- ٥ - جزء في مسألة دوام النار : قال الذهبي في ترجمة ابن برهان العكبري : وكان يعتقد أنَّ الكفار لا يخلدون في النار . قلت : حجته في خروج الكفار هو مفهوم الممدد من قوله : " لا يثيب فيها أحقاباً " ولا ينفعه ذلك لمعوم قوله : " وما هم بخارجين من النار " ، ولقوله : " خالد يمين فيها أبداً " إلى غير ذلك ، وفي المسألة بحث عندي أفردتها في جزء ^(٦) .

(١) سير ٢٣٣ / ١٢ (٢) سير ١٦٩ / ١٧
 (٣) سير ١٦٩ / ١٧ (٤) سير ١٧٥ / ١٧٦ -
 (٥) سير ٢٩١ / ١١ وقد جاءت تسمية في المطبوع " العلو للعليّ الفقار " وأغلب الظن أنَّ —
 التسمية لكتاب واحد .

(٦) سير ١٢٦ / ١٨ ، ولكن بعد تتبع كتاب " العلو " لانجد عن الإمام أحمد إلا كلاماً

ثالثاً - الفقه :

٦ - تحريم أذبار النساء : قال الذهبي في ترجمة النسائي : " قلت : قد تيقنا بطرق
لاحيد عنها نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أذبار النساء ، وجزنا بتحريمه ، وليس
في ذلك مصنف كبير " (١)

رابعاً - التاريخ والتراجم :

٧ - أهل المئة فصاعداً : قال الذهبي في ترجمة الإمام أبي طاهر السلفي : " وقد كنت
ألفت جزءاً كبيراً فمن جاوز المئة من المشايخ ، ومنهم : أنس بن مالك ، وأبو الطفيل ، وغيرهما
من الصحابة . . . وسويد بن غفلة ، وأبو رجاء العطاردي وعدة من التابعين . . . وسليمان بن
أحمد الطبراني ، والفقيه عبد الواحد الزبيري بما وراء النهر ، وشيخنا ركن الدين الطوسي ،
وبالأسس مسند الدنيا شهاب الدين أحمد بن الشحنة " (٢)

٨ - تذكرة الحفاظ : ذكر الحافظ الذهبي سبب تأليفه للكتاب ، فقال في ترجمة علي بن
المفضل المقدسي ثم الإسكندراني المالكي : " وله " الأريعون في طبقات الحفاظ ، ولما رأيتها
تحركت همتي إلى جمع الحفاظ وأحوالهم " (٣)

٩ - كتاب معرفة آل منده : قال الحافظ الذهبي في ترجمة محمد بن إسحاق بن منده
المتوفى سنة (٣٩٥) : " وقد أفردت تأليفاً بابن منده وأقاربه " (٤)

خامساً - السير والتراجم المفردة :

١٠ - ترجمة أبي يوسف القاضي : قال الذهبي في ترجمة الإمام المجتهد أبي يوسف —
القاضي : " وقد أفردت له ترجمة في كراسي " (٥)

١١ - ترجمة أبي منصور البغدادي : قال الذهبي في ترجمته : " قلت : وقع لي من عواليه
وكنيت أفردت له ترجمة لم أظفر بها الساعة " (٦)

- | | |
|--------------------|---|
| (١) سير ١٢٨ / ١٤ | (٢) سير ٣٩ / ٢١ والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور بشار معروف . |
| (٣) سير ٦٧ / ٢٢ | (٤) سير ٣٨ / ١٧ |
| (٥) سير ٥٣٨ / ٨ | (٦) سير ٥٧٣ / ١٧ ولم يذكر هذه الترجمة الدكتور بشار . |

١٢ - ترجمة قتيبة بن سعيد : قال الذهبي في ترجمته : " وقد كنت عملت له ترجمة معها

نحو من ثمانين حديثاً من العوالي ، وحَدَّثت بذلك ، وأُحْبِبْتُ الآن عملها على أنموذج نظرائه (١)

١٣ - ترجمة محمد بن الحسن الشيباني : قال الذهبي في ترجمته : وقد سقت أخباره

في جزء مفرد " (٢)

١٤ - سيرة الحلاج : قال الذهبي في ترجمة شيخ الصوفية إبراهيم بن محمد النصاربازي

قُتِلَ الحلاج بسيف الشرع على الزندقة ، وقد جمعت بلاياه في جزئين " (٣)

سادساً - المتنوعات :

١٥ - كسر وثن رتن : في ترجمة رتن الهندي المتوفى سنة (٦٣٢) : " تجرأ على الله ، وزعم

بقلة حياء أنه من الصحابة ، وأنه ابن ست مئة وخمسين سنة ، فراج أمره على من لا يدري ، وقد

أفردته في جزء " وَهَتَكَتْ بَاطِلُهُ " (٤)

سابعاً - المختصرات والمنتقيات :

١٦ - مختصر تاريخ علماء مصر ، لابن يونس : قال الذهبي في ترجمة الإمام أبي سعيد ابن

يونس صاحب تاريخ علماء مصر : " وقد اختصرت تاريخه وعلقت منه قوائد " (٥)

١٧ - مختصر كتاب الايمان لابن تيمية : قال الذهبي في ترجمة الإمام إسحاق بن راهويه

بعد شرحه لحدِيث : ثلاث من كنَّ فيه فهو منافق . . . " وأنَّ فيه دليلاً على أنَّ النفاق يتبعُ قس

ويتشعب ، وكما أنَّ الايمانَ ذو شعب ويزيد وينقص . . ثم قال : " وهذه مسألة كبيرة جلية ، قد

صَنَّفَ فيها العلماء كتباً ، وجمع فيها أبو العباس شيخنا مجلداً حافلاً قد اختصرته ، نسأل الله

تعالى أن يحفظ علينا ايماننا حتى نوافيه به " (٦)

(١) سير ١١/١٤ ، وفات الدكتور بشار ذكر هذا الكتاب (٢) سير ٩/١٣٥

(٣) سير ١٦/٢٦٥ (٤) سير ٢٢/٣٦٧ وانظر الذهبي ومنهجه ٢١٣

(٥) سير ١٥/٥٧٩

(٦) سير ١١/٣٦٤ وقد فات الدكتور بشار ذكره في مختصرات الذهبي ، وأما قول محقق هذا

الجزء من السير بأنَّ الكتاب الذي أشار إليه هو " منهاج الاعتدال " ومختصر المؤلف " المنتقى "

فبعيد جداً ، لأنَّ الكلام الذي ذكره الذهبي يتعلق بمسألة الايمان ، والراجح والله

اعلم انه اختصر كتاب الايمان ، فليراجع .

١٨ - مختصر مستدرك الحاكم : قال الذهبي في ترجمة الحاكم عند كلامه عن المستدرك :

«يكل حال فهو كتاب مفيد ، قد اختصرته ، ويعوز عملاً وتحريراً» ^(١) والكتاب مطبوع .

١٩ - المُتَخَب من كتاب الرد على الجهمية لابن أبي حاتم : قال الذهبي في ترجمة

ابن أبي حاتم : «قلت : له كتاب " الرد على الجهمية " مجلد ضخيم ، انتخب منه » ^(٢)

ثامنا - التخاريج ، وتشمل المشيخات والأربعينات والأحاديث العوالي والأجزاء :

٢٠ - أربعون حديثاً بلدانية من معجم ابن جُمَيْع الصيداوي : قال الذهبي في ترجمة

أبي بكر ابن المقرئ : « انتقيت لأبي الحسين بن جُمَيْع النَّفَّاسي أربعين بلدية » ^(٣)

٢١ - أربعون حديثاً بلدانية من معجم شيوخ ابن المقرئ : قال الذهبي في ترجمة

ابن المقرئ المتوفى سنة (٣٨١) : « وانتقيت من " معجمه " أربعين حديثاً سمعتها بأربعين بلداً » ^(٤)

٢٢ - عوالي حَمَّاد بن سلمة : في ترجمته قال الذهبي : « وقد وقع لي من أعلى رواياته

بضعة عشر حديثاً ، أفردتها قدماً في سنة بضع وتسعين وست مئة » ^(٥)

٢٣ - عوالي حَمَّاد بن زيد : قال في ترجمته : « ومن عوالي حَمَّاد وقد أفردتها » ^(٦)

٢٤ - جزء في أسماء الرواة عن مالك : قال في ترجمة الإمام مالك : « وقد كنت أفردت أسماء

الرواة عنه في جزء كبير يقارب عدد ألفاً وأربع مئة » ^(٧)

٢٥ - جزء في شيوخ الذهبي الرواة عن أصحاب ابن عساكر : قال الذهبي في ترجمة ابن

عساكر : « وقد روي لشيوعي نحو من أربعين نفساً من أصحاب الحافظ أفردت لهم جزءاً » ^(٨)

* * *

(٢) سير ٢٦٤ / ١٣ ولم يذكره الدكتور بشار أيضاً .

(١) سير ١٧٦ / ١٧

(٤) سير ٤٠١ / ١٦

(٣) سير ٤٠١ / ١٦

(٥) سير ٤٥٤ / ٧ ، ولم يذكره الدكتور بشار في مصنفات الذهبي .

(٦) سير ٤٦٢ / ٧ ، ولم يذكره بشار أيضاً .

(٧) سير ٥٢ / ٨ ، ولم يذكره بشار أيضاً .

(٨) سير ٥٥٧ / ٢٠ ، ولم يذكره بشار أيضاً .

البحث الثاني

الذهبي الناقد في ضوء أقواله في "سير أعلام النبلاء"

اشتمل كتاب "سير أعلام النبلاء" على مادة نقدية وفيرة، والذهبي في كتابه هذا وسائر كتبه شأن المؤرخ الناقد الورع المنصف ولم يكن جمعه للأخبار والحكايات والأقوال لتكثير الأوراق وتسويد الصفحات وإنما كان تصنيفه وجمعه للأخبار والأقوال جمع الناقد الجليل الذي يميز الروايات، ويميز الخبيث من الطيب، ويميز المرجوح من الراجح .

وقد وصفه بذلك تلميذه الصفدي بقوله : "وأعجبني منه ما يعانیه في تصانيفه ، من أنه لا يعتمد على حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن ، أو ظلام إسناد ، أو طعن في روايته ، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده" (١) وكيف لا يتحقق بذلك وهو القائل : "وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه ، وأنت لا تغلبيه ، ولا تبحث عن نأليه" (٢)

وما أن دراستي لهذا الكتاب مختصة بجمع الأقوال النقدية في علوم الحديث ودراساتها فرأيت من تمام إظهار إمامة الذهبي النقدية ، أن أجمع أقواله النقدية العامة الماثلة في هذا الكتاب ، وبهذا الجمع أظهر جانباً من جوانب شخصيته الفذة ، وإمامته العلمية .

وقد قسمت هذا البحث إلى اثني عشر مطلباً ذكرتهم في مقدمة الفصل الأول من المدخل وأسوق الآن هذه المباحث مرتبة مبنية ، وأسأل الله المون والتوفيق والسداد .

* * *

المطلب الأول

أقوال الحافظ الذهبي النقدية في العقيدة .

أورد الحافظ الذهبي في كتابه الفذ "سير أعلام النبلاء" كثيراً من قضايا العقيدة ، والأسماء والصفات وعني بذكر عقائد العلماء ومذاهبهم "أثناء إيرادهم لتراجمهم .

ورأيت من تمام الفائدة في ترجمة الإمام الذهبي أن أورد عيونا من أقواله تبين منهجه فسي

(١) الوافي بالوفيات ٢ / ١٦٣ .

(٢) بيان زغل المعلم ، والطلب س ٦ .

المقيدة ، وأفضل ما يبين رأيه ومذهبه أقواله التي تظهر دينه وورعه وانصافه .

وأسوق الآن بعض أقواله مرتباً لها حسب المواضع :

ما يكفي المسلم في الإيمان : قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الفزاري المتوفى

سنة (٥٠٥) : " ويكفي المسلم في الإيمان أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره ، والبعث بعد الموت ، وأن الله ليس كمثل شيء أصلاً ، وأن ما ورد من صفاته المقدسة حق ، يُعزَّ كما جاء ، وأن القرآن كلام الله وتزييله ، وأنه غير مخلوق إلى أمثال ذلك مما أجمعت عليه الأمة ، ولا عبرة بمن شذَّ منهم ، فإن اختلفت الأمة في شيء من مشكل أصول دينهم ، لزمنا فيه الصمت ، وقوضناه إلى الله ، وقلنا : الله ورسوله أعلم ، وسيمنا فيه السكوت . (١)

تفاوت الناس في معرفة الله عز وجل والإيمان : قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الكبير

أبي عمران الفاسي المالكي المتوفى سنة (٤٣٠) : " قلت : المشركون والكتابيون وغيرهم عرفوا الله تعالى بمعنى أنهم لم يجحدوه ، وعرفوا أنه خالقهم ، قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله) (٢) وقال : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض) (٣) فهو لا لم ينكروا الباري ، ولا جحدوا الصانع ، بل عرفوه ، وإنما جهلوا نعوته المقدسة وقالوا عليه ما لا يعلمون .

والمؤمن فمعرفة بصفات الكمال ، ونفى عنه سمات النقص في الجملة ، وآمن برَّبه ، وكسَفَ عما لا يعلم ، فبهذا يتبين لك أنَّ الكافر عَرَفَ الله من وجه ، وجهله من وجوه ، والنبِيُّونَ عَرَفُوا الله تعالى ، وبعضهم أكمل معرفة لله والأولياء فمعرفة جيدة ، ولكنها دون معرفة الأنبياء ، ثم المؤمنون العاملون بعد هم ، ثم الصالحون دينهم ، فالناس في معرفة ربهم متفاوتون ، كما أنَّ إيمانهم يزيد وينقص ، بل وكذلك الأمة في الإيمان بنبيهم والمعرفة له على مراتب ، فأرفعهم

(١) سير ١٩ / ٣٤٦ . والمراد بالتفويض هنا تفويض الكيفية ولا يراد به التفويض المذموم . ويتأتى مثل هذا التعبير صفحة ٣٦ ، ٤٠ فاقضى التنبيه .

(٢) سورة الزخرف ، آية ٨٧

(٣) سورة إبراهيم آية ١٠

فى ذلك أبوبكر الصديق مثلاً ، ثم عدُّ من السابقين ثم سائر الصحابة ، ثم علماء التابعيين إلى أن تنتهى المعرفة به والايان به إلى أعرابي جاهل وامرأة من نساء القرى ، ودون ذلك ، وكذلك القول فى معرفة الناس لدين الإسلام ^(١) .

أقواله فى الأسماء والصنات :

صفة العلو : - فى ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة (٨١) : " قلت :

الجهمية يقولون : إِنَّ البارى تعالى فى كل مكان ، والسَّكْفُ يقولون : إِنَّ علم البارى فى كل مكان ، ويحتجّون بقوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) ^(٢) يعنى بالعلم ، ويقولون : إنه على عرشه استوى ، كما نطق به القرآن والسنة ^(٣) .

- وفى ترجمة الإمام الحافظ أبى مَعْمَر الهُدَلى المتوفى سنة (٢٣٦) : " وعن أبى مَعْمَر

قال : آخر كلام الجهمية أنه ليس فى السماء إله . قلت : بل قولهم : إنه عز وجل فى السماء وفى الأرض لا امتياز للسماء ، وقول عموم أمة محمد صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الله فى السموات يطلقون ذلك وفق ما جاءت النصوص بإطلاقه ، ولا يخوضون فى تأويلات المتكلمين ، مع جزم الكل بأنه تعالى : (ليس كمثله شيء) ^(٤) .

- وفى ترجمة الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى المتوفى سنة (٢٨٠) ^(٥) ومن كلام

عثمان - رحمه الله - فى كتاب " النقض " له : اتفقت الكلمة من المسلمين أَنَّ الله تعالى فوق عرشه ، فوق سماواته . قلت : أوضح شيء فى هذا الباب قوله عز وجل : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ^(٦) فليمر كما جاء ، كما هو معلوم من مذهب السلف ، وينهى الشخص عن المراقبة والجِدال

(١) سير ١٢ / ٥٤٧ - ٥٤٨ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ٤ .

(٣) سير ٨ / ٤٠٢ وانظر كتاب " الأربعين فى صفات رب العالمين " للذهبي ص ٧٨ - ٨٣ .

٩٥٩ - ٩٨ .

(٤) سير ١١ / ٧٠ .

(٥) سير ١٣ / ٣٢٥ .

(٦) سورة طه ، آية : ٥٠ .

وتأويلات المعتزلة ، (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) سورة - آل عمران : - آية ٥٣

صفة الصورة :

- وفي ترجمة الإمام الحافظ أبي الزناد ، عبد الله بن ذكوان المتوفى سنة (١٣٠) : -
وقال أبو جعفر العقيلي في ترجمة عبد الله بن ذكوان . . عن ابن القاسم قال : سألت مالكاً
عَمَّنْ حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي قَالُوا : " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " فَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَاراً شَدِيداً
وَنَهَى أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ أَحَدٌ ، فَقِيلَ : " إِنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَحَدَّثُونَ بِهِ . " قَالَ : مَنْ هُمْ ؟
قِيلَ : ابن عجلان عن أبي الزناد . فقال : لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء ، ولم يكن
عالمًا ، ولم يزل أبو الزناد عاملاً لهؤلاء حتى مات ، وكان صاحب عمال يتبعهم .
قلت : الخبر لم ينفرد به ابن عجلان ، بل ولا أبو الزناد ، فقد رواه شبيب بن أبي حمزة
عن أبي الزناد ، ورواه قتادة عن أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة ، ورواه ابن لهيعة عن الأعرج وأبي
يونس عن أبي هريرة ، ورواه مَعْمَرُ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَصَحَّ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو
وَقَدْ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ عَالِمُ خُرَاسَانَ : صَحَّ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا
الصَّحِيحُ مَخْرُجٌ فِي كِتَابِي الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ . فَنُوءُ مَنْ بِهِ وَنُقُوضُ وَنَسْلَمٌ وَلَا نَخُوضُ فِيهِمَا لَا يَمْنِينَا مَعَ
عِلْمِنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . (٢)

وفي ترجمة الإمام مالك بن أنس المتوفى سنة (١٧٩) : " قال ابن القاسم : سألت مالكاً
عَمَّنْ حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ ، الَّذِينَ قَالُوا : " إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " وَالْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ : " إِنَّ اللَّهَ
يُكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ " وَ" أَنَّهُ يَدْخُلُ يَدُهُ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أَرَادَ " (٣) فَأَنْكَرَ مَالِكُ ذَلِكَ إِنْكَاراً
شَدِيداً ، وَنَهَى أَنْ يَحْدَّثَ بِهَا أَحَدٌ ، فَقِيلَ لَهُ : " إِنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَحَدَّثُونَ بِهِ ، فَقَالَ :
مَنْ هُوَ ؟ قِيلَ : ابن عجلان عن أبي الزناد ، قَالَ : لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء ، ولم
يكن عالمًا . وذكر أبا الزناد ، فقال : لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات .

(١) فهم الذهبي منه تضعيف الحديث من مالك رحمه الله ، وما يصح حمل كلام الإمام مالك
على هذا المعنى ، غاية ما فيه أنه نهى أن يحدث به ، مثل قول علي : " حدثوا الناس
بما يعرفون ، اتريدون أن يكذب الله ورسوله " .

(٢) سير ٥ / ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(٣) انظر تخريج هذه الأحاديث والكلام عن طرقها وشواهدنا في حاشية سير اعلام النبلاء
٨ / ١٠٣ - ١٠٤ والحديثان الأولان أخرجهما البخاري في صحيحه .

قلت : أنكر الإمام ذلك لأنه لم يثبت عنده ، ولا اتصل به ، فهو معذور ، كما أن صاحبى الصحيحين ، معذوران فى إخراج ذلك - أعني الحديث الأول والثانى - لثبوت سندهما - وأما الحديث الثالث ، فلا أعرفه بهذا اللفظ ، فقولنا : فى ذلك وبابه : الإقرار ، والإصرار وتغوييس معناه إلى قائله انصاف فى المعصوم " (١)

صفة المحبة : فى ترجمة الإمام القدوة حماد بن سلمة البصري (٢) المتوفى سنة (١٦٧) :

ساق بسنده إلى أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أردتُ أخاً لى فى قرية كذا وكذا . قال : هل له عليك من نعمة ترثها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبته فى الله قال : إني رسول الله إليك أن الله قد أحببك كما أحببت فيه " أخرجه مسلم . . (٣)

وهو من أحاديث الصفات التى تمرر كما جاءت ، وشاهدُهُ فى القرآن وفى الحديث كثير ، قال الله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ، فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٤) وقال : (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (٥)

رواية الله عز وجل :

فى ترجمة السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : " ولم يأتنا نسُّ جُلُّ بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى بعينه وهذه المسألة ما يسعُ المرء المسلم فى دينه السكوت عنها - فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة ، وأما رؤية الله عياناً فى الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص ، جمع أحاديثها الدارقطني والبيهقي . (٦)

(١) سير ٨ / ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) سير ٧ / ٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٣) فى كتاب البر والصلة (٢٥٦٧) والمدرجة : الطريق ، وترثها : أى تقوم بإصلاحها وحفظها .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ٣١

(٥) سورة النساء ، آية : ١٢٥

(٦) سير ٢ / ١٦٦ - ١٦٧ .

وفي ترجمة الإمام الحافظ أسود بن عامر (شاذان) المتوفى سنة (٢٠٨) ساق بسنده إلى ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت ربي . . . " - يعني فليس المنام - وذكر الحديث ^(١) وهو بتامة في تأليف البيهقي ، وهو خبر منكر ، نسأل الله السلامة في الدين ، فلا هو على شرط البخارى ولا مسلم ، ورواته وإن كانوا غير متهمين : فما هم بمعصومين من الخطأ والنسيان ، فأول الخبر : قال : " رأيت ربي " وما قيد الرؤية بالنوم ، ومعض من يقول : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج يَحْتَجُّ بظاهر الحديث ، والذي دلَّ عليه الدليل عدم الرؤية مع إمكانها ، فنقَّ عن هذه المسألة ، فإنَّ من حُسِنِ إسلام المرء تركُّه ما لا يعنيه ، فإثبات ذلك أو نفيه صعبٌ ، والوقوفُ سبيلُ السلامة ، والله أعلم ، وإذا ثبتَ شيءٌ قلنا به ولا نَعْتَفُّ مَنْ أثبتَ الرؤيةَ لنبيِّنا في الدنيا ، ولا من نفاها ، بل نقول : اللهُ ورسوله أعلم ، بل من نَعْتَفُّ ونبتدعُ من أنكرَ الرؤيةَ في الآخرة ، إذ رؤيةُ الله في الآخرة ثبتت بنصوص متوافرة ^(٢)

وفي ترجمة الإمام علي بن المديني المتوفى سنة (٢٣٤) : " نَعَمْ ، ورؤيةُ الله تعالى في الآخرة منقولةٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم نقل تواتر ، فنمودُ بالله من الهوى ، وردَّ النصُّ بالرأي ^(٣) "

- وفي ترجمة الإمام الليث بن سعد المتوفى سنة (١٧٥) : قال أبو عبيد : ما أدركنا أحداً - يفسر هذه الأحاديث ونحن لا نفسرها .

قلت : قد صنَّف أبو عبيد كتابَ " غريب الحديث " وما تعرَّع لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبداً ، ولا فسرها شيئاً . وقد أخبر بأنه مالحقٌ أحداً يفسرها ، فلو كان - والله - تفسيرها سائغاً أو حتماً ، لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب . فلما لم يتمرَّضوا لها بتأويل ، وأقروها على ما وردت عليه ، عُلِمَ أنَّ ذلك هو الحقُّ الذي لا حَيِّدَ عنه ^(٤) .

(١) رواه البيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٢) سير ١١٣/١٠ - ١١٤ .

(٣) سير ١١/٥٤ .

(٤) سير ٨/١٦٢ .

وفى ترجمة الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤) : " قلت : قد فسّر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم ، وما أبقوا ممكناً ، وآيات الصفات وأحاد يشها لم يتعرّضوا لتأويلها أصلاً ، وهي أهم الدين ، فلو كان تأويلها ساعياً أو حتماً ، لبادروا إليه ، فعلم قطعاً أنّ قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق ، ولا تفسير لها غير ذلك ، فنوّ من بذلك ونسكت اقتداءً بالسلف ، معتقدين أنها صفات لله تعالى ، استأثر الله بعلم حقائقها ، وانها لا تشبه صفات المخلوقين ، كما أنّ ذاته المقدّسة لا تعادل ذوات المخلوقين ، فالكتاب والسنة نطق بها ، والرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ ، وما تعرّض لتأويل ، مع كون الباري قال : (لتبيّن للناس ما نزل إليهم)^(١) فعلينا : الإيمان والتسليم للنصوص ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " (٢)

وفى ترجمة الإمام إسحاق بن راهويه المتوفى سنة (٢٣٨) : " قلت : هذه الصفات من الاستواء والالتيان والنزول ، قد صحت بها النصوص ، ونقلها الخلف عن السلف ، ولم يتعرّضوا لها بردي ولا تأويل ، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقهم^(٢) على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين وأنّ الله ليس كمثله شيء ، ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها ، فإنّ في ذلك محاولة للرد على الله ورسوله ، أو حوماً على التكيف أو التعطيل " (٤)

وفى ترجمة الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة (٣١١) : " قلت : من أقرّ بذلك - أي بأنّ الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته - تصديقاً لكتاب الله ، ولأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به موقوفاً معناه إلى الله ورسوله ، ولم يخض في التأويل ولا عمّق فهو المسلم المتبع . ومن أنكر ذلك ، فلم يدرب بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصّر ، والله يعفو عنه ، إن لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ما ورد في ذلك ، ومن أنكر ذلك بعد العلم ويقفاً غير سبيل السلف الصالح ، وتمعّل على النص ، فأمره إلى الله ، نعوذ بالله من الضلال والهوى " (٥)

(١) سورة النحل ، آية : ٤٤ .

(٢) سير ٥٠٥ / ١٠ - ٥٠٦ .

(٣) أي إجماعهم .

(٤) سير ٣٣٦ / ١١ .

(٥) سير ٣٧٢ / ١٤ - ٣٧٤ . وقوله : تمعّل . أي : قدم عقله على النص الثابت .

وقال في ترجمته أيضاً : وكتابه في " التوحيد " مجلّد كبير ، وقد تأوّل في ذلك حديث الصورة
فليُعذّر من تأوّل بعض الصفات ، وأما السلف ، فما خاضوا في التأويل ، بل آمنوا وكفّوا ، فوضّوا
عِلْمَ ذلك إلى الله ورسوله (١)

وفي ترجمة محمد بن إسحاق السّراج النّيسابوري المتوفى سنة (٣١٣) : ساق بسنده إلى
أبي العباس السّراج قال : مَنْ لم يَقْرَأَنَّ الله تعالى يُعْجَب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء
الدنيا . . . فهو زنديق كافر ، يستتاب ، فإن تاب وإلا صُرِّتْ عَنْقُهُ ، ولا يُصَلَّى عليه ، ولا يدفن من
في مقابر المسلمين .

قلت : لا يكفر إلا إن عِلِمَ أَنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ، فإن جحد بعد ذلك فهذا
معاند . نسأل الله الهدى ، وإن اعترف أَنَّ هذا حق ، ولكن لا أخوض في معانيه فقد أحسن
وإن آمن وأوّل ذلك كله ، أو تأوّل بعضه ، فهو طريقة معروفة (٢)

وفي ترجمة نُعَيْم بن حَمَّاد المتوفى سنة (٢٢٩) : ساق بسنده إليه قال : من شبّه الله بخلقه
فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر ، وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه .
قلت : هذا الكلام حق ، نُعوذ بالله من التشبيه ، ومن إنكار أحاديث الصفات ، فما ينكسر
الثابت منها من فقه ، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان :

تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب ، فما أوّلها السّلف ولا حَرَفُوا أَلْفَظَهَا عن مواضعها ، بل
آمنوا بها ، وأمرّوها كما جاءت .

المقام الثاني : المبالغة في إثباتها ، وتصوُّرها من جنس صفات البشر ، وتشكّلها في الدّهن
فهذا جهلٌ وضلال ، وإنما الصفة تابعة للموصوف ، فإذا كان الموصوف عزّ وجل لم نره ، ولا أخبرنا
أحدٌ أنه عاينه مع قوله لنا . في تنزيله : (ليس كمثله شيء) فكيف بقي لأذهاننا مجال فسي
إثبات كيفية الباري ، تعالى الله عن ذلك ، فكذلك صفاته المقدّسة ، نقرُّ بها ونعتقد أنها
حق ، ولا نمثّلها أصلاً ولا نشكّلها (٣)

(١) سير ٣٧٦/١٤

(٢) سير ٣٩٦/١٤ - ٣٩٧ . وقوله : " لا أخوض في معانيه " يعني به الخوض في الكيفية
كما يدل عليه قوله في المقام المذموم : " تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب " .

(٣) سورة الشورى - آية ١١ .

(٤) سير ٦١٠/١٠ - ٦١١ .

وفي ترجمة الإمام العلامة أبي الوفاء علي بن عقیل البغدادي المتوفى سنة (٥١٣) :-

وقال ابن عقیل في " الفنون " : الأصل لاعتقاد العوامّ ظواهر الآي ، لأنهم يأنسون بالإثبات فمتى مَحَوْنَا ذلك من قلوبهم ، زالت الحشمة .

قلت : قد صار الظاهر اليوم ظاهرين : أحدهما : حق ، والثاني : باطل .

فالحق أن يقول : إنه سمیع بصیر ، مريد متکلم ، حيّ عليم ، کلُّ شيء هالك إلا وجهه ، خلق آدم بيده ، وکلّم موسى تكليماً ، واتَّخَذَ إبراهيم خليلاً ، وأمثال ذلك . فنزّهه على ما جاء ، ونفهم منه دلالة الخطاب كما يليق به تعالى ، ولا نقول : له تأويل يخالف ذلك .

والظاهر الآخر وهو الباطل والضلال : أن تعتقد قياس الغائب على الشاهد ، ونسّل الباري بخلقه ، تعالى الله عن ذلك ، بل صفاته كذاته ، فلا عدل له ، ولا ضد له ، ولا نظير له ، ولا مثل له ، ولا شبهة له ، وليس كمثله شيء ، لافي صفاته ، وهذا أمر يستوى فيه الفقيه والعامي ، والله أعلم ^(١) .

خلود الكفار في النار :

في ترجمة العلامة عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري المتوفى سنة (٤٥٦) : " وكان يميل إلى مذهب مرجئة الممتزلة ، ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار .

قلت : حجّته في خروج الكفار هو مفهوم العدد من قوله : (لا يثيبن فيها أحقاباً) ^(٢) ولا ينفعه ذلك لمعوم قوله : (وما هم بخارجين من النار) ^(٣) ولقوله : (خالدین فيها أبداً) ^(٤) إلى غير ذلك ، وفي المسألة بحث عندی أفردتها في جزء ^(٥) .

*

*

*

(٢) سورة النبأ ، آية : ٢٣ .

(١) سير ١٩ / ٤٤٩ .

(٤) سورة النساء ، آية : ٦٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٦٧ .

(٥) سير ١٨ / ١٢٦ .

المطلب الثاني

أقوال الحافظ الذهبي النقدية في الفقه

للحافظ الذهبي أقوال فقهية كثيرة نشرها في كتابه ، وهي تبين منهجه ، وتظهر اعتداله وانصافه ، وليس المقصود من جمع هذه الأقوال ذكر الآراء الفقهية الخاصة ، وهي كثيرة ^(١) وإنما جمع الأقوال المتعلقة بالاجتهاد والتقليد ، واتباع الدليل ، وعدم تتبع رخص الفقهاء
هذلك أجلي جانباً من جوانب إمامة الحافظ الذهبي ، وأبرز مَعْلَمًا من معالم شخصيته .
السنة والإجماع واتفاق الأئمة الأربعة :

في ترجمة الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي المتوفى سنة (١٥٧) : " قال إسحاق بنسب راهويه : إذا اجتمع الثوري ، والأوزاعي ، ومالك على أمر فهو سنة . قلت : بل السنة ماسنة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده ، والإجماع : هو ما أجمعت عليه علماء الأمة قديماً وحديثاً إجماعاً ظنياً أو سكوتياً ، فمن شذَّ عن هذا الإجماع من التابعين أو تلاميذهم لقولٍ باجتهاده احتمل له . فأما من خالف الثلاثة المذكورين من كبار الأئمة ، فلا يستحق مخالفاً للإجماع ، ولا للسنة . وإنما مراد إسحاق : أنهم إذا اجتمعوا على مسألة فهو حق غالباً ، كما نقول اليوم : لا يكاد يوجد الحق فيما اتفق أئمة الاجتهاد الأربعة على خلافه ، مع اعترافنا بأن اتفاقهم على مسألة

(١) من هذه الآراء الفقهية : القطع بظاهرة شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٤٦/١٣ -

٥٤٧ ، ووجوب الوضوء من الصَّرع ٢٣٥/٥ ، ووجوب غسل الرجلين والرد على الرفض -

١٢٧/٤ ، ووجوب قضاء الصلاة الفائقة ٥٥٥/١٠ ، وحكم صيام الحاج يوم عرفته -

٦٨٣/١٠ - ٦٨٤ ، ومسائل فقهية في الطلاق ٦١٩/٢ - ٦٢١ و ٢٧٨/١٤ ، ٢٧٩ ،

وحكم إتيان النساء في أدبارهن ١٠٠/٥ و ١٢٨/١٤ ، وتحلّي النساء بالذهب ٦٢٩/٢ -

وحكم الدية في قتل الجن ١٩٦/٢ .

(٢) الصواب : نطقاً أو سكوتياً ، وإن جاء في الأصل : ظنياً فإنه لا معنى له هنا في الإجماع

لا يكون إجماع الأمة، ونهاب أن نجزم في مسألة اتفقوا عليها بأن الحق في خلافها" (١)

* طبقات المقلدين ، وذكر كبار أئمة الاجتهاد :

في ترجمة إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس المتوفى سنة (١٧٩) : " فالمقلدون صاحبــــة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ثبوت الإسناد إليهم ، ثم أئمة التابعين كعلقة ، وسروق وعبيدة السلماني ، وسعيد بن المسيب ، وأبي الشَّعثاء ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن عبد الله ، وعروة ، والقاسم ، والشَّعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعي .

ثم كالوهري ، وأبي الزناد ، وأيوب السختياني ، وربيعة ، وطبقتهم .

ثم كأبي حنيفة ، ومالك ، والاوزاعي ، ومَعمر ، وابن أبي عروبة ، وسفيان الثوري ، والحَمَّادِيُّ بْنُ وشعبة ، والليث ، وابن المَاجشون ، وابن أبي ذئب .

ثم كابن المبارك ، ومسلم الزنجي ، والقاضي أبي يوسف ، والهِقْل بن زياد ، ووَكيع ، والوليد بن مسلم ، وطبقتهم .

ثم كالشافعي ، وأبي عبيد ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبي ثور ، والبويطي ، وأبي بكر بن أبي شَيْبَةَ .

ثم كالمُزني ، وأبي بكر الأثرم ، والبخاري ، وداود بن علي ، ومحمد بن نصر المَرْوَزِي ، وإبراهيم الحربي ، وإسماعيل القاضي .

ثم كمحمد بن جرير الطبري ، وأبي بكر بن خزيمة ، وأبي عباس بن سُريج ، وأبي بكر بن المنذر وأبي جعفر الطحاوي ، وأبي بكر الخَلَّال .

ثم من بعد هذا النمط تناقض الاجتهاد ، وَوُضِعَت المختصرات ، وأُخْلِدَ الفقهاء إلى التقليد

من غير نظري في الأعم ، بل بحسب الاتفاق والتشهي ، والتعظيم ، والعادة ، والبلد .

فلو أراد الطالب اليوم أن يَتَمَذَّهَبَ في المغرب لأبي حنيفة لَعَسَرَ عليه ، كما لو أراد أن —

يتمذهب لابن حنبل ببخاري ، وَسَمَرَقَنْد ، لَصَعَبَ عليه ، فلا يجي منه حنبلي ، ولا من المغربــــي

(٢)

حنفي ، ولا من الهندي مالكي

(١) سير ١١٦ / ٧ - ١١٧ .

(٢) سير ٩١ / ٨ - ٩٢ .

وفي ترجمة العلامة الحافظ يحيى بن آدم المتوفى سنة (٢٠٣) : " قلت : قد كان يحيى بن آدم من كبار أئمة الاجتهاد ، وقد كان عمر في زمانه ، ثم كان علي ، وابن مسعود ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، ثم كان بعدهم في زمانه زيد بن ثابت ، وعائشة ، وأبو موسى ، وأبو هريرة ، ثم كان ابن عباس ، وابن عمر . ثم علقمة ، وسروق ، وأبو إدريس ، وابن المسيب ، ثم عروة ، والشَّامي ، والحسن ، وإبراهيم النخعي ، وسَّجَّاد ، وطاووس ، وعدة . ثم الزهري ، وعمر بن عبد العزيز ، وقتادة ، وأيوب ، ثم الأعشى ، وابن عقون ، وابن جريج ، وعبيد الله بن عمر . ثم الأوزاعي ، وسفيان الثوري ، ومعمّر ، وأبو حنيفة ، وشعبة . ثم مالك ، والليث ، وحَمَّاد بن زيد ، وابن عيينة . ثم ابن المبارك ، ويحيى القطان ، ووکیع ، وعبد الرحمن ، وابن وهب . ثم يحيى بن آدم ، وعَفَّان ، والشافعي وطائفة . ثم أحمد ، وإسحاق ، وأبو عبيد ، وعلي بن المديني ، وابن معين . ثم أبو محمد الدارمي ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، وآخرون من أئمة العلم والاجتهاد " (١)

* المذاهب الفقهية : (٢)

في ترجمة الإمام مالك بن أنس : " قال في فقه مالك المنتهى ، فعامة آرائه مسددة ، ولولم يكن له إلا حسم مادة الحيل ، ومراعاة المقاصد ، لكناه . ومذهبه قد ملأ المغرب والأندلس ، وكثيراً من بلاد مصر ، وبعض الشام ، واليمن ، والسودان ، والبصرة ، وبغداد ، والكوفة ، وبعض خراسان . وكذلك اشتهر مذهب الأوزاعي مدة ، وتلاش أصحابه وتفاخروا (٢) وكذلك مذهب سفيان وغيره من سَمَنَّا ، ولم يبق اليوم إلا هذه المذاهب الأربعة وكل من ينهض بمعرفتها كما ينبغي ، فضلاً عن أن يكون مجتهداً . وانقطع أتباع أبي ثور بعد الثلاث مئة ، وأصحاب داود إلا القليله ، وبقي مذهب ابن جرير إلى ما بعد الأربع مئة .

(١) سير ٥٢٥/٩ - ٥٢٦ وأبو إدريس هو عائذ الله بن عبد الله الخولاني انظر السير ٢٧٢/٤

(٢) للذهبي كلام نفيس في المذاهب الفقهية الأربعة في كتابه " زغل العلم " فقد إليه إن شئت ص ٣٣ - ٣٩ .

(٣) قال الذهبي في ترجمة الأوزاعي من السير ١١٧/٧ : " وكان له مذهب مستقل مشهور عَمِلَ به فقهاء الشام مدة وفقهاء الأندلس ، ثم فني " .

وللزيدية مذهب في الفروع بالحجاز، واليمن، لكنه معدود في أقوال أهل البدع كالإمامية ولا بأس بمذهب داود (١) وفيه أقوال حسنة، ومتابعة للنصوص، مع أنَّ جماعة من العلماء لا يعتدّون بخلافه، وله شذوذ في مسائل شانت مذهب (٢)

الاجتهاد والتقليد :

في ترجمة الإمام مالك أيضاً : " ولا ريب أنَّ كلَّ من أنس من نفسه فقهاً ، وسعة علم ، وحسن قصد ، فلا يسفه الالتزام بمذهب واحد في كلِّ . أقواله لأنه قد تبرهن له مذهب الخير في مسائل ولاح له الدليل ، وقامت عليه الحجة ، فلا يقلّد فيها إمامه ، بل يعمل بما تبرهن ويقلّد الإمام الآخر بالبرهان لا بالتشهي والغرض . لكنه لا يفتي العامة إلا بمذهب إمامه ، أوليصة فيما خفي عليه دليله " (٣)

وفي ترجمة الإمام الحافظ، أبي بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر المتوفى سنة (٣١٨) : " قال الشيخ محيي الدين النواوي : وله اختيار فلا يتقيّد في الاختيار بمذهب بعينه ، بل يسدور مع ظهور الدليل : قلت : ما يتقيد بمذهب واحد إلا من هو قاصر في التمكن من العلم كأكثر علماء زماننا ، أو من هو متعصّب . وهذا الإمام فهو من حملة الحجة ، جار في مضمار ابن جرير ، وابن سريج ، وتلك الحلبة رحمهم الله " (٤)

(١) هو الإمام داود بن علي الأصبهاني رئيس أهل الظاهر المتوفى سنة (٢٧٠) قال الحافظ في ترجمته ١٠٦/١٣ - ١٠٨ : " وكلّ حال ، فلهم أشياء أحسنوا فيها ، ولههم مسائل — مستهجنة ، يُشغَبُ عليهم بها " وقال أيضاً " قلت : لا ريب أنَّ كلَّ مسألة انفرد بها وقطع ببطلان قوله فيها ، فإنها هدّرت ، وإنما نحكيها للتعجب ، وكلَّ مسألة له عضدها نص ، وسبقه إليها صاحب أو تابع ، فهي من مسائل الخلاف فلا تُهدّر ، وفي الجملة : فداود بن عيسى بصير بالغة ، عالم بالقرآن ، حافظ للأثر ، رأس في معرفة الخلاف من أوعية العلم ، له ذكاء خارق ، وفيه دين متين ، وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعة لهم علم باهر ، وذكاء قوي ، فالكمال عزيز ، والله الموفق " وانظر كلامه في الاعتداد بخلاف داود والظاهرية ١٠٤/١٣ - ١٠٦ .

(٣) سير ٩٣/٨ - ٩٤ . وقوله : لا يفتي العامة إلا بمذهب إمامه غير صحيح وينقضه كلامه الاتي بعد قليل .

(٢) سير ٩٢/٨

(٤) سير ١٤/٩١ .

وفى ترجمة الإمام أبي القاسم، عبد الميزب بن عبد الله الداركي الشافعي، شيخ الشافعية بالمراق، المتوفى سنة (٣٧٥) : قال ابن خلكان : « وكان ربما يختار في الفتوى، فيقال له في ذلك، فيقول : وَيَحْكُم ؟ حَدَّثَ فلان عن فلان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة .

قلت : هذا جَيِّدٌ ، لكن بشرط أن يكون قد قال بذلك الحديث إمامٌ من نظراء هذين — الإمامين مثل مالك، أو سفيان، أو الأوزاعي، وأن يكون الحديث ثابتاً سالماً من علة، وأن لا يكون حجة أبي حنيفة والشافعي حديثاً صحيحاً معارضاً للآخر. أما من أخذ بحديث صحيح وقد تنكبه سائر أئمة الاجتهاد، فلا * (١)

وفى ترجمة الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة (٤٥٦) نقل قوله : أننا اتبع الحق، وأجتهد، ولا أتقيد بمذهب وتعمقه بقوله : « قلت : نعم، من بلغ رتبة الاجتهاد وشهد له بذلك عدة من الأئمة لم يسع له أن يقلد، كما أن الفقيه المبتدئ، والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوع له الاجتهاد أبداً، فكيف يجتهد، وما الذي يقول ؟ وعلام بيني ؟ وكيف يطير ولما يُرَّش ؟ والقسم الثالث : الفقيه المنتهي اليقظ الفهم المحدث، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد، وتأهل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضع له الحق في مسألة، وثبت فيها النص، وعمل بها أحد الأئمة الأعلام كأبي حنيفة مثلاً، أو كما لك، أو الثوري، أو الأوزاعي، أو الشافعي وأبي عبيد وأحمد، وإسحاق، فليتبّع فيها الحق ولا يسلك الرخص، وليتورّع، ولا يسعه بعد قيام الحجة عليه تقليد، فإن خاف ممن يشغب عليه من الفقهاء، فليتكّم بها، ولا يتراءى بفعلها، وربما أعجبته نفسه، وأحب الظهور، فيما قب ويدخل عليه الداخل من نفسه، فكم من رجلٍ نطق بالحق وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفيٌّ سارٌّ في نفوس الفقهاء * (٢)

(١) سير ٤٠٥ / ١٦ وانظر أمثلة للأحاديث التي لم يعمل بها العلماء ٤٠٥ / ١٦ - ٤٠٦

(٢) سير ١٩١ / ١٨ - ١٩٢

(*) ليس بشرط أن يكون قال به أحد من نظراء هذين الإمامين .
(* *) لماذا يتكتم إذا كان الحق واضحاً ؟ ففي كلام الذهبي نظر كبير .

اتباع الدليل ، وعدم تتبع الأقوال الشاذة :

في ترجمة الامام مالك : وقال شيخ : إنَّ الإمام لمن التزم بتقليده ، كالنبيِّ مع أمته ، لا تحل مخالفته .

قلت : قوله : لا تحلُّ مخالفته ، مجرد دعوى ، واجتهاد بلا معرفة ، بل له مخالفة إمامه إلى إمام آخر ، حجته في تلك المسألة أقوى ، لا بل عليه اتباع الدليل فيما تَبَرَّهن له ، لا كمن تمذهب لإمام ، فإذا لاح له ما يوافق هواه ، عمل به من أيِّ مذهب كان ، ومن تتبَّع رُخَص المذاهب وزلات المجتهدين ، فَقَدْ رَقَّ دِينُهُ ، كما قال الأوزاعي ^(١) أو غيره : مَنْ أَخَذَ بِقَوْلِ الْمَكِينِ فِي الْمَتَعَةِ ، وَالْكُوفِيِّينَ فِي النَّبِيِّ ، وَالْمَدَنِيِّينَ فِي الْفِنَاءِ ، وَالشَّامِيِّينَ فِي عِصْمَةِ الْخُلَفَاءِ ، فَقَدْ جَمَعَ الشَّرَّ ، وكذا مَنْ أَخَذَ فِي الْبَيْعِ الرَّبْوِيَّةِ بِمَنْ يَتَحَيَّلُ عَلَيْهَا ، وَفِي الطَّلَاقِ ، وَنِكَاحِ التَّحْلِيلِ بِمَنْ تَوَسَّعَ فِيهِ ، وَشَبَّ ذَلِكَ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْإِنْحِلَالِ ، فَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالتَّوْفِيقَ .

ولكن ، شأن الطالب أن يدرس أولاً مصنفاً في الفقه فإذا حفظه بحثه ، وطالع الشروح ، فإنَّ كان ذَكِيًّا ، فَقِيَهُ النَّفْسَ ، وَرَأَى حُجَجَ الْأَئِمَّةِ ، فَلْيَرَأِ قَبْلَ اللَّهِ ، وَلْيَحْتَسِطْ لَدِينِهِ ، فَإِنَّ خَيْرَ الدِّينِ السُّورِعِ ، وَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لَدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَالْمَعْصُومَ مَنْ عَصَاهُ اللَّهُ ^(٢) .

* * *

المطلب الثالث

أقوال الحافظ الذهبي النقدية في التصوف والصوفية

انتقد الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - كثيراً من أقوال المتصوفة وأفعالهم المخالفة للسنة ، وقد كَمَّرَ في نقده بين طائفتين منهم كما قال الدكتور بشار معروف : "أولاهما كانت متمسكة بالدين القويم ، مُتَّبِعَةً للسنة احترمتهم الذهبي احترام كله ، واعتنى بإيراد بعض كراماتهم وحكاياتهم .

أما الثانية : فقد اعتبرهم الذهبي مارقين عن الدين مشعوذين . . . " ^(٣)

(١) انظر أقوال الأوزاعي في النهي عن الأخذ بنواد والعلماء وتجنب أقوالهم الشاذة في السير ٢٥ / ١ ،

(٢) سير ٨ / ٩٠ - ٩١ .

(٣) الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام ص ٤٦٣ ، وانظر حاشية الرقع والتكميل ص ٣١١ - ٣١٢ ،

وانظر فيه مناقشته لليافعي في اعتراضه على الحافظ الذهبي ص ٣١٤ - ٣١٨ .

ومن دلائل تمسكه بالسنة ورثه على المخالفين لها أقواله الكثيرة في وجوب التقيد بها

ومتابعتها ، ومن ذلك قوله : " فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ وَالتَّسَكُّ بِهَدْيِ الصَّاحِبَةِ وَالتَّابِعِينَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ " (١)

ويقول : " فَمَا أَحْسَنَ التَّقِيدَ بِمُتَابَعَةِ السُّنَنِ وَالْعِلْمِ " (٢) ويقول أيضاً : واعبد الله بالسنن -
الثابتة تفلح " (٣)

ويشتد ويغضب من المستخفين بالسنة ، ففي ترجمة أبي قلابة ، عبد الله بن زيد الجرهمي البصري : " عن أبي قلابة قال : إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالسُّنَّةِ ، فَقَالَ : دَعْنَا مِنْ هَذَا ، وَهَاتِ كِتَابَ اللَّهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَالٌ .

قلت أنا : وَإِذَا رَأَيْتَ الْمُبْتَدِعَ يَقُولُ : دَعْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْأَحَادِيثِ الْآحَادَ ، وَهَاتِ الْمَقْلَ فاعلم أنه أبو جهل .

وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول : دَعْنَا مِنَ النُّقْلِ وَمِنَ الْعَقْلِ ، وَهَاتِ الذُّوقَ وَالْوَجْدَ ، فاعلم أنه إبليس ظهر بصورة البشر ، أوقد حلَّ فيه ، فَإِنْ جِئْتَ مِنْهُ ، فَاهْرُبْ ، وَإِلَّا فَاصْرَعْهُ ، وَابْشُرْ عَلَى صَدْرِهِ وَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَاخْنُقْهُ " (٤)

وأسبق الآن بعض أقواله النقدية في التصوف والصوفية :

في ترجمة الزاهد القدوة ، كُرْزُ بْنُ هَرَّةَ الْحَارِثِيِّ الْكُوفِيِّ : " قلت : هَكَذَا كَانَ زُهَّادُ السَّلَفِ وَعِبَادُهُمْ أَصْحَابُ خَوْفٍ وَخُشُوعٍ ، وَتَعَبُّدٍ وَقُنُوعٍ ، وَلَا يَدْخُلُونَ فِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا ، وَلَا فِي عِبَارَاتِ أَحَدٍ شَبَّاهَا مِنْ الْغَنَاءِ ، وَالْمَحْوِ ، وَالْإِصْطِلَامِ ، وَالْإِتِّحَادِ ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ ، مِمَّا لَا يَنْبَغُهُ كِبَارُ الْعُلَمَاءِ ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ التَّوْفِيقَ وَالْإِخْلَاصَ ، وَلِزُومِ الْإِتِّبَاعِ " (٥)

(١) سير ١٧ / ٢٥٢ .

(٢) سير ١٤ / ٢٥٦ .

(٣) سير ٢٢ / ١١٢ .

(٤) سير ٤ / ٤٧٢ .

(٥) سير ٦ / ٨٦ .

وفى ترجمة الإمام الحافظ محمد بن علي ، الحكيم الترمذي المتوفى نحو سنة (٣٢٠) :
فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية ، والشطحات السطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحزنناه
على غربة الإسلام والسنة ، قال الله تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السَّبِيلَ فَتَنفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ . .) (١) .

وفى ترجمة الزاهد القدوة ، سعيد بن عبد العزيز ، أبي عثمان الحلبي المتوفى سنة
(٣١٨) : " وقال أبو نعيم الحافظ : تَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْلَامِ . . وَكَانَ مَلَازِمًا لِلشَّرْعِ مُتَّبِعًا
لَهُ . قُلْتُ : يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ سَلِيمًا مِنْ تَخَبُّيظَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَبِدْعِهِمْ " (٢) .

وفى ترجمة الإمام أحمد بن محمد بن زياد ، أبي سعيد بن الأعرابي البصري الصوفي
المتوفى سنة (٣٤٠) : " ومن كلامه فى ترجمة أبي الحسين النُّوري ، قال : مَاتَ وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ
عِنْدَهُ فِي شَيْءٍ ، سَكَوتُهُمْ عَنْهُ أَوْلَى لِأَنَّهُ شَيْءٌ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ ، وَيَتَعَسَّفُونَ بِظَنُونِهِمْ ، فَإِذَا كَانَ
أُولَئِكَ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَهُمْ ؟ . .

قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، دَقَّقُوا وَعَمَّقُوا ، وَخَاضُوا فِي أَسْرَارِ عَظِيمَةٍ ، مَامَعَهُمْ عَلَى دَعْوَاهُمْ فِيهَا
سِوَى ظَنٍّ وَخِيَالٍ ، وَلَا وَجُودَ لِتِلْكَ الْأَحْوَالِ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْمَحْوِ وَالصَّحْوِ وَالشُّكْرِ إِلَّا مَجْزُورَ
خَطَرَاتٍ وَوَسَاوِسٍ ، مَا تَقَوَّاهُ بِعِبَارَاتِهِمْ صَدِّيقٌ ، وَلَا صَاحِبٌ ، وَلَا إِمَامٌ مِنَ التَّابِعِينَ ، فَإِنْ طَالَبْتَهُمْ
بِدَعَاوِيهِمْ مَقْتُوكٌ ، وَقَالُوا : مُحْجُوبٌ . وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ لِمَ قِيَادَكَ تَخَبُّظَ مَامَعَكَ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَهَبْظَ
بِكَ الْحَالِ عَلَى الْحَيِّرَةِ وَالْمَحَالِ ، وَرَمَقْتَ الْعُبَادَ بِعَيْنِ الْمَقْتِ ، وَأَهْلَكَ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ بِعَيْنِ
الْبُقْدِ ، وَقُلْتُ : مَسَاكِينُ مُحْجُوبُونَ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فإنما التصوف والتأله والسلوك والسَّيرُ والمحبةُ ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
من الرضا عن الله ، ولزوم تقوى الله ، والجهاز في سبيل الله ، والتأدب بآداب الشريعة
من التلاوة بترتيل وتدبر ، والقيام بخشية وخشوع ، وصوم وقت ، وإفطار وقت ، ومثل المعروف
وكثرة الإيثار ، وتعليم الموام ، والتواضع للمؤمنين ، والتعزز على الكافرين ، ومع هذا فالله
يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(١) سير ١٣ / ٤٤٢ ، والآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

(٢) سير ١٤ / ٥١٤ .

والعالم إذا عَرِيَ من التصوف والتأله ، فهو فارغ ، كما أَنَّ الصوفي إذا عَرِيَ من علم السنة زَلَّ عن سواء السبيل .

وقد كان ابنُ الأَعرابي من علماء الصوفية ، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة " (١)

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أبي إسماعيل الأنصاري المتوفى سنة (٤٨١) :
 "فما أخلق تصوف الصحابة والتابعين . ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس ، بل عبَدُوا الله ، وذكُّوا له وتوَكَّلوا عليه ، وهم من خشيته مشفقون ، ولأعدائه مجاهدون ، وفي الطاعة مسارعون ، وعن اللغو معرضون ، والله يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم " (٢)
 كما انتقد الحافظُ الذهبي بعضَ اصطلاحات الصوفية كالمحو والغناء والبقاء :

في ترجمة الإمام الزاهد أحمد بن محمد النُّوري المتوفى سنة (٢٩٥) : " وعن النُّوري قال : سبيل الغانين الغناء في محبوبهم ، وسبيل الباقيين البقاء ببقائه ، ومن ارتفع عن الغناء والبقاء ، فحينئذ لا فناء ولا بقاء .

قلت : يحتاج إلى شرح طويل ، وتحذُّر عن الغناء الكلي ، ومرادهم بالغناء ، فنساء الأوصاف النفسانية ونحوها ، ونسيانها بالاشتغال بالله تعالى وعبادته ، فإنَّ ذات العارف وجسده لا ينعدم ما عاش ، والكون وما حوى فمخلوق ، والله خالق كل شيء ومبدعه ، أعاننا الله وإياكم من قول الاتحاد ، فإنه زندقة " (٣)

وقال في ترجمته أيضاً : " قيل : كان النُّوري يلهج بفناء صفات العارف ، فكان ذلك أبو جاد فناء ذات العارف كما زعمت الاتحادية ، فقالوا : بتميم فناء السُّوى ، وقالوا : ما في الكون سوى الله ، وصرَّحوا بأنه تعالى اتَّحد لخلقه ، وأنت أنا وأنا أنت فنعموز بالله من الضلال (٤)
 وقال الحافظ الذهبي في ترجمة شيخ الصوفية ، أبي اسحاق إبراهيم بن شيان القرميسيني المتوفى سنة (٣٣٧) : " وقال : علم الغناء والبقاء يدور على إخراج الوحدةانية ، وصحوة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغالطة والزندقة .

(٢) سير ١٨ / ٥١٠ .

(١) سير ١٥ / ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٤) سير ١٤ / ٧٣ - ٧٤ .

(٣) سير ١٤ / ٧٢ - ٧٣ .

(*) اطلاق هذا الوصف غير سائغ ، وإن كان المراد به : الزهد ولزوم التقوى .

قلت : صدقت والله ، فإنَّ الغناء والبقاء من تُرَّهات الصوفية ، أطلقه بعضهم ، فدخل من بابه كل إلحادى وكلَّ زنديق ، وقالوا : ماسوى الله باطلٌ فان ، والله تعالى هو الباقي وهو هذه الكائنات ، وما ثم شيء غيره . ويقول شاعرهم :

وما أنت غير الكون بل أنت عينه .

ويقول الآخر : وما ثم إلا الله ليس سواه .

فانظر إلى هذا المروق والضلال ، بل كل ماسوى الله محدثٌ موجود . قال الله تعالى :
(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) (١) .

وانما أراد قدماء الصوفية بالغناء : نسيانُ المخلوقات وتركها ، وفناء النفس عن التشاغل بما سوى الله ، ولا يسلم اليهم هذا أيضاً ، بل أمرنا الله ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات وروئيتها والإقبال عليها ، وتمظيم خالقها . قال تعالى : (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) (٢) وقال : (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (٣) .

وقال عليه السلام : " حُبُّ إِلَهِ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ . . . " (٤) وقال : " كَأَنَّكَ عَلِمْتَ حُبَّنَا لِلْحَمِّ " (٥)

وكان يحب عائشة ، ويحب أباه ، ويحب أسامة ، ويحب سيِّطيه ، ويحب الحلواء والعسل ،
ويحب جبيل أحد ، ويحب وطنه ، ويحب الأنصار ، إلى أشياء لا تحصى مما لا يفنى المؤمن عنها قط (٦)

(١) السجدة ، آية ٤ . (٢) الأعراف ، آية ١٨٥ .

(٣) يونس ، آية ١٠١ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٨/٣ ١٩٩١ و ٢٨٥٥ من طرق عن أنس ، وأخرجه النسائي في سننه : عشرة النساء ، باب حب النساء (٣٩٣٩) ، وفي عشرة النساء من السنن الكبرى رقم (١) (٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٨٢) (٣٥٣٠) والبيهقي في السنن ٧/٧٨ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/١٦٠ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي وقال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء ٣٠/٢ : رواه النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد جيد ، وقال الحافظ في التلخيص الحبير ٣/١١٦ عن رواية النسائي : إسناده جيد .

(٥) رواه الترمذى في الشمايل (١٨١) من حديث جابر : أتانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال : كأنهم علموا أنا نحب اللحم قال العراقي في تخريج

أحاديث الأحياء ٢/٣٧١ : إسناده صحيح .

(٦) سير ١٥/٣٩٣ - ٣٩٤ .

وقال في ترجمة الإمام أبي إسماعيل الأنصاري : " قلت : قد انتفع به خلق ، وجهل آخرون ، فإن طائفة من صوفة الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في " منازل السائرين " ويبتحلونــــه ، ويزعمون أنه موافقهم . كلا ، بل هو رجلٌ أثريٌ لهجٌ بإثبات نصوص الصفات ، منافر للكلام وأهله جداً . وفي " منازل " إشارات إلى المحو والفناء ، وإنما مراده بذلك الفناء : هو الغياب عن شهود السوى ، ولم يُرِدْ محو السوى في الخارج ، وباليته لا صَنَّفَ ذلك . . " (١)

كما انتقد الحافظ الذهبي بعض مناهج الصوفية في الجوع المفرط وترك سائر مآلوفات

النفس وعدم متابعة السنن .

قال الذهبي في ترجمة الإمام الجنيد المتوفى سنة (٢٩٨) : " قال أبو محمد الجعفي : سمعت الجنيد يقول : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، بل عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المآلوفات .

قلت : هذا حسن . ومراده : قطع أكثر المآلوفات ، وترك فضول الدنيا ، وجوع بلا إفراط ، أما مَنْ بالغ في الجوع كما يفعله الرهبان ، ورفض سائر الدنيا ومآلوفات النفس ، من الغذاء والنوم والأهل ، فقد عَرَّضَ نفسه لبلاء عريض ، وربما خولط في عقله ، وفاته بذلك كثير ممن الحيفية السمحة . وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، والسعادة في متابعة السنن ، فَكُزِنَ الأمور بالعدل ، وَصُمَ وأفطر ، ونم وقم ، والزم الورع في القوت ، وارض بما قَسَمَ الله لك ، واصمت إلا من خير ، فرحمة الله على الجنيد ، وأين مثل الجنيد في علمه وحاله ؟ " (٢)

وفي ترجمة الزاهد العابد أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء المتوفى سنة (٣٠٩) :

وقيل : إِنَّ ابْنَ عَطَاءٍ فَقَدَ عقله ثمانية عشر عاماً ، ثم تاب إليه عقله .

ثَبَّتَ الله علينا عقولنا ، وإيماننا ، فمن تَسَبَّبَ في زوال عقله بجوع ، ورياضة صعبة ، وخلوة ، فقد عَصَى ، وأثم ، وضاهى من أزال عقله بعض يوم بسكر ، فما أحسن التقيد بمتابعة السنن والعلم " (٣)

(١) سير ١٨ / ٥١٠ .

(٢) سير ١٤ / ٦٩ - ٧٠ .

(٣) سير ١٤ / ٢٥٦ .

وانتقد الذهبي دعاوى بعض المتصوفة بالكشف والإخبار عن المفاتيح :

قال في ترجمة يونس بن يوسف الزاهد المتوفى سنة (٦١٩) : شيخ اليونسية أولسي
الزّعارة والشطح والخواثة وخفة العقل . . . كان ذا كشف وحال ، ولم يكن عنده كبيرُ علم
وله شطح ، وشعر ملحون ينظمه على لسان الربوبية ، ومعه كآته كذب ، والله أعلم بسرّه .
فلا يغترّ المسلم بكشف ولا بحال ولا بإخبار عن مغيب ، فابن صائد واخوانه الكهنّة
لهم خوارق ، والرهبان فيهم من قد تعزق جوعاً وخلوة ومراقبة على غير أساس ولا توحيد ،
قصّت كدورات أنفسهم وكاشفوا وفشروا ، ولا قدوة إلا في أهل الصفوة وأرباب الولاية المنوطة
بالعلم والسنن ، فنسأل الله إيمان المتقين ، وتأله المخلصين ، فكثير من المشايخ نتوقف
في أمرهم حتى يتبين لنا أمرهم ، والله الاستعانة* (١)

وفي ترجمة الشيخ علي الحريري المتوفى سنة (٦٤٥) : " كبير الفقراء البطة . . . ومَن
انتصر له وخضع لكشفه الإمام أبو شامة ، فقال : كان عنده من القيام بواجب الشريعة ما لم
يعرفه أحد من المتشرعين ظاهراً وباطناً ، وأكثر الناس يغفلون فيه ، كان مُكاشفاً لما في
الصدور بحيث أطلعه الله على سرائر أوليائه .

قلت : ما هذا ؟ أتقِي الله ، فالكهنّة وابنُ صائد مكاشفون لما في الضائر* (٢)

وفي ترجمة الشيخ يوسف القمّيني المتوفى سنة (٦٥٧) : " كان للناس في هذا اعتقاد
زائد لما يسمعون من مكاشفته التي تجري على لسانه كما يتمُّ للكاهن سواء في نطقه بالمفاتيح .
وقد رأيت غير واحد من هذا النمط الذين زال عقلم أو نقص ، يتقلّبون في النجاسات ،
ولا يصلّون ولا يصومون ، وبالفحش ينطقون ، ولهم كشف كما والله للرهبان كشف ، وكما للساحر
كشف ، وكما لمن يصرع كشف ، وكما لمن يأكل الحية ويدخل النار حالاً مع ارتكابه للفواحش ،
فوالله ما ارتبطوا على مسيلمة الكذاب والأسود إلا لاتبانهم بالمفاتيح* (٣)

(١) سير ٢٢٢/٢٢٩ والزّعارة شراسة الخلق كما في المصباح المنير ص ٢٥٣ ،
والخواثة هي البلاهة كما هو شائع في بلاد الشام بلد المصنف رحمه الله تعالى .

(٢) سير ٢٢٣/٢٢٧ .

(٣) سير ٢٢٣/٢٠٢ - ٢٠٣ .

كما يبين الحافظ الذهبي عدم عناية الكثير منهم بالحدِيث والرواية

وفي ترجمة شيخ الصوفية ، أحمد بن عطاء الهجيمي البصري المتوفى سنة (٢٠٠)

العايد القانت . . القَدري المبتدع ، فما أَقْبَحَ بالزهاد ركوب البدع !!

قلت : ما كان الرجل يدري ما الحديث ، ولكنه عبد صالح ، وقع في القدر .

نعوذ بالله من تُرّهات الصوفية فلا خير إلا في الاتباع ، ولا يمكن الاتباع إلا بمعرفة

السنن (١)

وقال في ترجمة أبي جعفر محمد بن منصور بن داود الطوسي المتوفى سنة (٢٥٤) : قال

الحافظ أبو سعيد النقاش في كتاب " طبقات الصوفية " : محمد بن منصور الطوسي أستاذ

أبي سعيد الخزاز ، وأبي العباس بن مسروق ، كَتَبَ الحديث الكثير ورواه .

قلت : متى رأيت الصوفي مكباً على الحديث فثِقَ به ، ومتى رأيته نائياً عن الحديث ، فلا

تفرح به ، لاسيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث عكوفٌ على تُرّهات الصوفية ، ورموز الباطنية ،

نسأل الله السلامة . كما قال ابن المبارك :

وهل أفسد الدين إلا الطلوك وأخبار سوء ورهبانها (٢)

وفي ترجمة شيخ الصوفية أبي محمد الخُلدي المتوفى سنة (٣٤٨) : يقول : مضيت إلى

عباس الدوري ، وأنا حَدِّثُ ، فكتبت عنه مجلساً ، وخرجت ، فلقيني صوفي ، فقال : إيشش

هذا ؟ فأريته . فقال : ويحك ، تدع علم الخرق ، وتأخذ علم الورق ؟ ثم خرق الأوراق ،

فدخل كلامه في قلبي ، فلم أعد إلى عباس . .

قلت : ما ذا إلا صوفي جاهل يمزق الأحاديث النبوية ، ويحضر على أمر مجهول ، فما

أحوجه إلى العلم (٣)

وفي ترجمة الإمام المحدث الصادق الزاهد ، أبي سعد الماليني الصوفي المتوفى سنة

(٤١٢) : " قلت : وقد ألف أربعمائة حديثاً ، كل حديث من طريق صوفي معتبر ، وجاء في

ذلك منكير للقوم ، فإن غالبهم لا اعتناء لهم بالرواية " (٤)

* * *

(٢) سير ١٢ / ٢١٣ .

(١) سير ٩ / ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٤) سير ١٧ / ٣٠٣ .

(٣) سير ١٥ / ٥٥٩ .

المطلب الرابع

أقوال الحافظ الذهبي النقدية في العلم والعلماء

النية في طلب العلم (١)

في ترجمة الإمام الحافظ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المتوفى سنة (١٥٠) : " قال الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن جريج : لمن طلبتم العلم ؟ كلهم يقول : لنفسي ، غير أن ابن جريج فإنه قال : طلبته للناس .

قلت : ما أحسن الصدق ! واليوم تسأل الفقيه الغيبي : لمن طلبت العلم ؟ فيأدر ويقول : طلبته لله ، ويكذب ، إنما طلبه للدنيا ، ويا رقة ما عرف منه (٢)

وفي ترجمة هشام بن حسان البصري المتوفى سنة (١٤٨) : " يقول هشام بن حسان :

ليت ما حفظ عني من العلم في أخبت تنور بالبصرة . وليت حظي منه لا لي ولا علي .

(١) قال الذهبي في الموقظة ص ٦٥ في آداب المحدث : " تصحيح النية من طالب العلم متعين ، فمن طلب الحديث للمكاثرة أو المفاخرة ، أو ليرى ، أو ليتناول الوظائف ، أو ليثنى عليه وعلى معرفته ، فقد خسر . وإن طلبه لله ، وللصلح به ، وللقرية ، بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولنفع الناس ، فقد فاز . وإن كانت النية مزوجة بالأمور فالحكم للغالب . وإن كان طلبه لقرط المحبة فيه ، مع قطع النظر عن الأجر وعن بني آدم ، فهذا كثيراً ما يمتري طلبه العلوم ، فلعل النية أن يرزقها الله بعد . وأيضاً : فمن طلب العلم للآخرة كسأه العلم خشية لله ، واستكان وتواضع ، ومن طلبه للدنيا تكبر به وتكبر وتجبر ، وزدري بالمسلمين العامة ، وكان عاقبة أمره إلى سفال وحقارة " وقال الذهبي أيضاً في كتابه " الكباثر " ، عند كلامه عن الكبر والفخر والخيلاء والمجيب والتهب ص ٧٩ : " قلت : وأشر الكبر من تكبر على العباد بعلمه ، وتعظيم في نفسه بفضيلته ، فإن هذا لم ينفعه علمه ، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه ، وخشع قلبه ، واستكانت نفسه ، وكان على نفسه بالمرصاد ، فلم يفتّر عنها ، بل يحاسبها كل وقت ويشقها ، فإن غفل عنها جمعت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة ، ونظر إلى المسلمين شراً ، وتعاظم عليهم ، وزدري بهم ، فهذا من أكبر الكبر ، ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فلا حول ولا قوة الا بالله " انتهى .

قلت : ليس مراده ذات العلم ، فهذا لا يقوله مسلم ، وانما مراده التعليم والقصد بالعلم .

ألا تراه كيف يقول : ليت حظي منه لا لي ولا عليّ " (١)

وفى ترجمة الإمام مَعْمَر بن راشد المتوفى سنة (١٥٣) : " قال معمر : لقد طلبنا هذا

الشان ، وما لنا فيه نية ، ثم رزقنا الله النية من بعد . وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر قال :

كان يقال : " إِنَّ الرجل يطلب العلم لغير الله ، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله "

قلت : نعم ، يطلبه أولاً ، والحامل له حب العلم ، وحب إزالة الجهل عنه ، وحب الوظائف ،

ونحو ذلك . ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه ، ولا صدق النية ، فإذا علم حاسب نفسه ، وخاف

من وبال قصده ، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها ، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم .

وعلمة ذلك أنه يُقصر من الدعاوى وحب المناظرة ، ومن قَصِد التكثير بعلمه ، ويزري على نفسه ،

فإن تكثر بعلمه ، أو قال : أنا أعلم من فلان فبعداً له " (٢)

وفى ترجمة الحافظ الحجة هشام الدشتوائى المتوفى سنة (١٥٢) : " قال عون بن عمار :

سمعت هشاماً الدشتوائى يقول : والله ما أستطيع أن أقول : إني ذهبت يوماً قط أطلب

الحدث أريد به وجه الله عز وجل .

قلت : والله ولا أنا . فقد كان السلف يطلبون العلم لله فَنَبَلُوا ، وصاروا أئمة يقتدى بهم ،

وطلبه قوم منهم أولاً لا لله ، وحصلوه ، ثم استفاقوا ، وحاسبوا أنفسهم ، فَجَرَّهَم العلم إلى

الإخلاص فى أثناء الطريق كما قال مجاهد وغيره : طلبنا هذا العلم ومالنا فيه كبير نية ، ثم

رزق الله النية بعد ، وبعضهم يقول : طَلَبْنَا هذا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله .

فهذا أيضاً حسن ، ثم نشره بنية صالحة .

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا ، وليُشْنَى عليهم ، فلم يمانعوا ، قال عليه السلام :

" من غزا ينوي عقلاً فله مانئى " (٣) وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم ، ولا لهم

(٢) سير ١٧/٧ .

(١) سير ٣٦١/٦ .

(٣) أخرجه أحمد ٣١٥/٥ ، والنسائى (٣١٣٨) (٣١٣٩) كتاب الجهاد ، من غزا فى

سبيل الله ولم ينو من غزاه إلا عقلاً من حديث عباد بن الصامت ، وفى سنده يحيى

ابن الوليد بن عباد بن الصامت مقبول كما فى التقريب ، ومقبة رجاله ثقات .

وَقَعَ فِي النُّفُوسِ ، وَلَا لِعِلْمِهِمْ كَبِيرَ نَتِيجَةٍ مِنَ الْعَمَلِ ، وَإِنَّمَا الْعَالَمُ مِنْ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى .
وَقَوْمٌ نَالُوا الْعِلْمَ ، وَنَالُوا بِهِ الْمَنَاصِبَ ، فَظَلَمُوا ، وَتَرَكُوا التَّقِيدَ بِالْعِلْمِ ، وَرَكِبُوا
الْكِبَائِرَ وَالْفَوَاحِشَ ، فَتَبَّالَهُمْ ، فَمَا هُوَ إِلَّا بِعِلْمَاءَ .
وَمَعْضُهُمْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي عِلْمِهِ ، بَلْ رَكِبَ الْحِيلَ ، وَأَفْتَى بِالرُّخْصِ ، وَرَوَى الشَّاذَّ مِنَ
الْأَخْبَارِ .

وَمَعْضُهُمْ أَجْتَرَأَ عَلَى اللَّهِ ، وَوَضَعَ الْأَحَادِيثَ فَهَيْتَكَ اللَّهُ ، وَذَهَبَ عِلْمُهُ ، وَصَارَ زَادَهُ إِلَى
النَّارِ .

وَهُوَ إِلَّا الْأَقْصَامُ كُلُّهُمْ رَوَوْا مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا كَبِيرًا ، وَتَضَلَعُوا مِنْهُ فِي الْجُمْلَةِ ، فَخَلَفَ مِنْ
بَعْدِهِمْ خَلْفٌ بَانَ نَقْصُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَتَلَاهُمْ قَوْمٌ انْتَمَوْا إِلَى الْعِلْمِ فِي الظَّاهِرِ ،
وَلَمْ يُتَّقِنُوا مِنْهُ سَوَى نَزْرِ يَسِيرٍ ، أَوْ هَمُوا بِهِ أَنَّهُمْ عِلْمَاءُ فَضْلَاءَ ، وَلَمْ يُدْرَ فِي أَزْهَانِهِمْ قِسْطُ
أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، لِأَنَّهُمْ مَارَأَوْا شَيْخًا يُقْتَدَى بِهِ فِي الْعِلْمِ ، فَصَارُوا هَمَجًا رَعَاعًا ،
غَايَةَ الْمُدْرَسِ مِنْهُمْ أَنْ يَحْصُلَ كِتَابٌ مُشْتَمِلٌ يَخْزُنُهَا وَيَنْظُرُ فِيهَا يَوْمًا مَا ، فَيُصَحِّفُ مَا يَسُودُ
وَلَا يَقَرُّهُ فَنَسَأَلَ اللَّهَ النِّجَاةَ وَالْمَغْفِرَ ، كَمَا قَالَ بِمَعْضِهِمْ : مَا أَنَا عَالِمٌ وَلَا رَأَيْتُ عَالِمًا * (١)

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ شُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ الْبَصْرِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ (١٦٠) : قَالَ
أَبُو قَطْنٍ : سَمِعْتُ شُعْبَةَ بْنَ الْحَجَّاجِ يَقُولُ : مَا شَيْءٌ أَخَوْفُ عِنْدِي مِنْ أَنْ يَدْخُلَنِي النَّارُ مِنْ
الْحَدِيثِ .

وَعَنْهُ قَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي وَقَّادُ حَمَّامٍ ، وَأَنِّي لَمْ أَعْرِفِ الْحَدِيثَ .
قُلْتُ : كُلُّ مَنْ حَاقَّقَ نَفْسَهُ فِي صِحَّةِ نَبِيِّهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَخَافُ مِنْ مِثْلِ هَذَا ، وَيُؤَدُّ أَنْ
يَنْجُو كَهَافًا * (٢)

وَفِي تَرْجُمَةِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَّازٍ : " وَعَنْهُ : يَا مُسْكِينُ ، أَنْتَ سَيِّئٌ وَتَرَى أَنَّكَ مُحْسِنٌ ، وَأَنْتَ
جَاهِلٌ وَتَرَى أَنَّكَ عَالِمٌ ، وَتَبْخُلُ وَتَرَى أَنَّكَ كَرِيمٌ ، وَأَحْمَقُ وَتَرَى أَنَّكَ عَاقِلٌ ، أَجْلُكَ قَصِيرٌ ،
وَأَمْلُكَ طَوِيلٌ .

(١) سِير ١٥٢/٧ - ١٥٣ .

(٢) سِير ٢١٣/٧ .

قلت : إي والله صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وأكل للحرام وترى أنك متورع ، وفاسق وتعتقد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله * (١)

وفي ترجمة الإمام عبد الرحمن بن مهدي المتوفى سنة (١٩٨) : " ولفنا عن ابن مهدي

قال : ما هو - يعني الفرام - بطلب الحديث - إلا مثل لعب الحمام ونطاح الكباش .

قلت : صدق والله ، إلا لمن أراد به الله ، وقليل ما هم * (٢)

وفي ترجمة ابن حزم المتوفى سنة (٤٥٦) : " فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْمَلِ كَسَرَهُ الْعِلْمُ ، وَكَسَى

عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْمَدَارِسِ وَالْإِفْتَاءِ وَالْفَخْرِ وَالرِّيَاءِ ، تَحَاقَ وَاجْتَالَ وَازْدَرَى بِالنَّاسِ

وَأَهْلَكَ الْعُجْبَ ، وَمَقَتَهُ الْأَنْفُسُ (قَدْ كَخَبَ مَنْ دَسَّاهَا) أَي دَسَّسَهَا بِالْفُجُورِ وَالْمَعْصِيَةِ ، قُلِبَتْ

فِيهِ السِّمْنُ أَلِفًا (٣)

سوء ولية العلم :

في ترجمة الإمام عامر بن شراحيل الشَّعْبِي : " عن مالك بن مِقْوَل : سمعت الشَّعْبِي يَقُولُ

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ عَلِمْتُ مِنْ ذَا الْعِلْمِ شَيْئًا .

قلت : لأنه حجة على العالم ، فينبغي أن يعمل به ، وينبه الجاهل ، فيأمره وينهاه ، ولأنه

مَظِنَّةٌ أَنْ لَا يَخْلُصَ فِيهِ ، وَأَنْ يَفْتَخِرَ بِهِ ، وَيَمَارِ بِهِ ، لِيُنَالَ رِثَاسَةً وَدُنْيَا فَانِيَةً * (٤)

وفي ترجمة الإمام سفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة (١٦٠) : قال أبو الأحوص : سمعت

سفيان يقول : وددت أني أنجو من هذا الأمر كفافاً ، لعلِّي ولالي .

وقال أبو أسامة : سمعت سفيان يقول : ليس طلب الحديث من عدة الموت ، لكنه علةٌ يشاغل

به الرجل .

قلت : يقول هذا مع قوله للخريبي : ليس شيء أنفع للناس من الحديث (٥)

(١) سير ٨ / ٤٤٠ .

(٢) سير ٩ / ٢٠٧ .

(٣) سير ١٨ / ١٩٣ .

(٤) سير ٤ / ٣٠٣ .

(٥) انظر قوله للخريبي في السير ٧ / ٢٧٤ .

وعنه قال : وردت أنَّ عليَّ نُسِخَ من صدرى ، أَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ غَدًا عَنْ كُلِّ حَدِيثٍ رَوِيَتْهُ : إِيَّاهُ أُرَدْتُ بِهِ ؟ قَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ : كَانَ الثَّوْرِيُّ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ الْحَدِيثِ ، مَا أَخَافُ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ حُبِّهِ لِلْحَدِيثِ .

قلت : حُبُّ ذَاتِ الْحَدِيثِ ، وَالْعَمَلُ بِهِ لِلَّهِ مَطْلُوبٌ مِنْ زَائِرِ الْمَعَادِ ، وَحُبُّ رَوَايَةِ وَعَوَالِيهِهِ وَالتَّكثُّرُ بِمَعْرِفَتِهِ وَفِيهِ مَذْمُومٌ مَخُوفٌ ، فَهُوَ الَّذِي خَافَ مِنْهُ سَفِيَانُ ، وَالْقَطَّانُ ، وَأَهْلُ الْمَرَاqِبَةِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ وَمَالِ عَلَى الْمُحَدِّثِ (١)
(٢)
العلم النافع والضار :

فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ الْقَدْوَةِ الرَّبَّانِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُرَيْحٍ الْمَعَارِفِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٦٧) : قَالَ هَانِيُّ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عِبَادَةَ الْمَعَارِفِيُّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي شُرَيْحٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَكَثُرَتِ الْمَسَائِلُ ، فَقَالَ : قَدْ دَرَنْتُ قُلُوبَكُمْ فَقُومُوا إِلَى خَالِدِ بْنِ حُسَيْنِ الْمَهْرِيِّ ، اسْتَقِلُّوا قُلُوبَكُمْ ، وَتَعَلَّمُوا هَذِهِ الرِّغَائِبَ وَالرِّقَائِقَ ، فَإِنَّهَا تَجِدُّ الْعِبَادَةَ ، وَتُورِثُ الْوَهَادَةَ ، وَتَجْرِي الصَّدَاقَةَ ، وَأَقْلُوا الْمَسَائِلَ فَإِنَّهَا فِي غَيْرِ مَا نَزَلَ تَقْتَنِي الْقَلْبَ ، وَتُورِثُ الْعِدَاوَةَ .

قلت : صَدَقَ وَاللَّهِ ، فَمَا الظَّنُّ إِذَا كَانَتْ مَسَائِلُ الْأُصُولِ ، وَلَوَازِمُ الْكَلَامِ فِي مَعَارِضَةِ النَّصِّ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ مِنْ تَشْكِيكَاتِ الْمُنْطَقِ ، وَقَوَاعِدِ الْحِكْمَةِ ، وَدَيْنِ الْأَوَائِلِ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ مِنْ حَقَائِقِ "الْإِتِّحَادِيَّةِ" وَزَنْدَقَةِ "السَّبْعِيْنِيَّةِ" وَمَرْقِ "الْبَاطِنِيَّةِ" ؟ فَوَاغْرَتَبَاهُ ، وَيَا قَلَّةَ نَاصِرِهِ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (٣)

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٨٢) : " وَمَا أُتْبِلَ قَوْلُهُ الَّذِي رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ بَشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ ، سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ يَقُولُ : " الْعِلْمُ بِالْخُصُومَةِ وَالْكَلَامُ : جَهْلٌ ، وَالْجَهْلُ بِالْخُصُومَةِ وَالْكَلَامُ : عِلْمٌ " .

قلت : سَأَلَهُ شُبَّةٌ وَإِشْكَالَاتٌ مِنْ نَتَائِجِ أَفْكَارِ أَهْلِ الْكَلَامِ ، تَوَرَّدَ فِي الْجِدَالِ عَلَى آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا ، فَيَكْفُرُ هَذَا هَذَا ، وَيَنْشَأُ الْإِعْتِرَازُ وَالتَّجَنُّهُ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ (٤)

(١) سِير ٢٥٥ / ٧ - ٢٥٦ .

(٢) انتقد الحافظ الذهبي في مواضع متعددة كثيراً من العلوم الضارة ، وخاصة علم الفلاسفة والكلام ، وقد أوردت أقواله في مبحث البدعة فانظرها هناك .

(٣) سِير ١٨٢ / ٧ .

(٤) سِير ٥٣٩ / ٨ .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة نعيم بن حماد المتوفى سنة (٢٢٩) : " والملم الذي يحرم تعلّمه ونشره علم الأواثل ، وإلهيات الفلاسفة وبعض رياضتهم ، بل أكثره ، وعلم السحّر والسيما ، والكيمياء ، والشّعْبَذة ، والحيّل ، ونشر الأحاديث الموضوعة ، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة ، وسيرة البطال المختلفة ، وأشال ذلك ، ورسائل " إخوان الصفا " (١) وشعر يُعرض فيه إلى الجناب النبوي .

فالمعلوم الباطلة كثيرة جداً ، فَلْتَحَذَر ، ومن ابتلي بالنظر فيها للفرجة والمعرفة من الأذكياء قَلِيلٌ من ذلك ، وليطالعوه وحده ، وليستغفر الله تعالى ، وليلتجئ إلى التوحيد والدعاء بالعافية في الدين ، وكذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وردت في الصفات لا يحلُّ بثّها إلا للتحذير من اعتقادها ، وإن أمكن إعدامها فَحَسَنٌ ، اللهم فاحفظ علينا إيماننا ولا قوة إلا بالله . (٢)

وفي ترجمة الإمام الحافظ الثبّت أبي بكر محمد بن الحسن الأعمى المتوفى سنة (٢٤٠) : " قال عبد الله بن أحمد : تَرَحَّمْ عليه أباي ، وقال : إني لأغبطه ، مات وما يعرف إلا الحديث ، لم يكن صاحب كلام .

قلت : هكذا كان أئمة السلف ، لا يرون الدخول في الكلام ، ولا الجدال . بل يستغرون وشعهم في الكتاب والسنة ، والتفقه فيهما ، ويتبعون ولا يَنْظُمُونَ " (٣)

وفي ترجمة الإمام الكبير الزاهد ، محمد بن الفضل البلخي المتوفى سنة (٣١٧) : " قال أبو نعيم الحافظ : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يَنْسَأُ أنه سمعه يقول : ذهاب الإسلام من أربعة : لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون مالا يعلمون ، ويمنعون الناس من العلم .

(١) قال الذهبي في قراءة هذه الكتب وأمان النظر فيها كما في السير ٣٢٨/١٩ - ٣٢٩ : " وهو داء عضال ، وجربٌ مُرِيرٌ ، وسُمٌّ قَتَالٌ . . . فالحذار الحذار من هذه الكتب ، اهربوا بدنيكم من شبه الأواثل ، والا وقعتم في الخيثة ، فمن رام النجاة والفوز ، فليلتزم العبودية وليد من الاستفاضة ، وليتّهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحابة وسادة التابعين ، والله الموفق " انتهى .

(٢) سير ٦٠٣/١٠ - ٦٠٤

(٣) سير ١٢٠/١٢

قلت : هذه نعوت رؤوس العرب والترك ، وخلق من جهلة العامة ، فلو عملوا بيسير ما عرفوا لأفلقوا ، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوقفوا ، ولو فتشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر - لأهل الحيل والمكر - لسعدوا ، بل يمرضون عن التعلم تيهًا وكسلًا ، فواحدة من هذه الخلال مُردية ، فكيف بها إذا اجتمعت ؟ فما ظنك إذا انضم إليها كبر ، وفجور ، وإجرام ، وتجهُّرٌ على الله ؟ نسأل الله العافية . (١)

وفي ترجمة الإمام العافظ أبي الحسن علي بن إبراهيم القطان القزويني المتوفى سنة (٣٤٥) : وقال ابن فارس في بعض أماليه : سمعت أبا الحسن القطان بعد ما علَّت يده ، يقول : كنت حين رَحَلْتُ أحفظ مئة ألف حديث ، وأنا اليوم لأقوم على حفظ مئة حديث . وسمعت يقول : أَصِبتُ ببصرى ، وأظن أني عوقبت بكثرة كلامي أيام الرحلة .

قلت : صدق والله ، فقد كانوا مع حسن القصد ، وصحة النية غالباً ، يخافون من الكلام واطهار المعرفة والفضيلة ، واليوم يكثرون الكلام مع نقص العلم ، وسوء القصد ، ثم إن الله يفضحهم ويلوح جهلهم وهواهم واضطرابهم فيما علموه ، فنسأل الله التوفيق والإخلاص . (٢)

وفي ترجمة الإمام الفزالي المتوفى سنة (٥٠٥) : " نسأل الله علماً نافعاً ، تدري ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن ، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً ، ولم يأت نهبي عنه قال عليه السلام : " مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " (٣) فعليك - يا أخي - بتدبر كتاب الله ، وبادمان النظر في " الصحيحين " ، وسنن النسائي ، ورياض النواوي وأذكاره ، تُفْلِح وتُنْجَح ، وإياك وآراء عباد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضيات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات ، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحاء ، فواغوثاه بالله ، اللهم أهدنا إلى صراطك المستقيم " (٣)

وقال الذهبي في ترجمة الواعظ الكبير المتكلم أبي الفتح محمد بن الفضل الإسفراييني — المعروف بابن المعتد المتوفى سنة (٥٣٨) : " فينبغي للمسلم أن يستعبد من الفتن ،

(١) سير ١٤ / ٥٢٥ .

(٢) سير ١٥ / ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٣) سير ١٩ / ٣٤٠ .

ولا يشغب بذكر غريب المذاهب لافى الأصول ولا فى الفروع، فما رأيت الحركة فى ذلك تحصّل خيراً، بل تثير شراً وعداوةً ومقتاً للصلحاء والعُباد بين الفريقين، فتمسك بالسنة، والزم الصمت ولا تخض فيما لا يعنك، وما أشكل عليك، فردّه إلى الله ورسوله، وقف، وقل : الله ورسوله أعلم»^(١).

أدب العلماء :

قال الحافظ الذهبي فى ترجمة الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى سنة (١٧٠) : " قال أيوب بن المتوكل : كان الخليل إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً، أراه بأنه استفاد منه

قلت : صار طوائف فى زماننا بالعكس^(١).

وفى ترجمة الإمام الشافعى المتوفى سنة (٢٠٤) : " قال يونس الصّدق : ما رأيت أعدل من الشافعى، ناظرته يوماً فى مسألة، هم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال : يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق فى مسألة .

قلت : هذا يدلّ على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون^(٢).

وقال الذهبيّ فى ترجمة الإمام الحافظ عَفَّان بن مسلم المتوفى سنة (٢٢٠) : " قال الفلاس رأيت يحيى يوماً حدّث بحدِيث، فقال له عَفَّان : ليس هو هكذا . فلما كان من الغد، أتيت يحيى، فقال : هو كما قال عَفَّان، ولقد سألت الله أن لا يكون عندي على خلاف ما قال عَفَّان .

قلت : هكذا كان العلماء، فانظر - يا مسكين - كيف أنت عنهم بِمَعْرِزِل^(٣).

وفى ترجمة الإمام محمد بن عبد الله بن عبد الحَكَم المتوفى سنة (٢٦٨) : " قلت : له تصانيف كثيرة، منها : كتاب قي الرد على الشافعى... وكتاب الرد على فقهاء المراق وغير ذلك

وما زال العلماء قد يماً وحديثاً يردّ بعضهم على بعض فى البحث وفى التواليف، ومثل ذلك يتفقه العالم، وتبهرهنّ له المشكلات، ولكن فى زماننا قد يُعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته، ولطلبه للظهور والتكثير، فيقوم عليه قضاة وأضداد، نسأل الله حسن الخاتمة وإخلاص العمل^(٥).

(٢) سير ٤٣١ / ٧

(١) سير ١٤٢ / ٢٠

(٤) سير ٢٤٩ / ١٠

(٣) سير ١٧٠ / ١٦

(٥) سير ٥٠٠ / ١٢ - ٥٠١

وفي ترجمة الإمام الغزالي : " قلت : ما زال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً ، ويردُّ هذا على هذا
ولسنا من يذمُّ العالمَ بالهوى والجَهْل " (١)

وفي ترجمة الإمام موفق الدين ، ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة (٦٢٠) : " قال الضياء
كان موفق لا يناظر أحداً ، إلا وهو يتبسّم .

قلت : بل أكثر من عايناً لا يناظر أحداً إلا ويتبسّم " (٢)

وفي ترجمة أبي عبد الرحمن السُّلَبي المتوفى سنة (٤١٢) : " قال أبو سهل الصعلوكي : من
قال لأستاذة : لِمَ ؟ لا يفلح أبداً .

قلت : ينبغي للمريد أن لا يقول لأستاذة : لِمَ ؟ إذا علمه معصوماً لا يجوز عليه الخطأ ، أما
إذا كان الشيخ غير معصوم ، وكره قول : لِمَ ؟ فإنه لا يفلح أبداً

قال الله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (٣) وقال : (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) (٤) (وَتَوَاصَوْا
بِالْمُرَحَّة) (٥) بلئى هنا مريد ون أشقال أنكاد ، يعترضون ولا يقنن ولا يعملون ، فهو لا لا يفلحون . (٦)

*

*

*

(١) سير ٣٤٢/١٩ - ٣٤٣

(٢) سير ١٧٠/٢٢

(٣) المائدة ، آية ٢ .

(٤) العصر ، آية ٣ .

(٥) البلد ، آية ١٧ .

(٦) سير ١٧/٢٥١ - ٢٥٢ .

المطلب الخامس

(١)
نقد الحافظ الذهبي لمحدثي عصره

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه: «السائب بن يزيد سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولاً لحقتك بأرض دوس!»

عن ابن عجلان: «أن أبا هريرة كان يقول: إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر لشج رأسى» (٢).

قلت: هكذا هو عمر رضي الله عنه يقول: «أقولوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث، وهذا مذهب لعمر وغيره».

(١) أسوق أقوال الحافظ الذهبي في وصف محدثي عصره، وهو أواخر القرن السابع ومنتصف القرن الثامن الذي كان يزخر بأئمة من كبار أئمة الحفظ والمعرفة بالرجال والعلم، مثل شيخه الإمام المجدد ابن دقيق العيد، والحافظ الدمي، والمزي، وتقي الدين السبكي وشيخ الإسلام ابن تيمية، والبرزالي، وابن التركماني، والعلائي، والزليعي، والتاج السبكي وابن كثير، وغيرهم.

قال الحافظ الذهبي في رسالة «بيان زغل العلم والطلب» ص ١١، وهو يتحدث عن علم الحديث: «وكم من رجل مشهور بالفقه والرأى في الزمن القديم، أفضل في الحديث من المتأخرين، وكم من رجل من متكلي القدماء أعرف بالأثر من مشيخة زماننا» انتهى.

قال في تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٢ - ٦٢٨ بعد فراغه من تراجم الطبقة التاسعة، وقد ذكر فيها ١٠٦ من الحفاظ الذين تتراوح وفياتهم بين حدود سنة ٢٥٠ - ٢٨٠ ما ملخصه "لقد كان في هذا العصر وماقاريه من أئمة الحديث النبوي خلق كثير، وما ذكرنا عشرهم هنسباً وأكثرهم مذكورون في تاريخي. فبالله عليك يا شيخ، ارفق بنفسك، والزم الإنصاف ولا تنظس إلى هؤلاء الحفاظ النظر الشرر، ولا ترمقنهم بعين النقص، ولا تعتقد فيهم أنهم من جنس محدثي زماننا: حاشا وكلا. وليس في كبار محدثي زماننا أحد يبلغ رتبة أولئك في المعرفة»

(٢) يروى هذا عن يحيى ابن ايوب عن ابن عجلان عن أبي هريرة، وابن عجلان لم يدرك أبا هريرة، فالخير منقطع وحديث السائب أيضاً رواه ابن عساكر وذكره في كنز العمال وقال في خطبته: «ان كل ما عزي فيه إلى ابن عساكر فهو ضعيف».

فبالله عليك إذا كان الإكثار من الحديث في دولة عمر، كانوا يُمنعون منه، مع صدقهم وعدالتهم وعدم الأسانيد، بل هو غشٌّ لم يُشَبَّ، فما ظنُّك بالإكثار من رواية الفرائب والمناكير في زماننا مع طول الأسانيد، وكثرة الوهم والغلط، فبالحرى أن نزجر القوم عنه، فياليتهم يقتصرون على رواية الغريب والضعيف، بل يروون - والله - الموضوعات والأباطيل، والمستحيل في الأصول والفروع، والملاحم والزهد، نسأل الله العافية.

فمن روى ذلك مع علمه ببطلانه، وغرَّ المؤمنين، فهذا ظالمٌ لنفسه، جانٍ على السنن والآثار يستتاب من ذلك، فإن أناب وأقصر، والا فهو فاسقٌ، كفى به إثمًا أن يحدث بك ما سمع .
وأن هولم يعلم، فليتورَّع، وليستعِزَّ بمن يمينه على تنقية مروياته .

نسأل الله العافية، فلقد عمَّ البلاء، وشملت الغفلة، ودخل الداخل على المحدثين الذين يركن إليهم المسلمون، فلا عتبى على الفقهاء وأهل الكلام (١)

وقال الذهبي في ترجمة الإمام مشقربن كدام المتوفى سنة (١٥٥)؛ فليس طلب الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حيث طلب العلم، بل اصطلاحٌ وطلب أسانيد عالية، وأخذ عن شيخ لا يمي، وتسميع لطفل يلعب ولا يفهم، أو لرضع يبكي، أو لفقيه يتحدث مع حدّث، أو آخر ينسخ، وفاضلهم مشغول بكتابه الأسماء أو بالثعاس. والقارىء إن كان له مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثر من قراءة ما في الجزء، سواء تصحّف عليه الاسم، أو اختبَطَ المتن، أو كان من الموضوعات فالعلم عن هؤلاء بمعزل، والعمل لا أكاد أراه، بل أرى أموراً سيئة، نسأل الله العفو (٢٧)

وفي ترجمة الإمام الكبير سفيان بن عيينة الكوفي ثم المكي المتوفى سنة (١٩٨) : "قال محمد ابن يوسف الفرياني : كنت أمشي مع ابن عيينة، فقال لي : يا محمد، ما يزهّدني فيك إلا طلب الحديث قلت : فأنت يا أبا محمد، أي شيء كنت تعمل إلا طلب الحديث؟ فقال : كنت إن ذاك صبيّاً لا أعقل . قلت : إذا كان مثل هذا الإمام يقول هذه المقالة في زمن التابعين، أو بعدهم ببسير، وطلب الحديث مضبوط بالإتقان والأخذ عن الأثبات الأئمة، فكيف لو رأى سفيان رحمه الله طلبه الحديث في وقتنا وما هم عليه من الهنات والتخبيط، والأخذ عن جهلة بني آدم، وتسميع ابن شهر .

أما الخيام فإنّها كخياسهم وأرى نساءً الحقي غير نساءها (٣)

(١) سير ٦٠١ / ٢ - ٦٠٢ وانظر مبحث حكم رواية الموضوع

(٣) سير ٤٦٣ / ٨ - ٤٦٤

(٢) سير ١٦٢ / ٢

وفي ترجمة الإمام الشَّقة العابد قَبِيصَة بن عُبَيْة الكوفي المتوفى سنة (٢١٥) : قال عبد الرحمن ابن داود بن منصور الفارسي : سمعت حفص بن عمر قال : مارأيت مثل قبيصة ، مارأيت متبسِّمًا قط ، من عباد الله الصالحين .

قلت : كذا كان . والله . أهل الحديث ، العلم والعبادة ، واليوم فلا علم ولا عبادة ، بل تخبيط ولحن ، وتصحيف كثير ، وحفظ يسير ، وإذا لم يرتكب العظائم ، ولا يخل بالفرائض ، فله دره (١)

وفي ترجمة الإمام الحافظ الشَّقة إسحاق بن بُهلول المتوفى سنة (٢٥٢) : " وقال أبو طالب أحمد بن محمد بن إسحاق ابن البُهلول : تذاكرت أنا وابن صاعد ما حدث به جدي ببغداد ، فقلت له : قال لي أنيس المستطلي : إنه حدث من حفظه بأربعين ألف حديث . فقال ابن صاعد : لا يدرى أنيس ما قال ، حدث إسحاق بن البُهلول من حفظه ببغداد بأكثر من خمسين ألف حديث . قلت : كذا فليكن الحفظ ، والافلا . قنعنا اليوم بالاسم بلا جسم ، فلو رأى الناس في وقتنا من يروي ألف حديث بأسانيد ها حفظاً لانبهروا له " (٢)

وفي ترجمة الإمام العلامة الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة (٢٨٠) : " قال - عثمان بن سعيد : من لم يجمع حديث شعبة وسفيان ، ومالك ، وحمام بن زيد ، وسفيان بن عيينة فهو مفلس في الحديث - يريد أنه ما بلغ درجة الحفاظ .

ولا ريب ، أن من جمع علم هؤلاء الخمسة ، وأحاط بمسائر حديثهم ، وكتبه عالياً ونازلاً ، وفهم علله ، فقد أحاط بشطر المسئلة النبوية ، بل بأكثر من ذلك ، وقد عدم في زماننا من ينهض بهذا ، وبيعه ، فنمأل الله المغفرة .

وأيضاً فلو أراد أحد أن يتتبع حديث الثوري وحده ، ويكتبه بأسانيد نفسه على طولها ، ويبين صحيحه من سقيمة لكان يجيئ " سنده " في عشر مجلدات ، وإننا شأن المحدث اليوم الاعتناء — بالدواوين الستة ، وسند أحمد بن حنبل وسنن البيهقي ، وضبط متونها وأسانيد ها ، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقَيَّ ربه ، ويدين بالحديث .

فعلنى علم الحديث وعلمك لئيك من كان باكياً ، فقد عاد الإسلام المحض غريباً كما بدأ ، فليسمع
امرؤ في فكاك رقبتة من النار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية ، ولكنه نور يقذفه الله في القلب ، وشرطه الاتباع والفرار من
الهوى والابتداع ، وفقنا الله وإياكم لطاعته . (١)

وفي ترجمة الإمام العلامة أبي الحسن ، علي بن موسى بن يزيد القمي النيسابوري ، شيخ
الحنفية بخراسان ، المتوفى سنة (٣٠٥) : " فهذا ، وأبو سعيد المذكور (٢) كانا عاليي خراسان
في مذهب أبي خنيفة ، تخرج بهما جماعة من الكبار ، وكان معهما في البلد من أئمة الأثر مثل
ابن خزيمة ، وأبي العباس السراج ، وعدة ، فكان المحدثون إن ذاك أئمة عالمين بالغة أيضاً
وكان أهد الرأي بصراً بالحديث ، قد رحلوا في طلبه ، وتقدموا في معرفته . وأما اليوم فالمحدث
قد قنع بالسكة والخطبة ، فلا يفقه ولا يحفظ ، كما أن الفقيه قد تشبث بفقه لا يجيد معرفته ، ولا يدري
ما هو الحديث ، بل الموضوع والثابت عنده سواء ، بل قد يعارض ما في الصحيح بأحاديث ساقطة
ويكابر بأنها أصح وأقوى ، نسأل الله العافية (٣)

وفي ترجمة الشيخ الإمام الفقيه القاض أبي الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حنوية
النيسابوري ثم المصري المتوفى سنة (٣٦٦) : " قال الدارقطني : كان لا يترك أحداً يتحدث في
مجلسه ، وقال : جئت إلى شيخ عنده الموطأ ، فكان يقرأ عليه وهو يتحدث . فلما فرغ ، قلت : أئها
الشيخ : يقرأ عليك وأنت تتحدث ؟ فقال : قد كنت أسمع قال : فلم أعد إليه .

قلت : كذا شيوخ الحديث اليوم ، إن لم ينقصوا تحدثوا ، وإن عوتبوا ، قالوا : قد كنا نسمع
وهذه مكابرة (٤)

وفي ترجمة الإمام أبي بكر محمد بن إسماعيل الوراق المتوفى سنة (٣٧٨) : " قال عبيد الله —
الأهوازي : حافظ لئمن في الرواية ، يحدث من غير أصل .

قلت : التحديث من غير أصل قد ختم اليوم وطم فخرجوا أن يكون واسعاً بانضمامه إلى الإجازة (٥)

(١) سير ١٣ / ٢٢٢

(٢) لم ألق على ترجمته بعد طول البحث والتفتيش .

(٣) سير ١٤ / ٢٣٦ - ٢٣٧ والسكة كما قال الامام الخطابي في " غريب الحديث " ٤٥٦/١
الحديدة التي تطيع عليها الدراهم . ثم قيل للدراهم المفردة سكة لانتهاء ضربت
بها .

(٥) سير ١٦ / ٣٨٩

(٤) سير ١٦ / ١٦٠ - ١٦١

المطلب السادس

اقوال الحافظ الذهبي النقدية في الحكم والسياسة

انتقد الحافظ الذهبي ملوك زمانه وحُكَّام عصره ، وأورد أقوالاً نفيسةً ونصائح غالية تحقق صلاح الدولة والراعي والرعية . وأسوق بعض أقواله النقدية في هذا الموضوع .

وصفه لملوك زمانه : ذكر الذهبي في ترجمة الأمير يزيد بن المهلب المتوفى سنة (١٠٢) -

أخباره في الجود والصخاء : " قلت : ملوك دهرنا أكرم ، فأولئك كانوا للغاغل والشاعر ، وهو لا يعطون من لا يفهم شيئاً ولا فيه نجدة ، أكثر من عطاء المتقدمين " (١)

وفي ترجمة الإمام الحافظ داود بن رشيد المتوفى سنة (٢٣٩) ساق قوله عن حكيم الهند : " لا ظفر مع بقى . . ولا سوء د مع انتقام ، ولا رئاسة مع عزّة نفس وعُجْب ، ولا صواب مع ترك مشاورة ، ولا ثبات ملك مع تهاون " ثم قال عقبه : " ولعلّ بعض أراء الزمان يحوى هذه الخلال الرديّة " (٢)

وفي ترجمة الإمام الفسّر أبي الحسن علي بن أبي الطيب النيسابوري المتوفى سنة (٤٥٨) ذكر قصته مع السلطان محمود بن سبكتكين وعقب على ذلك بقوله : « فنعمون بالله من كل مثكبر جبار ، وقد رأينا الجبارين المتعزّدين الذين أمتوا الجهاد ، وطغوا في البلاد ، فواحسرة على المباد » (٣)

خير مناقب الملك : في ترجمة المهلب بن أبي صفرة : " قال المهلب : ما شيء أبقى للملك من

المعفو ، خير مناقب الملك المعفو . قلت : ينبغي أن يكون المعفو من الملك عن القتل إلا في الحدود وأن لا يعفو عن والٍ ظالم ، ولا عن قاض يرتش ، بل يعجل بالعزل ، ويماقب المتهم بالسجن ، فحلّم الملوك محمود إذا ما اتقوا الله وعملوا بطاعته " (٤)

صلاح الدول بصلاح الحكام : قال الذهبي في ترجمة الخليفة المستنجد بالله المقتي المتوفى

سنة (٥٦٦) : قلت : الإمام إذا كان له عقلٌ جيد ودينٌ متين ، صلح به أمر المالِك ، فإن ضُفِّ

(٢) سير ١١ / ١٣٤ - ١٣٥

(١) سير ٤ / ٥٠٤

(٤) سير ٤ / ٣٨٥

(٣) سير ١٨ / ١٧٤

عقله وَحَسَّتْ دِيَانَتَهُ ، حَمَلَهُ الدِّينُ عَلَى مَشَاوِرَةِ أَهْلِ الْحَزْمِ ، فَتَسَدَّتْ أُمُورُهُ ، وَشَتَّتِ الْأَحْوََالَ
وَأَنَّ قَلَّ دِينُهُ ، وَنَبِلَ رَأْيُهُ ، تَعَبَتْ بِهِ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَقَدْ يَحْمِلُهُ نُبُلُ رَأْيِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مُلْكِهِ
وَرِعِيَّتِهِ لِلدُّنْيَا لَا لِلتَّقْوَى ، فَإِنْ نَقَصَ رَأْيُهُ ، وَقَلَّ دِينُهُ وَعَقْلُهُ كَثُرَ الْفُسَادُ ، وَضَاعَتِ الرِّعْيَةُ وَتَعَبَسُوا
بِهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَجَاعَةٌ وَلَهُ سَطْوَةٌ وَهَيْبَةٌ فِي النُّفُوسِ ، فَيُنْجِبُ الْحَالَ ، فَإِنْ كَانَ جَبَانًا
قَلِيلَ الدِّينِ ، عَدِيمَ الرَّأْيِ ، كَثِيرَ الْعَصْفِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِبَلَاءٍ عَاجِلٍ ، وَرَبَّمَا عُزِلَ أَوْ سُجِّنَ إِنْ لَمْ
يُقْتَلْ ، وَذَهَبَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا ، وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطَايَاهُ ، وَنَدِمَ - وَاللَّهِ - حَيْثُ لَا يَفْنِي النَّدَمَ .
وَنَحْنُ آيِسُونَ الْيَوْمَ مِنْ وَجُودِ إِمَامٍ رَاشِدٍ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ ، فَإِنْ يَشْرِقُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ بِإِمَامٍ فِيهِ
كَرَّةٌ مُحَاسِنٌ ، وَفِيهِ مَسَاوِيٌ قَلِيلَةٌ قَمَنْ لِنَابِهِ ؟

اللَّهُمَّ فَأَصْلِحِ الرَّاعِيَّ وَالرِّعْيَةَ ، وَارْحَمْ عِبَادَكَ ، وَوَفِّقْهُمْ ، وَأَيِّدْ سُلْطَاتَهُمْ وَأَعْنِهِ بِتَوْفِيقِكَ ^(١)
وَقَالَ أَيْضًا فِي تَرْجُمَةِ النَّاصِرِ لَدِينِ اللَّهِ الْمُرَوَّانِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٣٥٠) : " وَإِذَا
كَانَ الرَّأْسُ عَالِيَّ الْهِيمَةِ فِي الْجِهَادِ ، احْتَمَلَتْ لَهُ هَنَاتٌ ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ، أَمَا إِذَا أَمَاتَ الْجِهَادَ
وَوَلَّيْتَ الْعِبَادَ ، وَلِلْخَزَائِنِ أَبَادٌ فَإِنَّ رِيكَ لِبِئْسَ الْمُرْصَادِ " ^(٢)
وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي سَلَمٍ الْخُرَاسَانِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٧) : " فَالِدَوْلَةُ الظَّالِمَةُ مَعَ الْأَمْنِ
وَحَقْنِ الدَّمَاءِ ، وَلَا دَوْلَةَ عَادِلَةٍ تَنْتَهِكُ دُونَهَا الْمَحَارِمَ " ^(٣)

*

*

*

(١) سِير ٢٠ / ٤١٨ .

(٢) سِير ١٥ / ٥٦٤ .

(٣) سِير ٦ / ٥٨ .

المطلب السابع

نقد الكتب

ذكر الذهبي في تراجم كتابه ما يتعلق بالكتب والمؤلفات وانتقد كثيراً من المؤلفات وأثنى على بعضها الآخر كما وصف بعض الكتب ويثنى مناهجها بإيجاز، وذكر الكتب التي يجب على المحدث أن يمتني بتحصيلها وقراءتها .
ومن الكتب التي امتدحها وأثنى عليها :

- ١ - طبقات ابن سعد : قال في ترجمة محمد بن سعد بن منيع المتوفى سنة (٢٣٠) : " - وكان من أوعية العلم ، ومن نظر في الطبقات خضع لعلمه " (١)
- ٢ - نسب قريش : قال في ترجمة الزبير بن بكار المتوفى سنة (٢٥٦) : " وهو مصنف كتاب " نسب قريش " وهو كتاب نفيس " (٢)
- ٣ - مسند يعقوب بن شيبة المتوفى سنة (٢٦٢) : قال في ترجمة يعقوب بن شيبة : " صاحب المسند الكبير ، العديم النظير ، المجلد ، الذي تم من مسانيد نحو من ثلاثين مجلداً ، ولو كمل لجاء في مئة مجلد " وقال أيضاً : " ويخرج العالي والنازل ، ويذكر أولاً سيرة الصحابي — مستوفاة ، ثم يذكر ما رواه ، ويوضح علل الأحاديث ، ويتكلم على الرجال ، ويجرح ويمدح ، بسلام مفيد عذب شاف ، بحيث إن الناظر في مسنده لا يمل منه " (٣)
- ٤ - تاريخ أبي زرعة الدمشقي : قال في ترجمة أبي زرعة الدمشقي المتوفى سنة (٢٨١) : " - قلت : لأبي زرعة تاريخ مفيد في مجلد " (٤)
- ٥ - مسائل حرب : قال في ترجمة حرب بن إسماعيل الكرماني المتوفى سنة (٢٨٠) : " قلت مسائل حرب من أنفس كتب الحنابلة ، وهو كبير في مجلد " (٥)

(١) سير ١٠ / ٦٦٥

(٢) سير ١٢ / ٣١٢

(٣) سير ١٢ / ٤٧٦ - ٤٧٧

(٤) سير ١٣ / ٣١٤

(٥) سير ١٣ / ٢٤٥

٦ - كتاب السنّة: في ترجمة شيخ الحنابلة أبي بكر أحمد بن محمد الخلال المتوفى سنة (٣١١) : " وألف كتاب السنّة وألّف أحمد والدليل على ذلك من الأحاديث في ثلاث مجلدات، تدل على إمامته وسعة علمه ، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل ، حتى تتبّع هــو نصوص أحمد ، ودونها ورهنها بعد الثلاث مئة " (١)

٧ - أطراف الموطأ للدارقطني : في ترجمة الإمام مالك قال الذهبي : " وفي " الموطأ " عدة مراسيل أيضاً عن الزهري ، ويحيى الأنصاري ، وهشام بن عروة ، عمل الإمام الدارقطني جميع ذلك في جزء كبير فشفق وبيّن " (٢)

٨ - علل الحديث للساجي : في ترجمة محدّث البصرة زكريا بن يحيى الساجي ت (٣٠٧) : وللساجي مصنف جليل في علل الحديث يدل على تبحره وحفظه " (٣)

٩ و ١٠ و ١١ - " العلل " لابن المديني ، والخلال ، وابن أبي حاتم : قال الذهبي في ترجمة الإمام الحميدى الأندلسي المتوفى (٤٨٨) : " قلت : وجّع كتاب العلل " في عدّة كتب عليّ بن المديني إمام الصنعة ، وجّع أبو بكر الخلال ما وقع له من علل الأحاديث التي تكلم عليها الإمام أحمد ، فجاء في ثلاثة مجلدات ، وفيه فوائد جمة ، وألف ابن أبي حاتم كتاباً في العلل في مجلّد كبير " (٤)

١٢ - المحدّث الفاضل : في ترجمة الإمام الراهمزي ، الحسن بن عبد الرحمن بن خـلـاد المتوفى بعد سنة (٣٥٠) : " مصنف كتاب ، المحدّث الفاضل بين الراوي والواعي " في علوم الحديث ، وما أحسنه من كتاب ؛ قيل : إنّ السلفي كان لا يكاد يفارق كُـمـه ، يعني في بعض عمره وقال أيضاً : " وكتابه المذكور ينبيء بإمامته " (٥)

(١) سير ٢٩٨ / ١٤

(٢) سير ٥٢ / ٨

(٣) سير ١٩٩ / ١٤

(٤) سير ١٢٤ / ١٩

(٥) سير ٧٣ / ١٦

١٣ - جلود السباع للإمام سلم : فى ترجمة الإمام الحافظ الكبير أبي على الحسين بسن محمد الماسرجسي النيسابورى المتوفى سنة (٣٦٥) : " وأبوه هو أبو أحمد من أصحاب محمد ابن يحيى الذهلى ، حَدَّثَ بكتاب "جلود السباع" فى خمسة أجزاء ، تأليف سلم عنه ، وهو كتاب نفير بالمرّة " (١)

١٤ - جزء فيه أحاديث معللة لأبي سمعود الدمشقى ، قال الذهبى فى ترجمة أبي سمعود إبراهيم بن محمد الدمشقى المتوفى سنة (٤٠١) : " وقفت على جزء فيه أحاديث معللة لأبي سمعود يقضى بإمامته " (٢)

١٥ - أوهام كتاب "المدخل الى الصحيح" : فى ترجمة الإمام عبد الفنى بن سعيد الأزدى المتوفى سنة (٤٠٩) : " ولعبد الفنى جزء يبين فيه أوهام كتاب "المدخل الى الصحيح" للحاكم يدل على إمامته وسعة حفظه " (٣)

١٦ - بيان الوهم والايهام الواقعيين فى كتاب الأحكام : قال فى ترجمة الحافظ عبد الحق الإشبلى المتوفى سنة (٥٨٢) : وصنف الحافظ القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الحميدى الكتامي الفاسى المشهور بابن القطان كتاباً نفيساً فى مجلدين سَمَّاهُ : " الوهم والايهام فيما وقع من الخلل فى الأحكام الكبرى " لعبد الحق . يناقشه فيما يتعلّق بالعلل والجرح والتعديل ، طالعته وعلقت منه فوائد جليّة " (٤)

وقال فى ترجمة أبي الحسن علي بن محمد الفاسى المعروف بابن القطان المتوفى سنة (٦٢٨) : " قلت : علقت من تأليفه كتاب " الوهم والايهام " فوائد تدل على قوة ذكائه ، وسيلان ذهنه ، ومصره بالعلل ، لكنه تعنت فى أماكن ، وليّن هشام بن عروة ، وسهيل بن أبى صالح ونحوهما (٥)

(١) سير ٢٨٨/١٦

(٢) سير ٢٢٩/١٧

(٣) سير ٢٧٠/١٧

(٤) سير ٢٠٠/٢١ وقول الحافظ الذهبى هنا وفى تذكرة الحفاظ ٤٠٧/٤ أن كتاب ابن القطان وضع على الأحكام الكبرى لعبد الحق وهم بل موضوع على كتاب "الأحكام الوسطى" وانظر مقدمة المحقق الأستاذ مهيب صالح لكتاب "الأحكام الكبرى" ٢٤/١ - ٢٥

(٥) سير ٣٠٧/٢٢

١٧ - الأربعمون البلدانية : فى ترجمة الحافظ أبى يعقوب، يوسف بن أحمد الشيرازى -

المتوفى سنة (٥٨٥) : " صاحب الأربعمون البلدانية . وقد أجاد تأليف الأربعمون وهبى فى مجلد " (١)

١٨ - المستدرك على الإكمال : فى ترجمة الحافظ أبى بكر محمد بن نقطة المتوفى سنة

(٦٢٩) : " وألف مستدركا على الإكمال لابن ماكولا ، يدل على سعة معرفته " (٢)

١٩ - ذيل تاريخ بغداد : فى ترجمة الحافظ البارح محب الدين أبى عبد الله محمد بن

محمود ابن النجار المتوفى (٦٤٣) : وعمل تاريخاً حافلاً لبغداد ذيل به واستدرك على الخطيب، وهو متي جزئ ، ينبى بحفظه ومعرفته " (٣)

٢٠ - تفسير ابن جرير : قال الذهبي فى ترجمة الإمام عبد الله بن الإمام أحمد المتوفى

سنة (٢٩٠) : " وقد اشتهر ببغداد " تفسير ابن جرير " وتزاحم على تحصيله العلماء ، وسارت به الركبان ، ولم تعرف مثله فى معناه ، ولا ألف قبله أكبر منه ، وهو فى عشرين مجلدة ، وما يمتثل أن يكون عشرين ألف حديث ، بل لعله خمسة عشر ألف إسناد ، فخذ ، فخذ ، إن شئت " (٤)

وقال فى ترجمة الامام ابن جرير المتوفى سنة (٣١٠) : " وهذا تفسير هذا الإمام مشحون

فى آيات الصفات بأقوال السلف على الإثبات لها ، لا على النفي والتأويل ، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين أبداً " (٥)

٢١ - تفسير ابن المنذر : فى ترجمة الإمام أبى بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر المتوفى سنة

(٣١٨) : " ولابن المنذر تفسير كبير فى بضعة عشر مجلداً ، يقضى له بالإمامة فى علم التأويل أيضاً " (٦)

(١) سير ٢١ / ٢٤١

(٢) سير ٢٢ / ٣٤٨

(٣) سير ٢٣ / ١٣٢

(٤) سير ١٣ / ٥٢٢

(٥) سير ١٤ / ٢٨٠

(٦) سير ١٤ / ٤٩٢

كما أثنى على تصانيف الإمامين الطحاوي والبيهقي .

* في ترجمة الإمام الحافظ الكبير أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المتوفى (٣٢١) : " قلت : من نظرفي تواليف هذا الإمام علم محله من العلم وسعة معارفه " (١)

* وفي ترجمة الإمام البيهقي ، أحمد بن الحسين المتوفى (٤٥٨) : نقل رؤيا في مكانة تصنيفات البيهقي وقال : " قلت : هذه رؤيا حق ، فتصانيف البيهقي عظيمة القدر ، غزيرة الفوائد قلَّ من جود تواليفه مثل الإمام أبي بكر فينبغي للعالم أن يمتتي بهؤلاء لاسيما سننه الكبير " (٢)
كما أثنى على كتابه " دلائل النبوة " فقال " فعليك - يا أخي - بكتاب " دلائل النبوة " للبيهقي فإنه شفاء لما في الصدور وهدى ونور " (٣)

وتكلم الذهبي على بعض الكتب النافعة وانتقد بعض مافيها من أوهام :

١ - كتاب الإرشاد للخليلي في ترجمة أحمد بن موسى التميمي الكوفي المتوفى (٢٨٦) : - وللخليلي أوهام كثيرة في كتابه ، كأنه أملاه من حفظه " (٤)

٢ - سيرة ابن إسحاق : وفي ترجمة الإمام محمد بن إسحاق المتوفى (١٥١) : " قال يحيى - ابن سعيد عن وهب بن جرير الذي كتب سيرة ابن اسحاق : يكتب كذباً كثيراً .
قلت : كان وهب بن جرير يرويها عن أبيه عن ابن اسحاق ، وأشار يحيى القطان إلى ما في السيرة من الواهي من الشعر ، ومن بعض الآثار المنقطعة المنكرة ، فلو حُذِفَ منها ذلك لحسنت وثُمَّ أُحَادِثَ جَمَّةٌ في الصحاح والسانيد ما يتعلق بالسيرة والمغازي ينبغي أن تضم إليها وترتب ، وقد فعل غالب هذا الإمام أبو بكر البيهقي في " دلائل النبوة " له " (٥)

٣ - مسند أبي حنيفة ، في ترجمة الإمام الفقيه المحدث عبد الله بن محمد البخاري الحنفي

(١) سير ٣٠ / ١٥ .

(٢) سير ١٦٨ / ١٨ وقد اثنى على " السنن الكبرى " للبيهقي ١٩٣ / ١٨ وسيأتي كلامه .

(٣) سير ٢١٦ / ٢٠ .

(٤) سير ٣٧٦ / ١٣ - ٣٧٧ .

(٥) سير ٥٢ / ٧ .

المشهور بعبد الله الأستاذ المتوفى سنة (٣٤٠) : " قلت : قد أُلّف مسنداً لأبي حنيفة الإمام وتعَب عليه ، ولكن فيه أوابد ماتَّقوها بها الإمام ، راجت على أبي محمد " (١)

٤ - صحيح ابن حبان " التقاسيم والأنواع " : في ترجمة الإمام العلامة الحافظ أبي حاتم محمد بن حَبَّان البُسْتِي المتوفى سنة (٣٥٤) : " في تقاسيمه من الأقوال والتأويلات البعيدة والأحاديث المنكرة ، عجائب ، وقد اعترف أنَّ صحيحه " لا يقدر على الكشف منه إلا مَنْ حَفِظَه ، كمن عنده مصحف لا يقدر على موضع آية يريد ها منه ، إلا من يحفظه " وقد ساق من خُطِّ الحافظ الضياء المقدسي جزءاً طُفِّ في مأخذه على كتاب ابن حَبَّان " (٢)

٥ - كتاب الشافعي لفلان الخلال : في ترجمة شيخ الحنابلة أبي بكر عبد العزيز بن جعفر البغدادي الفقيه غلام الخلال المتوفى سنة (٣٦٣) : " وكان كبير الشأن من بحور العلم ، لسه الباع الأطول في الفقه ومن نظر في كتابه " الشافعي " عرَّف محله من العلم لولا ما بشَّعه بقص بعض الأئمة ، مع أنه ثقة فيما ينقله " (٣)

٦ - انتخاب أبي حفص البصري لكتاب أبي بكر الشافعي : في ترجمة الإمام المحدث مفيد بغداد أبي حفص عمر بن جعفر البصري الورَّاق المتوفى سنة (٣٥٧) : " وكان الدارقطني يتَّبِع خطاه في انتخابه على الشافعي ، وعمل في ذلك رسالة في خمس كراريص ، ويَتَّبِع أغاليظه في أشياء عديدة يخالف فيها أصول أبي بكر الشافعي ، فتأملتها ، فرأيت فعله / تفعل ، لا يعني ما ينتخب ، فيصحف ويُسَرِّط من الإسناد ، ودون ذلك يضعف المحدث " (٤)

٧ - كتاب الضعفاء للأزدي ، في ترجمة الحافظ البار محمد بن الحسين الأزدي الموصلي المتوفى (٣٧٤) : " صاحب كتاب الضعفاء ، وهو مجلَّد كبير . " قلت : وعليه في كتابه في الضعفاء مؤخذات ، فإنه ضَعَّف جماعة بلا دليل ، بل قد يكون غيره وتَقَسَّم " (٥)

(١) سير ٤٢٥ / ١٥

(٢) سير ٩٧ / ١٦ و ٩٨ - ١٠٢

(٣) سير ١٤٤ / ١٦

(٤) سير ١٧٣ / ١٦

(٥) سير ٣٤٨ / ١٦

٨ - كتاب الخلية لأبي نُعيم : في ترجمة أبي الحسن ، على بسم الله محمد اللبان المتوفى (٤٦٨) : نقل عن السمعاني أنَّ أبا الحسن بن اللبان قرا في الخلية إلى أن انتهى إلى ذكر فلان ، وكان في المجلس حنفي ، فسعى بالشيخ إلى القاضي ، ورفع الأمر إلى السلطان فأمر الشيخ بلزوم بيته ، وأغلق مسجده ، ومنع من التحديث . قلت : قد شان أبو نعيم كتابه بذلك . (١)

٩ - " منازل السائرين " : في ترجمة أبي إسماعيل الأنصاري المتوفى سنة (٤٨١) : " له نفس عجيب لا يشبه نفس أئمة السلف في كتابه " منازل السائرين " ، ففيه أشياء مُطرية ، وفيه أشياء مُشكلة ، ومن تأمله لاح ما أشرت إليه ، والسنة المجدية صُلغة ، ولا ينهض الذوق والوجد إلا على تأسيس الكتاب والسنة . (٢)

١٠ - الفاروق في الصفات " وفي ترجمة أبي إسماعيل الأنصاري أيضاً : " وكان طَوْداً راسيلاً في السنة لا يتزلزل ولا يلين ، لولا ما كدّر كتابه " الفاروق في الصفات " بذكر أحاديث باطلة يجب بيانها وهتكها ، والله يفرّله بحسن قصده . (٣)

١١ - " كتاب السنة " في ترجمة أبي عمر الطلمنكي المتوفى سنة (٤٢٩) : " رأيت له كتاباً في السنة في مجلدين عامته جيد ، وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه أبداً ، مثل : باب الجنب لله وذكر فيه : (يا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) فهذه زَلَّةٌ عالم . (٤)

١٢ - " تجريد الصحاح " في ترجمة الإمام المحدث رزين بن معاوية القُبْدري الأندلسي صاحب كتاب " تجريد الصحاح " المتوفى سنة (٥٣٥) : " قلت : أُدخل في كتابه زيادات واهية لو تنسّره عنها لأجار . (٥)

١٣ - " إحياء علوم الدين " : في ترجمة الإمام الفزالي المتوفى سنة (٥٠٥) : " قلت : أما إحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جُملة ، وفيه خير كثير لولامافيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق

(١) سير ١٨ / ٣٧٠

(٢) سير ١٨ / ٥٠٩ . و ص لفة : " اي شديدة .

(٣) سير ١٨ / ٥٠٩

(٤) سير ١٢ / ٥٦٩ والاية من سورة الزمر ٥٦ .

(٥) سير ٢٠ / ٢٠٥

الحكماً ومنحرفي الصوفية ، نسأل الله علماً نافعاً .

١٣ - "كتاب الشفا" : في ترجمة القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة (٥٤٤)
 " قلت : تواليفه نفيسة وأجلها وأشرفها كتاب " الشفا " لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفصلة ،
 عمل إمام لا نقدر له في فن الحديث ولا ذوق ، والله يشيه على حسن قصده ، وينفع بشفائهم ،
 وقد فعل . . . ونبينا صلى الله عليه وسلم غني بمداحة التنزيل عن الأحاديث ، وما تواتر من
 الأخبار عن الآحاد ، والآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات ، فلماذا يقوم بتشبيح
 بالموضوعات فيتطرق إلينا مقال ذوي الفل والحسد ، ولكن من لا يعلم معذور ، فعليكم
 - يا أخي - بكتاب " دلائل النبوة " للبيهقي ، فإنه شفاء لما في الصدور وهدى ونور . (٢)
 كما انتقد مؤلفات بعض الأئمة إجمالاً :

ففي ترجمة أبي عبد الرحمن السُّلَكي المتوفى سنة (٤١٢) : " قلت : وللمُلَكي سـُـؤالات
 للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سـُـؤال عارف . وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات
 موضوعة . . . (٣)

وفي ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده المتوفى سنة (٤٧٠) : " وهو فـِـي
 تـُـواليفه حاطب ليل ، يروي القَتَّ والسَّمين ، ويُنظِّم رديع الخَرَز مع الدُّر الشَّمين " (٤)
 وفي ترجمة الإمام الحافظ ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧) : " قال الموفق عبد اللطيف
 في تأليف له . . . وكان كبير الفلظ فيما يصنّفه ، فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره . قلت :
 هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف ، وصنّف شيئاً لو عاش عمرًا

(٢) سير ٢٠ / ٢١٦ .

(١) سير ١٩ / ٣٤٠ .

(٤) سير ١٨ / ٣٥٤ .

(٣) سير ١٧ / ٢٥٢ .

(*) وكتاب " دلائل النبوة " للبيهقي لا يخلو أيضا من الواهيات والمناكير ، بل والموضوعات

وان قال البيهقي رحمه الله تعالى في خطبة كتابه مقال . فلماذا لم ينتقده الذهبي؟

ثانيا ، لما لحق أن يحرره ويتقنه . (١)

وانتقد الذهبي بعض الكتب لغليلة الأحاديث الموضوعة والأخبار المنكرة وغير ذلك ، ومن

هذه الكتب :

١ - " كتاب المبتدأ " : في ترجمة أبي حذيفة إسحاق بن بشر الهاشمي المتوفى سنة

(٢٠٦) : " مصنف كتاب " المبتدأ " وهو كتاب مشهور في مجلدتين ، ينقل منه ابن جرير فمن

دونه ، تحدث فيه ببلايا وموضوعات . (٢)

٢ - الدياج : في ترجمة إسحاق بن إبراهيم الختلي المتوفى سنة (٢٨٣) : " مصنف

كتاب " الدياج " قلت : وفي كتابه الدياج أشياء منكرة . (٣)

٣ - مثالب الأشعرى : في ترجمة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعرى المتوفى سنة

(٣٢٤) : " وقد أُلّف الأهوazy جزءاً في مثالب ابن أبي بشر فيه أكاذيب " . (٤)

٤ - كتاب الصفات : وفي ترجمة أبي علي الأهوazy المتوفى سنة (٤٤٦) : " وأُلّف

كتاباً طويلاً في الصفات ، فيه كذبٌ ، ومما فيه حديث عرق الخيل ، وتلك الفضائح ، فسبّه علماء الكلام وغيرهم . (٥)

٥ - حقائق التفسير : في ترجمة أبي عبد الرحمن السُّلَبي : " وفي " حقائق تفسيره " أشياء

لا تسوغ أصلاً ، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقة . نعوذ بالله

من الضلال ، ومن الكلام بهوى ، فإنّ الخير كلّ الخير في متابعة السنة ، والتميّك بهدي الصحابة

والتابعين رضي الله عنهم " وقال أيضاً : " وحقائقه قرمطة ، ومأظنه يتعمّد الكذب ، بل يـسـروى -

عن محمد بن عبد الله الرازي الصوفي أباطيل ، وعن غيره :

(١) سير ٣٧٨/٢١

(٢) سير ٤٧٨/٩ . وقال الخطيب البغدادي في الجامع ١٦٠/٢ : " ويترك المنتخب أيضاً

الاشتغال بأخبار الأوائل ، مثل كتاب " المبتدأ " ونحوه ، فإنّ الشغل بذلك غير نافع ، وهو

عن التوفّر على ما هو أولى قاطع " انتهى

(٣) سير ٣٤٣/١٣

(٤) سير ٨٩/١٥

(٥) سير ١٥/١٨

قال الامام تقى الدين ابن الصلاح فى فتاويه : وجدت عن الإمام الواحدى أنه قال جَنَّفَ أبو عبد الرحمن الشَّكَنِي " حقائق التفسير " فإن كان اعتقد أنَّ ذلك تفسير فقد كفر ، قلت : واغوثاه واغوثاه " (١)

٦ - تفسير الحرَّالي : فى ترجمة العلامة أبي الحسن علي بن أحمد الحرَّالي المتوفى (٦٣٧) وعمل تفسيراً عجيباً ملأه باحتمالات لا يحتطه الخطاب العربى أصلاً ، وتكلم فى علم الحروف والأعداد وزعم أنه استخرج منه وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها . . . فمن شاء فليُنظَر فى تواليفه فإنَّ فيها المعظام " (٢)

٧ - نهج البلاغة : فى ترجمة الشريف المرتضى ، علي بن حسين بن موسى المتوفى سنة (٤٣٦) قلت : هو جامع كتاب " نهج البلاغة " المنسوبة ألقاظه إلى الإمام علي رضى الله عنه ، ولا أساس له لذلك ، وبعضها باطل ، وفيه حق ، ولكن فيه موضوعات ، حاشا الإمام من النطق بها ، ولكن أين المنصف ؟ وقيل : بل جمع أخيه الشريف الرضى " (٣)

٨ - رسالة الغفران : فى ترجمة أبي العلاء المصري المتوفى سنة (٤٤٩) : " ومن أردأ تواليفه " رسالة الغفران " فى مجلد ، قد احتوت على مَزْدَكَة وفراغ " (٤)

٩ - كتاب خَلَع التَّعْلِينَ : فى ترجمة أحمد بن وقشي " مؤلَّف كتاب " خَلَع التَّعْلِينَ " فيه مصائب ومدح " (٥)

١٠ - فضائل يزيد بن معاوية : فى ترجمة عبد المغيث بن زهير البغدادي المتوفى سنة (٥٨٣) : " وقد أَلَفَ جزءاً فى " فضائل يزيد " أتى فيه بمجائب وأوايد ، لو لم يؤلفه لكان خيراً وعمله رداً على ابن الجوزى ووقع بينهما عداوة " (٦)

١١ - فصوص الحكم : فى ترجمة محيى الدين ابن عَرَبي الطائى المتوفى سنة (٦٣٨) : " ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص " فإن كان لا كُفَر فيه ، فما فى الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله : " وقال أيضاً : " ولا ريب أنَّ كثيراً من عباراته له تأويل إلا كتاب الفصوص " (٧)

(١) سير ٢٥٢/١٧ و ٢٥٥ (٢) سير ٤٧/٢٣ وانظر تنمة كلامه فى نفس الصفحة

(٣) سير ٥٨٩/١٧ (٤) سير ٢٥/١٨

(٥) سير ٣١٦/٢٠ (٦) سير ١٦٠/٢١

(٧) سير ٤٨/٢٣ و ٤٩

كما صَحَّح ما وقع في الكتب من أخطاء وأوهام ، ومن أمثلة ذلك :

في ترجمة أبي إسماعيل الأنصاري المتوفى (٤١٨) : " قال المؤتمن الساجي ، قرأت عليه كتاب " ذم الكلام " روى فيه حديثاً عن علي بن بشير ، عن ابن سنده ، عن إبراهيم بن مرزوق . فقلت له : هو هكذا ؟ قال : نعم ، وابن مرزوق هو شيخ الأصم وطبقته ، وهو إلى الآن في كتابه على الخطأ .

قلت : نعم ، وكذا أسقط رجلين من حديثين خرجهما من " جامع الترمذي " نتهت عليهما في نسختي ، وهي على الخطأ غير نسخة "

ثم ساق بسنده من طريق أبي إسماعيل الأنصاري الحديثين وقال عقبهما : " فهذان الحديثان اللذان أسقطتهما أبو إسماعيل رجلاً رجلاً ، فالأول : سقط فوق ابن بشار ، أبو داود الطيالسي والثاني : سقط منه رجل ، وهو أبو الوليد الطيالسي ، عن يزيد " (١)

كما أنه تكلم ببعض الكتب ووصفها وبين طريقة مؤلفيها ومنهجهم بإيجاز ، ومن أمثلة ذلك :

١ - في ترجمة الوليد بن مسلم : " قال ابن جوصا الحافظ : « ومصنفاته سبعون كتاباً . قلت : كتبه أجزاء ، ما أظن فيها ما يبلغ مجلداً " (٢)

٢ - عوالي أبي نعيم : في ترجمة الحافظ أبي نعيم الفضل بن دكين المتوفى سنة (٢١٩) : " وحديث أبي نعيم كثير الوقوع في الكتب والأجزاء ، وقد جمع أبو نعيم الحافظ ما وقع له عالياً من حديث أبي نعيم الملائى في جزء من طرق مختلفة ، صدره بما حدثه ابن فارس عن ابن الفرات وسؤويه ، كلاهما عنه ، وعدة ذلك ثمانية وسبعون حديثاً ، بعضها آثار " (٣)

٣ - المدونة : في ترجمة الإمام سحنون ، عبد السلام بن حبيب القيرواني المالكي المتوفى سنة (٢٤٠) : " صاحب المدونة ، وأصل المدونة أسئلة سألها أسد بن الفرات لابن القاسم ، فلمَّا ارتحل سحنون بها عرضها على ابن القاسم ، فأصلح فيها كثيراً ، وأسقط ، ثم رتبها سحنون ، —

(١) سير ٥٠٥ / ١٨ - ٥٠٦ و ٥١٨

(٢) سير ٢١٥ / ٩

(٣) سير ١٥٣ / ١٠

صَوَّبَهَا . واحتجَّ لكثيرٍ من مسائلها بالآثار من مروياته ، مع أنَّ فيها أشياء لا ينهض دليلها — بل رأيٌ مَحْضٌ ، وحكوا أنَّ سُنَّون في أواخر الأمر عُلِّمَ عليها ، وهم بإسقاطها وتهذيب المدونة " فأثركته المنية رحمه الله . فكبراء المالكية يعرفون تلك المسائل ، ويقرِّبون منها ما قدرُوا عليه ، ويوهفون ماضع دليله ، فهي لها أسوةٌ بغيرها من نواوين الفقه ، وكلُّ أحدٍ فيؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب ذلك القبر صلى الله عليه وسلم تسليمًا فالعلم بحر بلا ساحل ، وهو مُفَرَّق في الأمة ، موجودٌ لمن التمسهُ " (١)

٤ - مسند الحارث بن أبي أسامة : في ترجمة الحارث بن محمد بن أبي أسامة المتوفى سنة (٢٨٢) : صاحب المسند المشهور ، ولم يرتبه على الصحابة ولا على الأبواب " (١)

٥ - المنتقى في السنن لابن الجارود : في ترجمة ابن الجارود ، عبد الله بن علي بن — الجارود النيسابوري المتوفى سنة (٣٠٧) : " صاحب كتاب " المنتقى في السنن " مجلد واحد في الأحكام ، لا ينزل فيه عن رتبة الحسن أبداً ، إلا في النادر في أحاديث يختلف فيها اجتهاد الناقد " (٢)

٦ - تفسير ابن شاهين : في ترجمة عمر بن أحمد البغدادي ، ابن شاهين المتوفى سنة (٣٨٥) : " وَجَّعَ وَصَّفَ الكثير ، وتفسيره في ثَيفٍ وعشرين مجلداً كله بأسانيد . قلت : وتفسيره موجود بمدينة واسط اليوم " (٤)

٧ - معاجم الطبراني : في ترجمة الإمام سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠) عن مئة سنة : " ومن تواليفه : " المعجم الصغير " في مجلد ، عن كل شيخ حديث ، و " المعجم الكبير " وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رَوَوْه ، لكن ليس فيه مسند أبي هريرة ، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين ، في ثمان مجلدات ، و " المعجم الأوسط " على مشايخه المكربين ، وغرائب ما عنده عن كل واحد ، يكون خمس مجلدات ، وكان الطبراني — فيما بلغنا — يقول عن الأوسط : هذا الكتاب روعي " (٥)

(٢) سير ٣٨٨ / ١٣

(٤) سير ٤٣٤ / ١٥

(١) سير ٦٨ / ١٢

(٣) سير ٢٣٩ / ١٤

(٥) سير ١٢٢ / ١٦

٨ - الكامل لابن عدي : في ترجمة الإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة (٣٦٥) : " صاحب كتاب " الكامل " في الجرح والتعديل ، وهو خمسة أسفار كبار . قلت : يذكر في " الكامل " كل من تُكَلِّم فيه بأدنى شيء لو كان من رجال " الصحيحين " ، ولكنه ينتصر له إذا أمكن ، ويروي في الترجمة حديثاً أو أحاديث ما استنكر للرجل ، وهو مُنْصِف في الرجال بحسب اجتهاده . " (١)

٩ - تاريخ بغداد للخطيب : في ترجمة الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣) : " قال السمعاني : سمعت من ستة عشر نفساً من أصحابه ، سمعت الخطيب يقول : كلما ذكرت في التاريخ رجلاً اختلفت فيه أقاويل الناس في الجرح والتعديل ، فالتعديل على ما أخبرت وختمت به الترجمة . " (٢)

كما بين الذهبي الكتب التي ينبغي أن يحصلها العالم ويكثر المطالعة فيها :

- قال في ترجمة الإمام ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة (٤٥٦) : " قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام - وكان أحد المجتهدين - : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم ، مثل " المحلى " لابن حزم ، وكتاب " المغني " للشيخ موفق الدين .
قلت : لقد صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما : " السنن الكبير " للبيهقي ، ورابعهما : " التمهيد " لابن عبد البر ، فمن حصل هذه الدواوين ، وكان من أذكى المفتين ، وأدق المُنْصِف المطالعة فيها ، فهو العالم حقاً . " (٣)

وذكر الذهبي الكتب التي يجب على المحدث أن يمتنى بها

قال في ترجمة الحميدي الأندلسي المتوفى سنة (٤٨٨) : " قال محمد بن طرخمان : سمعت الحميدي يقول : ثلاث كتب من علوم الحديث يجب الاهتمام بها : كتاب العلل ، والثاني : كتاب المؤتلف والمختلف ، وأحسن ما وضع فيه " الإكمال " للامير ابن ماكولا ، وكتاب وقفيات المشايخ . قال الحميدي : وقد كنت أردت أن أجمع فيه كتاباً ، فقال لي الامير : رتبته على حروف المعجم بعد أن ترتبه على السنين .

قلت : قد جَمَعَ الحافظ أبو يعقوب القُرَّاب في ذلك كتاباً ضخماً ، ولم يستوعب ولا قارب ، وجمع في ذلك أبو القاسم عبد الرحمن بن منده الأصبهاني كتاباً كبيراً منشوراً ، وعلى ما أشار إليه الأمير أبو نصر ، عطلت أنا " تاريخ الإسلام ، كافٍ في معناه فيما أحسب ، ولم يكن عندى تواريخ كثيرة ما قد سمعت بها بالعراق ، وبالمغرب ، وبترصد مراغة ، ففاتني جملة وافرة " (١)

تذكيره نسبة بعض الكتب الى مؤلفيها :

ومن أنواع النقد عند الحافظ الذهبي أنه نفى صحة نسبة بعض الكتب الى مؤلفيها ومن أمثلة ذلك :

١ - " رسالة الإمام مالك الى الرشيد " في ترجمة الإمام مالك : " وله رسالة آداب الشري الرشيد ، إسنادها منقطع ، قد أنكرها إسماعيل القاضي وغيره ، وفيها أحاديث لاتعرف . قلت : هذه الرسالة موضوعة ، وقال القاضي الأبهري : فيها أحاديث لو سمع مالك من يحدث بها لأدبته " (٢)

٢ - " رحلة الشافعي " ، في ترجمة الإمام الشافعي : " سمعنا جزءاً في رحلة الشافعي ، فلم أسق منه شيئاً لأنه باطل لمن تأمله ، وكذلك عزي إليه أقوال وأصول لم تثبت عنه ، ورواية ابن عبد الحكم عنه في محاشئ النساء منكورة ، ونصوصه في تواليفه بخلاف ذلك . وكذا وصية الشافعي من رواية الحسين بن هشام البلدي غير صحيحة " (٣)

٣ - " تفسير الإمام أحمد بن حنبل " ، قال الذهبي في ترجمة عبد الله بن أحمد بن حنبل : " وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي : لم يكن في الدنيا أحداً روى عن أبيه من عبد الله بن أحمد ، لأنه سمع منه " المسند " ، وهو ثلاثون ألفاً ، والتفسير ، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً ، سمع منه ثمانين ألفاً ، والباقي وجادة . .

قلت : ما زلنا نسمع بهذا التفسير الكبير لأحمد على السنة الطلبة ، وعمدتهم حكاية ابن المنادي هذه ، وهو كبير قد سمع من جده ، وعباس الدوري ، ومن عبد الله بن أحمد ، لكن ما رأينا أحداً أخبرنا عن وجود هذا " التفسير " ولا بعضه ولا كراسة منه ، ولو كان له وجود ،

(١) سير ١٢٤/١٩ - ١٢٥

(٢) سير ٧٨/١٠ - ٧٩

(٣) سير ٨٩/٨

أولش منه لنسخوه ، ولا عني بذلك طلبة العلم ، ولحصلوا ذلك ، ولنقل إلينا ، ولاشتهر ولتنافس أعيان البفداد بين في تحصيله ، ولنقل منه ابن جرير فمن بعده في تفاسيرهم ولا - والله - يقتضي أن يكون عند الإمام أحمد في التفسير مئة ألف وعشرون ألف حد يثبت فإن هذا يكون في قدر مسنده ، بل أكثر بالضعف ، ثم الإمام أحمد لو جمع شيئاً في ذلك لكان يكون منقحاً مهذباً عن المشاهير ، فيصغر لذلك حجمه ، ولكن يكون نحواً من عشرة آلاف حديث بالجهد ، بل أقل .

ثم الإمام أحمد كان لا يرى التصنيف ، وهذا كتاب " المسند " له ، لم يصنفه هو ، ولإثرته ، ولا اعتنى بتهذيبه ، بل كان يرويه لولده نسخاً وأجزاءً ويأمره : أن يضع هذا في مسند فلان ، وهذا في مسند فلان . وهذا " التفسير " لا وجود له ، وأنا أعتقد أنه لم يكن ، فبفداد لم تنزل دار الخلفاء ، وقبة الإسلام ، ودار الحديث ، ومحلة السنن ، ولم يزل أحمد فيها معظماً في سائر الأعصار ، وله تلامذة كبار ، وأصحاب أصحاب ، وهلم جراً إلى بالأسس ، حين استباحها جيش المفلول ، وجرت بها من الدماء سيل ، وقد اشتهر ببفداد تفسير " ابن جرير " وتزاحم على تحصيله العلماء ، وسارت به الركبان ، ولم نعرف مثله في معناه ، ولا ألف قبله أكبر منسـه وهو في عشرين مجلدة ، وما يحتمل أن يكون عشرين ألف حديث ، بل لعنه خمسة عشر ألف إسناد فخذ فعه ابن شئت " (١) -

٤٥٥ و ٦ : رسالة الإصطخرى ، والرد على الجهمية ، ورسالة المسي صلاته : اورد الذهبي في ترجمة الإمام أحمد رسالته في القرآن للمتوكل " (٢) فهذه الرسالة إسنادها كالشمس ، فانظر إلى هذا النفس النوراني لكرسالة الإصطخرى ولا كالرد على الجهمية الموضوع على أبي عبد الله (*) فإن الرجل كان تقياً ورعاً لا يتغوه بمثل ذلك . ولعله قاله ، وكذلك رسالة المسي في الصلاة باطله ، وما ثبت عنه أصلاً وفرعاً ففيه كفاية " (٤)

(١) سير ١٣ / ٥٢١ - ٥٢٢ وقوله : أن المسند لم يصنفه الإمام أحمد فيه نظر ، وسيأتي ص ٦٣٨ نقل الذهبي قول الإمام أحمد : " هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفاً . . . " وانظر : طلائع مسند الإمام أحمد .
(*) قول الذهبي عن كتاب " الرد على الجهمية " : لعله قاله . توقف منه في تكذيب نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد ، وهذا من ورعه وانصافه في النقد .
وقد طبع الكتاب بتحقيق الشيخ اسماعيل الانصاري وصح في مقدمة الكتاب نسبته إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى فليتأمل المقدمة . والله اعلم .

(٢) انظر رسالته في السير ١١ / ٢٨١ - ٢٨٦

(٣) هو أحمد بن جعفر الفارسي الإصطخرى ، ذكر الرسالة بتمامها القاضي أبو الحسين بن يعلى في " طبقات الحنابلة " ١ / ٢٤ ، ٣٦ وفيها من الأقوال ما يخالف ما عليه السلف

المطلب الثامن

نقد أقوال المترجمين

من أنواع النقد التي سلكها الإمام الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" "نقده لأقوال المترجمين فكثيراً ما يورد في تراجمهم أقوالهم ، ثم يتعقبها بالنقد ، وكل ذلك بمنهج المحقق الناقد والمؤرخ البصير :

وقد جمعت أقواله النقدية في هذا الجانب ورتبتها ، وجعلت لها عناوين تبين موضوعها :

* متشابه القرآن :

في ترجمة عكرمة مولى ابن عباس : قال خالد بن خداش : شهدت حماد بن زيد في آخر يوم مات فيه ، فقال : أحدثكم بحديث لم أحدث به قط ، إنني أكره أن ألقى الله ولم أحدث بسـه سمعت أيوب يحدث عن عكرمة قال : إنما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به . قلت : هذه عبارة رديئة ، بل إنما أنزل الله تعالى ليهدى به المؤمنين ، وما يضل به إلا الفاسقين كما أخبرنا عز وجل في سورة البقرة ^(١) .

* الجمع بين التجارة والعبادة والقيام بحق العيال :

في ترجمة الإمام القدوة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبي الدرداء عويمر بن زيـد وقيل غير ذلك : " روى الأعش عن خبيشة ، قال أبو الدرداء : كنت تاجراً قبل البعث فلما جاء الإسلام جمعت التجارة والعبادة ، فلم يجتمعا ، فتركت التجارة ولزمت العبادة . قلت : الأفضل جمع الأمرين مع الجهاد ، وهذا الذي قاله ، هو طريق جماعة من السلف والصوفية ، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك ، فبعضهم يقوى على الجمع ، كالصديق ، - وعبد الرحمن بن عوف ، وكما كان ابن المبارك ، وبعضهم يعجز ، ويقتصر على العبادة ، وبعضهم يقوى في بدايته ، ثم يعجز ، والمكس . وكلّ سائح ، ولكن لا بد من النهضة بحقوق الزوجة والعيال ^(١) .

(١) سير ٣٢/٥ - ٣٣ ولاية في سورة البقرة ٢٦ ، ٢٧ .

فى ترجمة أبي ثعلبة الحُشَنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال أبو ثعلبة
مَا مِنْ عَبْدٍ تَفَرَّغَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ إِلَّا كَفَاهُ اللَّهُ مَوْئِنَةَ الدُّنْيَا .

قلت : من التفرغ للعبادة السعي في السبب ، ولا سيما لمن له عيال ، قال النبي صلى الله
عليه وسلم : " إِنَّ أَفْضَلَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِ يَمِينِهِ " (١)

أما من يعجز عن السبب لضعف أو لقلّة حيلة ، فقد جعل الله له خطأ في الزكاة " (٢)
وفى ترجمة الإمام القدوة ، زيد بن أبي الزرقاء : " وروى بشر الحافي عن زيد قال : إذا كان
للرجل عيال ، وخاف على دينه فليهرب .

قلت : يهرب لكن بشرط أن لا يضئع من يعمل ، وقد هرب زيد بن أبي الزرقاء ونزل الرملة
أشهرًا ، وكان من أصدقاء المعافى بن عمران " (٣)

✽ الحمق والكبر :

فى ترجمة حجاج بن أرطاة النخعي الكوفي : " وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت
الشافعي يقول : قال حجاج بن أرطاة : لا تتم مروءة الرجل حتى يترك الصلاة فى الجماعة .
قلت : لئن الله هذه المروءة ، ما هى إلا الحمق والكبر ، كيلا يزاحمه الشؤقة : وكذلك تجد
رؤساء وعلماء يصلّون فى جماعة فى غير صف ، أو تبسط له سجادة كبيرة حتى لا يلتصق به مسلم
فإننا لله " (٤)

✽ الاعتبار بالكثرة :

فى ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك : " وعنه قال : لو اتقى الرجل مئة شيء ، ولم يتق شيئاً واحداً
لم يك من المتقين . وَلَوْ تَوَرَّعَ عَنْ مِئَةِ شَيْءٍ سَوَى شَيْءٍ وَاحِدٍ لَمْ يَكُنْ وَرِعاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنَ الْجَهْلِ
كَانَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . . .

إسناده لا يصح ، وقد تقدّم عن ابن المبارك خلاف هذا (٥) ، وإن الاعتبار بالكثرة ، وصراؤه
بالخلّة من الجهل : الإصرار عليها " (٦)

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤ / ٦١ : أخرجه الطبراني فى الكبير والأوسطين حديث ابن
عمر ورجاله ثقات بلفظ : " أفضل الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور .

(٢) سير ٥٧٠ / ٢ (٣) سير ٣١٧ / ٩ (٤) سير ٧٢ / ٧

(٥) تقدم قوله ٣٩٨ / ٨ : " إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ .

(٦) سير ٣٩٨ / ٨

* د واؤه غضب الله عز وجل :

في ترجمة الإمام عبد الرحمن بن بشر: " قال عبد الرحمن بن بشر، سمعت ابن عيينة يقول : غَضِبَ اللهُ داءً لا دواؤه له .

قلت : د واؤه كثرة الاستغفار بالأحجار، والتوبة النصوح " (١)

* عقل الإمام الشافعي :

في ترجمة الإمام الشافعي : " قال أبو عبيد : ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي ، وكذا قال يونس بن عبد الأعلى حتى إنه قال : لو جُمِعَت أمةٌ لوسمهم عقله " .

قلت : هذا على سبيل المبالغة ، فإنَّ الكامل العقل لو نَقَصَ من عقله ، نحو الربع ، لبان عليه نقص ما ، ولبقى له نظراء ، فلو ذُهِبَ نصف ذلك العقل منه ، لظَهَرَ عِلْمُهُ النَّقْصُ ، فكيف به لو ذُهِبَ ثلثا عقله : فلو أنك أخذت عقول ثلاثة أنفس مثلاً وصيرتها عقل واحد لجاء منه كامل العقل وزيادة " (١)

* جبريل معلم النبي صلى الله عليه وسلم :

في ترجمة علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الهاشمي : " قال الحسن بن هاني ، في علي الرضى :

قلت : لأهتدي لمدح إمامٍ كان جبريلُ خادماً لأبيه

قلت : لا يسوغ إطلاق هذا الأخير إلا بتوقيف ، بل كان جبريلُ معلِّمَ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم (٣)

* فقهاء الكوفة :

في ترجمة شيخ الحنفية القاضي أبي عبد الله ، محمد بن عبد الله الهَرَوَانِي المَدِينِيُّ سنة (٤٠٢) : " قال الخطيب : وكان مَنْ عَاَصَرَهُ بالكوفة يقول : لم يكن بالكوفة من زمن ابن مسعود إلى وقته أحد أفقه منه .

(١) سير ٣٤٤ / ١٢

(٢) سير ١٥ / ٨

(٣) سير ٣٨٩ / ٩

قلت: بل كان بالكوفة بينه وبين ابن مسعود جماعة أفقه منه كعلقمة، وعبيدة السلماني وجماعة. ثم كالتشعبي، وإبراهيم النخعي، ثم كعثماد، والحكم، ومغيرة، وعبد الله، ثم كابن شبرمة، وأبي حنيفة، وابن أبي ليلى، وحجاج بن أرطاة ثم كسفيان الثوري، وميقات، والحسن ابن صالح، وشريك. ثم كوكيع، وحفص بن غياث، وابن إدريس، وخلق" (١)

* علماء البصرة :

في ترجمة أبي الوليد الطيالسي، هشام بن عبد الملك: "وقال محمد بن مسلم بن وارة: — قال لي أبو نعيم: لولا أبو الوليد ما أشرت عليك أن تقدم البصرة، فإن دخلتها لاتجد فيها إلا مغفلًا إلا أبا الوليد .

قلت: عفا الله عن أبي نعيم، فقد كان إذ ذاك بالبصرة مثل علي بن المديني، وعمر بن علي وطائفة من أعلام الحديث" (٢)

* الكلام بمقتضى الحزن :

في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل: "عن محمد بن يحيى النيسابوري، حين بلغه وفاة أحمد، يقول: ينبغي لكل أهل دار ببغداد أن يقيموا عليه النياحة في دورهم . قلت: تكلم الذهلي بمقتضى الحزن لا بمقتضى الشرع" (٣)

* الكلام بمقتضى الحسب :

في ترجمة الإمام أحمد أيضاً: "وقال آخر: نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة . قلت: هذا غلو لا ينبغي، لكن الباعث له حب ولي الله في الله" (٤)

* مجدد المئة الخامسة :

في ترجمة الحافظ أبي القاسم محمد بن إسماعيل التميمي المتوفى سنة (٥٣٥): "وقال أبو موسى المديني في ذكر من هو على رأس المئة الخامسة: لأعلم أحداً في ديار الإسلام يصلح لتأويل الحديث إلا إسماعيل الحافظ .

(٢) سير ١٠/٣٤٣ .

(١) سير ١٧/١٠٢ وانظر أيضاً ٥/٢٣٦ .

(٤) سير ١١/٢١١ .

(٣) سير ١١/٢٠٣ - ٢٠٤ .

ومقتضى الشرع النهي عن النياحة

قلت : وهذا تكلف ، فإنه على رأس المئة الخامسة ما اشتهر ، وإنما اشتهر قبل موته
بـعشرين عاماً (١)

وفي ترجمته أيضاً : " قال عبد الجليل بن كوتاه : سمعت أئمة بغداد يقولون : ما رُحِّل
إلى بغداد بعد الإمام أحمد أفضل ولا أحفظ من إسماعيل " .
قلت : هذا قول من لا يعلم (٢)

* ليس كل من اسمه عاصم فيه ضعف :

في ترجمة الإمام عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : " وثقة أبو حاتم
وغيره ، واحتج به أرباب الصحاح ، فلا يعرَّج على قول القائل : كل من اسمه عاصم ففيه ضعف " (٣)

* * *

المطلب التاسع

نقد أحوال المترجمين

انتقد الحافظ الذهبي كثيراً من الأخبار التي تُنقل في كتب التاريخ والسيرة عن أحوال

(١) سير ٨٣/٢٠ . وللهذه كلام نفيس في المجتدين في سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١٤ -
٢٠٣ في ترجمة أبي العباس بن سريج البغدادي ، ويرى الذهبي أن لفظه " من يُجَدِّد " .
تصدق على جماعة وهو أقوى .

(٢) سير ٨٢/٢٠

(٣) سير ١٨٠/٧ - ١٨١ وقال الحافظ ابن رجب في شرح الملل ٧٧٨/٢ - ٧٧٩ : " قال
إسماعيل بن عُلَيَّة : من كان اسمه عاصم ففي حفظه شيء " ذكره ابن عدي في كتابه . وحكى
المروزي عن يحيى بن معين قال : كلُّ عاصم في الدنيا ضعيف " ولم يوافق أحمد على ذلك
فإنَّ عاصم بن سليمان الأحوال عنده ثقة . . وعاصم بن بهدلة ثقة إلا أنَّ في حفظه اضطراباً
وعاصم بن عمر بن قتادة ثقة أيضاً مُتَّفَقٌ على حديثه كعاصم الأحوال ، وعاصم بن كليب ثقة وثقه
ابن معين أيضاً ، وعاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ثقة مُتَّفَقٌ على حديثه
ومَنْ وثقه ابن معين أيضاً . وأما عاصم بن عمر بن الخطاب فأجل من أن يقال فيه ثقة .
وفوق هؤلاء من اسمه عاصم من الصحابة ، وهم جماعة ، ولم يُرد ابن معين دخولهم في كلامه
قطعا " انتهى

المرجعين ، فكثيراً ما ينقل في تراجم بعضهم ما يخالف السُّنَّة أو الأمور المألوفة ، كالوصال في الصوم ، وصيام الدهر ، وختم القرآن في أقل من ثلاث ، والقراءة في الركوع ، وعدم النظر إلى السماء أو إلى المحارم . . وما إلى ذلك مما يساق في كتب التاريخ والتراجم . ولكنَّ الذهبي الناقد لم يمرَّ على هذه الأخبار مرور الغافلين أو ساقها موافقاً أو ساكتاً . بل تمرَّض لها بالنقد ، وقد جمعت ما وقفت عليه في هذا البحث ، وجعلت لكل نقد له عنواناً يتضمن موضوع النقد .

✽ الوصال في الصَّوْم :

في ترجمة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه : " وروى حبيب الشهيد عن ابن أبي ليكة قال : كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ، ويصبح في اليوم السابع ، وهو اليثنا . قلت : لعلَّه ما بلغه النهي عن الوصال ، ونبيك بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وكلُّ مَنْ وَصَلَ ، وبالغ في تجويع نفسه ، انحرف مزاجه ، وضاقَّ خُلُقُه ، فاتَّباع السُّنَّة أولى ، ولقد كان ابن الزبير مع ملكه صنفًا في العبادة " (١)

✽ صِيَامُ الدَّهْرِ :

وفي ترجمة الإمام القدوة الأسودين يزيد النخعي الكوفي : " وروى شمبة عن الحكم أنَّ الأسود كان يصوم الدهر .

هذا صحيح عنه ، وكأنَّه لم يبلغه النهي عن ذلك ، أو تأوَّل (٢)

وفي ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي : " عن يحيى بن اكم : صَحِبْتُ وكيعاً في الحَضَر والسَّقَر وكان يصوم الدهر ، ويختم القرآن كلَّ ليلة .

قلت : هذه عبادة يُخَصَّصُ لها ، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة ، فقد صحَّ نهيه عليه السلام عن صوم الدهر ، وصحَّ أنه نهى أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، والدِّين يُسْتَسْر ومتابعة السُّنَّة أولى ، فرضي الله عن وكيع ، وأين مثل وكيع ؟ (٣)

وفي ترجمة خلف بن هشام : " وقد روي عن خلف أنه كان يَسْرِدُ الصَّوْم ، ولعلَّه ما بلغه النهي عن ذلك أو تأوَّل الحديث " (٤)

(٢) سير ٥٢/٤

(١) سير ٣٦٨/٣

(٤) سير ٥٧٩/١٠

(٣) سير ١٤٤/٩

وفى ترجمة الإمام الحافظ الكبير أبي عمرو، أحمد بن نصر الخفاف: "قال الحاكم: وسمعت الصّبي يقول: صام أبو عمرو الخفاف الدهر نيفاً وثلاثين سنة .

قلت: ليته أظفر وصام، فما خفي والله عليه النهي عن صيام الدهر، ولكن له سلف، ولو صاموا أفضل الصوم، ليلزموا صوم داود عليه السلام" (١)

* ختم القرآن في أقل من ثلاث :

فى ترجمة الإمام الحافظ المقرئ الفمّر الشهيد سعيد بن جبير الكوفي: "الحسن بن صالح عن وقاء بن إياس، قال: كان سعيد بن جبير يختم القرآن . فيما بين المغرب والمشاء" فى شهر رمضان ، وكانوا يؤخّرون المشاء ،

قلت: هذا خلاف السنة، وقد صحّ النهي عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث" (٢)

وفى ترجمة الإمام المقرئ أبي بكر بن عيّاش: "وقد روى من وجوه متعددة أنّ أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن فى كل يوم وليلة مرة .

وهذه عبادة يُخضعُ لها ، ولكن متابعة السنة أولى ، فقد صحّ أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم نهى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث، وقال عليه السلام: "لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث" (٣)

* السّماعُ لقارئين :

فى ترجمة شيخ القراء عَمّ الدين علي بن محمد السخاوى المتوفى سنة (٦٤٣): "وكان — يترخّص فى إقراء اثنين فأكثر كل واحد فى سورة ، وفى هذا خلاف السنة ، لأننا أمرنا بالانصاف إلى قارئ لنفهم ونعقل ونتدبر" (٤)

* رفع الرأس الى السماء :

فى ترجمة قيس بن مسلم: "عن ابن عيينه قال: كانوا يقولون: مارفّع قيس بن مسلم رأسه إلّ السّماء منذ كذا وكذا تعظيماً لله .

(٢) سير ٣٢٥/٤

(١) سير ٥٦١/١٣

(٣) سير ٥٠٣/٨ وانظر تخريج الحديثين (٤) سير ١٢٤/٢٣ ص ٥٦٠

قلت : ورفع الرأس إلى السماء يلزم المسلم ليعرف مواقيت الصلاة ، والنجوم التي يهتدى بها ، والله اعلم * (١)

✽ التَّبَسُّمُ وَالضَّحْكُ :

في ترجمة إسماعيل بن إبراهيم المشهور بابن عُلَيَّة : " وقال عمرو بن زُرارة النِّسَابُورِي : صحبت ابن عُلَيَّة أربع عشرة سنة ، فما رأيته تَبَسُّمَ فيها .

قلت : ما في هذا مدح ، ولكنه مُؤَنِّدٌ بخشية وحزن * (٢)

وفي ترجمة يحيى بن حَمَّاد : " وقال محمد بن النعمان بن عبد السلام : لم أَرَأِ عبد من يحيى ابن حَمَّاد ، وأظنُّه لم يضحك .

قلت : الضَّحْكُ اليسير والتَّبَسُّمُ أفضل ، وعدم ذلك من مشايخ العلم على قسمين :

أحدهما : يكون فاضلاً لمن تركه أدباً وخوفاً من الله وحزناً على نفسه المسكينة .

والثاني : مذموم لمن فعله حمقاً وكبراً وتَصَنُّعاً * .

كما ان من أكثر الضحك استُخِفَّ به ، ولا ريب أنَّ الضحك في الشباب أخف وأعذر منه في الشيخوخة

وأما التَّبَسُّمُ وطلاقة الوجه فأرفع من ذلك كله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " تَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة * (٣) " وقال جرير : ما رَأَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبسم فهذا هو خلق الاسلام . (٤)

فأعلى المقامات من كان بَكَاءً بالليل ، بَسَاماً بالنهار .

وقال عليه السلام : " لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بِسُرِّطِ الْوَجْهِ * (٥) "

(٢) سير ١٠٩ / ٩

(١) سير ١٦٤ / ٥

(٣) أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٨٩١) ، والترمذي (١٨٥٦) في البر والصلة ، باب

ما جاء في صنائع المعروف ، وابن حَبَّان (٨٦٤) وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٥) في الجهاد ، باب من لا يثبت على الخيل ، و (٦٠٨٩) في -

الادب ، باب التَّبَسُّمُ والضَّحْكُ ، ومسلم (٢٤٧٥) في فضائل الصحابة ، والترمذي (١٣٨٢٠) و

(٣٨٢١) .

(٥) أخرجه الحاكم (١ / ٢٤) ، وأبو نُعَيْم ٢٥ / ١٠ من حديث أبي هريرة ، وأورده الهيثمي في

الجمع ٢٢ / ٨ ونسبه أيضاً إلى البزار وأبي يعلى وضعفه بعبد الله بن سعيد المقبري

وانظر : سلسلة الاحاديث الضعيفة للعلامة المحدث الشهير اللبناني ٢ / ٩٤ .

بقى هنا شيء : ينبغي لمن كان ضحوكاً بَشَاماً أن يقصّر من ذلك ويلوم نفسه حتى لا تعجبه
الأنفس، وينبغي لمن كان عبوساً منقبضاً أن يتبسم ويحسن خلقه، ويمقت نفسه على ردائه خلقه،
وكل انحراف عن الاعتدال فمذموم، ولا بد للنفس من مجاهد قوَّادب^(١).

وفي ترجمة الطك العادل نور الدين محمود الشهيد : " قال سبط الجوزي : وحكى لي تاج
الدين، قال : ماتبسم نور الدين إلا نادراً، حكى لي جماعة من المحدثين أنهم قروءاً عليه
حديث التبسم. فقالوا له : تبسم قال : لا أتبسم من غير عجب .

قلت : الخبر ليس بصحيح، ولكن التبسم مستحب، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " تبسمك
في وجه أخيك صدقة " وقال جرير بن عبد الله : ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ أسلمت ، ولا رأني إلا تبسم^(٢).

* مزاج محرم :

في ترجمة عثمان بن أبي شيبة : " وهو مع ثقته صاحب دعاية حتى فيما يتصَّحَّف من القيسرآن
العظيم سامحه الله .

قرأ عليهم في التفسير : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . .) فقالها ألف لَام ميم .
قلت : هو إما سبق لسان أو انبساط محرم^(٤).

وفي ترجمة صالح بن محمد الملقَّب بجزرة : " قال الحاكم : سمعت أبا النضر الطوسي يقول :
مَرَضَ صَالِحُ جَزْرَةَ ، فَكَانَ الْأَطْبَاءُ يَخْتَلِفُونَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَعْيَاه الْأَمْرُ ، أَخَذَ الْعَسَلَ وَالشُّونِيزَ^(٥) ، فَزَادَتْ
حُمَاهُ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ يَرْتَمِدُ وَيَقُولُ : يَا أَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كَانَ أَقَلَّ بِصَرْكٍ بِالطَّبِّ .
قلت : هذا مزاج لا يجوز مع سيد الخلق، بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالطب
النبوي، الذي ثبت أنه قاله على الوجه الذي قصده، فإنه قاله بوحى، فإن الله لم ينزل داءً إلا وأنزل
دواءً، فعلم رسوله ما أخبر الأمة به .

ولعل صالحاً قال هذه الكلمة من الهُجْر - أي الهذيان - في حال في غلبة الرُّودة، فما

(٢) سبق تخريجها قبل قليل

(١) سير ١٠ / ١٤١

(٤) سير ١١ / ١٥٣

(٣) سير ٢٠ / ٥٣٨ - ٥٣٩

(٥) الشونيز هو الحبة السوداء، وقد ثبت في الصحيحين " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : " عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام " وأما العسل فقد
ثبت فيه أحاديث كثيرة . وانظر : الطب النبوي لابن القيم ص ٢٣ .

وعى ما يقول ، أو لعله تاب منها ، والله يعفو عنه * (١)

* الضرب في سبيل الله :

في ترجمة وكيع بن الجراح : " عن مليح بن وكيع ، قال : لما نزل بأبي الموت ، أخرج يديه فقال : يا بني ترى ما ضربت بهما شيئاً قط . قال مليح : فحدثت بهذا داود بن يحيى بن يمان فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت : يا رسول الله من الأبدال ؟ قال : الذين لا يضربون بأيديهم شيئاً ، وإنَّ وكيعاً منهم ، قلت : بل الذي يضرب بيده في سبيل الله أشرف وأفضل * (٢)

* النظر إلى المحارم :

في ترجمة الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الله القاسي ابن الخطيئة المتوفى سنة (٥٦٠) - ولدت له بنت فلما كبرت أقرأها بالسَّبع ، وقرأت عليه " الصحيحين " وغير ذلك ، وتعلّمت عليه كثيراً من العلم ، ولم ينظر إليها قط . وزوجها ودخلت بيتها والأمر على ذلك لم ينظر إليها قط . قلت : لا مدح في مثل هذا ، بل السَّنة بخلافه ، فقد كان سيّد البشر صلى الله عليه وسلم يحمل أمانة بنت ابنته وهو في الصلاة (٣)

* الإصرار على الخطأ :

في ترجمة الإمام سعيد بن منصور : " وقال يعقوب القسوي : كان إذا رأى في كتابه خطأ لم يرجع عنه .

قلت : أين هذا من قرينه يحيى بن يحيى الخراساني الإمام الذي كان إذا شك في حرج أو تردد ، ترك الحديث كله ولم يروه * (٤)

* ناقد لا ينتقد نفسه :

في ترجمة العالم الحافظ البارعي أبي أيوب سليمان بن داود الشاذكوني أحد الهلكى : " قال عمرو الناقد : قدّم سليمان الشاذكوني بغداد ، فقال لي أحمد بن حنبل : اذهب بنا إليه نتعلم منه نقد الرجال .

(٢) سير ١٥٩/٩

(١) سير ٢٨/١٤ - ٢٩

(٣) سير ٢٠/٣٤٨ وحمله لأمانة في الصلاة رواه البخاري (٥١٦) و (٥٩٩٦) ومسلم (٥٤٣)

(٤) سير ١٠/٥٩٠

قلت: كفى بها مصيبة أن يكون رأساً في نقد الرجال، ولا ينقد نفسه" (١)

* * *

المطلب العاشر نقد الأخبار والحكايات

انتقد الحافظ الذهبي كثيراً من الأخبار والحكايات والقصص، وكان نقده يتوجه في أكثر الأحيان إلى بيان ما في الخبر والحكاية من نكارة، وهو ما يسمى بـ: "النقد الداخلي" كما يتعرض إلى نقد سند الخبر، ويجمع في بعض الأحيان بين نقد السند والخبر .

ومن الألفاظ التي استعملها في نقده للأخبار والحكايات : وهذا لم يصح ،^(٢) لم يصح هذا الخبر^(٣) ، الحكاية منكورة^(٤) ، هذه حكاية غير صحيحة^(٥) ، هذه حكاية عجيبة^(٦) ، هذه حكاية عجيبة منكورة^(٧) ، هذه حكاية تستنكر^(٨) ، فهذه الحكاية فيها نظر هذه حكاية باطلة لم يتمش من ذلك، ذكر حكاية باطلة قد رويت^(٩) وأحسب هذه الحكاية موضوعة^(١٠) ، قاتل الله واضع هذه الخرافة^(١١) .

ومن اصطلاحاته في نقد أسانيد الأخبار والحكايات : إسنادها منقطع^(١٢) ، هذه حكاية منقطعة السند^(١٣) ، لم يصح سند بعض ذلك^(١٤) ، إسناده مرسل^(١٥) .

وهذه بعض الأمثلة والنماذج من نقد الحافظ الذهبي للأخبار والوقائع .

(١) سير ٦٧٩/١٠	(٢) سير ٣٨٣/٤
(٣) سير ٥٨/٦	(٤) ٨٥/٥
(٥) سير ٦٨/١١	(٦) سير ٨٦/١١
(٧) سير ٩٠/١٠	(٨) سير ٩٢/١١
(٩) سير ٣٢١/٦	(١٠) سير ٥١٦/١٠
(١١) سير ٩٤/٦	(١٢) سير ٣٩٥/٦
(١٣) سير ٣٩٧/٦	(١٤) سير ٥٨/١١ ، ٣٩٠/٤
(١٥) سير ٣١٩/١٠	(١٦) سير ٢٠٥/١١
(١٧) سير ٥٦٥/٤	

* استخلاف ابن أم مكتوم على المدينة :

في ترجمة ابن أم مكتوم " قال الشعبي : استخلف النبي صلى الله عليه وسلم عمو بن أم مكتوم يومئذ الناس ، وكان ضريراً ، وذلك في غزوة تبوك .

كذا قال ، والمحفوظ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم إنما استعمل على المدينة عامئذٍ علي ابن أبي طالب .

وروى مجالد عن الشعبي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم استخلف ابن أم مكتوم على المدينة في غزوة بدر - فهذا يُبطل ما تقدّم (١) . ولكن مجالد ابن سعيد ضعيف .

* إسلام عبد الله بن سلام :

في ترجمة عبد الله بن سلام رضي الله عنه : وروى قيس بن الربيع - وهو ضعيف عن عاصم عن الشعبي قال : أسلم عبد الله بن سلام قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين .

فهذا قولٌ شاذٌّ مردود بما في الصحيح ، من أنه أسلم وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد وه (٢) .

* بين علي زين العابدين ومروان بن الحكم :

في ترجمة الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي : " قال الأصمعي : قال مروان بن الحكم لعلي : أرى نسل أبيك قد انقطع ، فلواتخذت السَّراري لعلَّ الله أن يرزقك منهم ، قال : ما عندى ما اشتري ، قال : فأنا أقرضك ، فأقرضه مئة ألف ، فاتخذ السَّراري ووليد له جماعة من الولد ثم أوصى مروان لما احتضر أن لا يؤخذ منه ذلك المال .

إسنادها منقطع ، ومروان ما احتضر ، فإنَّ امرأته عثته تحت سادة هي وجواريتها (٣) .

* ظهور أمر بني العباس :

قال محمد بن جرير في تاريخه : " كان بدؤ أمر بني العباس ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قيل ، أعلم العباس أنَّ الخلافة تؤول إلى ولده ، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك .

قلت : لم يصحَّ هذا الخبر ، ولكن آل العباس ، كان الناس يحبونهم ، ويحبون آل علي ويؤثرون أن الأمر يؤول إليهم ، حباً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلاً في آل مروان بن الحكم ، فبقوا يعملون على ذلك زماناً حتى تهيأت لهم الأسباب ، وأقبلت دلتهم وظهورت من خراسان (١)

* العلماء الموالي :

في ترجمة عطاء بن أبي رباح : عن الزهري : قال لي عبد الملك بن مروان : من أين قدِّمت؟ قلت : من مكة ، قال : فَمَنْ خَلَفْتَ يسودها ؟ قلت : عطاء . قال : أين العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . . . قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاووس (٢) . . . قال : فَمَنْ يسود أهل الشام ؟ قلت : مكحول . . . قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران قال : فمن يسود أهل خراسان ؟ قلت : الضحاك بن مزاحم . . . قال : فَمَنْ يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن . . . قال : فَمَنْ يسود أهل الكوفة ؟ قلت : إبراهيم النخعي ، قال : فَمِنْ العرب أم من الموالي ؟ قلت : من العرب . قال : ويلك فَرَجَّتْ عني ، والله ليسودَّ الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر ، والعرب تحتها . قلت : يا أمير المؤمنين إنما هو دمن ، مَنْ حفظه ساد ، ومن ضيَّعه سقط .

الحكاية منكورة ، والوليد بن محمد واه ، فلعلها نُسبت للزهري مع أحد أولاد عبد الملك ، وأيضاً ففيها : من يسود أهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب وهو من الموالي ، فيزيد كان ذاك الوقت شاباً لا يعرف بعد ، والضحاك ، فلا يدري الزهري من هو في العالم ، وكذا مكحول يصغر عن ذاك (٣)

* عمر بن عبد العزيز :

في ترجمة عمر بن عبد العزيز : " عن يوسف بن ماهك قال : بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر ابن عبد العزيز إذ سقط علينا كتاب رقيق من السماء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار .

(١) سير ٥٨/٦ وكل هؤلاء من الموالي كما في الخبر ، ولم أذكر
(٢) ذلك اختصاراً .
(٣) سير ٨٥/٥ - ٨٦

قلت : مثل هذه الآية لو تمّت لنقلها أهلُ ذاك الجمع ، ولما انقرد بنقلها مجهول ، مع أنّ قلبي ينشُرُ للشهادة لعمر ، أنّه من أهل الجنة * (١)

* حفظ يزيد بن هارون لحديث يحيى بن سعيد الأنصارى :

في ترجمة يحيى بن سعيد الأنصارى : " قال أبو سعيد الحنفى : سمعت يزيد بن هارون يقول : حفظت ليحيى بن سعيد ثلاثة آلاف حديث ، فمرضت مرضةً ، فنسيْتُ نصفها ، فقال فتى من القوم : رويداً ، ليترك مرضتَ الثانيةَ فنسيْتُها كلّها ، فنستريح منك . رواها الحاكم ولا أعرف الحنفى .

وقال أحمد العجلي : قال يزيد بن هارون : قلت ليحيى بن سعيد : كم تحفظ ؟ قال : ست مئة ، سبع مئة .

قلت : هذا يوضح لك ضعف القول المار عن يزيد ، ولا كان يحيى بن سعيد عنده ثلاثة آلاف حديث قط * (٢)

* حكاية عجيبة منكرة تنسب للشافعى :

في ترجمة الشافعى : " عن الشافعى : بينما أنا أدور فى طلب العلم ، ودخلت اليمن ، فقبل لي : بها إنسان من وسطها إلى أسفل بدن امرأة ، ومن وسطها إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أيدي ورأسين ووجهين "

هذه حكاية عجيبة منكرة ، وفى إسنادها من مجهل * (٣)

* قاس يضع الحديث على الإمام أحمد ويحيى بن معين :

في ترجمة يحيى بن معين : " أبو عبد الله الحاكم : سمعت الزبير بن عبد الواحد الحافظ قال : حدّثنا إبراهيم بن عبد الواحد البكرى ، سمعت جعفر الطيالسى ، يقول : صلّى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة ، فقام قاص ، فقال : حدّثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالوا حدّثنا عبد الرازق ، أخبرنا مصر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله ، خلق الله من كل كلمة منها طيراً ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان

وأخذ في قصة نحو عشرين ورقة . . . القصة

هذه حكاية عجيبة ، وراويتها البلدي لأعرفه ، فأخاف أن يكون وضعها (١)

وقال في ترجمة الإمام أحمد : " هذه الحكاية اشتهرت على السنة الجماعة ، وهي باطلة

أظن البلدي وضعها (٢)

✽ إسلام الحسن بن عيسى :

في ترجمة الحسن بن عيسى بن ماسرجس : " كان من كبراء النصارى فأسلم . قال الحاكم
إنَّ الحسنَ والحسين ابنا عيسى اتفقا على أن يُسلما ، فقصدا حفص بن عبد الرحمن يقال : أنتما
من أجلَّ النصارى ، وابنُ المبارك قادِمٌ ليحج ، فإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند
المسلمين ، وأرفع لكما ، فإنه شيخ المشرق ، فانصرفا عنه ، فمرض الحسين ، فمات نصرانياً . فلما
قَدِمَ ابنُ المبارك أسلمَ الحسن على يده .

قلت : يبعد أن يأمرهما حفص بتأخير الإسلام ، فإنه رجل عالم ، فإنَّ صَحَّ ذلك فموت الحسين
مريداً للإسلام ، منتظراً قدوم ابن المبارك ليُعلم نافع له " (٣)

✽ ما وقع يوم موت الإمام أحمد بن حنبل :

في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل : ساق الذهبي بسنده إلى أبي بكر محمد بن عباس المكي
سمعت الثوري جارا أحمد بن حنبل ، قال : يوم مات أحمد بن حنبل وقع المأتم والنوح فمسي
أربعة أصناف : المسلمين ، واليهود ، والفسارى ، والمجوس . وأسلم يوم مات عشرون ألفاً . وفي
رواية ظفر : عشرة آلاف من اليهود والنصارى والمجوس .

هذه حكاية منكدة تغرد بنقلها هذا المكي عن هذا الثوري ، ولا يعرف ، وماذا بالوركانى ، -

المشهور . الذى مات قبل أحمد بن حنبل بثلاث عشرة سنة ، وهو الذى

قال فيه أبو زرعة : كان جاراً لأحمد بن حنبل .

(١) سير ٨٦/١١ والبلدي هو إبراهيم بن عبد الواحد ، ذكره ابن حبان في المجروحين ٨٥/١

وقد تصحَّح اسمه في السير إلى البكرى وجاء على الصواب في ترجمة الإمام أحمد

(٢) سير ٣٠١/١١

(٣) سير ٢٨/١٢

ثم المادة والمقل تحيل وقوع مثل هذا . وهو إسلام ألوف من الناس لموت ولي الله ، ولا ينقل ذلك إلا مجهول لا يعرف ، فلو وقع ذلك ، لاشتهر وتواتر لتوفر اليه علم والدواعي على نقل مثلته بل لو أسلم لموته مئة نفس لقضي من ذلك العجب ، فما ظنك !^(١)

* جنازة الإمام محمد بن أسلم الطوسي :

في ترجمة الإمام الحافظ الرباني محمد بن أسلم الطوسي المتوفى سنة (٢٤٢) : قال أحمد ابن نصر النيسابوري : قيل لي : صلى على محمد بن أسلم ألف ألف إنسان . قلت : هذا ليس بممكن الوقوع ، ولا سيما أنه إنما علموا بموته في الليل ، وصلى عليه بعقيد الفجر فإله أعلم .^(٢)

* ثروة أبي المعالي الحسيني :

في ترجمة الحافظ أبي المعالي محمد بن محمد بن زيد العلوي الحسيني المتوفى سنة (٤٨٠) : قال السَّعْمَانِي : وكان في الأغنياء المذكورين . . . وكان يملك قرية من آريسيين قرية ، وله في كل قرية وكيل . . .

هذا قول السَّعْمَانِي ، ولقد بالغ ، فهذا في رتبة ملك ، ومثل هذا يصلح للخلافة^(٣) .

* أبو منصور الخياط ، لقن القرآن لسبعين ضريباً :

وفي ترجمة الإمام المقرئ أبي منصور ، محمد بن أحمد الخياط المتوفى سنة (٤٩٩) : نقل ابن النجار في تاريخه أن أبا منصور الخياط بلغ عدد من أقرأهم من العميان سبعين ألفاً ، ثم قال : هكذا رأيت بخط أبي نصر اليوناني الحافظ .

قلت : هذا مستحيل ، والظاهر أنه أراد أن يكتب نفساً ، فسبقة القلم ، فخط ألفاً . ومن لقن القرآن لسبعين ضريباً ، فقد عمل خيراً كثيراً^(٤) .

* ثروة الملك الأفضل :

وفي ترجمة الملك الأفضل ابن الملك بدر الجمالي المتوفى سنة (٥١٥) : قال ابن خلكان

(١) سير ٣٤٣/١١ وقد انتقد الذهبي في ترجمة الإمام أحمد كثيراً من الأخبار والحكايات

وانظر ٢٢٩/١١ ، ٢٥٥ ، ٣٠٣ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٤٨ .

(٢) سير ٥٢٢/١٨

(٣) سير ٢٠٥/١٢

(٤) سير ٢٢٣/١٩

في تاريخه : " خَلَفَ الْأَفْضَلُ سِتَّ مِثَّةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَثَمْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَرْدَبًا مِنْ الدَّرَاهِمِ ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ ثَوْبٍ دِينَارٍ ، وَعَشْرِينَ أَلْفَ ثَوْبٍ حَرِيرٍ . قُلْتُ : هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مُمَكِّنَةٌ ، سَوَّى الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ فَلَا أَجْوزُ ذَلِكَ ، بَلْ أَشْتَبِعِدْ عَشْرَةَ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ جَمْعَهُ لِهَذِهِ الْأَمْوَالِ مُوجِبٌ لَضَعْفِ جَيْشِ مِصْرَ فَقَى أَيَّامَهُ اسْتَوْلَتْ الْفَرَنْجُ عَلَى الْقُدْسِ وَعَكَا ، وَصُورَ وَطَرَابُلُسَ ، وَالْمَدَوَّاحِلَ ، فَلَوْ أَنْفَقَ رِبْعَ مَا لِي—— لَجَمَعَ جَيْشًا يَمَلَأُ الْفُضَاءَ ، وَلَأَبَادَ الْفَرَنْجَ ، وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا " (١)

* مجلس ابن الجوزي :

وفي ترجمة الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧) : " قِيلَ فِي بَعْضِ مَجَالِسِهِ : جُمُوزُ الْجَمْعِ مِثَّةُ أَلْفٍ . وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مَا وَقَعَ وَلَوْ وَقَعَ لَمَا قَدَّرَ أَنْ يَسْمَعَهُمْ ، وَلَا الْمَكَانَ يَسْمَعُهُمْ . وَقَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ أَيْضًا : " وَلَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا إِلَى الْجُمُعَةِ أَوِ الْمَجْلِسِ . قُلْتُ : فَمَا فَعَلْتَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ " (٢)

*

*

*

المطلب : الحادي عشر

النقد باستعمال التاريخ

انتقد الحافظ الذهبي كثيراً من الروايات والأقوال ، كما رجح بعضها ، عن طريق النقد باستعمال التاريخ وهذا المنهج النقدي الذي سلكه الحافظ الذهبي والنقاد من قبله واستطاعوا عن طريقه نقد كثير من الروايات وفضح الكذابين .

يقول سفيان الثوري : " لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرَّوَاةُ الْكَذِبَ ، اسْتَعْمَلْنَا لَهُمُ التَّارِيخَ " (٣)

وقال حفص بن غياث : " إِذَا اتَّهَمْتُ الشَّيْخَ فَحَاسِبُوهُ بِالسِّنِينَ ، يَعْنِي احْسِبُوا سِنَّهُ وَسَنَ مَنْ كَتَبَ عَنْهُ " (٤)

قال الخطيب البغدادي في " الجامع " ذكر من يجتنب السماع منه : " وَمِنْهَا أَنْ يَدَّعِي السَّمَاعَ مَنْ لَمْ يَلْقَ ، وَلِهَذَا الْعَلَّةُ قَيَّدَ النَّاسَ مَوَالِيدَ الرَّوَاةِ وَتَارِيخَ مَوْتِهِمْ ، فَوُجِدَتْ رَوَايَاتٌ لِقَوْمٍ عَنْ شَيْخٍ قَصُرَتْ أَسْنَانُهُمْ عَنْ إِدْرَاكَهُمْ " ثم ساق بسنده إلى حسان بن يزيد يقول : " لَمْ نَسْتَعِنْ عَلَى الْكَذَّابِينَ

بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : سنة كم وُلدت ؟ فإذا أخبر بمولده عَرَفْنَا كذبه من صدقه . قال أبو حسان : فأخذت في التاريخ ، فأنا أعلمه من ستين سنة " (١)

وذكر الخطيب أيضاً مناهج العلماء في الكشف عن أحوال الرواة : امتحان الراوي بالسؤال عن وقت سماعه " (٢)

وقد برع الحافظ الذهبي بنقد كثير من الأخبار وتزييفها وبيان بطلانها باستعمال التاريخ ومن أمثلة ذلك ما جرى بين الحسن بن الحسن والحجاج ، وبين يزيد وجبير بن نفير ، وعبد الله ابن طاووس والمنصور ، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي أوردتها في هذا البحث

وكان الذهبي يتورع في حكمه على القصة والخبر بالبطلان عند وجود بعض الاحتمالات فيقول : " ولعل قد جرى شيء من ذلك " (٣) فيمكن أن يكون - أي الحجاج - وقد حاجا أو زائرا " (٤)

كما بيّن كذب من ادّعى السماع واللقاء مثل دعوى الغضائري قراءته على المطرّز ، ودعوى ابن زهراء السماع من ابن رزقويه . . كما رجح بعض الأخبار بقريضة التاريخ . . إلى غير ذلك من الأمثلة التي أوردتها في هذا البحث :

* ورقة بن نوفل وبلال : في ترجمة بلال رضي الله عنه : " هشام بن عروة عن أبيه قال : مرَّ ورقة بن نوفل ببلال ، وهو يعذب على الإسلام يلصق ظهره بالرمضاء ، وهو يقول : أحد أحد ، فقال : بابلال صبراً ، والذي نفسي بيده لئن قتلتهموه لاتخذته حناناً .

هذا مرسل ، ولم يعش ورقة إلى ذلك الوقت " (٥)

* أمّ سلمة وسعيد بن زيد : في ترجمة السيدة أمّ سلمة أم المؤمنين : " روى عطاء بسنن السائب عن محارب بن دثار ، أنّ أم سلمة أوصت أن يصلي عليها سعيد بن زيد ، أحد العشرة . وهذا منقطع ، وقد كان سعيد بن زيد توفي قبلها بأعوام " (٦) فلعلها أوصت في وقت ، ثم عوفيت ، وتقدّمها هو .

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١ / ١٣١ وانظر كتب التواريخ في الجامع أيضاً ٢ / ١٩٩ .

(٢) انظر الجامع ١ / ١٣١ - ١٣٢ . (٣) سير ٤ / ٧٧ وانظر مير ٦ / ٩٤ - ٩٥ .

(٤) سير ٣ / ١٩٣ - ١٩٤ (٥) سير ١ / ٣٥٢

(٦) قال الذهبي في ترجمة السيدة أم سلمة ٢ / ٢١٠ والظاهر وفاتها في سنة إحدى وستين رضي

وروي أَنَّ أبا هريرة صَلَّى عليها ، ولم يثبت ، وقد ماتَ قبلها (١)

* بين جبير بن نغير ومعاوية : في ترجمة جبير بن نغير الحضرمي الحمصي : " جبير بن

نغير ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى أَبِيهِ ، أَنَّ جَبِيرَ بْنَ نَغِيرٍ قَدْ تَشَرَّفَ فِي مِصْرَ حَدِيثًا ، فَقَدْ تَرَكُوا الْقُرْآنَ ، قَالَ : فَبَعَثَ إِلَى جُبَيْرٍ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ يَزِيدَ . . . قَالَ : فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ، فَأَخَذَ بِيَدِ جَبِيرٍ وَقَالَ : لَئِنْ تَكَلَّمَ بِهِ جَبِيرٌ لَقَدْ تَكَلَّمَ بِهِ أَبُو الدَّرْدَاءِ ، وَلَوْ شَاءَ جَبِيرٌ أَنْ يَخِيرَ لَنَا سَمْعَهُ مِنِّي ، لَفَعَلْتُ

هذا خبر منكر، لم يكن لجبير ذكر بعد في زمن أبي الدرداء، بل كان شاباً يتطلب العلم وأيضاً فكان يزيد في آخر مدة أبي الدرداء طفلاً عمرو خمس سنين، ولعل قد جرى شيء من ذلك (٢)

* غيلان القدرى ويزيد بن الوليد : في ترجمة الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

الأموي الدمشقي : " قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : لما ولي يزيد بن الوليد ، دعا الناس إلى القدر ، وحملهم عليه ، وقرب غيلان القدرى أو قال : أصحاب غيلان . قلت : كان غيلان قد صلبه هشام قبل هذا الوقت بمدة " (٣)

* يحيى بن سعيد وربيعة : في ترجمة يحيى بن سعيد المتوفى سنة (١٤٣) : " قال — سليمان بن بلال : كان يحيى بن سعيد قد ساءت حالته ، وأصابه ضيق شديد ، وركبته الدَّيْنُ . . . فلما قدم العراق كتب إلي : إذا جاءك كتابي هذا فسل ربيعة بن أبي عبد الرحمن . هذه حكاية منكرة ، فإن ربيعة كان قد مات " (٤)

* ربيعة الرأي ووالده فروخ : في ترجمة ربيعة الرأي المتوفى سنة (١٣٦) : " ذكر حكاية باطلة قد رويت . . . ثم ساقها بسنده وأورد لها بتمامها ثم قال : " . . . ثم لما كان ربيعة ابناً سبع وعشرين ، كان شاباً لاهلقة له ، بل الدَّسْتُ لمثل سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير وشايخ ربيعة ، وكان مالك لم يولد بعد أو هو رضيع ، والطويلة : إنما أخرجها للناس المنصور = الله عنها . وفي ترجمة سعيد بن زيد ١٤٠ / ١ أنه توفي سنة إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين .

(١) سير ٢٥٨ / ٢ (٢) سير ٧٧ / ٤

(٣) سير ٣٧٦ / ٥

(٤) سير ٤٧١ / ٥ وربيعة بن أبي عبد الرحمن المشهور بربيعة الرأي توفي سنة (١٣٦)

(٥) الدست أي صدر المجلس كما في المعجم الوسيط ٢٨٢ / ١

بعد موت ربيعة ولملحه قد جرى بعض ذلك * (١)

* عبد الله بن طاووس والمنصور : في ترجمة الإمام المحدث الثقة عبد الله بن طاووس اليماني

ذكر القاضي شمس الدين في ترجمة طاووس أَنَّ المنصور طلب ابنَ طاووس، ومالك بن أنس

فصدَّه ابن طاووس بكلام .

فهذا لا يتَّجه لأنَّ ابنَ طاووس مات في سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وذلك قبل دولة المنصور

بل في هذه السنة قُتِل آخر الخلفاء الأموية، مروان الحمار، وقامَ فيها السفاح، والله أعلم . (٢)

* قلب الأسانيد : في ترجمة الإمام القدوة الصادق محمد بن عجلان : " قال أبو محمد

الرامهرمزي، حدثنا عبد الله، حدثنا القاسم بن نصر، سمعت خلف بن سالم، حدثني يحيى

القطان قال : قدَّمت الكوفة، وبها مَن يَطلب حفصَ بن غياث، ومليح بن وكيع، وابن إدريس، فقلت :

نأتي ابن عجلان، فقال يوسف السمتي : نَقلب عليه حديثه حتى ننظر فيه . قال : ففعلوا (٣)

فهذه الحكاية فيها نظر، وما أعرف عبد الله هذا، ومليح لا يُدْرى من هو، ولم يكن لو كيع بسن

الجراح ولد يطلب أيام ابن عجلان، ثم لم يكن ظهَر لهم قلب الأسانيد على الشيوخ، إنما

فُعِلَ هذا بعد المئتين * (٤)

(١) سير ٩٣/٦ - ٩٥ وانظر القصة بتمامها، وقد نقدها الذهبي من جوانب أخى أيضاً : حيث

ذكر أن والد ربيعة خلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار قال الذهبي : لو صحَّ

ذلك، لكان يكفيه ألف دينار في السبع والعشرين سنة، بل نصفها، فهذه مجازفة بعيدة

وفي القصة أيضاً : ذكر الحسن بن زيد وجلسه إلى حلقة ربيعة، قال الذهبي :

والحسن بن زيد إنما كبر واشتهر بعد ربيعة بدهر ونقد سندَها بقولها : واسنادها

منقطع. ثم تورَّع في النقد قائلاً : " ولملحه قد جرى بعض ذلك " انتهى "

(٢) سير ١٠٤/٦

(٣) انظر تمام القصة في المحدث الفاصل للرامهرمزي ص ٣٩٨

(٤) سير ٣٢١/٦

✽ أبو حنيفة واختيار العلوم : في ترجمة الإمام الفقيه أبي حنيفة النعمان : ساق بسنده

إلى أبي يوسف قال : قال أبو حنيفة : لما أردت طلب العلم ، جعلت أختي العلوم وأسأل عن عواقبها ، فقيل : تعلم القرآن ، فقلت : إذا حفظته فما يكون آخره ؟ قالوا : تجلس في المسجد فيقرأ عليك الصبيان والأحداث ، ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو مساويك ، فتذهب رئاستك .

قلت : من طلب العلم للرئاسة قد يفكر في هذا ، ولا فقد ثبت قول المصطفى صلوات الله عليه : " أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه " ^(١) يا سبحان الله : وهل محل أفضل من المسجد ؟ وهل نشر لعلم يقارب تعليم القرآن ؟ كلا والله . وهل طلبه خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب وأحسب هذه الحكاية موضوعة ، ففي إسناده من ليس بثقة .

تتمة الحكاية : قال : قلت : فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني ؟ قالوا : إذا كبرت وضعفت ، حدثت واجتمع عليك هؤلاء الأحداث والصبيان . ثم لم تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب ، فيصير عاراً عليك في عقبك ، فقلت : لا حاجة لي في هذا .

قلت : الآن كما جزمتم بأنها حكاية مختلفة ، فإن الإمام أبا حنيفة طلب الحديث وأكثر منه في سنة مئة ومعد ها ، ولم يكن إذ ذاك يسمع الحديث الصبيان ، هذا اصطلاح وجد بعد ثلاث مئة سنة ، بل كان يطلبه كبار العلماء ، بل لم يكن للفقهاء علم بعد القرآن سواء ولا كانت قد دونت كتب الفقه أصلاً .

ثم قال : قلت : فإن نظرت في الكلام ، ما يكون آخر أمره ؟ قالوا : لا يسلم من نظر ففسى الكلام من مشتمعات الكلام ، فيرمى بالزندقة ، فيقتل أو يسلم مذموماً .

قلت : قاتل الله واضع هذه الخرافة ، وهل كان في ذلك الوقت وجد علم الكلام ^(٢) .

✽ أسف الشافعي على فوات اللقاء بابن أبي ذئب : في ترجمة الإمام ابن أبي ذئب ، محمد بن

المغيرة المتوفى سنة (١٥٩) : " قال محمد بن المسيب الأرقماني : سمعت يونس بن عبد الأعلى

سمعت الشافعي يقول : ما فاتني أحد فأسفت عليهما أسفت . . على الليث بن سعد وابن أبي ذئب .

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) (٥٠٢٨) ، وأبو داود (١٤٥٢) والترمذي (٢٩٩) ،

والنسائي في السنن الكبرى في فضائل القرآن (٦١) (٦٢) (٦٣) .

(٢) سير ٣٩٥/٦ - ٣٩٧ باختصار .

قلت : أما فوات الليث ، فنعم ، وأما ابن أبي ذئب ، فما قرط في الارتحال إليه ، لأنه مات وللشافعي تسعة أعوام ^(١) ويصح السماع في هذا السن فتأمل .

✽ نافع لم يدرك خلافة هارون : في ترجمة الإمام مالك بن أنس المتوفى سنة (١٧٩) : -

ساق الذهبي بسنده إلى ابن عبد الحكم ، سمعت مالكا يقول : شاورني هارون الرشيد في ثلاثة في أن يعلّق الموطأ في الكعبة ، ويحمل الناس على ما فيه ، وفي أن ينقش منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعله من ذهب وفضة وجوهر ، وفي أن يقدم نافعاً إماماً في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم

هذا إسناد حسن ، لكن لعل الراوي وهم في قوله : هارون ، لأن نافعاً قبل خلافة هارون مات ^(٢) لأن نافعاً مات سنة ١٦٩ ، وهارون توفي سنة ١٧٠ . والصواب : أن القصة للمهدي لهارون كما في " ترتيب المدارك "

✽ خلف بن خليفة لم ير عمرو بن حريث : في ترجمة خلف بن خليفة المتوفى سنة (١٨١) : -

بعضهم يعمده من صفار التابعين لكونه ذكر أنه رأى عمرو بن حريث رضى الله عنه . .

قال خلف : فرس لي عمر بن عبد العزيز وأنا ابن ثمان سنين .

قلت : هذا ينفي رؤية عمرو بن حريث ^(٣)

✽ حكاية منكورة منسوبة للشافعي : في ترجمة الإمام الشافعي : " حرمة : سمعت الشافعي يقول :

ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتوكمهم لسان العرب ، وميلهم إلى لسان أرسطأ طالسي .

هذه حكاية نافعة ، لكنها منكورة ، ما أعتقد أن الإمام تفوه بها ، ولا كانت أوضاع أرسطأ طالسي عُرِبت

بعد البيت ^(٤)

✽ أبو عبيد وابن طاهر : في ترجمة أبي عبيد ، القاسم بن سلام : " عن الحارث بن أبي أسامة

قال : حمل " غريب أبي عبيد " إلى ابن طاهر ، فقال : هذا رجل عاقل ، وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم

بأن يحرك عليه في كل شهر خمس مئة درهم فلما مات ابن طاهر ، أجرى عليه إسحاق من ماله ذلك -

فلما مات أبو عبيد بمكة ، أجزاها على ولده ،

(٢) سير ٨ / ٨٧ .

(١) سير ٧ / ١٤٤ .

(٣) سير ٨ / ٣٤٢ لأن عمر تولّى الخلافة سنة تسع وتسعين للهجرة وتوفي سنة إحدى ومئة للهجرة

أيضاً ، وعمرو بن حريث توفي سنة خمس وثمانين . وانظر : الشماثل للترمذي برقم (٣٩١) ، والعلل للإمام أحمد ٣ / ٣٧٦ .

(٤) سير ٩ / ١١٦ - ١١٧ المشهور أن كتب اليونان عريت زمن هارون الرشيد فلا يبعد صحة

نسبتها إلى الامام الشافعي رحمه الله .

ذكر وفاة ابن طاهر هنا وهم، لأنه عاصر مدة بعد أبي عبيد (١)

* يحيى بن يحيى التميمي وأحمد بن حنبل : في ترجمة يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري

المتوفى سنة (٢٢٦) : " قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي كثيراً ما يقول : وجدت أني رأيت يحيى بن يحيى النيسابوري ، فكنت يوماً جالساً أكتب ، فوقفت على رجل عليه أثر السفر . فقال : يا بني ، هذه دار أبي عبد الله ؟ قلت : نعم ، قال : تراه في البيت ؟ قلت : من كنت ؟ قال : أنا يحيى ، فوثبت سروراً وأخبرت أبي ، فأطرق ملياً ، وقال : أبلغه مني السلام ، وقل : آتاك الله ثواب ما نويت . . .

فهذه حكاية باطلة ، لم يتم من ذلك شيء ، وإنما طلب عبد الله بعد موت يحيى بن يحيى ، وأيضاً فما نعلم أن يحيى دخل بغداد (٢)

* كلام يحيى بن معين في الرواة : في ترجمة عبد الرحمن بن أبي حاتم : " قال علي بن الجنيد :

سمعت يحيى بن معين يقول : " إنا لنظمن على أقوام ، لعلمهم قد خطوا رحالهم في الجنة ، مسن أكثر من مئتي سنة

قلت : لعلمها من مئة سنة ، فإن ذلك لا يبلغ في أيام يحيى هذا القدر " (٣)

* رحلة بقي بن مخلد إلى الإمام أحمد : في ترجمة الإمام القدوة بقي بن مخلد : ذكر

الذهبي قصة رحلة الإمام بقي للقاء أحمد بن حنبل أيام محنته ثم قال : " نقلها القاهم بسنن بشكوال في بعض تأليفه ، ونقلتها أنا من خط شيخنا أبي الوليد بن الحاج وهي منكوبة ، وما وصل ابن مخلد إلى الإمام أحمد إلا بعد الثلاثين ومئتين ، وكان قد قطع الحديث من أثناء ستين ثمان وعشرين ، وما روى بعد ذلك ولا حديثاً واحداً ، إلى أن مات ، ولما زالت المحنة سنة اثنتين وثلاثين ، وهلك الواثق ، واستخلف المتوكل وأمر المحدثين بنشر أحاديث الرواية وغيرها ، امتنع الإمام أحمد من الحديث وصمم على ذلك ، ما عمل شيئاً غير أنه كان يذكر بالعلم والأثر ، وأسماء الرجال

(١) سير ٤٩٥/١٠ - ٤٩٦ وابن طاهر عاصر بعد أبي عبيد المتوفى سنة (٢٢٤) ست سنين

لأنه توفي سنة (٢٣٠)

(٢) سير ٢٦٨/١٣ ، وابن معين وفاة بينة (٢٣٣)
وقد تكلم يحيى في بعض التابعين مثل جابر بن عمرو الراسبي البصري . قال الدوري : عن ابن معين : ليس بشيء ولكن يبدو أن يحيى لم يرد التاريخ بإمام معينة ، وإنما أراد المبالغة في بيان قدم من تكلم فيه .

(٣) سير ٥١٦/١٠

والفقه ، ثم لو كان بقى سمع منه ثلاث مئة حديث ، لكان طَرَزَها مسنده ، وافتخر بالرواية عنه
فعندي مجلدان من مسنده ، وما فيها عن أحمد كلمة * (١)

* دعوى الغضائرى قراءته على المطرّز : فى ترجمة الإمام العلامة ، القاسم بن زكريّا
البغدادي ، المعروف بالمطرّز المتوفى سنة (٣٠٥) : وكان ثقة مأموناً ، أثنى عليه الدارقطنى
وغيره ، وذكر على بن الحسين الغضائرى - شيخ لأبي على الأهوازي - أنه تلا عليه ختمة بالإدغام
الكبير والإبدال فى سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة ، فافتضح فى دعواه لأن المطرّز - رحمه الله -
توفى فى صفر سنة خمس وثلاث مئة ، وهو فى عشر التسعين * (٢)

* دعوى الغضائرى والسّامري التلاوة على الأشّثاني : فى ترجمة الإمام ، شيخ القراء ببغداد
أحمد بن سهل الأشّثاني المتوفى سنة (٣٠٧) : " ومَنْ زَعَمَ أَنَّهُ تَلَا عَلَى الْأَشْثَانِي : أَبُو أَحْمَد
السّامري ، وعلي بن الحسين الغضائرى . . قال أبو علي الأهوازي : قطع الأشّثاني الإقراء قبل
موته بعشر سنين * (٣)

هكذا قال الأهوازي : فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ ، فَأَيْنَ قَوْلُ أَبِي أَحْمَد والغضائرى : أَنَّهُمْ قَرَأُوا عَلَيْهِ ؟ -
فَقَبَّحَ اللَّهُ الْكُذْبَ وَذَوِيهِ * (٤)

* القّفال وابن سريج : فى ترجمة الإمام العلامة ، أبي بكر محمد بن علي الشاشى القّفال
الكبير المتوفى سنة (٣٦٥) : قال الشيخ أبو إسحاق فى الطبقات : توفى سنة ست وثلاثين
فهذا وهم بيّن . . وذكر أبو إسحاق أنه تفقّه على ابن سريج ، وهذا وهم آخر ، مات ابن سريج
قبل قدوم القّفال بثلاث سنين * (٥)

* الدارقطنى والحاكم : فى ترجمة الإمام الدارقطنى المتوفى سنة (٣٨٥) : قال أبو عبد الله
الحاكم فى كتاب " مزي الاخبار " : أبو الحسن صار واحداً عصره فى الحفظ والفهم والورع ، وأما ما فى
القراء والنحويين ، أول ما دخلت بغداد ، كان يحضر المجالس

(١) سير ٢٩٤ / ١٣ (٢) سير ١٤٩ / ١٢ - ١٥٠

(٣) أى سنة ٢٩٧ . (٤) سير ٢٢٦ / ١٤ - ٢٢٧

(٥) سير ٢٨٣ / ١٦ - ٢٨٤ ، ووفاة أبي العباس أحمد بن عمر بن سريج سنة (٣٠٦) ، ويكون

قدوم القفال إلى بغداد بعد وفاة ابن سريج بثلاث سنين أى سنة (٣٠٩) وعمسره
حينئذ ثمانية عشر عاماً لأن ولادته كما ذكر السمعاني سنة إحدى وتسعين ومئتين

كما فى السير ٢٨٤ / ١٦

وسنة دون الثلاثين ، وكان أحد الحفاظ .

قلت : وهيم الحاكم ، فإنَّ الحاكم إنما دخل بغداد سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة ، وسن
أبي الحسن خمس وثلاثون سنة * (١)

* دعوى ابن زهراء السماع من ابن رزقوية : في ترجمة الإمام أحمد بن علي الطُّرَيْشِي

المعروف بابن زهراء المولود سنة (٤١٢) والمتوفى سنة (٤٩٨) : قال اسماعيل بن السمرقندي
دخلت على ابن زهراء ، وهو يقرأ عليه جزء لابن رزقويه ، فقلت متى ولدت ؟ قال : سنة
اثنى عشرة ، فقلت : فابن رزقويه في هذه السنة توفي وأخذت الجزء وضربت على التسميع ، فقام
وخرج من المسجد * (٢)

*

*

*

(١) سير ٤٥٠/١٦ ، ويان ذلك أنَّ ولادة الدارقطني سنة (٣٠٦) ودخل الحاكم الى بغداد

سنة (٣٤١) فيكون عمر الدارقطني عند دخول الحاكم بغداد خمساً وثلاثين سنة

(٢) سير ١١٦١/١٩ ، وانظر ترجمة الإمام أبي الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه اليغسدا

في سير النبلاء ١٢/٢٥٨ - ٢٥٩

المطلب الثاني عشر
انصاف الذهبي وورعه في النقد

قال الذهبي في ترجمة علي بن الفضيل بن عياض : " وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع^(١) . وقال أيضاً : " والكلام في الرجال لا يجوز إلا لتام المعرفة ، تام الورع^(٢) ، فلا بد للناقل والمتكلم في الرجال من تحقق ثلاثة شروط : المعرفة والورع والعدل . فإذا انتفى العلم انتفى النقد ، وإذا انتفى العدل كان النقد فيه جهور أو تحامل ، وإذا انتفى الورع كان النقد فيه ميل أو شطاط ، وعاد النقد على الناقد . ولذلك ردّ الذهبي كثيراً من الأقوال لأن قائمها لم يتحقق بشروط الناقد .

قال الذهبي رداً على قول قطّبة بن العلاء في الفضيل بن عياض : " ولا عبرة بما نقله أحمد بن أبي خسة ، سمعت قطّبة بن العلاء يقول : تركت حديث فضيل بن عياض لأنه روى أحاديث أزرى على عثمان بن عفان . قلت : فلا نسمة قول قطّبة ليته اشتغل بحاله^(٣) .

وقال في ترجمة سليمان الشاذكوني : " قلت : كفى بها مصيبة أن تكون رأساً في نقد الرجال ولا ينقد نفسه^(٤) . وفي ترجمة الحارث بن محمد : " قال الأزري : هو ضعيف قلت : هذه مجازفة ، ليت الأزري عرف ضعف نفسه^(٥) .

وعند فقد العلم والعدل والورع في الناقد ، يكون الجهل والظلم والهوى والغطاظة والافتراء ، وهي أمور تبعد النقد عن الورع والانصاف إلى الشطاط والإجحاف ، ولذلك كان الحافظ الذهبي كثيراً ما يستعيز بالله عز وجل من هذه الصفات المردية ، فيقول في كثير من تراجم كتبه : " فنعوذ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء^(٦) . " فنعوذ بالله من الهوى والغطاظة^(٧) ، فنعوذ بالله من الجهل والهوى^(٨) ، " فنعوذ به تعالى من التهور في وزن العلماء^(٩) .

وأسوة الآن بعض الأمثلة والنماذج الدالة على علم الذهبي وإنصافه وورعه^(١٠) :

١ - قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ قتادة بن دعامة السدوسي البصري المتوفى سنة (١١٧) : " وكان يرى القدر . . . ولعلّ الله يعذر أمثاله ممن تلبّس ببذعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه ، وبذل وسعه ، والله حكيم عدل لطيف بعباده ، ولا يسأل عما يفعل^(١١) .

(١) سير ٤٤٨ / ٨	(٢) الميزان ٤٦ / ٣
(٣) سير ٤٤٨ / ٨	(٤) سير ٦٧٩ / ١٠
(٥) سير ٣٨٩ / ١٣	(٦) سير ٤٦٤ / ٢١ - ٤٦٥
(٧) سير ٣٩ / ١٤	(٨) سير ٢٠ / ١٣
(٩) سير ٧٤ / ٧	(١٠) وفي مبحث رواية المبتدع والاختلاف - بسبب العقائد ما يحلّي انصاف الذهبي - ومعرفته وورعه في النقد .

الكبير من أئمة العلم إذا كثُر صوابه ، وُعِلِمَ تحرّيه للحق ، واتَّسَعَ علمه ، وظهَرَ ذكاؤه ، وعُـرِفَ صلاحُه وورعُه واتباعُه ، يُغْفَرُ له زَلُّه ، ولا نُضَلُّه ونطرَحُه ، وننسى محاسنه ، نعم ، ولا نقتسدي في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك (١)

٢ - وفي ترجمة الإمام وكيع بن الجراح المتوفى سنة (١٩٧) : " وكلُّ أحدٍ يُؤْخَذُ من قوله ويُترك ، فلا قدوة في خطأ العالم ، نعم ، ولا يُوَجِّحُ بما فعله باجتهاده ، نسأل الله المسامحة (٢)

٣ - وفي ترجمة الإمام ابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) : " ونقل صاحب " المرأة " بلا إسناد عن الدارقطني ، أنه قال : كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه .

قلت : هذا لم يصح ، وإن صحَّ عنه فسحقاً له ، فما في الدين سُحَابَةٌ (٣)

٤ - وفي ترجمة الإمام محمد بن نصر المروزي المتوفى سنة (٢٩٤) : " قال الحافظ أبو عبد الله ابن منده في مسألة الايمان : صرح محمد بن نصر في كتاب " الايمان " بأنَّ الايمان مخلوق ، وأنَّ — الإقرار ، والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق . . . ثم قال : وهَجَرَهُ على ذلك علماء وقته وخالفه أئمة خراسان والعراق .

قلت : الخوض في ذلك لا يجوز . . . ولو أنَّنا كَلَّمَا أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له ، قننا عليه ، ودَّعْنَاهُ ، وهَجَرْنَاهُ ، كَمَا سَلِمَ معنا ابنُ نصر ، ولا ابنُ منده ، ولا من هو أكبر منهما ، والله هو هادي الخلق إلى الحق ، وهو أرحم الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة (٤)

٤ - وفي ترجمة الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة (٣١١) : " وكتابه في التوحيد مجلَّد كبير ، وقد تَأَوَّلَ في ذلك حديثَ الصورة ، فليعذر من تَأَوَّلَ ببعض الصفات . وأما السلف (٥)

(٢) سير ١٤٤/٩

(١) سير ٢٧١/٥

(٣) سير ٢٩٨/١٣ وصاحب المرأة هو سبط ابن الجوزي ، قال الذهبي فيه كما في السير

٤٦٤/٢١ : " قلت : قد بَلَّوْتُ على أبي المظفر المجازفة وقلَّة الورع فيما يؤرخه في أئله الموعود .

(٤) سير ٤٠-٣٩/١٤ (٥) والظاهر أنَّ ابن خزيمة لم يتأول الصورة مطلقاً إنما تَأَوَّلَ حديث الصورة . والدليل عليه : أنَّ ابن خزيمة قال :

باب ذكر صورة ربِّنا ، ثم قوله : ذكر أخبار رويت عن النبي تَأَوَّلَهَا بعض من لم يتحرَّ العلم على غير تأويلها . . وانظر كتاب التوحيد ١٨١/١ من الطبقة المحققة

والسنة لابن أبي عاصم ٢٣٠/١ ، والفتح ١٨٣/٥ .

فما خاضوا في التأويل ، بل آمنوا وكفوا ، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله ، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه وتوحيه لاتباع الحق - أهدرناه ودعناه ، لقلَّ من يتكلم من الأئمة معنا رَحِمَ الله الجميع بمنه وكرمه . (١)

* ونقل الذهبي أيضاً في ترجمة قوام الشنة ، إسماعيل بن محمد التيمي المتوفى سنة (٥٣٥) : " قال أبو موسى المدني وسمعتة يقول : أخطأ ابن خزيمة في حديث الصورة ، ولا يطعن عليه بذلك ، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب .

قال أبو موسى : أشار بهذا إلى أنه قلَّ إمام إلا وله زلة ، فإذا ترك لأجل زلته ، ترك كثير من الأئمة ، وهذا لا ينبغي أن يفعل " (٢)

٥ - وقال الذهبي في ترجمة الإمام ابن حبان المتوفى سنة (٣٥٤) : " وابن حبان فمن كبار الأئمة ، ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ " (٣)

٦ - وقال الذهبي في ترجمة الإمام أبي بكر الشاشي القفال المتوفى سنة (٣٦٥) : " سئل أبو سهل الصعلوكي عن تفسير أبي بكر القفال ، فقال : قدسه من وجه ، ودنسه من وجه . أي دنسه من جهة نصره للاعتزال

قلت : الكمال عزيز ، وإنما يمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل ، فلا تدنن المحاسن لورطة ولعلّه رجع عنها ، وقد يُفغر له باستفراغه الوسع في طلب الحق ، ولا قوة إلا بالله . (٤)

٧ - وقال أيضاً في ترجمة الإمام ابن حزم المتوفى سنة (٤٥٦) : " وفي الجملة : فالكمال عزيز ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٥)

وقال في ترجمة ابن حزم أيضاً : " وكان ينهض بعلوم جمّة ، ويجيد النقل ، ويحسن النظم والنثر ، وفيه دين وخير ، ومقاصده جميلة ، ومصنفاته مفيدة ، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مكياً على العلم ، فلا تغلّف فيه ، ولا نجفوعه ، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار . (٦)

(٢) سير ٢٠ / ٨٨

(١) سير ١٤ / ٣٧٥ - ٣٧٦

(٤) سير ١٦ / ٢٨٥

(٣) سير ١٦ / ٩٦

(٦) سير ١٨ / ١٨٧

(٥) سير ١٨ / ١٨٧

وقال فيه أيضاً : " ولي أناميل إلى أبي محمد بن حزم لمحبته في الحديث الصحيح ، ومعرفته به ، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل ، والمسائل البشعة في الأصول والفروع ، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ، ولكن لا أكفره ، ولا أضلله ، وأرجوه العفو والمسامحة للمسلمين ، وأخضع لقرط ذكائه وسمة علومه . " (١)

٨ - وقال في ترجمة القاضي الإمام أبي بكر بن العربي المتوفى سنة (٥٤٣) : " ولم أنقم على القاضي - رحمه الله - إلا إقذاعه ذم ابن حزم واستجهاله ، وابن حزم أوسع دائرة من أبي بكر في العلوم ، وأحفظ بكثير ، وقد أصاب في أشياء وأجاد ، وزلق في مضائق كثيرة من الأئمة ، والإنصاف عزيز . " (٢)

وقال الذهبي في ترجمة ابن حزم : " وقد حط أبو بكر بن العربي على أبي محمد في كتاب " القواصم والعواصم " وعلى الظاهرية فقال : هي أمةٌ سخيصة . . .

قلت : لم ينصف القاضي أبو بكر - رحمه الله - شيخ أبيه في العلم ، ولا تكلم فيه بالقسط ، وبالغ في الاستخفاف به ، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ، ولا يكاد ، فرحمهما الله وتفرلها (٣)

٩ - وقال الذهبي في ترجمة الإمام الفزالي المتوفى سنة (٥٠٥) : " قلت : الفزالي إمام كبير ، وما من شرط العالم أنه لا يخطئ . " (٤)

وقال في ترجمته أيضاً : " وفي أواخر " المنحول " للفزالي كلامٌ فج في إمام لا أرى نقله هنا . " (٥)
وقال أيضاً : " فرحم الله أبا حامد ، فأتين مثله في علومه وفضائله ، ولكن لا نُدعي عصمته من الفلط والخطأ . " (٦)

١٠ - وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام عبد الفنى المقدسي المتوفى سنة (٦٠٠) : " وكل حال ، فالحافظ عبد الفنى من أهل الدين والعلم والتأله والصدع بالحق ، ومحاسنه كثيرة ، فنعمود

(١) سير ٢٠٢ / ١٨

(٢) سير ٢٠٢ / ٢٠ - ٢٠٣ - وقال في ترجمة محمد بن الحسن العسكري ٢٠ / ١٣ : " والإنصاف عزيز ، فنعمود بالله من الجهل والهوى " انتهى

(٣) سير ١٨٨ / ١٨ - ١٩٠ (٤) سير ٣٣٩ / ١٩

(٥) سير ٣٤٤ / ١٩ وكلام الفزالي هو في الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، وانظر المنحول ص

بتحقيق حسن هيتو . م ٥٠٤ - ٤٩٥ (٦) سير ٣٤٦ / ١٩

بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء ، ونبراً من كل مجثم معطل (١) .

ومن ورع الذهبى وانصافه : تخرجه من الرواية عن المتهمين ونقده لنفسه عند روايته عنهم :

قال الحافظ الذهبى فى ترجمة الإمام الحافظ الثقة سلم بن إبراهيم الأودى المتوفى سنة

(٢٢٢) وساق بسنده حد يثين ثم قال : " فى الإسنادين ضعف من جهة زاهر وعمر لإخلائهما

بالصلاة ، فلو كان فى ورع لما رويت عن هذا نعت " (٢) .

وقال الحافظ الذهبى فى ترجمته المحدث المفيد زاهر بن طاهر الشحامى المتوفى سنة

(٥٣٣) : " وهو واه من قبل دينه . . . قال أبو سعد السمانى : كان مكثراً متيقظاً . . . ولكنه

كان يخل بالصلوات إخلالاً ظاهراً " .

قلت : الشرة يحملنا على الرواية لمثل هذا (٣) .

ومن ورعه ودقته فى النقل ما ذكره فى ترجمة محمد بن يوسف الهروي المتوفى سنة (٣٣٠) : -

حيث أسند حديثاً من طريقه وفيه : عن أبي هارون العبدى وعن معاوية بن قرة . . . قال عقبه

" والواو التي مع " عن معاوية " ملحقة فى نسختى فيحرر ذلك (٤) .

ومن خلال هذه النماذج والأمثلة التى عرضتها يتجلى فيها ورع الذهبى ودقته وانصافه

(١) سير ٤٦٤/٢١ - ٤٦٥ وكلام الذهبى هنا رُتد على أبي المظفر سبط ابن الجوزى حيث

نسب الحافظ عبد الغنى إلى التشبيه . . .

(٢) سير ٣١٧/١٠ ، قال الذهبى فى المغنى (٢١٥٦) : زاهر بن طاهر الشحامى صدوق فى

الرواية لكنه يخل بالصلوات ، علا سنده ، وتكاثروا عليه ، وروى عنه ابن عساكر الكثير " ، وقال

الذهبي فى ترجمة عمر بن محمد بن طبرزد كما فى المغنى (٤٥٣٨) : وقال لي ابى -

الظاهري لما ذاكرته بزاهر وتركه للصلاة ، فقال : وابن طبرزد ما كان يصلي ؟

وقال المعلق على سير النبلاء : رجم الله المؤلف ، فقد وصف نفسه بعدم الورع لأنه روى

عن هذا وصفه ، مع أنه بين حاله ، وكشف عن أمره ، فكيف يكون حال من يروي عن الكذابين

والضعفاء ويسكت عنهم ولا يبين حالهم ؟

(٣) سير ١٠/٢٠ - ١٢ وقال الذهبى فى معجم الشيوخ الكبير ٥٨/٢ فى ترجمة على بن مظفر

الكندى المتوفى سنة (٧١٦) : " ولم يكن عليه ضوء فى دينه ، حملنى الشره على الصاع من

مثله - والله يسامحه - كان يخل بالصلوات ، ويرمى بالعظام " .

وانظر أمثلة لذلك أيضاً فى معجم شيوخه الكبير ، أرقام التراجم الآتية ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦٣٦ ،

٧١٠ ، ٧٣٥ ، ٩٠٩ .

(٤) سير ٢٥٤/١٥ .

في النقد ، ولذلك قال فيه الامام تقي الدين الفاسي المتوفى سنة (٨٣٢) في ذيله على سير أعلام النبلاء : " وكان الذهبي متبحراً في معرفة المتقدمين والمتأخرين ولا يحابي منهم أحداً ، ولا يتحامل على أحد ، ويوضح ما يقع في كلام غيره من إسراف في جرح ، أو انتقاص فيما يحكيه عن غيره . (١)

(١) تعريف ذوي الثُلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء (ق ٢١) .

الفصل الثاني

دراسة في جوانب من كتاب (سير أعلام النبلاء)

كتاب " سير أعلام النبلاء " للإمام الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى من الدواوين الكبيرة النافعة الجامعة لكثير من الفوائد العلمية المتعددة الجوانب، وقد أُلِّفَ الحافظ الذهبي بعد كتبه الكثيرة في النقد والتاريخ والتراجم، مثل كتابه العظيم " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "، و " ميزان الاعتدال في نقد الرجال "، و " تذكرة الحفاظ "، و " معرفة القراء الكبار " بدليل إحالاته الكثيرة على كتبه المذكورة، فكتابه " سير أعلام النبلاء " يُعَدُّ ثمرة وخلاصة جهود الحافظ الذهبي في النقد تتجلى فيه شخصيته العلمية الفذة، ومعرفته الواسعة بالرجال والحديث والتاريخ .

وقد قام الأستاذ بشار معروف بدراسة جيدة عن هذا الكتاب، ورأيت أن دراستي الشاملة للكتاب تستغرق وقتاً وجهداً كبيرين يخرج عن هدف البحث ومخططه الذي أقوم به . وكنت جمعت على البطاقات كثيراً من الباحث المتعلِّق بمنهج الذهبي في كتابه وفن الترجمة عنده، وموارده التي صَحَّ بالنقل عنها فرأيت الاقتصار في هذا الفصل على الباحث الآتية لتعلِّقها بموضوع الرسالة :

وقد قَسَّمْتُ هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : تحديد تاريخ تأليف الذهبي لكتاب " سير أعلام النبلاء "

المبحث الثاني : مفهوم الطبقة عند الحافظ الذهبي ومنهجه في ترتيبها .

المبحث الثالث : الشيوخ والتلاميذ .

المبحث الرابع : الوفيات والولادات وأعمار المترجمين .

*

*

*

المبحث الاول

تحديد تاريخ تأليف الذهبي لكتابه «سير أعلام النبلاء».

~~~~~

أشار الذهبي - رحمه الله تعالى - في ثنايا كتابه - ما يدل على تاريخ تأليفه في عدد من التراجم ، ومن ذلك قوله في ترجمة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم : " وقد صار الطك في ذرية العباس ، واستمر ذلك ، وتداوله تسعة وثلاثون خليفة إلى وقتنا هذا ، وذلك ست مئة عام ، أولهم السفاح . وخليفة زماننا المستكفي له الاسم المنبري ، والعقد والحمل بيد السلطان الملك الناصر ، أيدهما الله " ( ١ )

والعباسيون تقلدوا الحكم سنة ( ١٣٢ ) هـ كما هو مشهور فيكون زمانه الذي أشار إليه هو سنة ( ٧٣٢ ) هـ ، والمستكفي بالله هذا ، هو : " سليمان بن أحمد بن علي ، أبو الربيع الخليفة ، من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر ، ولد ببغداد سنة ٦٨٣ هـ ، وخطبه بمصر بعد وفاة أبيه سنة ( ٧٠١ ) هـ بعهد منه ، فقوض الأمور إلى السلطان الملك الناصر ( محمد ابن قلاوون ) ، وساءت حاله مع السلطان الملك الناصر ، فأخرجه إلى قوص بالصعيد سنة ٧٣٨ هـ ، فأقام إلى أن توفي بها سنة ( ٧٤٠ ) هـ " ( ٢ )

وأشار الذهبي في موضع آخر ، إلى تاريخ كتابته للكتاب في سنة ( ٧٣٣ ) هـ فقال آخر ترجمة الإمام الحافظ شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ( ١٦٠ ) : " آخر الترجمة سردها علي ابن عبد الهادي ( ٣ ) الحافظ في سنة ( ٧٣٣ ) " ( ٤ )

( ١ ) سير ١٠٠ / ٢ .

( ٢ ) الأعلام للزركلي ١ / ٢١ ، وانظر ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون المتوفى سنة ( ٧٤١ ) في الأعلام ١١ / ٧ .

( ٣ ) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المولود سنة ( ٧٠٥ ) هـ والمتوفى سنة ( ٧٤٤ ) هـ عن تسع وثلاثين عاماً رحمه الله تعالى انظر : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٥٠٨ ، المعجم المختص

ص ٢١٥ - ٢١٦

( ٤ ) سير ٢٢٧ / ٧

وأشار الذهبي في موضع ثالث إلى تاريخ كتابة بعض التراجم في سنة ( ٧٣٠ ) فأورد في ترجمة الإمام البخاري قوله : " وأما الصحيح فهو أعلى ما وقع لنا من الكتب الستة في أول ما سمعت الحديث ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وست مئة ( أي وهو ابن تسعة عشر عاماً لأن ولادته سنة ٦٧٣ )

فما ظنك بعمله اليوم وهو سنة خمس عشرة وسبع مئة ! لو رحل الرجل من مسيرة سنة لسمع ما فرط كيف وقد دام علوه إلى عام ثلاثين ، وهو أعلى الكتب الستة سنداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شيء كثير من الأحاديث ، وذلك لأن أبا عبد الله أسس الجماعة وأقدمهم لقيا للكبار أخذ عن جملة يروى الأئمة الخمسة عن رجل عنهم " ( ١ )

وأشار الذهبي إلى السنة نفسها ( ٧٣٠ ) هـ في ترجمة الإمام أبي محمد ، عبد الله ابن أحمد بن حنبل خطيب سرخس المتوفى سنة ( ٣٨١ ) فقال : " وقد بقي حديثه يروى عالياً في سنة ثلاثين وسبع مئة عند أبي العباس ( ٢ ) الحجار ( ٣ )

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة ملك المغرب أبي بكر بن عمر اللمتوني البزري : " وتَمَلَّكُوا أي البربر - نحواً من ثمانين سنة حتى خَرَجَ من جبال دَرَن ابن تومرت ، وقتاه عبد المؤمن وتَمَلَّكُوا المغرب ، ومحووا دولة اللمتونية ، ودام ملكهم مئة وثلاثين سنة ، حتى خَرَجَ عليهم بنومرين ، فَلَمَلَّكُوا ، في أيديهم إلى الآن سبعون سنة ، وعظمت دولة السلطان الفقيه أبي الحسن علي المريني ( ٤ ) ، ودانت له المغرب ، وقتل صاحب تلمسان ، وله جيش عظيم ، وهيبته قوية ، وفيه دين وعدل وعلم " ( ٥ )

( ١ ) سير ١٢ / ٤٠٠ .

( ٢ ) هو الإمام المعتمد أحمد بن أبي طالب بن نعمة ، أبو العباس الحجار ، ولد سنة ثلاث وأربع وعشرين وست مئة ، قال الذهبي في معجم الشيوخ ١ / ١١٩ : وهو شيخ كامل البنية له همة وجلادة وقوة نفس وعقل جيد . . . وقد روى الصحيح إلى آخر سنة ست وعشرين أزيد من ستين مرة . . . وكان أمياً لا يكتب ولا يقرأ إلا اليسير من القرآن ، حَدَّثَ في صفر سنة ثلاثين وسبع مئة ، تحدَّثوا بموته وأفاق فقروا عليه أجزاء ثم مات يوم الخامس والعشرين من الشهر " انتهى

( ٣ ) سير ١٦ / ٤٩٣

( ٤ ) هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني أبو الحسن ، المنصور بالله ، من كبار بني مرين ، ملوك المغرب ولد سنة ( ٦٩٧ ) هـ وبعد وفاة أبيه سنة ( ٧٣١ ) وكان مع بطولته له اشتغال بالأدب والشعر ، توفي سنة ( ٧٥٢ ) وانظر الأعلام للزركلي ٤ / ٣١١

( ٥ ) سير ١٨ / ٤٣٩ - ٤٣٠

وكان سقوط دولة الموحدين " بني عبد المؤمن " في سنة ( ٦٧٤ ) على يد يعقوب بن عبد الحق المريني الزناتي ، السلطان المنصور بالله <sup>(١)</sup> ، فإذا كان هذا العام هو نهاية دولة الموحدين وبداية ملك بني مرين ، وقول الحافظ الذهبي : وللملك في أيديهم إلى الآن سبعون سنة ، أي سنة ( ٧٤٤ ) ، والله أعلم .

وفي ترجمة همام بن راجي اللـ... بن فتوح المتوفى سنة ( ٦٣٠ ) ترجم لنا فله : تقي الدين محمد بن محمد بن علي بن همام فقال : حَدَّثَ عن الأبرقوهي وغيره وهو باق <sup>(٢)</sup> .

وقد توفي الإمام تقي الدين في ربيع الأول سنة ( ٧٤٥ ) وقول الذهبي عنه : " هو باق " يدل على أنَّ تأليفه للكتاب قبل سنة ( ٧٤٥ ) .

وترجم الذهبي للحافظ البرزالي ، محمد بن يوسف المتوفى سنة ( ٦٣٦ ) ، ثم ترجم لولده يوسف المتوفى سنة ( ٦٤٣ ) ، ثم ترجم لحفيده محمد بن يوسف بن محمد المتوفى سنة ( ٦٩٩ ) - وابنه الحافظ ، علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد المتوفى سنة ( ٧٣٩ ) وقال عقب ذلك : " رحم الله الجميع " <sup>(٣)</sup> .

فقوله : " رحم الله الجميع " يشير إلى وفاتهم ، ووفاة شيخه الحافظ علم الدين سنة ( ٧٣٩ ) ما يدل على تأليفه للكتاب إلى ما بعد سنة ( ٧٣٩ ) ، ولو كان شيخه البرزالي جليلاً لأشار إلى

( ١ ) قال الزركلي في الأعلام ١٩٩/٨ : سيد بني مرين علي الإطلاق ، بربري من أصل عربي ولد سنة ٦٠٧ وتوفي سنة ( ٦٨٥ ) رحمه الله . ومؤسس الدولة المرينية عبد الحق بن محيو المريني المولود سنة ٥٤٢ والمتوفى سنة ( ٦١٤ ) وهو مرين من بربر المغرب من قبيلة زنقة كلا في ترجمته في الأعلام ٢٨٢/٣ ، وآخر ملوك بني مرين هو عبد الحق بن عثمان بن أحمد المريني المتوفى سنة ( ٨٧٩ ) قتله أبو عبد الله الحفيد ، ومهلكه انقضت دولة بني مرين في المغرب كما في ترجمته في الأعلام ٢٨١/٣ .

( ٢ ) سير ٣٦٢/٢٢

( ٣ ) سير ٥٥٠/٢٣ والقاسم بن محمد البرزالي ترجم له الذهبي في المعجم المختص رقم ( ٩٠ ) وفي المعجم الكبير رقم ( ٦٣٥ ) توفي محرماً بخليص في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة عن خمس وسبعين سنة غير أشهر ، وترجم لأبيه محمد بن يوسف في المعجم الكبير برقم ( ٨٧٥ ) وقال عنه : " وكان ديناً خيراً وقوراً متعبداً صاحب أوراك ومحبة السنن والآثار ، توفي في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة " . هـ

ذلك كما سبق في ترجمته لتقى الدين محمد بن محمد بن علي بن همام حيث قال : وهو باق .  
وقال الذهبي في ترجمة مستدر الإِسْكَندرية ، رشيد الدين ، أبو محمد ، عبد الوهاب بن  
زُواج المتوفى سنة ( ٦٤٨ ) : وفي سنة ست وثلاثين وسبع مئة شيخ معمر ، يروي عنه بالإجازة  
وهو أخو محبي الدين المقدسي \* ( ١ )

وفي ترجمة أبي عبد الله ابن الأبار المتوفى سنة ( ٦٥٨ ) : ساق حديثاً من طريقة يروايتها  
عن ابن جابر الوادي فقال : " أخبرنا أبو عبد الله بن جابر المقرئ سنة ( ٧٣٤ ) . . . ( ٢ )  
وعين الذهبي سنة سبع وثلاثين وسبع مئة تاريخ تأليفه للكتاب ، فقال في ترجمة ضياء الدين  
النشيري المتوفى سنة ( ٦٤٩ ) والآن وهو سنة سبع وثلاثين وسبع مئة تروي عنه بالإجازة بنت الكمال  
التي كتب بها إليها في سنة سبع وأربعين وست مئة ، فمن أراد العلو الذي لا نظير له فليسمع بها  
فلو ارتحل الطالب لسمع جزء واحد من ذلك شهراً لما ضاعت رحلته \* ( ٣ )  
فالتواريخ التي ذكرها الحافظ الذهبي تدلُّ على أنه شرع في تأليف الكتاب بعد سنة ( ٧٣٠ )  
والتحديد سنة ( ٧٣٢ ) واستمر في تأليفه وتنقيحه إلى سنة ( ٧٤٤ ) أي ما يقارب اثني عشر  
عاماً .

وقول الدكتور الفاضل بشار عواد معروف في مقدمة الدراسة التي كتبها بعنوان : " الذهبي  
وكتابه سير أعلام النبلاء " : وليس من المعقول أن يستغرق تأليف الكتاب سبع سنوات ومعظم مادته  
كانت جاهزة عند مؤلفه بسبب أنه ألفه بعد تاريخه الكبير " تاريخ الإسلام " قول غير صحيح بدليل  
السنوات التي أشار إليها وصرح بها ، وليس معنى ذلك انقطاعه الكامل إلى تأليفه في مدة  
زمنية محددة ، بل كان يجري قلم التعديل والزيادة في كتابه خلال هذه المدة  
المذكورة ، والله أعلم .

وكتابه هذا من أواخر كتبه ، بدليل أنه يحيل إلى كتبه الأخرى مثل تاريخه الكبير الذي انتهى من

( ١ ) سير ٢٣٨ / ٢٣

( ٢ ) سير ٣٣٨ / ٢٣

( ٣ ) سير ٢٤٣ / ٢٣

تأليفه أول مرة سنة ٧١٤ هـ ثم أعاد النظر فيه وبيّض قسماً منه سنة ٧٢٦ هـ <sup>(١)</sup>، وأحال أيضاً  
إلى ميزان الاعتدال <sup>(٢)</sup>، وإلى طبقات القراء <sup>(٣)</sup>، وإلى تذكرة الحفاظ <sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) انظر: الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام ص ٢٥ فما بعد، وهذه بعض مواطن الإحالات إلى  
تاريخه الكبير ويسميه أحياناً: "تاريخ الإسلام"، وأحياناً: كتاب التاريخ، وأحياناً: التاريخ الكبير

١/ ٢٤١، ٥٥٦، ٥٨/ ٣، ٣٨٠، ٤٠٣٨، ٣٦/ ٩٧، ١٨٠، ٣٤٣، ٦، ٥٨/ ١٠٦، ١٤٤،  
٧/ ٥٢، ١٧٨، ١٨٠، ٣٩٦، ٤٠١، ٤٢٥، ١٧، ٢٤٦، ٥٣٥، ١٨، ١٣، ٩١، ٢٤٤ -  
٢٨٥، ٣٢٠، ١٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٠، ١١٢، ٢١١، ٣٨٠، ٥٨٦، ٢١، ٣٦٣، ٣٧٦ -  
٤٩٧، ٥٠١، ٢٢، ٢٠٩، ١٣٩، ٢٧١، ٢٢٣، ٢٣، ٢٢٧.

(٢) ٤/ ١٥٥، ٥، ٢٠٧، ٦، ٣٢٢، ٧، ١٧٨، ٣١٧، ٨، ١٦٤، ١٠٠، ١٠٣، ١١، ٦/ ١٥٢،  
١٨، ١٣، ١٩، ٢٥١.

(٣) ١/ ٣٩٩، ٢، ٣٩٨، ٦٢٧، ٤، ٣٧٩، ٥، ٢٨٨، ٢٩٣، ٦، ٤٠٧، ٧، ٩٢، ٣٣٦، ٣٣٨،  
١٢/ ٥١، ١٨، ١٣، ٦٠١، وأحياناً يسميه "طبقات المقرئين" كما في ١٧/ ٢١٤، وتارة  
(ديوان القراء) كما في ١٠/ ٣٣٨.

(٤) ومن المواطن التي أحال فيها إلى "تذكرة الحفاظ" ٢/ ٦٢٧، ١٧، ٢٤٦، ٦٦٣ -  
١٨، ٤٢٤، ١٩، ١٠٧.

## المبحث الثاني

مفهوم الطبقة عند الحافظ الذهبي ومنهجه في ترتيبها في كتابه

"سير أعلام النبلاء"

الطبقة<sup>(١)</sup> في اللفظة هم القوم المتشابهون، وفي الاصطلاح : قوم تقاربوا في السن والإسناد أو في الإسناد فقط بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر أو يقاربوا شيوخه .  
قال النووي : " وقد يكون الشخصان من طبقة باعتبار، ومن طبقتين باعتبار، كأنس بن مالك وأشباهه من أصاغر الصحابة، هم مع العشرة من طبقة الصحابة . . . واعتبار سوابق الصحابة ومراتبهم يكونون بضع عشرة طبقة، والناظر في هذا النوع يحتاج إلى معرفة المواليذ والونيسات ومن أخذوا عنه وأخذ منهم<sup>(٢)</sup> .

وتقسيم التراجم على الطبقات فكرة إسلامية أصيلة، وما يدل على ذلك الحديث الشريف : " خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"<sup>(٣)</sup> وما أمرنا به من إنزال الناس منازلهم كما في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم<sup>(٤)</sup>

وقد انتقد الإمام ابن الجوزي أبا نعيم الأصفهاني لأنه لم يرتب كتابه "حلية الأولياء" على نظام الطبقات فقال : إنه خلط في ترتيب القوم من ينبغي أن يؤخر، وآخر من ينبغي أن يقدم فلا يكاد طالب الرجل يهتدي إلى موضعه<sup>(٥)</sup> وقد رتب ابن الجوزي كتابه "صفة الصفوة" على

## الطبقات .

( ١ ) انظر بحثاً موسعاً يتعلق بموضوع الطبقات، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٧٤ - ٨٣ ، ١٨٠-١٩٠ ، وتقدم كتاب سير أعلام النبلاء ص ٩٧ - ١١٩ .

( ٢ ) الإرشاد ٢ / ٧٩٨ - ٧٩٩ .

( ٣ ) سيأتي تخرج هذا الحديث في مبحث عدالة الصحابة .

( ٤ ) قال الحافظ السخاوي في "الجواهر والدرر" ص ٥ - ٩ هذا حديث حسن أورده مسلم في مقدمة صحيحه بلا إسناد<sup>ص ٥٥/٨</sup>، لكن قد جزم الحاكم بتصحيحه في النوع السادس عشر من معرفة علوم الحديث، وكذا صححه ابن خزيمة وأخرجه البرزالي في مسنده، ورواه أبو داود في الأدب من سننه<sup>(٤٨٤٤)</sup>، وأخرجه أبو أحمد العسكري في كتاب الأمثال له . . . وبالجملة فحديث عائشة حسن

( ٥ ) انظر صفحة الصفوة ١ / ٥ - ٧ .

يقول الدكتور بشار عواد معروف : " لقد اخترع المحدثون التنظيم على الطبقات

لخدمة دراسة الحديث النبوي الشريف ومعرفة إسناد الحديث ونقده ، فهو الذي يـُـرَدُّ ي  
إلى معرفة فيما إذا كان الإسناد متصلاً ، أو مافي السند من إرسال أو انقطاع أو عضل أو تدليس  
أو اتفاق في الأسماء ، مع اختلاف في الطبقة ، وكان نظام الطبقات على غاية من الأهمية في العصور  
الأولى التي لم يمتن المؤلفون فيها بضبط مواليد الرواة ووفياتهم إنما كانت تحدد طبقاتهم  
بمعرفة شيوخهم والرواة عنهم " ( ١ )

يقول العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر المتوفى سنة ( ١٣٧٧ ) في مقدمة  
جامع الترمذى : " وقد كانت كتب التراجم في العصور الأولى على السنين والطبقات ، مثل كتاب  
الطبقات الكبير " لمحمد بن سعد المتوفى في جمادى الآخرة سنة ( ٢٣٠ ) ، ومثل تواريخ البخارى  
الثلاثة : الكبير والأوسط والصغير .

ومن مارس كتب التراجم وأطال القراءة فيها وجد أن ما رُتِّب منها على السنين والطبقات أجمل  
نفعاً وأعلى فائدة للمستفيد من الكتب المرتبة على الحروف ، لأنَّ القارىء يدرس رجال العصر  
الواحد وأحوالهم متقارنة متقاربة ، ومتابعة متوالية ، فيعرف النظائر والأقران ، والشيوخ والتلاميذ ،  
فيستفيد صورة مجموعة غير مفرقة ، بخلاف ما رُتِّب على الحروف ، فقد يُرغم هذا الترتيب المؤلف  
على أن يأتي برجل من الطبقة الأولى بعد رجل من الطبقة العاشرة مثلاً ، فلا يجد القارىء فيها  
تناسباً بين ما يقرأ .

وإنما اضطر المتقدمون - رحمهم الله - إلى معاجم الأعلام ، لأنَّ المطابع لم تكن وجدت ، وأرادوا  
التيسير على القراء والباحثين ، لأنَّ الكتب المعاجم أسرع دالة للباحث على ما يطلب من التراجم ،  
وأنا أظن ، - بل أكاد أوقن - أنه لو وجدت المطابع في العصور السالفة ، بين أيدي أئمتنا  
المتقدمين ، لكانوا أكثر انتفاعاً بها منا ، ولو ضَعُّوا كتبهم في التراجم - كلها - على الطبقات ثم  
ألحقوا بها ما شاءوا من فهارس تسهياً للمستفيد والباحث ( ٢ )

وقد اهتم الإمام الذهبي بنظام الطبقات في ترتيب كتبه في التراجم والتاريخ ( ٣ ) ، مثل

( ١ ) مقدمة سير أعلام النبلاء ١/١٠٦ .

( ٢ ) مقدمة تحقيق سنن الترمذى ١/٥٤-٥٥ .

( ٣ ) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور المصري ص ١٨٩ - ١٩٠ .

" سير أعلام النبلاء " و " تاريخ الإسلام " ، و " معرفة القراء الكبار " ، و " ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتمديد " ، و " المجرد في أسماء رجال كتاب ابن ماجه " ، و " المعين في طبقات المحدثين " .

يقول الأستاذ الدكتور بشار معروف : " إنَّ الذهبي لم يراع ايجاد تقسيم واحد في عدد الطبقات بين هذه الكتب ، ولا راعى التناسق في عدد المترجمين بين طبقة وأخرى فـسـ الكتاب الواحد ، كما لم يلتزم بوحدة زمنية ثابتة للطبقة في جميع كتبه فيما عدا " تاريخ الاسلام " .  
١ - عدد الطبقات : قسم الذهبي كتابه " تذكرة الحفاظ " على إحدى وعشرين طبقة ( ١ ) ،

وقسم " معرفة القراء " على سبع عشرة طبقة ، بينما جعل " سير أعلام النبلاء " في أربعين طبقة تقريباً ( ٢ ) ، مع أن الكتب الثلاثة المذكورة تناولت نطاقاً زمنياً واحداً يمتد من الصحابة إلى عصره الذي عاش فيه .

٢ - عدد المترجمين : ونجد اختلافاً كبيراً جداً في أعداد المذكورين في الطبقات في الكتاب الواحد ( ٣ ) .

( ١ ) وقال الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٢٥٠ / ١ : " ولا بد في كل طبقة من مجازبة الطبقتين ، وإلا فلو بلغ في تقسيم الطبقات لجاءت كل طبقة ثلاث طبقات وأكثر " أما كتاب " ذكر من يعتمد قوله " فقد بلغ عدد الطبقات اثنين وعشرين طبقة .  
( ٢ ) وقد بلغ عدد الطبقات في المطبوع من سير النبلاء خمساً وثلاثين طبقة فقط ، والطبقة الخامسة والثلاثون تتراوح وفيات أصحابها بين سنة ( ٦٣٤ ) وسنة ( ٦٥٦ ) . والكتاب المطبوع تنقصه الطبقات الخمس الباقية ، وما يؤكد وقوع النقص فيه أنَّ الإمام الفاسي نصَّ في كتابه " تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء " ( ق ٢٠ ) أنَّ الذهبي ترجم لشيخه المزني في كتابه وبه ختم كتابه ، ووفاة المزني سنة ( ٧٤٢ ) . ومما يؤكد أيضاً وقوع النقص أنَّ الذهبي ترجم للإمام النووي في كتابه كما نقل السخاوي عنه في الكتاب الذي أفرده لترجمة النووي . ولعل الله ييسر نسخة كاملة ليستدرك فيها النقص الواقع في الكتاب المطبوع .

( ٣ ) ففي كتاب " ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتمديد " نجد أعداد المترجمين فـسـ الاثنين وعشرين طبقة تتضمن الأعداد الآتية حسب تسلسل الطبقات : ٣٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ١٠٢ ، ٨٨ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ٣٣ ، ٢٢ ، ١٨ ، ٣٤ ، ١٠ ، ١٦ ، ١١ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٣ ، ٢٥ ، ١٨ ، ١١ فأعداد المترجمين تتراوح بين عشرة أشخاص إلى مئة وشخصين .

٣ - الوحدة الزمنية : لم يراعِ الذهبي وحدةً زمنيةً ثابتةً في كتبه التي نظمها على

الطبقات ، وهو بذلك لم يدخل سني وفيات المترجمين باعتباره بشكل دقيق ، حيث نجد هنا متداخلة بين طبقة وأخرى من جهة ، كما نلاحظ في الوقت نفسه تبايناً كبيراً جداً في المدة الزمنية التي تستغرقها كل طبقة من الطبقات .

ولكن الذهبي جعل الطبقة عشر سنوات في كتابه " تاريخ الاسلام " فتألف كتابه من سبعمين طبقة ، ولم يقصد بالطبقة هنا غير " العقد " ، وهو مفهوم يدل على وحدة زمنية محدّدة قدرها عشر سنوات ، وهذا التنظيم علاقته بطريقة الترتيب على السنين لا على طريقة الطبقات . من كل الذي مرّ يتضح أنّ الذهبي استعمل الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث اللقاء في الشيوخ الذين أخذوا عنهم ، ثم تقاربهم في السن من حيث المولد والوفاة <sup>(١)</sup> منهج الذهبي في ترتيب الطبقات في كتابه " سير أعلام النبلاء " :

أبان الحافظ الذهبي عن طريقته في ترتيب الطبقات في كتابه " سير أعلام النبلاء " واستدرك على نفسه في بعض المواطن . كما ذكر أنه يتردّد في تحديد طبقة الكهل الذي تقدّم موته ، والمُعَمَّر الذي تأخّر وفاته ، فقال في ترجمة أبي توبة الحلبي : " وما أزال متردّداً في الكهل القديم الموت ، وفي المعمر الذي تأخّر " <sup>(٢)</sup> ومن الأمثلة والنماذج التي صرّح الذهبي فيها بتحديد الطبقة لمن تقدّست وفاتهم ، ما يأتي :

(١) - في ترجمة الإمام جامع بن شدّاد الكوفي : " وهو من أقران الأعشى ، وإنما قدمته ، لأنه قديم الموت ، توفي سنة ثمان عشرة ومئة " <sup>(٣)</sup> وقد ذكره الذهبي في الطبقة الثالثة من التابعين والتي افترضها بترجمة معاوية بن قرة المتوفى سنة ( ١١٣ ) ، واختتمها بترجمة أبي إسحاق السبيعي المتوفى سنة ( ١٢٧ ) . أما الأعشى فقد ولد سنة ( ٦١ ) وتوفي سنة ( ١٤٨ ) وقد ترجم له الذهبي في الطبقة الرابعة من التابعين .

(١) مقدمة سير أعلام النبلاء ١٠٠/١ - ١٠٧ بتصرف واختصار .

(٢) سير ٦٥٥/١٠

(٣) سير ٢٠٦/٥

٢ - وفي ترجمة الإمام أيوب بن مسكين ، ويقال : ابن أبي مسكين المتوفى سنة ( ١٤٠ ) :  
فلولا قديم موته لأُخِّرَ إلى طبقة الحَمَّادِيْنَ<sup>(١)</sup> وقد ذكره الذهبي في الطبقة الرابعة من التابعين  
أما الحَمَّادان : حَمَّاد بن سَلَمَةَ المولود سنة ( ٩١ ) ، والمتوفى سنة ( ١٦٧ ) ، وحَمَّاد بن  
زيد المولود سنة ( ٩٨ ) ، والمتوفى سنة ( ١٧٩ ) ، فقد ذكرهما الحافظ الذهبي في الطبقة  
السابعة .

٣ - وفي ترجمة محمد بن أبي كثير الأنصاري : " توفي مع سليمان بن بلال في حدود سنة  
سبعين ومئة ، من أبناء الستين ، وهو من طبقة ابن عُلَيَّة ، وأنس بن عياض ، وإنما قَدِّمته عن قرئانه  
إلى هنا لِقَدَم وفاته ، والله أعلم<sup>(٢)</sup> . وقد ذكره الذهبي في الطبقة السابعة ، وابن عُلَيَّة إسماعيل  
ابن إبراهيم المولود سنة ( ١١٠ ) والمتوفى سنة ( ١٩٣ ) ، وأنس بن عياض المولود سنة  
( ١٠٤ ) والمتوفى سنة ( ٢٠٠ ) ترجم لهما الذهبي في الطبقة التاسعة .

٤ - وفي ترجمة الحافظ وهيب بن خالد بن عَجَلان البصري المولود سنة ( ١٠٧ ) والمتوفى  
سنة ( ١٦٥ ) : " هو صغير عن هذه الطبقة ، وإنما أدرجناه معهم ، لأنه قديم الوفاة ، مات  
قبل حَمَّاد بن سلمة<sup>(٣)</sup> وقد ترجم له الذهبي في الطبقة الثامنة .

٥ - وفي ترجمة الإمام إبراهيم بن نصر الخراساني المتوفى سنة ( ٢١٣ ) : " وهو من رفقاء  
إسحاق ، وإنما قَدِّمناه لِقَدَم موته<sup>(٤)</sup> . وقد ذكره الذهبي في الطبقة الحادية عشرة ، وأما إسحاق  
ابن راهوية<sup>(٥)</sup> المولود سنة ( ١٦١ ) والمتوفى سنة ( ٢٣٨ ) فقد ذكره في الطبقة الثانية  
عشرة .

٦ - وفي ترجمة الإمام الحافظ البار محمد بن أسد الخوشي : " قلت : مات بُعِيد سنة  
ثلاثين ومئتين أوفيها ، وأثبتته هنا لِقَدَم وفاته<sup>(٦)</sup> وقد ذكره الذهبي في الطبقة الثالثة عشرة

( ١ ) سير ١٤٣/٦ .

( ٢ ) سير ٣٢٢/٧ .

( ٣ ) سير ٢٢٣/٨ .

( ٤ ) سير ٣٩٧/١٠ .

( ٥ ) انظر ترجمته في السير ٣٥٨/١١ .

( ٦ ) سير ٦٥٦/١٠ .

٧ - وفي ترجمة الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم بن حَيَّون الأندلسي : " مات في آخر الكهولة في سنة خمس وثلاث مئة ، وهو من أقران الطبراني ، وإنما قَدَّمته إلى هنا كونه مات قبل اوان الرواية ، ولقد كان من فرسان الحديث رحمه الله . وأما الطبراني ، فقد عاش إلى سنة ستين وثلاث مئة ، وصار شيخ الإسلام <sup>(١)</sup> وقد ترجم الذهبي لابن حَيَّون في الطبقة السابعة عشرة ، وترجم للطبراني في الطبقة العشرين ، وقد عاش الطبراني مئة عام وعشرة أشهر . <sup>(٢)</sup>

٨ - وفي ترجمة الإمام الحافظ الشهيد محمد بن أحمد بن محمد الجارودي الهروي المتوفى سنة ( ٣١٢ ) : " وهو من أقران الطبراني ، وابن عدي ، وإنما كتب هنا لقدم وفاته ، فافهم ذلك ولو أنني أخرته إلى عصر أقرانه لَسَاغَ أيضاً <sup>(٣)</sup> وقد ذكره الذهبي في الطبقة السابعة عشرة وذكر الطبراني وابن عدي في الطبقة العشرين .

٩ - وفي ترجمة الإمام الحافظ أبي أحمد حامد بن أحمد الزيدى المولود بمكة ( ٢٨٢ ) — والمتوفى بمكة ( ٣٢٨ ) : " قلت : لولا قَدَم وفاته لذكرته مع ابن عدي والاسماعيلي <sup>(٤)</sup> وقد ترجم له الذهبي في الطبقة التاسعة عشرة ، وابن عدي الجرجاني <sup>(٥)</sup> المولود سنة ( ٢٧٧ ) والمتوفى سنة ( ٣٦٥ ) والاسماعيلي <sup>(٦)</sup> هو الامام الحافظ أحمد بن ابراهيم الجرجاني الاسماعيلي المولود سنة ( ٢٧٧ ) ، والمتوفى سنة ( ٣٧١ ) ، وقد ذكرهما الذهبي في الطبقة العشرين .

كما بيّن الذهبي طريقته في تحديد طبقة من تقدّم ولادتهم وتأخّرت وفاتهم ، ومن أمثلة

ذلك :

- 
- ( ١ ) سير ١٤ / ٤١٣ .
  - ( ٢ ) انظر ترجمته في السير ١٦ / ١١٩ - ١٣٠ .
  - ( ٣ ) سير ١٤ / ٥٣٩ .
  - ( ٤ ) سير ١٥ / ٣٧٠ .
  - ( ٥ ) انظر ترجمته في السير ١٦ / ١٥٤ - ١٥٦ .
  - ( ٦ ) انظر ترجمته في السير ١٦ / ٢٩٢ - ٢٩٦ .

- ١ - في ترجمة الإمام الحافظ الثقة المصنف، جرير بن حازم البصري المتوفى سنة ( ١٧٠ ) : " قلت : قدّمت جريراً ، وإن كانت وفاته تأخّرت ، والخطب يسير في مثل هذا " (١) وقد ذكره الذهبي في الطبقة السادسة ووفياتهم تتراوح بين ( ١٥٠ ) إلى ( ١٦٠ ) .
- ٢ - وفي ترجمة الإمام الثقة الحافظ أبي توبة، الربيع بن نافع الحلبي المولود سنة ( ١٥٠ ) والمتوفى سنة ( ٢٤١ ) : " قلت : كان من أبناء التسعين ، وإنما قدّمت ترجمته لقدمه ونبله ولذلك ما زال متردداً في الكهل القديم الموت ، وفي المصنف الذي تأخّر " (٢) وقد ذكره الذهبي في الطبقة الثانية عشرة ، وإنما ذكره في هذه الطبقة لعدم لادته ونبله ، وإنّ تحديد الطبقة من الأمور الاجتهادية التي يتردّد في تحديدها .
- ٣ - وفي ترجمة المصنف الكبير عماد بن علي السيريني البصري المولود سنة ( ٢٠٤ ) والمتوفى سنة ( ٣٠٩ ) : " مات في سنة تسع وثلاث مئة ، وله مئة وخمس سنين ، ولولا تأخر وفاته لذكره مع أبي بكر بن أبي عاصم ونظرائه " (٣)
- وقد ذكره الذهبي في الطبقة السابعة عشرة ، وأبو بكر بن أبي عاصم (٤) هو أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم المتوفى سنة ( ٢٨٧ ) ذكره الذهبي في الطبقة الخامسة عشرة .
- ٤ - وفي ترجمة الشيخ الثقة محمد بن أحمد المصري الإخميمي : " مات في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وثلاث مئة ، وهو من أهل الطبقة الماضية تأخّرت وفاته " (٥) وقد ترجم له الذهبي في الطبقة الثانية والعشرين
- كما استدرك الحافظ الذهبي على نفسه تحديد بعض الطبقات بالتقديم أو التأخير ، ومن

أمثلة ذلك :

- ١ - في ترجمة الإمام الثبت إبراهيم بن محمد بن المنتشر : " وهو قديم الوفاة ، وكان ينبغي
- 
- ( ١ ) سير ١٠٣/٧ .
- ( ٢ ) سير ٦٥٥/١٠ .
- ( ٣ ) سير ١٥١/١٤ .
- ( ٤ ) انظر ترجمته في السير ٤٣٠/١٣ - ٤٣٩ .
- ( ٥ ) سير ٨٥/١٧ .

أن يُذكر في الطبقة الماضية - رحمه الله <sup>(١)</sup> . وقد ذكره في الطبقة السادسة .

٢ - في ترجمة الإمام الحافظ الثقة، مروان بن معاوية الفزاري المتوفى سنة ( ١٩٣ ) : "

مروان هو ابن عم الإمام أبي إسحاق الفزاري ، وكان ينبغي أن يلصق به لأنه في طبقته <sup>(٢)</sup> -

وقد ذكره في الطبقة التاسعة ، وأبو إسحاق الفزاري <sup>(٣)</sup> هو الإمام الكبير المجاهد إبراهيم

ابن محمد بن الحارث الفزاري المتوفى سنة ( ١٨٦ ) وقد ذكره في الطبقة الثامنة .

٣ - وفي ترجمة الإمام هشام بن يوسف الصنعاني المتوفى سنة ( ١٩٢ ) : " من أقران عبد

الرازق ، لكنه أجل وأتقن ، مع قَدَم موته ، فهو يذكر مع معن بن عيسى ، وعبد الرحمن بن مهدي <sup>(٤)</sup>

وقد ترجم له الذهبي في الطبقة العاشرة ، بعد ترجمة الإمام عبد الرزاق الصنعاني الميتوفى

سنة ( ٢١١ ) ، وقد استدرك على نفسه بأنه يجب أن يذكر في طبقة عبد الرحمن بن مهدي <sup>(٥)</sup>

المتوفى سنة ( ١٩٨ ) ، ومعن بن عيسى <sup>(٦)</sup> المتوفى سنة ( ١٩٨ ) أيضاً ، وقد ذكرهما الذهبي

في الطبقة التاسعة .

٤ - وفي ترجمة الإمام الثقة المحدث محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب البصري

المتوفى سنة ( ٢٤٤ ) : " قلت : قَدَمته سهواً ، فينبغي أن يحوّل إلى عند أبي مصعب <sup>(٧)</sup> .

وأبو مصعب <sup>(٨)</sup> هو أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث المولود سنة ( ١٥٠ ) ، والمتوفى

سنة ( ٢٤١ ) .

٥ - وفي ترجمة الشيخ الإمام أبي نصر ، منصور بن الحسين النيسابوري المفسر : " وتوفي

سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة ، قبل وفاة الطرازي بيسير ، فهو من طبقته ، فليُضم إليه <sup>(٩)</sup> .

والطرازي هو أبو الحسن علي بن محمد الطرازي البغدادي ، توفي سنة ( ٤٢٢ ) ، ذكره

الذهبي في نهاية الطبقة الثانية والعشرين ، وذكر النيسابوري المفسر في الطبقة الثالثة

والعشرين .

( ٢ ) سير ٥١ / ٩ .

( ١ ) سير ٥٦ / ٢ .

( ٣ ) انظر ترجمته في السير ٥٣٩ / ٨ - ٥٤٣ ( ٤ ) سير ٥٨٠ / ٩ .

( ٥ ) انظر ترجمته في السير ١٩٢ / ٩ . ( ٦ ) انظر ترجمته في السير ٣٠٤ / ٩ .

( ٧ ) سير ١٠٤ / ١١ . ( ٨ ) انظر ترجمته في السير ٤٣٦ / ١١ .

( ٩ ) سير ٤٤٢ / ١٢ . ( ١٠ ) انظر ترجمته في السير ٤٠٩ / ١٢ .

وفى بعض الأحيان لا يقف الذهبي على وفاة المترجم فيحدد الطبقة بالظن ، فيقع فسى

الوهم ، مثال ذلك :

في ترجمة العلامة المحدث أبي بكر أحمد بن مروان الدينورى : " قلت : لم أظفر بوفاة

الدينورى ، وأراها بعد الثلاثين وثلاث مئة " <sup>(١)</sup> وهذا الظن دعاه ليدرج الدينورى فسى

الطبقة التاسعة عشرة ، مع أنَّ وفاته فى سنة ( ٢٩٨ ) <sup>(٢)</sup> فعقَّه أن يكون فى الطبقة السادسة

عشرة ، والله أعلم .

#### الخروج عن الطبقة :

ومن طريقته فى ترتيب التراجم ضمن الطبقات أنه يخرج عن الطبقة بذكر أقرباء المترجم ،

أو ذكر الأسماء المتشابهة ، ومن أمثلة ذلك :

ترجم لنوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم المتوفى سنة

( ١٥ ) أو ( ٢٠ ) ، ثم لابنه الحارث ، ثم لحفيده عبد الله بن الحارث المتوفى سنة ( ٨٤ ) ،

( ٣ )

ثم لابنه عبد الله بن عبد الله بن الحارث المتوفى سنة ( ٩٧ ) .

وفى أوائل الطبقة الخامسة من التابعين ترجم الذهبي للإمام جعفر بن محمد الصادق

المتوفى سنة ( ١٤٨ ) <sup>(٤)</sup> ، ثم ذكر أولاده ونسله ونفى نسبة عبيد الله المهدي إليهم . ثم قال

بعد ذلك : " رجعنا إلى تنمة آل جعفر الصادق ، فأجلَّهم وأشرفهم ابنه موسى الكاظم <sup>(٥)</sup>

المتوفى سنة ( ١٨٣ ) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً :

ترجم للإمام الفقيه أحمد بن حفص البخارى الحنفى المتوفى سنة ( ٢١٢ ) ، ثم ترجم

( ٦ )

لولده الإمام مفتي بخارى وعالمها ، محمد بن أحمد بن حفص المتوفى سنة ( ٢٧٠ ) .

وترجم للإمام أبي منصور الأزدي الشافعى المتوفى سنة ( ٤١٠ ) ، ثم ترجم لابنه الإمام

( ٧ )

أبي أحمد منصور بن محمد المتوفى سنة ( ٤٤٠ ) .

( ٢ ) كما فى الدياج المذهب : ٣٢ - ٣٣ .

( ١ ) سير ٤٢٨ / ١٥ .

( ٤ ) سير ٢٥٥ / ٦ - ٢٦١ .

( ٣ ) انظر : سير ١٩٩ / ١ - ٢٠٢ .

( ٦ ) سير ١٥٧ / ١٠ - ١٥٩ .

( ٥ ) سير ٢٧٠ / ٦ .

( ٧ ) سير ٢٧٤ / ١٧ - ٢٧٥ .

وترجم للإمام القاسم بن محمد المأموني المتوفى سنة ( ٤٤٨ ) ، ثم ترجم لولده أبي

محمد ، حجاج بن القاسم المتوفى سنة ( ٤٨١ ) ، وقال : " ذكرته تبعاً للأب " ( ١ )

وقد يترجم للأبن ثم يترجم للأب كما في ترجمة أبي جعفر محمد بن أحمد ابن السلـمة

المتوفى سنة ( ٤٦٥ ) ، ثم ترجم لأبيه الإمام العابد أبي الفرج أحمد بن محمد المتوفى

( ٢ )

سنة ( ٤١٥ ) .

وترجم لشيخ الشافعية أبي نصر ، عبد السيد بن محمد ابن الصَّبَّاح المتوفى سنة ( ٤٧٧ ) ،

ثم ترجم لأبيه أبي طاهر ، ابن الصبَّاح المتوفى سنة ( ٤٤٨ ) ، ثم ترجم لولده أبي القاسم

( ٣ )

على بن عبد السيد المتوفى سنة ( ٥٤٢ )

وقد يذكر الابن والحفيد والذرية ، ومن أشلة ذلك :

في ترجمة أبي الفرج ، عبد الواحد بن محمد الأنصاري الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة

( ٤٨٦ ) : " وهو والد شرف الإسلام عبد الوهاب ، توفي سنة نيف وأربعين وخمسة مئة . وشرف

الإسلام هذا هو جدُّ الإمام المفتي شيخ الحنابلة : ناصح الدين ، عبد الرحمن بن نجم

ابن عبد الوهاب بن الحنبلي الدمشقي الواعظ ، الذي مولده في سنة أربع وخمسين وخمسة

( ٤ )

مئة ، توفي سنة أربع وثلاثين وست مئة ، وله ثمانون سنة " ( ٤ )

وفي ترجمة الإمام القاضي عيَّاض المتوفى سنة ( ٥٤٤ ) ترجم لناقلته فقال : " ومن سلالة

( ٥ )

العلامة أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن القاضي عياض بن موسى المتوفى سنة ٦٥٥ ( ٥ )

وفي ترجمة الإمام همام بن راجي الله بن قُتُوب الشافعي التَّحَوِي المتوفى سنة ( ٦٣٠ )

ترجم لابنه علي بن همام ، ثم لحفيده محمد بن علي المتوفى سنة ( ٧١٣ ) ، ثم لناقلته

( ٦ )

تقي الدين محمد بن محمد المتوفى سنة ( ٧٤٥ ) ( ٦ )

وقد يخرج عن الطبقة لذكر الأسماء المتشابهة :

ففي ترجمة عبد الله بن عَوْن بن أرطبان ، عالم البصرة ، المتوفى سنة ( ١٥١ ) ، ترجم

( ١ ) سير ٦/١٨ - ٨ . ( ٢ ) سير ١٨/١٨٣ - ٢١٦ .

( ٣ ) سير ١٨/٤٦٤ - ٤٦٥ ، ٤٦٦ - ٤٦٨ ( ٤ ) سير ١٩/٥٣ - ٥٤ .

( ٥ ) سير ٢٠/٢١٢ ، ٢١٩ . ( ٦ ) سير ٢٢/٣٦١ - ٣٦٢ .

عقبه لسميه عبد الله بن عون بن الأمير نائب مصر أبي عون عبد الملك بن يزيد المتوفى سنة  
( ١ )  
( ٢٣٢ )

ويخرج عن الطبقة عند ذكر أسماء الملوك والخلفاء بالتسلسل التاريخي ، ومن أمثلة ذلك :

عَقَدَ فصلاً في ملوك الأندلس : ( ٢ )

١ - ترجم للأمير الأندلس وسلطانها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ( ١٧٢ ) .

٢ - ثم لابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، المتوفى سنة ( ١٨٠ ) عن سبع وثلاثين سنة .

ثم قال : ولنذكر باقي المروانية على نسق واحد :

٣ - فترجم للحكم بن هشام الداخل المتوفى سنة ( ٢٠٦ ) عن ثلاث وخمسين سنة .

٤ - ثم ولي الأندلس بعده ابنه أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم المتوفى سنة ( ٢٣٨ ) .

٥ - محمد بن عبد الرحمن بن الحكم المتوفى سنة ( ٢٧٣ ) عن أربع وستين سنة .

٦ - المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، المتوفى سنة ( ٢٧٥ ) عن ست وأربعين سنة .

٧ - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أخو المنذر ، المتوفى سنة ( ٣٠٠ ) عن اثنين وسبعين سنة .

٨ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ( ٣ ) المتوفى سنة ( ٣٥٠ ) .

٩ - الحكم بن عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ( ٣٦٦ ) .

١٠ - هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ، وهو العاشر من ملوك بني أمية بالأندلس .

وعَقَدَ فصلاً في بعض خلفاء بني العباس ، فقال عند ترجمته القاهر بالله محمد بن

( ١ ) سير ٣٧٦/٦ .

( ٢ ) سير ٢٤٤/٨ - ٢٧١ .

( ٣ ) قال الذهبي في ترجمته في السير ٥٦٤/١٥ : وقد كنت ذكرت ترجمته مع جد هم ،

فأعدتها بزوائد وفوائد .

المعتضد المتوفى سنة (٣٣٩) : "فصل : ولنذكر هنا جماعة من خلفاء الإسلام على التوالي إن شاء الله ، ليتأمل تراجمهم الفاضل متصلة مجموعة " فذكر سبعة من الخلفاء على التوالي من الرازي بالله المتوفى سنة (٣٢٩) ، إلى القائم بأمر الله المتوفى سنة (٤٦٧) (١) وكذلك عقد فصلاً للمهدي عبيد الله أبي محمد (٢) المتوفى سنة (٣٢٣) وذريته فذكر أربعة عشر خليفة منهم ، وخاتمهم هو العاضد لدين الله بن يوسف العبيدي المتوفى سنة (٥٦٧) (٣)

ثم قال عقب ذكرهم : "قلت : أعجبنى سَرْد هؤلاء الملوك العبيدية على التوالي ، ليتأمله الناظر مجتمعاً فلنرجع الآن إلى ترتيب الطباق في حدود العشرين وثلاث مئة ، وما بعد ها (٤) وكذلك ترجم للسلطان الكبير صلاح الدين الأيوبي المتوفى سنة (٥٨٩) ولأبنائه ، فترجم للملك العزيز عثمان المتوفى سنة (٥٩٥) ، ثم لابنه الملك الأفضل علي المتوفى سنة (٦٢٢) ، ثم لابنه الملك الظاهر غازي المتوفى سنة (٦١٣) (٥) وكذلك ترجم للسلطان الكبير الملك العادل سيف الدين محمد بن نجم الدين الأيوبي المتوفى سنة (٦١٥) ثم لأبنائه الملك المعظم عيسى المتوفى سنة (٦٢٤) ، والملك الأشرف موسى المتوفى سنة (٦٣٥) ، والملك الكامل محمد المتوفى سنة (٦٣٥) ، والملك الأوحيد أيوب ، ثم الملك الحافظ نور الدين أرسلان المتوفى سنة (٦٤٠) ، ثم الملك المطرغ غازي

(١) انظر : سير ١٥ / ١٠٣ - ١٤٠ .

(٢) قال الذهبي في السير ١٥ / ١٤١ في ترجمة المهدي : "أول من قام من الخلفاء الخوارج الباطنية الذين قلبوا الإسلام ، وأعلنوا بالرفض ، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية وشؤا الدعاة يستغفرون الجبلية والجهلة" وقال أيضا ١٥ / ١٥١ : "وفي نسب المهدي أقوال حاصلها أنه ليس بها شيء ولا فاطمي" .

(٣) سير ١٥ / ١٤١ - ٢١٢ . وقال الذهبي ١٥ / ٢١٢ : "قلت : تلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين . . واستأصل شأفة بني عبيد ، ومحقق دولة الرفض ، وكانوا أربعة عشر متخلفاً لاخليفة ، والعاضد في اللغة أيضاً القاطع ، فكان هذا عاضداً لدولة أهل بيته" .

(٤) سير ١٥ / ٣١٥ .

(٥) سير ٢١ / ٢٧٨ - ٢٩٦ .

المتوفى سنة ( ٦٤٥ ) وقال عَقَبَ ذكر هؤلاء الملوك الستة من أبناء العادل : " وَاَنَا جَمَعْتُ  
هنا بين هؤلاء الملوك استطراداً ، والا فطبقاتهم مُتَبَايِنَةٌ ، والله أعلم " ( ١ )

ومن أمثلة ذلك أيضاً في ترجمة صاحب المغرب محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن  
المتوفى سنة ( ٦١٠ ) والخلفاء من أبنائه وذريته . ( ٢ )

وكذلك في ترجمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل ، ابن العادل  
المتوفى سنة ( ٦٤٧ ) ، ومن خلفه من أبنائه وذريته . ( ٣ )

---

( ١ ) سير ٢٢ / ١١٥ - ١٣٤ .

( ٢ ) سير ٢٢ / ٣٣٧ - ٣٤٣ .

( ٣ ) سير ٢٣ / ١٨٧ - ١٩٦ .

## المبحث الثالث

### الشيوخ والتلاميذ

من عناصر الترجمة التي تفتن الذهبي في إيرادها ذكر شيوخ المترجم الذين حدث عنهم وتلقى منهم ، وذكر التلاميذ والرواة الذين حدثوا ودواعه وما يتعلق بذلك من مباحث الرواية والسماع .

وطريقة الذهبي في سرد أسماء شيوخ المترجم أن يقتصر على ذكر أكبرهم ومشاهيرهم ، ثم يأتي عقب ذلك بالألفاظ الآتية : وخلق <sup>(١)</sup> ، وخلق كثير <sup>(٢)</sup> ، وخلق من طبقتهم <sup>(٣)</sup> ، وسمع من خلق سواهم بعدائن كثيرة <sup>(٤)</sup> ، وخلق كثير من نظرائهم ودونهم <sup>(٥)</sup> ، وخلق سواهم <sup>(٦)</sup> ، وطائفة <sup>(٧)</sup> ، سواهم <sup>(٨)</sup> ، وسمع أمماً لا يحصون <sup>(٩)</sup> ، وأم سواهم <sup>(١٠)</sup> ، وطبقتهم <sup>(١١)</sup> ، وطبقتهم ومن بعدهم <sup>(١٢)</sup> ، وعدداً كثيراً <sup>(١٣)</sup> ، وعدة <sup>(١٤)</sup> ، وجماعة <sup>(١٥)</sup> ، وغيرهم <sup>(١٦)</sup> ، وآخرون <sup>(١٧)</sup> . وكذلك يذكر أشهر التلاميذ ، ويشير إلى غيرهم بالألفاظ الآتية : وخلق <sup>(١٨)</sup> ، وخلائق <sup>(١٩)</sup> ، وخلق كثير <sup>(٢٠)</sup> ، وخلق عظيم <sup>(٢١)</sup> ، وخلق يتعذر حصرهم <sup>(٢٢)</sup> ، وخلق سواهم <sup>(٢٣)</sup> ، وجماعة <sup>(٢٤)</sup> سواهم

( ١ ) ١٧٦/٧ .

( ٢ ) ٣٥٥/٧ ، ٣٧٦ ، ١٢/٨ ، ١٩٧ ، ٣٨٠ ، ٣٤٢/١٠ ، ١٥٢/١١ ، ٧٦/١٧ .

( ٣ ) ٢٢٣/٨ . ( ٤ ) ٣٠/١٧ .

( ٥ ) ١٤٣/١١ . ( ٦ ) ١٦٠/٧ ، ٣٧٩ ، ١١٥/١٠ ، ٥٠٨/٢١ .

( ٧ ) ١٣٤/٧ ، ١٩٤ ، ٢٨٦ ، ١٣٩/١٠ . ( ٨ ) ١٩٠/٨ .

( ٩ ) ٢٩٩/٢٠ . ( ١٠ ) ١٦٤/١٧ ، ٦٥٥ .

( ١١ ) ٢٢٨/٨ ، ٣٥٩ ، ١٢٤/١٠ ، ٢١٩ ، ٢٥٦ ، ٣٥٥ ، ٤٨٩ ، ٥٦٨ ، ٣٣/١١ ، ١٤٦ .

١٧/٦ ، ٨ ، ١٩/١٥٩ ، ٢٧٦ . ( ١٢ ) ٢٥٨/١٧ .

( ١٣ ) ٥٧٠/١٠ . ( ١٤ ) ١٧٨/٧ ، ١٨٨ ، ١٢٨/١٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٣ .

( ١٥ ) ١٨٤/٧ ، ٣٤٠ . ( ١٦ ) ٢٢٤/١٠ . ( ١٧ ) ٣١٨/٧ .

( ١٨ ) ٩٦/٧ . ( ١٩ ) ٥١٣/١٠ ، ٧٣/١١ .

( ٢٠ ) ١/٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٢٧/٢ ، ١٣٥/٧ ، ٣٥٢/١٥ ، ٣٥٦ .

( ٢١ ) ٣/٣٩٧ ، ٨/٤٧٨ . ( ٢٢ ) ٩/١٩٣ .

( ٢٣ ) ٢/٣٨١ ، ٤٦٧ ، ٧/٦٩ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ٢٩٧ ، ١٨/٢ ، ١٠٢ ، ٢٤٣/١٩ ، ٢٧٩/٢٠ .

( ٢٤ ) ٨/١٩٥ ، ٩/١٧ .

لا يحضرني الآن أسماؤهم ، (١) وجمع كبير ، (٢) وشرك كثير ، (٣) وعدد كثير ، (٤) وعدد يطول ذكرهم ، (٥)  
 وعدة ، (٦) وطائفة ، (٧) وطائفة سواهم ، (٨) وطائفة من أقرانه ، (٩) وأم سواهم ، (١٠) وأم سواهم  
 يشق استقصاؤهم ويبعد إحصاؤهم ، (١١) وغيرهم ، (١٢) وآخرون . (١٣)

وأشار الحافظ الذهبي إلى عدم وقوفه على أحوال علماء ما وراء النهر ، ومشايخ الأندلس  
 فقال في ترجمة الإمام الحافظ عبد بن حميد اليكسي : حَدَّثَ عَنْهُ . . . . وغيرهم من أهل ما وراء  
 النهر ممن لا نعرف أحوالهم (١٤) .

وقال في ترجمة الإمام المحدث أحمد بن محمد بن الحذاء القرطبي : حَدَّثَ عَنْهُ الحافظ  
 أبو علي الفسّاني ، وجماعة من أعرفهم أولا أعرفهم ، وكذا غالب مشايخ الأندلس ، لا اعتناء لنسب  
 بمعرفتهم ، لأن روايتهم لا تقع لنا . (١٥)

كما تعرّض الحافظ الذهبي عند ذكر الشيوخ والتلاميذ لفوائد غالية نفيسة ، كذكر أكبر  
 شيخ للمترجم ، وخاتمه أصحابه وآخر من روى عنه ، ورواية الأكاير عن الأصاغر ، ورواية الأقران ، وعدد  
 الشيوخ ، وعدد الرواة والتلاميذ ، كما ذكر ما يتعلق بالرواية من حيث الانقطاع والارسال :  
 وأسوق أمثلة من هذه الفوائد النفيسة التي ذكرها الذهبي في كتابه .

ذكره كبار الشيوخ الذين روى عنهم :

- في ترجمة جريو بن حازم البصري : حَدَّثَ عَنْ . . أبي رجاء القطاري ، وهو أكبر شيخ له  
 وحديثه عنه في الصحيحين (١٦)

- وفي ترجمة نافع بن عمر الجمحي المكي : حَدَّثَ عَنْ . . سعيد بن أبي هند ، وروايته  
 عن سعيد في الأدب للبخاري ، وهو أكبر شيخ له . (١٧)

- |                                              |                                                |                                           |
|----------------------------------------------|------------------------------------------------|-------------------------------------------|
| (١) ٣٩٧/١٨                                   | (٢) ٤١٤/٧                                      | (٣) ٣٦٣/٨ ، ٣٤٨/١٠                        |
| (٤) ٣٤٠/٧ ، ٣٣٦/٨ ، ٣٢٧/١٠ ، ٦٢٧/١١ ، ١٥٢/١١ | (٥) ٢٧٤/١٨                                     |                                           |
| (٦) ٤٩٤/٢ ، ٣١٨/٧ ، ٣٤٧/٧                    | (٧) ٤٦٩/٢ ، ٥٣٨/٧                              | (٨) ١٣٩/٢ ، ١٧٠/٢٤                        |
| (٩) ٤٩١/٨                                    | (١٠) ٢٠٥/٧ ، ٢٣٦/١٠ ، ٤٥٨/١١ ، ١٤٦/١١ ، ١٢٣/١١ |                                           |
| (١١) ٣٥/٧                                    | (١٢) ٣٧٩/٧                                     | (١٣) ٩٤/٧ ، ١٨٨/٨ ، ١٩١/٧ ، ٣٥٨/١١ ، ٧/١١ |
| (١٤) سير ٢٣٦/١٢                              | (١٥) سير ٣٤٥/١٨                                |                                           |
| (١٦) سير ٩٨/٧                                | (١٧) سير ٤٣٣/٧                                 |                                           |

- فى ترجمة حماد بن زيد : روى عنه . . علي بن المدينى وهو أكبر شيخ عنده ( ١ )

- فى ترجمة محمد بن الحسين القلوي النيسابورى : حدث عنه . . أبو بكر البيهقي ، وهو أكبر شيخ له . ( ٢ )

- فى ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي ، ابن الجصور . . حدث عنه . . أبو محمد بن حزم ، وهو أكبر شيخ لابن حزم . ( ٣ )

آخر الرواة وفاته :

- فى ترجمة الإمام مالك بن أنس : وآخر أصحابه موتاً راوي " الموطأ " أبو حذافة أحمد بن إسماعيل الشَّهمي ، عاش بعد مالك ثمانين عاماً . ( ٤ )

- فى ترجمة الإمام الفضيل بن عياض : حدث عنه خلق كثير ، آخرهم موتاً الحسين بن داود - البلخي . ( ٥ )

- فى ترجمة الإمام سفيان بن عيينة : حدث عنه . . خاتمهم فى الدنيا شيخ مكى ، يقال له : أبو نصر ، الكيمع بن زيد الزينبي ، عاش إلى سنة اثنتين وثمانين ، وما هو بالقوي . ( ٦ )

- فى ترجمة الإمام الكبير أبي إسحاق الفُزَارَى : قلت : آخر من حدث عنه وفاته : على بن بكر المصيصي الصغير ، بقي إلى نحو سنة ستين ومئتين . ( ٧ )

- وفى ترجمة أبي نعيم ، الفضل بن دكين المتوفى سنة ( ٢١٩ ) والظاهر أنه آخر من حدث عن الأعشى من الثقات ( ٨ )

وفى ترجمة الإمام أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي المتوفى سنة ( ٢٧٧ ) : آخر من حدث عنه هو : محمد بن إسماعيل بن موسى الرازي ، عاش إلى بعد سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة . ( ٩ )  
أي بعد وفاته بأكثر من أربع وسبعين عاماً .

- فى ترجمة الامام الحافظ ، محمد بن اسحاق بن مندة المتوفى سنة ( ٢١٩ ) : وآخر من روى -

( ٢ ) سير ٩٨ / ١٧

( ١ ) سير ٤٥٧ / ٧

( ٤ ) سير ٥٤ / ٨

( ٣ ) سير ١٤٨ / ١٧

( ٦ ) سير ٤٥٧ / ٨

( ٥ ) سير ٤٢٣ / ٨

( ٨ ) سير ٤١٦ / ١٠

( ٧ ) سير ٥٤١ / ٨

( ٩ ) سير ٢٦٠ / ١٤

عن أبي عبد الله ولده عبد الوهاب ، عُمُرُ زماناً ، ومات سنة خمس وسبعين وأربع مئة <sup>(١)</sup> ، أي بعد وفاة أبيه بشانين عاماً .

- وفي ترجمة المحدث محمد بن عبد الملك بن حُفَيفُون القرطبي المتوفى سنة ( ٣٩٤ ) : آخر أصحابه موتاً أبو عمر بن عبد البر <sup>(٢)</sup> . أي بعد وفاته بتسع وستين عاماً .

- في ترجمة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني المتوفى سنة ( ٤٤٤ ) : روى عنه بالإجازة : أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة المرسي ، خاتمه من روى عنه في الدنيا ، وعاش بمصر سبعاً وثمانين سنة ، وهذا نادر ، ولا سيما في المغرب <sup>(٣)</sup> .

- في ترجمة الإمام عثمان بن مكي السَّعْدِي المصري الشارعي المتوفى سنة ( ٦٥٩ ) : روى عنه .. آخرهم نافلته المتوفى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة <sup>(٤)</sup> . أي بعد وفاته بشانين عاماً .

قَدَم السماع : وما يتصل بذلك آخر أصحاب المترجم وفاة ، ذكر قدم السماع ، ومن أمثلة ذلك :

- في ترجمة الإمام سليمان بن داود الطيالسي المتوفى سنة ( ٢٠٣ ) روى عنه ... آخرهم مرتاً ، محمد بن أسد المديني شيخ أبي الشيخ ، له عنه مجلس ليس عنده سواء ، وعُمُرُ إلى سننة ثلاث وتسعين ومئتين ، ولقيه الطبراني ، فعاش بعد أبي داود تسمين عاماً ، وهذا نادر جداً لم يتهياً مثله إلا للبغوي ، وأبي علي الحداد ، وابن كليب ، وأناس نحو بضعة عشر شيخاً ، خاتمتهم أبو العباس الحجار <sup>(٥)</sup> .

- وفي ترجمة الإمام المعمر أبي القاسم البغوي المتوفى سنة ( ٣١٧ ) : " قال أبو محمد الراهر مزي : لا يعرف في الإسلام محدث وازى البغوي في قَدَم السماع . قلت : أما إلى وقته فنسبهم ، وأما بعده ، فاتفق ذلك لطائفة منهم : عبد الواحد الزبيري - مسند ما وراء النهر - ولأبي علي الحداد والأُسُّ لأبي العباس ابن الشحنة <sup>(٦)</sup> .

- وفي ترجمة المسند علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز البغدادي المتوفى سنة ( ٥١٠ )

( ١ ) سير ٣٩ / ١٧ . ( ٢ ) سير ٥٦ / ١٧ . ( ٣ ) سير ٧٩ / ١٨ .

( ٤ ) سير ٣٥٢ / ٢٣ . ( ٥ ) سير ٣٨٠ / ٩ وانظر ترجمة أبي العباس الحجار في - المعجم الكبير ١ / ١١٨ .

( ٦ ) سير ٤٤٨ / ١٤ .

وقال الثَّلفي : ولا يعرف في الإسلام محدّث وازاء في قَدَم السماع . كذا قال الثَّلفي ، وذلك منتقض بالهشوى والوركي وغيرها ( ١ )

رواية الأكاير عن الأصاغر :

( ٢ )

- في ترجمة حجاج بن أرطاة : حدّث عنه منصور بن المعتمر وهو من شيوخه .

- في ترجمة الإمام الأوزاعي ، عبد الرحمن بن عمرو بن يُحَمَّد : روى عنه ابن شهاب الزهري

( ٣ )

ويحيى بن أبي كثير وهما من شيوخه .

- وفي ترجمة الإمام مالك : حدّث عنه من شيوخه : عمه أبو سهيل ، ويحيى بن أبي كثير ، والزهري

( ٤ )

ويحيى بن سعيد ، ويزيد بن الهاد ، وزيد بن أبي أنيسة ، وعمر بن محمد بن زيد وغيرهم .

- في ترجمة إسماعيل بن عيسى : حدّث عنه ابن إسحاق ، وسفيان الثوري ، والأعشى ، وهم

( ٥ )

من شيوخه .

( ٦ )

- سفيان بن عيينه : حدّث عنه الأعشى ، وابن جريج ، وشعبة ، وهؤلاء من شيوخه .

( ٧ )

- بقية بن الوليد : روى عنه شعبة والحّامدان والأوزاعي وابن جريج ، وهم من شيوخه .

- الحسن بن أحمد بن محمد بن الليث المتوفى سنة ( ٤٠٥ ) : وقد ذكر الحافظ يحيى بن منده

أن الحافظ أبا الشيخ مع تقدّمه روى عن أبي علي بن الليث حديثاً ، فهذا من رواية الشيوخ عن

( ٨ )

التلاميذ .

- الإمام أبو بكر البرقاني المتوفى سنة ( ٤٢٥ ) : قلت : ومن همة أنه سمع من تلميذه أبي يحيى

( ٩ )

بكر الخطيب ، وحدّث عنه في حياته ، وقد سمعنا المصافحة له في مجلد بإسناد عال .

- الحافظ الخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي : وينزل إلى أن يكتب عن عبد الصمد

ابن المأمون ، وأبي الحسين بن الثور ، بل نزل إلى أن روى عن تلامذته كنصر المقدسي ، وابن

( ١٠ )

ماكولا ، والحميدي ، وهذا شأن كل حافظ يروي عن الكبار والصفار .

|                    |                     |
|--------------------|---------------------|
| ( ١ ) سير ٢٥٨ / ١٩ | ( ٢ ) سير ٦٩ / ٧    |
| ( ٣ ) سير ١٠٨ / ٧  | ( ٤ ) سير ٥٢ / ٨    |
| ( ٥ ) سير ٣١٤ / ٨  | ( ٦ ) سير ٤٥٦ / ٨   |
| ( ٧ ) سير ٥١٩ / ٨  | ( ٨ ) سير ٢١٠ / ١٧  |
| ( ٩ ) سير ٤٦٧ / ١٧ | ( ١٠ ) سير ٢٧٢ / ١٨ |

وما يلتحق برواية الأكبر عن الأصغر، الرواية بنزول وذلك بكثرة الوسائط والرواية ، ومن أمثلة ذلك : الليث بن سعد : حتى أنه يروى عن تلامذته ، وحتى أنه روى عن علي بن النافع ، ثم روى حده يشا بينه وبينه فيه أربعة أنفس، وكذلك فعل في شيخه ابن شهاب، روى غير حديث بينه وبينه فيه ثلاثة رجال (١) .

سليمان بن بنت شرحبيل : حدث عن خلق كثير ، وينزل إلى أن يروى عن الحافظ معاوية ابن صالح الأشعري ، وهو تلميذه . (٢)

وما يلحق أيضاً برواية الأكبر عن الأصغر، رواية الصحابي عن تابعي ، ومن أمثلة ذلك :

في ترجمة كعب الأحبار الحميري اليماني : حدث عنه أبو هريرة ، ومعاوية ، وابن عباس . وذلك من قبيل رواية الصحابي عن التابعي ، وهو نادر عزيز . (٣)

رواية الاقران :- حجاج بن أرطاة : حدث عنه قيس بن سعد ، وابن اسحاق ، وشعبة وهم من أقرانه . (٤)  
- يحيى بن أيوب : حدث عنه الليث بن سعد ، وهو من أقرانه . (٥)

- بقية بن الوليد : روى عنه ابن المبارك ، ويزيد بن هارون ، والوليد بن مسلم ووكيع وهم من أقرانه . (٦)  
- الامام الخطابي ، حمد بن محمد البستي : حدث عنه أبو عبد الله الحاكم ، وهو من أقرانه في السن والسند . (٧)

عدد الشيوخ : ومن الفوائد التي اشار اليها الذهبي ذكر عدد الشيوخ .

- في ترجمة الامام سفيان الثوري : ويقال : إنَّ عدد شيوخه ست مئة شيخ ، وكبارهم الذين حدثوه عن ابي هريرة ، وجرير بن عبد الله ، وابن عباس ، وأسألهم (٨)

- في ترجمة الامام مالك : ذكر عدد شيوخه في الموطأ على حروف المعجم والى جانب كل واحد منهم ما روى عنه في الموطأ ثم قال : فعنهم كلهم ست مئة وستة وثلاثون حديثاً ، وستة أحاديث عن لم يسم ، واختلف في ذلك في احد وسبعين حديثاً . (٩)

- في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل : فعُدَّة شيوخه الذين روى عنهم في "المسند" مئتان

وشمانون وثيف (١٠)

(٢) سير ١٣٦/١١

(١) سير ١٣٨/٨

(٥) سير ٦/٨

(٤) سير ٦٩/٧

(٣) سير ٤٩٠/٣

(٨) سير ١٣٤/٧

(٧) سير ٢٤/١٢

(٦) سير ٥١٩/٨

(١٠) سير ١٨١/١١

(٩) سير ٤٩/٨ - ٥١

- وفي ترجمة الإمام مسلم بن الحجاج : ذكر شيوخه على السمع ثم قال : وعدّتهم مئتان وعشرون رجلاً أخرج عنهم في الصحيح. ( ١ )

- وفي ترجمة الإمام محمد بن حبان البستي : قال ابن حبان في أثناء كتابه " الأنواع الملعنة " قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ . قلت : كذا فلتكن الهيم ، هذا مع ما كان عليه من الفقه والحريية ، والفضائل الباهرة وكثرة التصانيف. ( ٢ )

- وفي ترجمة الإمام محمد بن إسحاق بن مندة : ولم أعلم أحداً كان أوسع رحلة منه ولا أكثر حديثاً منه ، مع الحفظ والثقة ، فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبع مئة شيخ. ( ٣ ) وانتقد الذهبي ما نقل أنه يروى عن ثلاثين ألف شيخ .

فقال : " قلت : قوله أنه كتب عن ألف وسبع مئة شيخ أصح ، وهو شي \* يقبله العقل ، وناهيك به كثرة ، وقتاً من يبلغ ، ما بلغه الطبراني ، وشيوخه نحو من ألف ، وكذا الحاكم ، وابن مردويه ، قاله أعلم ( ٤ )

وفي ترجمة أحمد بن صالح المصري : قال يعقوب بن سفيان : كتبت عن ألف شيخ وكسّر كلهم ثقات . قلت : في صحة هذا نظر ، فإن يعقوب ما كتب عن ألف شيخ ولا شطر ذلك ، وهذه - مشيخته موجودة في مجلد لطيف. ( ٥ )

عدد التلاميذ : ويذكر الحافظ الذهبي عدد الرواة عن المترجم ، وينتقد الأقوال الشاذة -

مثال ذلك :

- في ترجمة الإمام سفيان الثوري : وأما الرواة عنه ، فخلق ، فذكر أبو الفرج بن الجوزي ، أنهم أكثر من عشرين ألفاً ، وهذا مدفوع متنوع ، فإن بلغوا ألفاً ، فبالجهد ، وما علمت أحداً من الحفاظ روى عنه عدد أكثر من مائة ، وبلغوا بالمجاهيل والكذابين ألفاً وأربع مئة ( ٦ )

( ١ ) سير ١٢ / ٥٦١ ( ٢ ) سير ١٦ / ٩٤

( ٣ ) سير ١٧ / ٣٤٠

( ٤ ) سير ١٧ / ٣٦

( ٥ ) سير ١٢ / ١٦٢ وانظر ترجمته ١٣ / ١٨١ حيث قال : قلت دليلي في " مشيخته " إلا نحو من ثلاث مئة شيخ ، فأين الباقي ؟ ثم في المذكورين جماعة قد ضَعُفوا .

( ٦ ) سير ٧ / ٢٣٤

ومن منهج الذهبى فى ذكر أسماء الشيوخ والتلاميذ تحذيره من التصحيف وتمييزه بين متشابه الأسماء ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

- فى ترجمة فقيه الكوفة علقمة بن قيس النخعي : حَدَّثَ عَنْهُ . . . يزيد بن معاوية النخعي لا الأموى ( ١ )

- فى ترجمة يحيى بن زكريا الهمداني : حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ زُرَّارَةَ عمرو لاعمر ( ٢ )

- فى ترجمته بشر بن بكر الدمشقي : حَدَّثَ عَنْهُ . . . الحارث بن أسد الهمداني لا المحاسبي ( ٣ )

- وفى ترجمة هوزة بن خليفة البصرى : حَدَّثَ عَنْهُ . . . أبو زرعة الدمشقي لا الرازي ( ٤ )

\* \* \*

ووقعت على بعض الأخطاء المتعلقة بالشيوخ والتلاميذ ، أنه عليها إتماماً للفائدة :

- فى ترجمة الإمام المحدث الثقة أحمد بن خالد الوهبي الحمصي الكندي : حَدَّثَ عَنْهُ البخاري فى صحيحه ( ٥ )

وهذا وهم من المؤلف رحمه الله ، فإنَّ البخارى لم يخرج له فى صحيحه ، وإنما خَرَجَ له فى "الأدب المفرد" والقراءة خلف الإمام" كما سببه على ذلك الاستاذ المحقق الشيخ شعيب الارناؤوط .

وفى ترجمة محمد بن مَحْمُود الزياتي : " ولد سنة سبع وعشرين وثلاث مئة وأسمعه أبوه سنة خمس وعشرين وبعدها " ( ٦ ) والصواب : سنة خمس وثلاثين ، أى وهو ابن ثمان سنين ، والله أعلم .

وفى ترجمة أبي نذر الهروي : " حدث عنه . . . أبو عمران موسى بن أبي حاج الفارسي ( ٧ ) -

والصواب : الفاسي لا الفارسي كما فى ترجمته .

\* \* \*

- |                   |                                       |
|-------------------|---------------------------------------|
| ( ١ ) سير ٥٤ / ٤  | ( ٢ ) سير ٣٣٨ / ٨                     |
| ( ٣ ) سير ٥٠٨ / ٩ | ( ٤ ) سير ١٢١ / ١٠                    |
| ( ٥ ) سير ٥٤٠ / ٩ | ( ٦ ) سير ٢٧٧ / ١٧                    |
| ( ٧ ) ٥٥٥ / ١٧    | واغلب هذه الأخطاء المذكورة من النسخ . |

## المبحث الرابع

منهجه في ذكر الوفيات والولادات وأعمار المترجمين

## المطلب الأول

## الوفيات

اعتنى الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - بذكر وفيات المترجمين ، وأورد في كتابه مادة علمية وفيرة . . وتفتن في عرضها من حيث تحديد زمن الوفاة من سنة ، أو شهر ، أو يوم وليلة . وقد يحدّد زمن الوفاة بالظن والتقريب ، وفي بعض الأحيان يصرّح بعدم وقفه على تاريخ الوفاة . كما أنه يذكر الاختلاف في زمن الوفيات في كثير من الأحيان ويرجّح ويصحّح بعض الأقوال ، كما صحّح أوهام كثير من العلماء في وفيات المترجمين وتعقبهم بالنقد . ولم يقتصر الذهبي في كلامه عن الوفيات ما يتعلق بتحديد زمن الوفاة ، بل ذكر أيضاً أماكن الوفيات في كثير من الأحيان من بلد أو دينة أو طريق . وبين أيضاً صفة الوفاة من قتل أو موت فجأة أو غيلة وغير ذلك .

وبين في بعض الأحيان السبب الحس للوفاة ، ويذكر الحالة التي توفي عليها . كما تكلم الذهبي أيضاً عن قبور المترجمين ومدافنهم وجنائزهم . كما أنه نوع الألفاظ المعبرة عن الوفيات . وأسوق الآن بعض الأمثلة والنماذج التي توضّح منهجه وطريقته :

## ١ - تحديد زمن الوفاة :

أ - من سنة : والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهي - أي التحديد بالسنة - التي ذكرها الذهبي في أغلب الوفيات .

ب - ومن شهر : في ترجمة الزبير بن العوام : " قُتِلَ في رجب سنة ست وثلاثين " ( ١ )

وفي ترجمة داود بن علي بن حَبْر الأمة عبد الله بن عباس : " مات في ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومئة " ( ٢ )

ج - ومن يوم : في ترجمة بشر الحافي : " مات بِبُشْرِ الحافي - رحمه الله عليه - يوم الجمعة

( ١ ) سير ٦٤/١ ( ٢ ) سير ٤٤٥/٥ وانظر أمثلة على ذلك -

أيضاً : ٣٧٣/٢ ، ٣٩٨ ، ٦٠٢٧٤/٨ ، ٣٤٠/١٨ ، ٥٠٧ ، ٥١٤ ، ١٠٠٥٩/١٠

١٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣١٦ ، ٤٨٩ ، ١٧/١٧ ، ٩٠٩ ، ١٩ ، والأمثلة كثيرة جداً

فى شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومئتين قبل الخليفة المعتصم بستة أيام . . . . . ( ١ )

د - ومن ليلة : فى ترجمة أبي الزناد ، عبد الله بن ذكوان : " مات فجأة فى مفتسله

ليلة الجمعة بسبع عشرة خلت من رمضان وهو ابن ست وستين سنة فى سنة ثلاثين ومئة ( ٢ )

وفى الأعم الأغلب يذكر سنة الوفاة ، أما ذكر الشهر فهو قليل ، وأقل منه ذكر اليوم والليلة .

وقد لا يحدث زمن الوفاة ، بل يذكرها بالتقريب كقوله : توفي فى آخر السنة ، أو فى حدود

سنة كذا ، أو عاش إلى د ولة فلان .

وهذه أمثلة على ما ذكرت مرتبه حسب طبقات أصحابها :

- ضباعة بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير عبد المطلب : " بقيت ضباعة إلى بعد

عام أربعين فيما أرى رضى الله عنها " . ( ٣ )

- أسماء بنت يزيد بن السكن : " قلت : عاشت إلى د ولة يزيد بن معاوية " . ( ٤ )

- الهرماس بن زياد بن مالك : " قلت : أظن الهرماس بقي حياً إلى حدود سنة تسعين " . ( ٥ )

- أبو عمرو الشيباني : " مات فى خلافة الوليد بن عبد الملك فيما أحسب " . ( ٦ )

- أبو أسماء الرحبي : " لم أقع بوفاة ، وهو من كبار التابعين ، أرى أنه مات فى خلافة الوليد

ابن عبد الملك " . ( ٧ )

- أحمد بن عاصم الأنطاكي : " لم أظفر له بتاريخ وفاة ، ولمعله بقي إلى نحو الثلاثين ومئتين " . ( ٨ )

- عبد الله بن سميد بن كلاب : " لم أقع بوفاة ابن كلاب ، وقد كان باقياً قبل الأربعين

ومئتين " . ( ٩ )

- ابن الرواس ، عبد الرحمن بن القاسم الدمشقي : " قلت : لم أظفر لابن الرواس بوفاة ، لكن

رحلة ابن عدي كانت إلى الشام فى سنة سبع وتسعين ومئتين فأدركه . . . . . ( ١٠ )

( ١ ) سير ٤٧٦/١٠ ، وانظر أمثلة على ذلك أيضا : ٤٣/٤ ، ٣٥٧/٢ ، ١٤٣/٥ ، ٣٩٠/٨ ، ٥١١/٨

٥٦٨ ، ٤٨٦ ، ١٥١ ، ١١٨/١٠ ، ٥١٨

( ٢ ) سير ٤٥٠/٥ ( ٣ ) سير ٢٧٥/٢ ( ٤ ) سير ٢٩٧/٢

( ٥ ) سير ٤٥١/٣ ( ٦ ) سير ١٧٤/٤ ( ٧ ) سير ٤٩٢/٤

( ٨ ) سير ٤٨٨/١٠ ( ٩ ) سير ١٧٥/١١ ( ١٠ ) سير ٥٠٥/١٣

- خَلَفَ بن محمد الواسطي : " لم أظفر لخلف بتاريخ وفاة ، وقد بقي إلى بُعيد الأربع مئة بيمير " . ( ١ )

- أبو الحسن ، عبد الله بن عبد الرحمن البحيري : " لأعلم متى توفي ، وكان موجوداً في حد ود سنة ستين وأربع مئة " . ( ٢ )

- أبو نعيم ، محمد بن إبراهيم الواسطي الجماري : " توفي حد ود سنة خمس مئة ، فإنَّه حَدَّثَ في سنة تسع وتسعين وأربع مئة " . ( ٣ )

- وفي بعض الأحيان ينص على عدم وقوفه على الوفاة ، ومن أمثلة ذلك :

- أبو الفادية الصاحب : " لم اجد لأبي الفادية وفاة " . ( ٤ )

- عباد بن عبد الله بن الزبير : " ولم أظفر له بوفاة " . ( ٥ )

- الأخفش الكبير ، أبو الخطاب البصري : " ولم أقع له بوفاة " . ( ٦ )

- العلامة الراغب الأصبهاني : " لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة . " . ( ٧ )

وفي بعض الأحيان يغفل الذهبي عن ذكر الوفاة ، وينسُّ عليها في موضع آخر من كتابه أو في كتبه الأخرى ومن أمثلة ذلك :

- عبد الواحد بن الحسين الصَّيْمَرِي الشافعي : لم يذكر وفاته في ترجمته ، ثم ذكره في

وفيات سنة ( ٤٠٥ ) في آخر ترجمة الإمام الحاكم النيسابوري " . ( ٨ )

وقد لا يذكر الوفاة نسياناً وذهولاً ، ومن أمثلة ذلك :

- الحافظ الضياء المقدسي : لم يذكر وفاته ، وقَّدها في " تاريخ الإسلام " بأنها كانت يوم

الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وست مئة " . ( ٩ )

- القاضي نجم الدين الباذرائي : لم يذكر الذهبي تاريخ وفاته ، وقد ذكرها في تاريخ

الإسلام والعبر سنة خمس وخمسين وست مئة " . ( ١٠ )

( ٢ ) سير ٣٤٤ / ١٨

( ١ ) سير ٢٦١ / ١٧

( ٤ ) سير ٥٤٥ / ٢

( ٣ ) سير ٢٤٦ / ١٩

( ٦ ) سير ٣٢٣ / ٧

( ٥ ) سير ٢١٧ / ٤

( ٨ ) سير ١٧٧ ، ١٤ / ١٧

( ٧ ) سير ١٢١ / ١٨

( ١٠ ) سير ٣٣٤ / ٢٣

( ٩ ) سير ١٢٦ / ٢٣

### ذكره الاختلاف في زمن الوفيات <sup>(١)</sup> وترجيحه أصح الأقوال :

.. أبي بن كعب : " قال الواقدي : تدل أحاديث على وفاة أبي في خلافة عمر ، ورأيت أهله وغيرهم يقولون : مات في سنة اثنتين وعشرين بالمدينة . . . قال : وقد سمعنا من يقول مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين ، وهو أثبت الأقاويل عندنا ، وذلك أنَّ عثمان أمره أن يجمع القرآن .

وقال محمد بن سعد : حدثنا عارم ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن ابن سيرين أنَّ عثمان جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار ، فيهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت في جمع القرآن . قلت : هذا إسناد قوي ، لكنه مرسل ، وما أحسب أنَّ عثمان ندب للمصحف أئبياً ، ولو كان كذلك لاشتهر ، وكان الذكر لأبي لالزيد ، والظاهر وفاة أبي في زمن عمر حتى أنَّ الهيثم بن عدي وغيره ذكروا موته سنة تسع عشرة .

وقال محمد بن عبد الله بن نمير ، وأبو عبيد ، وأبو عمر الضرير : مات سنة اثنتين وعشرين فالتفت إلى هذا أميل . وأما خليفة بن خياط وأبو حفص الفلاس فقالا : مات في خلافة عثمان وقال خليفة مرة : مات سنة اثنتين وثلاثين <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) قال الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة في تعليقه على " الانتقاء " لابن عبد البر ص ٢٢ : " يكسر الاختلاف في سنة الولادة أو الوفاة في رجال القرن الأول والثاني لتقدمهم على تدوين كتب الوفيات بمدة طويلة ، فلا يثبت في أغلب الوفيات برواية أحد النقلة . وها هو أبي بن كعب رضي الله عنه ، من أشهر الصحابة ، اختلفوا في وفاته من سنة ١٨ إلى ٣٢ . والذهبي يصرُّ على أنَّ وفاته سنة ( ٢٢ ) في كتبه جميعاً ، مع أنه عاش إلى سنة ( ٣٢ ) ، وشارك في جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه كما يظهر من طبقات ابن سعد " وقال أيضاً : " وعند تعدد الأقوال والروايات في الولادة أو الوفاة يؤخذ بالقول المتأخر في الولادة ، والمتقدم في الوفاة ترجيحاً منهم لأحدث التواريخ المروية في المواليد ، وأقدمها في الوفيات أخذاً بالأحوط في الحكم بالاتصال أو بالانقطاع ، لكن هذا إذا لم يوجد ما يؤيد إحدى الروايات . انتهى " .

- أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث : " قال الواقدي : ماتت في خلافة يزيد سنة إحدى وستين ولها ثمانون سنة . قلت : لم تبق إلى هذا الوقت ، فقد ماتت قبل عائشة . وقد مر قول عائشة ذهبت ميمونة . وقال خليفة : توفيت سنة إحدى وخمسين رضى الله عنها " ( ١ )
- عبد الله بن الحارث بن جزء : " ومات بقرية سقط القدور من أسفل مصر سنة ست وثمانين وقيل : توفي سنة سبع ، وقيل : سنة خمس وثمانين . والأول أصح وأشهر " ( ٢ )
- سليمان بن بلال : " قال ابن سعد : توفي بالمدينة سنة اثنتين وسبعين ومئة ، وروى البخاري عن هارون بن محمد أنه توفي سنة سبع وسبعين ، والأول أصح ولو تأخر للقيّة قتيبة وطائفة ( ٣ )
- ويذكر أحياناً القول الصحيح في الوفيات ويخطئ ما عداه دون أن يذكره :
- عبدة السلماني : " وفي وفاة عبدة أقوال : أصحها في سنة اثنتين وسبعين " ( ٤ )
- الأسود بن يزيد : " وقد نقل العلماء في وفاة الأسود أقوالاً ، أرجحها سنة خمس وسبعين ( ٥ )
- عبد الله بن نافع الصائغ : " قال ابن سعد : وتوفي في شهر رمضان سنة ست ومئتين . — قلت : فهذا الصواب في وفاته ، وما عداه فوهم وتصحيف " ( ٦ )
- ويذكر أحياناً الاختلاف في الوفيات دون ترجيح ، ومن أمثلة ذلك :
- زيد بن ثابت : " وقد اختلفوا في وفاة زيد رضى الله عنه على عدة أقوال " ذكرها ثم قال :
- " فالله اعلم " ( ٧ )

- عمرة بنت عبد الرحمن : " قلت : اختلفوا في وفاتها . فقل : توفيت سنة ثمان وتسعين ، — وقيل : توفيت في سنة ست ومئة " ( ٨ )

#### بيان أوهام وأخطاء في الوفيات :

انتقد الذهبي كثيراً من الأقوال الشاذة في وفيات المترجمين ، وشمل نقده في ذلك لأئمة كبار كابن المديني وابن سعد ، والمدائني ، والخليلي ، والقنطي ، وابن خلكان ، والسهيلي ( ٩ )

- |                   |                                       |
|-------------------|---------------------------------------|
| ( ١ ) سير ٢٤٥ / ٢ | ( ٢ ) سير ٣٨٨ / ٣                     |
| ( ٣ ) سير ٤٢٧ / ٧ | ( ٤ ) سير ٤٤ / ٤                      |
| ( ٥ ) سير ٥٣ / ٤  | ( ٦ ) سير ٣٧٣ / ١٠                    |
| ( ٧ ) سير ٤٤١ / ٢ | ( ٩ ) وقد ذكرت في بحث نقد الذهبي في   |
| ( ٨ ) سير ٥٠٨ / ٤ | الحدِيث بعض الأمثلة على أوهام العلماء |
|                   | في الوفيات ولم أستوعب .               |

وأسوق الآن هذه الردود حسب ورودها في الكتاب لما تشمله من مادة نقدية مهمة :

- حَبَّاب بن الأرت : " قيل : مات في خلافة عمر ، وصلى عليه عمر . وليس هذا بشيء " ، مهمل

مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين ، وصلى عليه علي . نعم ، الذي مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر : هو حَبَّاب مولى عتبة بن غزوان ، صحابي مهاجري أيضاً <sup>(١)</sup> .

- أبو الدرداء : " وعن خالد بن معدان قال : مات سنة إحدى وثلاثين . فهذا خطأ

لأن الثوري روى عن الأعشى عن عمارة بن عمير ، عن حريث بن ظهير ، قال : لما جاء نعي - يعني

ابن مسعود - إلى أبي الدرداء ، قال : أما إنه لم يخلف بعده مثله ! ووفاة عبد الله في سنة <sup>(٢)</sup> . ٣٢

- عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : " توفي في سنة ثلاث وخمسين . هكذا ورَّخوه ، ولا يستقيم

فإن في صحيح مسلم أنه دخل على عائشة يوم مات سعد ، فتوضأ . فقالت له : أسبغ الوضوء

وقد صحَّ في مسلم في الوضوء : أنَّ عبد الرحمن خرج إلى جنازة سعد بن أبي وقاص . فلهذا يدلُّ على أنه عاش بعد سعد <sup>(٣)</sup> .

- أبو سعيد الخدري : " قال الواقدي وجماعة : مات سنة أربع وسبعين . ولا بن المديني

مع جلالة في وفاة أبي سعيد قولان شذَّ بهما ووهم ، فقال إسماعيل القاض : سمعته يقول ، مات سنة ثلاث وستين ، وقال البخاري : قال علي : مات بعد العرة بسنة <sup>(٤)</sup> .

- المسور بن مخرمة : " توفي المسور بن مخرمة لهلال ربيع الآخر سنة أربع وستين ، وكذا

أرَّخه جماعة . وغلط المدائني فقال : مات في سنة ثلاث وسبعين من حَجَر المنجنيق <sup>(٥)</sup> .

- طارق بن شهاب : " مات في سنة ثلاث وثمانين . وقيل : بل توفي سنة اثنتين وثمانين

فأما مارواه أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين من أنه مات في سنة ثلاث وعشرين ومئنة فخطأ بين ، أو سبق قلم <sup>(٦)</sup> .

( ٢ ) سير ٢ / ٣٥٣ .

( ١ ) سير ٢ / ٣٢٤ .

( ٣ ) سير ٢ / ٤٧٢ - ٤٧٣ وقد رجح الذهبي وفاة سعد في سنة خمس وخمسين .

( ٥ ) سير ٣ / ٣٩٤ .

( ٤ ) سير ٣ / ١٧١ .

( ٦ ) سير ٣ / ٤٨٧ .

- مجاهد بن جَبْر: " قال أبو عمر الضرير: مات مجاهد سنة مئة. قلت: هذا قول

شاذ فإنَّ مجاهدًا رأى عمر بن عبد العزيز يموت " (١) ووفاته عمر سنة احدى ومئة للهجرة .

- عبد الواحد بن زيد البصرى: " مات بعد الخمسين ومئة. ويقال: بقي إلى سنة سبع وسبعين

ومئة، وهذا بعيد جداً، وأنا المتأخر إلى هذا التاريخ الحافظ عبد الواحد بن زياد البصرى " (٢)

- عيسى بن عمر البصرى: " أُنْخِ القُطَيْي وابن خُلُكَّان مَوتَ في سنة تسع وأربعين ومئة، وأراه

وَهَمًا، فإنَّ سيويوه جالسه، وأخذَ عنه، ولعله بقي إلى بعد الستين ومئة " (٣) وولد سيويوه سنة (١٤٨)

- أبو إسحاق الفَرَّارِي: " قال البخاري: مات سنة ست وثمانين ومئة. وأما محمد بن سعد

فوهم، وقال: مات سنة ثمان وثمانين ومئة " (٤)

- عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَاد: " وقد غلط أبو نُعَيْم الحافظ، وقال: مات

عبد المجيد سنة سبع وتسعين ومئة، والصواب: وفاته سنة ست ومئتين كما قال سَلَمَةُ بن شبيب " (٥)

- قبيصة بن عقبة: " مات قبيصة في سنة خمس عشرة ومئتين، وشذَّ معاوية بن صالح الدمشقي

بل وهم، فقال: مات سنة ثلاث عشرة " (٦)

- عَفَّان بن مسلم: " أحمد بن أبي خيثمة: سمعت أبي ويحيى يقولان: أنكرنا عفان في صفر

لأيام خلَّون منه سنة تسع عشرة ومئتين، ومات بعد أيام . . وأما قوله: فتوفي بعد أيام من سنة

تسع عشرة فوهم، فإنه قد روي في الحكاية بعينها أنَّ ذلك كان في سنة عشرين، وهذا هو

الحق، فإنَّ عفان كان أبو داود أن يلحقه، وأنا دخل أبو داود بغداد في سنة عشرين. وقد

قال: شهدت جنازة عفان " (٧)

- عبد الملك بن هشام الذُّهَلِي: " أُنْخِ ابن يونس وفاته في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان

عشرة ومئتين وفي " الروض الأنف " أنَّ ابن هشام مات سنة ثلاث عشرة ومئتين فهذا وهم فيه أبو القاسم

(٢) سير ١٨٠/٧

(١) سير ٤٥٥/٤

(٤) سير ٥٤١/٨

(٣) سير ٢٠٠/٧

(٦) سير ١٣٥/١٠

(٥) سير ٤٣٦/٩

(٧) سير ٢٥٤/١٠

السهيلى بل الصواب ما تقدّم \* ( ١ )

- يوسف بن عدي الكوفي : " وقال ابن حبان فى " الثقات " : مات سنة اثنتين وعشرين ومئتين وهذا وهَم ، فقد قال ابن يونس : سكن مصر ، وتوفى بها يوم الثلاثاء لمبعبقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين . قلت : فهذا الصحيح فى وفاته \* ( ٢ )

- محمود بن غيلان المروزى : " وقال الحاكم : توفى لمشر بقين من ذى القعدة سنة تسع وأربعين ومئتين . كذا وقع فى " تاريخ الحاكم " والصحيح وقاته فى رمضان سنة تسع وثلاثين ومئتين . ( ٣ )

- محمد بن هارون ، أبو نشيط الرهمي المروزى ثم البغدادي : " وقد وهم أبو عمرو الدانسي وقال : إن أبا نشيط توفى سنة ثلاث وستين ومئتين ، وإنما المتوفى فى نحو هذه السنة المحدث محمد بن أحمد بن هارون شيطا . . . والراجح عندي أنه توفى سنة ثمان وخمسين كما قاله تلميذه ابن مَخلَد ، والله أعلم \* ( ٤ )

- محمد بن مسلم بن وارة الرازي : " أخطأ ابن المنادي فى الوفيات ، فقال : توفى ابن وارة - سنة خمس وستين ومئتين . بل الصواب فى وفاته ما قاله ابن مَخلَد وغيره : أنها فى رمضان سنة سبعين ومئتين . ( ٥ )

- أبو جعفر ، أحمد بن موسى الكوفي النخّار : " مات فى شهر رمضان سنة ست وثمانين ومئتين ، وهو فى عشر التسعين .

وقال الخليلي فى إرشاده : سنة خمس ، والأول أصح . وللخليلي أوهام كثيرة فى كتابه ، كأنه أملاه من حفظه \* ( ٦ )

- أبو عبد الله محمد بن علي المكي الصائغ : " أرخ أبو يعلى الخليلي وفاته سنة سبع وثمانين والصواب : وفاته بمكة فى ذى القعدة سنة إحدى وتسعين ومئتين \* ( ٧ )

( ٢ ) سير ٤٨٥/١٠ - ٤٨٦

( ١ ) سير ٤٢٩/١٠

( ٤ ) سير ٣٢٦/١٢

( ٣ ) سير ٢٢٤/١٢

( ٦ ) سير ٣٧٦/١٣ - ٣٧٧

( ٥ ) سير ٣١/١٣

( ٧ ) سير ٤٢٩/١٣

- على بن الحسين بن الجُنيد : " قال أبو الشيخ : توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين بالري

وأما الخليلي ، فَأَخْرَجَ موته في سنة ثمان وثمانين ومئتين .

قلت : الأصح وفاته في آخر سنة إحدى وتسعين ومئتين \* ( ١ )

- أبو عمرو ، محمد بن أحمد النيسابوري الصغير : " ذكره الحاكم . . توفي سنة اثنتين وخمسين

وثلاث مئة .

قال الخليلي : مات سنة ثيف وستين وثلاث مئة . قلت : بل الصحيح ماتت \* ( ٢ )

- القاضي أبو الحسن ، علي بن عبد العزيز الجرجاني : " توفي في الثالث والعشرين من ذي

الحجة سنة ٣٩٦ ووهب ابن خلكان ، وصَحَّحَ أَنَّهُ توفي سنة ٣٦٦ . وانا ذاك آخر ، وهو المحدث

أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الجرجاني \* ( ٣ )

- أبو سعد الماليني : " قال السَّهْمِيُّ : وتوفي سنة تسع وأربع مئة . كذا قال ، وهذا وَهَمٌ

وقد قال أبو اسحاق الحبال : توفي يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال سنة اثنتي عشرة وأربعم

مئة \* ( ٤ )

وانتقد الذهبي بعض الأقوال في الوفيات ودعا الى تحرير التاريخ والبحث فيه ، ومن أمثلة

ذلك :

- عبد الله بن صالح العجلي : " قال أحمد بن عبد الله العجلي : مات أبي سنة إحدى

عشرة ومئتين .

هكذا ضبط وفاة أبيه ، فإِنَّهُ في الرواة المذكورين عن عبد الله من لم يسمع الحديث

إلا بعد ذلك ، فلعله قال : مات سنة إحدى وعشرين . ثم إنه قد ذكره ابن أبي حاتم في كتابه

وَأَنَّ أبا زرعة وأبا حاتم حَدَّثَا عَنْهُ . فأول رحلة أبي حاتم كانت في سنة ثلاث عشرة ، وانا ارتحل

أبو زرعة بعد ذلك ، فيتأمل هذا \* ( ٥ )

( ١ ) سير ١٤ / ١٧٠

( ٢ ) سير ١٦ / ٥٠٠

( ٣ ) سير ١٧ / ٢١٠

( ٤ ) سير ١٧ / ٣٠٢ وانظر جزء في وفيات قوم من المصريين لابن اسحاق الحبال ت ( ٤٨٢ ) ص ٥٦٠

( ٥ ) سير ١٠ / ٤٠٤ - ٤٠٥

## أوهام وإخطاء في الوفيات:

تنبيهت أثناء دراستي للكتاب على بعض الأخطاء والأوهام المتعلقة بوفيات المترجمين ولعل أغلب هذه الأخطاء من النسخ، وأذكر الأمثلة على ذلك :

- ١- أحمد بن محمدان : " مولده في سنة ثلاث وتسعين ومئتين . وتوفي في صفر سنة ثمان وثلاث مئة عن خمس وتسعين سنة <sup>(١)</sup> . والصواب : سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة ، ولعلها من وهم النسخ .
- ٢- ناصر الدولة ، الحسين بن الحسن التغلبي : " في وفيات سنة ( ٤٥٢ ) وفيها مات أمير مصر ناصر الدولة الحسين بن الحسن التغلبي <sup>(٢)</sup> . " وأورد ترجمته وفيها أنه توفي سنة ( ٤٦٥ ) وهو الصواب .

- ٣- أبو الفضل ، المعباس بن أحمد الشَّقَّاني : " مات في ذى الحجة سنة ست وخمسين وخمس مئة <sup>(٣)</sup> .

والصواب : سنة ست وخمس مئة . وقد أورد على الصواب في وفيات سنة ( ٥٠٦ ) .

- ٤- الحسن بن المبارك بن الزبيدي الحنفي : " قلت : توفي في سلخ ربيع الأول سنة تسع وست مئة <sup>(٤)</sup> .

والصواب : سنة تسع وعشرين وست مئة كما في " التكملة " للمندري . <sup>(٥)</sup>

## أماكن الوفاة :

- كل ما سبق في زمن الوفاة ، ولم يقتصر الذهبي عليه ، بل حدّد أماكن الوفيات في كثير من الأحيان من بلد أو مدينة أو طريق وما إلى ذلك ، وهذه بعض الأمثلة :
- عتبة بن غزوان : توفي بطريق البصرة وأنداً إلى المدينة <sup>(٦)</sup> .
  - خالد بن الوليد : توفي بحمص سنة إحدى وعشرين . . قلت : الصحيح موته بحمص . <sup>(٧)</sup>

( ١ ) سير ٤٨٩ / ١٦ ( ٢ ) سير ٣٣٦ ، ٧٥ / ١٨

( ٣ ) سير ٢٨٠ / ١٩ ، ٢٤٤ . ( ٤ ) سير ٣١٦ / ٢٢

( ٥ ) التكملة ٣ / ٣٠٣ المترجمة ( ٢٨٣١ ) ( ٦ ) سير ٣٠٦ / ١

( ٧ ) سير ٣٦٧ / ١ ، ٣٨٤ .

- سليمان بن صُرد : قتل سليمان بن صُرد بعين الوردة التي تدعى رأس العين سنة خمس وستين \* ( ١ )

- يحيى بن زياد الفراء : مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومئتين ، وله ثلاث وستون سنة رحمه الله \* ( ٢ )

وقد يصحح بعض الأوهام في أماكن الوفيات ، ومن أمثلة ذلك :

- أبو طلحة الانصارى : " قيل : إنه غزا بحر الروم ، فتوفي في السفينة ، والأشهر : أنه مات بالمدينة ، وصلى عليه عثمان في سنة أربع وثلاثين رضى الله عنه \* ( ٣ )

- عبد الحميد الكشي ، ويقال له الكشي : " قلت : فأما قول من قال : أنه توفي بدمشق ، فإنه خطأ فاحش ، فإنَّ الرجل مارأى دمشق لاني ارتحاله ، ولاني شيخوخته \* ( ٤ )

#### صفة الوفاة :

بيَّن الذهبي صفة الوفاة من قتل أو صلب أو حرق أو غرق أو موت فجأة أو موت عادي أو غير ذلك ، وهذه بعض الأمثلة :

#### يَمُتُّ مَاتَ عَلَى فَرَّاشِهِ :

خالد بن الوليد : ومات على فراشه ، فلا قَرَّتْ أُعْيُنُ الْجَبِينَا \* ( ٥ )

وَمَمَّنْ مَاتَ فُجْأَةً : ( ٦ )

أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان : مات أبو الزناد فجأة في مغتسله \* ( ٧ )

( ١ ) سير ٣٩٥ / ٣ ( ٢ ) سير ١٠ / ١٢١

( ٣ ) سير ٢٨ / ٣٤ ( ٤ ) سير ١٢ / ٢٣٦

( ٥ ) سير ١ / ٣٦٢

( ٦ ) ذكر الذهبي بعض أخبارهم في ترجمة أبي العباس الدغولي ١٤ / ٥٦٠ وذكر منهم : الشعبي

وحميد الطويل ، والأوزاعي وذكر من فقد فجأة : عبد الله بن بصر ، ومعمربن راشد ، ومَدَل بن المحبَّر.

( ٧ ) سير ٥ / ٤٥٠

أبو محمد ، عبد الرحمن بن محمد بن بالويه النيسابوري : مات فجأة في شعبان سنة  
عشر وأربع مئة \* ( ١ )

أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن رزق القرطبي : قتل : عاش خمسين سنة ، ومات فجأة في  
شوال سنة سبع وسبعين وأربع مئة \* ( ٢ )

ومن الشهداء :

- الربيع بن صبيح : قتل : توفي غازياً بأرض الهند ، سنة ستين ومئة \* ( ٣ )

- محدث نيسابور أبو اسحاق إبراهيم بن نصر السُّوري الفارسي : استشهد في حرب  
بابك الخُرَّمي سنة ثلاث عشرة ومئتين ، ويقال : سنة عشر ومئتين في الكهولة \* ( ٤ )

- شقيق البلخي : مع تأليه وزهده كان من رؤوس الفِرَقة . قُتل في غزاة كولا ن سنة أربع  
وسبعين ومئة \* ( ٥ )

- أبو الوليد عبد الله بن محمد ابن القُرَضي القرطبي : قتله الجبرير بقي ملقى في داره ثلاثة  
أيام \* ( ٦ )

- ابن ماكولا : قتله ماليكه الأتراك وأخذوا ماله في سنة خمس وسبعين وأربع مئة \* ( ٧ )

- أبو الربيع ، سليمان بن موسى الكلاعي شيخ الحديث والبلاغة : اشتشهد في كائنة أنيشة  
على ثلاث فراسخ من مرسية مقللاً غير مُدبر في العشرين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وست  
مئة \* ( ٨ )

ومن قتل غيلة :

- الخلال ، أبو سلمة حفص بن سليمان الهذلي : دَسَّ عليه أبو مسلم من مسافر إليه وقتلته  
غيلة ليلاً بالأنبار \* ( ٩ )

( ٢ ) سير ٥٦٤ / ١٨

( ١ ) سير ٢٤١ / ١٧

( ٤ ) سير ٣٩٧ / ١٠

( ٣ ) سير ٢٨٩ / ٧

( ٦ ) سير ١٢٨ / ١٧

( ٥ ) سير ٣١٦ ، ٣١٤ / ٩

( ٨ ) سير ١٣٨ / ٢٣

( ٧ ) سير ٥٢٦ / ١٨

( ٩ ) سير ٨ / ٦

- زياد بن صالح الخزاعي : قتله دهقان غيلة ، وجاء برأسه الى أبي مسلم <sup>(١)</sup> .  
 - أبو سهل البسطامي ، محمد بن محمد بن الحسين : وُجِيسَ أشهراً ، وصودر ...  
 فقصِد واغتيل إلى رحمة الله <sup>(٢)</sup>  
ومَن قُتِلَ صَبْرًا <sup>(٣)</sup> :

- حُجْر بن عدي : قَتَلَه معاوية عند عذراء في سنة إحدى وخمسين <sup>(٤)</sup> .  
 - عير بن هاني القيسي الداراني : قُتِلَ عير صبراً يداريا أيام فتنة الوليد سنة سبع  
 وعشرين ومئة <sup>(٥)</sup> .  
 - أحمد بن نصر الخزاعي المروزي : صَرَبَ عنقه الواثق بعد أن مَدَّ وَا له رأسه بحبل وهو  
 مقيّد <sup>(٦)</sup> .  
 - شيخ الحنفية ، أبو حفص عمر بن عبد العزيز البخاري : قُتِلَ صَبْرًا بسمرقند سنة ست  
 وثلاثين وخمس مئة <sup>(٧)</sup> .  
 - يوسف ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي : صُربَت عنقه صَبْرًا عند هولاكوفى  
 صفر سنة ست وخمسين وست مئة <sup>(٨)</sup> .

#### المصلوبون :

- خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة : غدر بهما بنو لحيان ، وباعوهما بمكة فقتلوهما ، وصلبوهما  
 بالتنعيم <sup>(٩)</sup> .  
 - عبد الله بن الزبير : صلبوا ابن الزبير منكماً <sup>(١٠)</sup> .

- (١) سير ٦٠/٦ .  
 (٢) سير ١٤٣/١٨ .  
 (٣) ذكر الحافظ الذهبي أسماء عدّة مَن قُتِلُوا صَبْرًا في ترجمة شيخ الشافعية محمود بن  
 أحمد الزنجاني المقتول صبراً سنة (٦٥٦) كما في ترجمته في السير ٣٤٦/٢٣ .  
 (٤) سير ٤٦٧ ، ٤٦٦/٣ .  
 (٥) سير ٤٢٢/٥ .  
 (٦) سير ١٦٨ ، ١٦٦/١١ .  
 (٧) سير ٩٧/٢٠ .  
 (٨) سير ٣٧٤/٢٣ .  
 (٩) سير ٢٤٦/١ .  
 (١٠) سير ٣٧٩/٣ .

- مَعْبِدُ الجَهَنى : فى سنة ثمانين صلب عبد الملك معبدًا الجهنى بد مشق . ( ١ )
- زيد بن على بن الحسين : برز لحربه عسكر يوسف ( بن عمر متولي العراق ) ، فُقِتِلَ فى المعركة ، ثم صُلِبَ أربع سنين . ( ٢ )
- أحمد بن نصر الخزاعى : قَتَلَهُ الواثق ، وَنَصَبَ رَأْسَهُ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ . بقي الرأس منصوبًا ببغداد ، والبدن مصلوبًا بسامرا . ست سنين إلى أن أنزل ، وَجُمِعَ فى سنة سبع وثلاثين ، فدفنَ رحمة الله عليه . ( ٣ )
- ثابت بن أسلم الحلبي : فقيه الشيعة ، حُيِّلَ إلى مصر ، فصلبه المستنصر ، فلا رضى الله عَنْ قَتْلِهِ . ( ٤ )
- من مات غرقًا :
- شبيب بن يزيد : غَرِقَ شَبِيبُ فى القتال بد جيل سنة سبع وسبعين وله إحدى وخمسون سنة . ( ٥ )
- عبد الرحمن بن أبي ليلى : وقال شعبة بن الحجاج : قدم عبد الله بن شداد بن الهناد وابن أبي ليلى فاقتحم بهما فرسهما الفرات فذهبا - يعني غرقا . ( ٦ )
- قحطبة بن شبيب : طَمَعَنَ قحطبة بن شبيب ثم وقع فى الماء وهلك سنة إحدى وثلاثين ومئة . ( ٧ )
- أيوب بن سويد الرملى : غرق أيوب بن سويد فى البحر سنة ثلاث وتسعين ومئة . ( ٨ )
- سُلَيْمُ بن أيوب الرازي : غرق سُلَيْمُ الفقيه فى بحر القلزم ، عند ساحل جدة بعد أن حجَّ فى صفر سنة سبع وأربعين وأربع مئة ، وقد نيف على الثمانين . ( ٩ )
- السلطان عبد الواحد بن ادريس الملقب بالرشيد : توفى غريقًا فى صهرىج بستان له بمراكش . فى سنة أربعين وست مئة . ( ١٠ )

- |                                                       |                   |
|-------------------------------------------------------|-------------------|
| ( ١ ) سیر ١٨٧/٤                                       | ( ٢ ) سیر ٣٨٩/٥   |
| ( ٣ ) سیر ١٦٩/١١                                      | ( ٤ ) سیر ١٧٦/١٨  |
| ( ٥ ) سیر ١٤٧/٤                                       | ( ٦ ) سیر ٢٦٧/٤   |
| ( ٧ ) سیر ٥٦/٦                                        |                   |
| ( ٨ ) سیر ٤٣٢/٩ وصحح الذهبى وفاته سنة اثنتين ومئتين . |                   |
| ( ٩ ) سیر ١٤٦/١٧                                      | ( ١٠ ) سیر ٣٤٣/٢٢ |

من مات حرقاً :

- عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، شاعر قرين في وقته . . غزا البحر ، فأحرق المد وسفينته ، فاحترق في حدود سنة ثلاث وتسعين وما بين رحمه الله . ( ١ )
- المسند أبو عبد الله ، مالك بن أحمد البانياسي الأصل البغدادي : وقعت النار ببغداد بقرب حجرته ، وقد زين فأُنزل في قُفَّة إلى باب الحجرة ، فإذا النار عند الباب ، فتركه الذي أنزله وفر ، فاحترق هو - رحمه الله - وذلك في تاسع جمادى الآخرة سنة ( ٤٨٥ ) بالنهار من تردى من مشاهق :

- إمام النحاة أبو الحسن ، طاهر بن أحمد بن بابشاذ : توفي سنة تسع وستين وأربع مئة ، سقط من المنارة ، فتلّف . ( ٣ )
  - الشريف أحمد بن أحمد المتوكلي : مات شهيداً بعد أن صلى التراويح ليلة سبع وعشرين من سنة إحدى وعشرين وخمس مئة ، وقّع من السطح ، فمات رحمه الله . ( ٤ )
- من قُتل بالهَدْمْ :

- عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس : سجنه المنصور سنوات . فيقال : حفر أساس الحبس وأرسل عليه الماء فوقع على عبد الله في سنة سبع وأربعين ومئة ، فالأمر لله . ( ٥ )
- من مات مسموماً :

- عمر بن عبد العزيز : سقوه السم ، فحصلت له الشهادة والسعادة . ( ٦ )
- أبو حنيفة النعمان : توفي شهيداً مسقياً في سنة خمسين ومئة ، وله سبعون سنة . ( ٧ )
- أحمد بن محمد بن العريف الصنهاجي : خاف ابن تاشفين سلطان الوقت من ظهوره ، وظن أنه من أنموذج ابن تومرت فيقال : إنه قتله سراً فسقاه ، والله أعلم . ( ٨ )

- |                                                       |                  |
|-------------------------------------------------------|------------------|
| ( ١ ) سير ٣٧٩/٤                                       | ( ٢ ) سير ٥٢٧/١٨ |
| ( ٢ ) سير ٤٤٠/١٨                                      | ( ٤ ) سير ٤٩٩/١٩ |
| ( ٥ ) سير ١٦٢/٦                                       |                  |
| ( ٦ ) سير ١٢٠/٢ وانظر ١٤٠ ، وانظر تاريخ الاسلام ١٤٠/٥ |                  |
| ( ٧ ) سير ٤٠٣/٦                                       | ( ٨ ) سير ١١٣/٢٠ |

من مات خنقاً :

- مروان بن الحكم : مات خنقاً من أول رمضان سنة خمس وستين . ( ١ )

وكل ما سبق من أمثلة وشواهد في ذكر صفة الوفاة ، ويزيد أحياناً في بيان السبب الحسي للوفاة ، وهذه بعض الأمثلة :

في ترجمة الإمام الأوزاعي : " قال يحيى : مات الأوزاعي في الحمام . . قال خيران بن العلاء : دخل الأوزاعي الحمام ، وكان لصاحب الحمام حاجة ، فأغلق عليه الباب وذهب ، ففتح ، فوجد الأوزاعي ميتاً مستقبلاً القبلة " ( ٢ )

- أبو نعيم الفضل بن دكين : قلت : توفي أبو نعيم شهيداً ، فإنه طعن في عنقه ، وحصل له ورشكين . ( ٣ )

- المفتي عبدالرحمن بن عبدالرحيم ابن العجمي الحلبي : تلف بعذاب التتار سنة ثمان وخمسين وست مئة وله تسع وثمانون سنة ، ضربه وصَبُّوا عليه في الشتاء ماءً بارداً فتشجَّج ومات رحمه الله . ( ٤ )

بيان الهيئة التي توفي عليها ، ومن أمثلة ذلك :

من مات وهو في الصلاة :

- عامر بن عبد الله بن الزبير : " قال مصعب : سمع عامراً المؤذن وهو يجود بنفسه ، فقال : خذوا بيدي . فقيل : إنك عليل . قال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ، فأخذوا بيده ، فدخل مع الإمام في المغرب ، فركع ركعة ثم مات " ( ٥ )

- حميد بن أبي حميد : " قال يحيى القطان : مات حميد وهو قائم يصلي . . " ( ٦ )

- حماد بن سلمة : " قال يونس بن محمد المؤدب : مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد ( ٧ )

( ١ ) سير ٤٧٩/٣ .

( ٢ ) سير ١٢٧/٧ وانظر ثلاثة أسباب أخرى ذكرها في نفس الموضع .

( ٣ ) سير ٣٤٩/٢٣ .

( ٤ ) سير ١٥١/١٠ .

( ٥ ) سير ١٦٧/٦ .

( ٦ ) سير ٢٢٠/٥ .

( ٧ ) سير ٤٤٨/٧ .

- اسماعيل بن أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني : " توفي في نصف ربيع الآخر ، ليلة الجمعة سنة ست وتسعين وثلاث مئة ، فتوفي إكراما من الله له في صلاة المغرب ، وهو يقرأ : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " ففاضت نفسه - رحمه الله - " ( ١ )
- شيخ الحنابلة ، علي بن الحسين بن جَدِّ العكبري : " مات في رمضان سنة ثمان وستين وأربع مئة فجأة وهو يصلي " ( ٢ )
- نصر المقدسي ، المتوفى سنة ( ٤٩٠ ) : " حكى الفقيه نصر - أي المصيصي - عن شيخه نصر أنه قبل موته بلحظة سمعه وهو يقول : ياسيدي أهملوني ، أنا مأمور وأنتم مأمورون ، ثم سمعت المؤذن بالمصر ، فقلت : ياسيدي المؤذن يؤذِّن ، فقال : أجلسني ، فأجلسته ، فأحرَمَ بالصلاة ، ووضع يده على الأخرى ، ثم توفي من ساعته ، رحمه الله " ( ٣ )
- من مات وهو ساجد :

- أبو ثعلبة الخشني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم : روى ابن أبي عاصم بسنده السبيعي الزاهري : سمعت أبا ثعلبة يقول : إني لأرجو ألا يخنقني الله كما أراكم تُخَنَّقُونَ . فبينما هو يصلي في جوف الليل ، قُبِضَ ، وهو ساجد . . " ( ٤ )
- مجاهد بن جبر : " قال أبو نُعَيْم : مات مجاهد وهو ساجد سنة اثنتين ومئتين " ( ٥ )
- أبو بشر اليشكري : " قال نوح بن حبيب : كان أبو بشر ساجداً خلف المقام حين مات رحمه الله " ( ٦ )
- عبد العزيز بن أبي حازم : " قال ابن سعد : توفي وهو ساجد ، في سنة أربع وثمانين ومئة رحمه الله " ( ٧ )
- أبو الفضل جعفر بن الحسن الحنبلي المتوفى سنة ( ٥٠٦ ) : " مات في الصلاة ساجداً في ربيع الآخر " ( ٨ )
- أبو الحسن علي بن المُسَلِّم بن محمد المُسَلِّم الدمشقي الشافعي : " قال ابن عساكر : توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة ساجداً في صلاة الفجر " ( ٩ )

( ٢ ) سير ٣٩٢/١٨

( ١ ) سير ٨٨/١٧

( ٤ ) سير ٥٧٠/٢ - ٥٧١

( ٣ ) سير ١٤٢/١٩

( ٦ ) سير ٤٦٦/٥

( ٥ ) سير ٤٥٥/٤

( ٨ ) سير ٤١٥/١٩

( ٧ ) سير ٣٦٤/٨

( ٩ ) سير ٣٣/٢٠

وما يتعلق بذكر الحالة التي توفي عليها المترجم أمثلة أخرى ، وأكتفى بذكر هذين

المثالين :

- عباد بن منصور : " مات عباد على بطن أهله سنة اثنتين وخمسين ومئة " ( ١ )
- يزيد بن يزيد : " وبلغنا أن يزيد بن يزيد أهدى له جارية ، فافتضحها ، فمات على صدرها ببرذعة ، سنة خمس وثمانين ومئة " ( ٢ )
- قبور المترجمين ومدافنهم وجنائزهم :

- بين الذهبي مواضع قبور بعض المترجمين وذكر بعض أخبار جنائزهم ، وهذه بعض الأمثلة :
- خالد بن الوليد : " توفي بحمص سنة إحدى وعشرين ، ومشهد على باب حمص عليه جلالة . . قلت : الصحيح موته بحمص وله مشهد يزار " ( ٣ )
- أسماء بنت يزيد بن السكن : " سكنت دمشق ، وقبر أم سلمة الذي بمقبرة الباب الصغير هو قبرها إن شاء الله " ( ٤ )
- العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم : " وقد عاش ثمانياً وثمانين سنة ، ومات سنة اثنتين وثلاثين ، فصلّي عليه عثمان ، ودُفن بالبقيع ، وعلى قبره اليوم قبة عظيمة من بناء خلفاء آل العباس . " وقال أيضاً : " وله قبة عظيمة شاهقة على قبره بالبقيع " ( ٥ )
- أبو مسلم الخولاني : " ومدارياً قبر يزار ، يقال : إنه قبر أبي مسلم الخولاني ، وذلك محتمل " ( ٦ )
- منصور بن زاذان : " قلت : قبره بواسط يزار " ( ٧ )
- موسى الكاظم : " قلت : له مشهد عظيم مشهور ببغداد ، دُفن معه فيه حفيده الجواد ، ولولده علي بن موسى مشهد عظيم بطوس " ( ٨ )

- |                       |                 |
|-----------------------|-----------------|
| ( ١ ) سير ١٠٦/٧       | ( ٢ ) سير ٧٣/٩  |
| ( ٣ ) سير ٣٦٢/١ ، ٣٨٤ | ( ٤ ) سير ٢٩٧/٢ |
| ( ٥ ) سير ٩٧/٢ ، ١٠٠  | ( ٦ ) سير ١٤/٤  |
| ( ٧ ) سير ٤٤٢/٥       | ( ٨ ) سير ٢٧٤/٦ |

- أبو حنيفة النعمان : " توفي شهيداً مسقياً في سنة خمسين ومئة ، وله سبعون سنة ،  
وعليه قبة عظيمة ومشهد فاخر ببغداد ، والله أعلم " ( ١ )
- أبو نصر محمد بن محمد الفارابي : " وقبره بباب الصغير " ( ٢ )
- نور الدين الشهيد : " وقبر نور الدين بترتة عند باب الخواصين بزار " ( ٣ )
- ابن الصلاح : " ودفنوه بمقابر الصوفية . وقبره ظاهر بزار في طرف المقبرة من غربيها  
على الطريق " ( ٤ )

كما بين أوهام بعض الناس في نسبتهم إلى غير أماكن دفنهم ، وهذه بعض الأمثلة :

- السيدة عائشة رضي الله عنها : " وقد قيل : إنها مدفونة بفريس جامع دمشق ، وهذا  
غلط فاحش ، لم تقدم رضي الله عنها إلى دمشق أصلاً ، وإنما هي مدفونة بالبقيع " ( ٥ )
- السيدة أم حبيبة أم المؤمنين : " ويقال : قبرها بدمشق ، وهذا لا شيء ، بل قبرها  
بالمدينة ، وإنما التي بمقبرة باب الصغير : أم سلمة أسماء بنت يزيد الأنصارية " ( ٦ )
- طاووس اليماني : " توفي طاووس بمكة أيام الموسم ، ومن زعم أن قبر طاووس ببعلبك فهو  
لا يدري مايقول ، بل ذاك شخص اسمه طاووس إن صح ، كما أن قبر أبي بشر في دمشق وليس  
بأبي بن كعب البتة " ( ٧ )

كما انتقد الذهبي فعل بعض جهلة العوام نحو بعض القبور والمشاهد :

في ترجمة السيدة نفيسة بنت أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن السيد الحسن بن علي  
رضي الله عنهما : " صاحبة المشهد الكبير المعمول بين مصر والقاهرة . ولجهلة المصريين  
فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ، ولا يجوز ما فيه من الشرك ، ويسجدون لها ، ويلتمسون منها  
المغفرة ، وكان ذلك من دسائس العبيد " ( ٨ )

( ٢ ) سير ٤١٨ / ١٥

( ٤ ) سير ١٤٤ / ٢٣

( ٦ ) سير ٢٢٠ / ٢

( ٨ ) سير ١٠٦ / ١٠

( ١ ) سير ٤٠٣ / ٦

( ٢ ) سير ٥٣٩ / ٢٠

( ٥ ) سير ١٩٣ / ٢

( ٧ ) سير ٤٤ / ٥ - ٤٥

كما ذكر الذهبي أخبار الجنائز لبعض العلماء :

الحسن البصرى : " قلت : مات في أول رجب ( سنة عشر ومئة ) ، وكانت جنازته مشهورة ، صلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة ، فشيعه الخلق ، وازدحموا عليه ، حتى إن صلاة العصر لم تقم في الجامع " ( ١ )

منصور بن زاذان : " ذكر عباد بن العوام ، أنه شهد جنازة منصور بن زاذان ، قال : فرأيت النصارى على حدة ، والمجوس على حدة ، واليهود على حدة ، وقد أخذ خالي بيدي من كرة الزحام " ( ٢ )

داود الطائي : ولم يسمع بمثل جنازته ، حتى قيل : بات الناس ثلاث ليالٍ مخافة أن يفوتهم شهوده " ( ٣ )

ذكر الوفيات على السنوات :

من منهج الذهبي في كتابه أنه يجمع الوفيات في السنة الواحدة في أواخر بعض التراجم ، مع ذكر وفياتهم عند تراجمهم ، وأنا صنع الذهبي هذا لضبط وفياتهم ومعرفة في سنة واحدة ، قال الذهبي في آخر ترجمة القفال المتوفى سنة ( ٤١٧ ) ، وذكر من توفي في هذه السنة ثم قال : " ولأكثرهم هنا تراجم ، وأنا أحببت الجمع لينضبط موتهم " ( ٤ )

الألفاظ المعبرة عن الوفيات :

نوع الحافظ الذهبي الألفاظ المعبرة عن الوفيات ، وفي الأعم الغالب يستعمل لفظة "توفي" أو "مات" ويستعمل أحياناً عبارة "هلك" أو "انقطع" أو "عُوم" ونحو ذلك ، وأمثلة ذلك :  
- الإمام العارف محمد بن حَمَوِيه : " توفي إلى رضوان الله .. " ( ٥ )  
- السلطان علي بن يوسف بن تاشفين : " فمات إلى رحمة الله .. " ( ٦ )

( ٢ ) سير ٤٤٢/٥

( ١ ) سير ٥٨٧/٤

( ٣ ) سير ٤٢٥/٧ وانظر أيضاً أخبار جنازة عمرو بن قيس الكوفي ٢٥٠/٦ ، وجنازة الإمام

أحمد ٣٣٩/١١ - ٣٤٠

( ٥ ) سير ٥٩٨/١٩

( ٤ ) سير ٤٠٨/١٧

( ٦ ) سير ١٢٥/٢٠

- محدّث الأندلس خلف بن عبد الملك بن بشكوال : " توفي الى رحمة الله ... " ( ١ )
- أبو الهذيل ، محمد بن الهذيل البصري العلاف : " وطال عمر أبي الهذيل ، وجاوز التسعين ، وانقلع في سنة سبع وعشرين ومئتين " ( ٢ )
- الأثر بأحكام الله العبّيدى المصري : " وانقلع في ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمس مئة " ( ٣ )
- بشار بن برد : " هلك سنة سبع وستين ومئة وبلغ التسعين " ( ٤ )
- أبو المعتمر مَعْمَر بن عمرو المعتزلى : " وهلك فيما ورّخه محمد بن إسحاق التميمي سنة خمس عشرة ومئتين " ( ٥ )
- القاسم بن عبيد الله الحارثى الوزير : " هلك القاسم عن ثلاث وثلاثين سنة " ( ٦ )
- وعجّارة " انقلع " و " هلك " استمّلتا في معرض الذم ، إلا أنّ عبارتي هلك وعدم تستعمل بدل مات وتوفي بقرينة تدل على ذلك مثل :
- شيخ الحنابلة ، الحسن بن حامد : " هلك شهيداً في أخذ الوفد سنة ثلاث وأربع مئة " ( ٧ )
- سعيد بن عثمان القرطبي : " عُدِمَ في وقعة الأندلس في ربيع الأول سنة أربع مئة " ( ٨ )
- ومن الألفاظ القاسية التي أطلقها في وفيات الظلمة أو الفسقة أو المبتدعة أو الزنادقة

#### هذه الألفاظ

" أهلكه الله " ، " قلعه الله " ، " استأصله الله " ، " انتقل الى غير رضوان الله " وهــذـه

بعض الأمثلة :

- ( ١ ) سير ١٤٢/٢١ وانظر ٣٥٩/٢٢ .
- ( ٢ ) سير ٥٤٣/١٠ .
- ( ٣ ) سير ١٩٩/١٥ .
- ( ٤ ) سير ٢٥/٧ .
- ( ٥ ) سير ٥٤٦/١٠ .
- ( ٦ ) سير ١٩/١٤ .
- ( ٧ ) سير ٢٠٤/١٧ .
- ( ٨ ) سير ٢٠٦/١٧ .

- الحجاج بن يوسف الثقفي : "أهلك الله في رمضان سنة خمس وتسعين كهلاً" (١)
- أثير صاحب دمشق : من كبار الظلمة . . وفعل العظام حتى قلع الله تعالى (٢)
- الأمير نائب دمشق جيث بن محمد : "فاستأصله الله بعد أشهر في ربيع الآخر سنة ستين وثلاث مئة" (٣)
- علي بن مهدي : "وكان من دعاة الباطنية فقصه الله سنة نيف وخمسين" (٣)
- هبة الله ابن صاحب : "وكان قد تمرد ، وسفك الدماء ، وسب الصحابة . . فقصه الله (٤)
- العلامة المارق ، أبو حنيفة النعمان بن محمد قاضي الدولة العبيدية : "كان مالكيًا فارتد إلى مذهب الباطنية . . وناقى الدولة لابل وافقهم وانتقل إلى غير رضوان الله (٥)

كما أن الذهبي كان يدعو عليهم ويستعيد الله من أعمالهم ، ومن أمثلة ذلك :

- جبلة بن الأيهم : "فلما كان زمن عمر ارتد ولحق بالروم . . فضود بالله من العترة والكبر" (٦)
- يوسف بن عمر الثقفي : "وقيل : رموه قتيلاً ، فشدد الصبيان في رجله حبلاً ، وجروه في أزقة دمشق . نعوذ بالله من البغي وعواقبه" (٧)
- وفي ترجمة السيد <sup>الحسين</sup> السبط رضي الله عنه : "وطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته ، واحتز رأسه خولي الأصبحي لارضي الله عنهما" (٨)

وفي ترجمة الخليفة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل عند كلامه عن الزنج وقائد هم الخبيث وكان يدعي علم الغيب لعنه الله . . ثم جرت ملحمة بين الموفق والخبيث في أول سنة أربعين ثم وقعة أخرى قُتل فيها الخبيث لارحمه الله" (٩)

وفي ترجمة القاسم بن عبيد الله الحارثي الوزير ، قلت : هذه أمور مؤذنة بشقاوة هذا المعثر

(١) سير ٣٤٣/٤ ، وقال الذهبي في ترجمته سعيد بن جبير ٣٣٢/٤ : "وما ظفروا بسعيد

إلى سنة خمس وتسعين ، السنة التي قلع الله فيها الحجاج" انتهى وانظر ٦٠٢/٤

- |                |                      |                |
|----------------|----------------------|----------------|
| (٢) سير ٤٣٢/١٨ | (٣) سير ٥٥/١٢        | (٣) سير ٥٨٣/٢٠ |
| (٤) سير ١٦٥/٢١ | (٥) سير ١٥٠/١٦ - ١٥١ |                |
| (٦) سير ٥٣٢/٣  | (٧) سير ٤٤٤/٥        |                |
| (٨) سير ٢٩٩/٣  | (٩) سير ٥٤٢/١٢ - ٥٤٩ |                |

نسأل الله خاتمة خير ( ١ )

وفي ترجمة الرّيوّندى الطّليح : " عدوّ الدين ، أبو الحسن ، أحمد بن يحيى ، لعن الله الذّكاء ، بلا إيمان ، ورضي الله عن البلاد قمع التقوى " ( ٢ )

وفي ترجمة أبي كظاهر القرمطي : " عدوّ الله ، ملك البحر بن سليمان بن حسن القرمطي الجنباني الأعرابي الزنديق الذي سار إلى مكة فاستباح الحجاج كلّهم . . . قلت : ثم هلك بالجُدري . لا رحمه الله . في سنة اثنتين وثلاث مئة " ( ٣ )

وفي ترجمة عبد الرحيم بن إلياس العبدي الفاسق الظالم : " ثم إنه قتل نفسه في الحبس لا رحمه الله " ( ٤ )

وفي ترجمة صاحب العراق السلطان محمد بن ملكشاه بن البأسلان المتوفى سنة ( ٥١١ ) : " ومات معه في العام صاحب قسطنطينية ، وصاحب القدس بعدوين ، لعنهما الله " ( ٥ )

وفي ترجمة عبد النبي بن علي بن مهدي : " فله الحمد على مصرع هذا الزنديق . . . ولعبد النبي أخبار في الجبّوت والعتوّ ، فلا رحمه الله " ( ٦ )

\* \* \*

## المطلب الثاني

### الولادات

اعتنى الخافض الذهبي بذكر الولادات ، وتفنّن في عرضها . ومن شواهد ذلك

١ - تحديد زمن الولادة :

أ - من سنة : وشال ذلك :

- عبد الله بن المبارك : " مولده في سنة ثمان عشرة ومئة " ( ٧ )

( ٢ ) سير ٦٢ / ١٤

( ١ ) سير ٢٠ / ١٤

( ٤ ) سير ٣٠٠ / ١٧

( ٣ ) سير ٣٢٥ / ١٥

( ٦ ) ٥٨٣ / ٢٠

( ٥ ) سير ٥٠٧ / ١٩

( ٧ ) سير ٣٧٩ / ٨

- أبو يوسف القاضي : " مولد أبي يوسف في سنة ثلاث عشرة ومئة " ( ١ )

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وتحديد الولادة بالسنة هو الأعم الأغلب .

ب - ومن شهر : وأمثلة ذلك :

- الحسن بن علي : " مولده في شعبان سنة ثلاث من الهجرة ، وقيل في رمضانها . . . .

وفي شعبان أصح " ( ٢ )

- أبو مُشِير ، عبد الأعلى بن مُشِير الدمشقي : " ولد في صفر سنة أربعين ومئة " ( ٣ )

- سليمان بن حرب : وقال البخاري : قال سليمان بن حرب : " وُلِدْتُ فِي صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِئَةٍ " ( ٤ )

ج - تحديد الولادة بحادث مشهور مثل موت إمام مشهور أو مقتله ، وأمثلة ذلك :

- محمد بن الحنفية : " ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر " ( ٥ )

- عمر بن عبد العزيز : " وقال الفلاس : سمعت الخريبي يقول : الأعمر ، وهشام بن عروة ،

وعمر بن عبد العزيز ، وطلحة بن يحيى ولدوا سنة مقتل الحسين ، يعني سنة إحدى وستين ( ٦ )

- علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : " الإمام السيد ، أبو الخلف ، وُلِدَ عَامَ

قَتْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ قُسْتِي بِاسْمِهِ " ( ٧ )

- أيوب السَّخْتِيَانِي : " مولده عام توفي ابن عباس سنة ثمان وستين " ( ٨ )

- حميد بن أبي حميد : " مولده في سنة ثمان وستين ، عام موت ابن عباس ( ٩ )

- مالك الإمام : " مولد مالك - علي الأصح - في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول

الله صلى الله عليه وسلم ( ١٠ )

( ٢ ) سير ٢٤٦/٣ ، ٢٤٨

( ١ ) سير ٥٣٦/٨

( ٤ ) سير ٣٣٤/١٠

( ٣ ) سير ٢٢٩/١٠

( ٦ ) سير ١١٥/٥

( ٥ ) سير ١١١/٤

( ٨ ) سير ١٦/٦

( ٧ ) سير ٢٥٢/٥

( ١٠ ) سير ٤٩/٨

( ٩ ) سير ١٦٣/٦

- إسماعيل بن إبراهيم ابن عُلَيَّة : " ولد سنة مات الحسن البصرى سنة عشر ومئة " ( ١ )
- علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق : " مولده بالمدينة في سنة ثمان وأربعين ومئة ، عام وفاة جدّه " ( ٢ )
- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : " ولد في سنة عشر ومئة ، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصرى " ( ٣ )
- علي بن الحسن بن شقيق : " ولد ليلة قتل أبو مسلم بالمدائن سنة سبع وثلاثين ومئة " ( ٤ )
- أبو نصر التمار ، عبد الملك بن عبد العزيز : " مولده عام مقتل أبي مسلم الخراساني " ( ٥ )
- محمد بن سلام البيكندی : " ولد محمد بن سلام في الليلة التي توفي فيها سفيان الثوري " ( ٦ )
- أبو موسى ، محمد بن المثنى البصري : " ولد مع يندار في عام وفاة حماد بن مسلمة " ( ٧ )
- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي : " قال : ولدت في سنة مات ابن المبارك سنة إحدى وثمانين ومئة " ( ٨ )
- إسماعيل بن يحيى المزني : " مولده في سنة موت الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومئة " ( ٩ )
- أبو بكر ، محمد بن أحمد الكنافي الشافعي : " مولده يوم مات المزني " ( ١٠ )
- أبو بكر ، محمد بن حيدرة بن مفوز الشاطبي : " ولد في عام موت أبي عمر بن عبد البر سنة ثلاث وستين وأربع مئة " ( ١١ )
- أبو الوليد ، محمد بن أحمد ابن شيخ المالكية أبي الوليد محمد بن رشد القرطبي : " مولده قبل موت جدّه بشهر سنة عشرين وخمس مئة " ( ١٢ )
- شيخ المعتزلة أبو الفتح ناصر بن عبد السيد الحنفي : " ولد عام توفي الزمخشري " ( ١٣ )

- |                                             |                                                                            |
|---------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------|
| ( ١ ) سير ١٠٧/٩                             | ( ٢ ) سير ٣٨٧/٩                                                            |
| ( ٢ ) سير ٤٤٥/٩                             | ( ٤ ) سير ٣٥٢/١٠                                                           |
| ( ٥ ) سير ٥٧١/١٠                            | ( ٦ ) سير ٦٣٠/١٠ ووفاة سفيان في سنة ( ١٦١ ) كما في - ترجمته في السير ٢٧٩/٧ |
| ( ٧ ) سير ١٢٣/١٢                            | ( ٨ ) سير ٢٢٨/١٢                                                           |
| ( ٩ ) سير ٤٩٢/١٢                            | ( ١٠ ) سير ٤٥١/١٥ وتوفي المزني سنة ( ٢٦٤ )                                 |
| ( ١١ ) سير ٤٢١/١٩                           | ( ١٢ ) سير ٣٠٧/٢١                                                          |
| ( ١٣ ) سير ٢٨/٢٢ ووفاة الزمخشري سنة ( ٥٣٨ ) |                                                                            |

وقد يحدّد المولد بحادث مشهور كسقوط دولة مثلاً ، ومثال ذلك :

- أسدُ السنّة ، أبو سعيد ، أسد بن موسى القرشي الأموي : " وليّ بالبصرة ، وقبيل

بمصر - وهو أشبه - سنة زالت دولة آبائه بميى العباس سنة اثنتين وثلاثين ومئة ( ١ )

وقد يحدّد المولد أيضاً بولاد قرعالم مشهور معه فى نفس السنّة أو التي قبلها ، ومثال ذلك :

- الإمام أبو محمد ، عبد الرحمن بن عليّ الدمشقيّ ابن الخرقى الشافعي : " مولده

سنة تسع وتسعين ( وأربع مئة ) مع الحافظ ابن عساكر ( ٢ )

- أبو الفضل إسماعيل بن عليّ الجنزويّ المحدث القرظي : " مولده فى ربيع الأول سنة

ثمان وتسعين ، فهو أسنّ من الحافظ ابن عساكر بسنة ( ٣ )

ويحدّد المولد أحياناً بمعرفة سنة المترجم ووفاته ، ومن أمثلة ذلك :

- سليمان بن يسار : " وقال ابن سعد : مات سنة سبع ومئة . وكذا أرّخه مصعب بن عبد الله

وابن معين . . . والبخارى وطائفة . وهو ابن ثلاث وسبعين .

قلت : فيكون مولده فى أواخر أيام عثمان فى سنة أربع وثلاثين ( ٤ )

- أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الأسود : " قال أبو حسان الزيدى وغيره : مات فى

شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومئتين ، وله ستون سنة "

قلت : فعلى هذا يكون مولده ظناً فى سنة ثلاث وستين ومئة ( ٥ )

وقد لا ينس على المولد فى كثير من الأحيان ولكن يعرف بذكره من المترجم ووفاته ، ومن أمثلة

ذلك :

- عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيرى : " قلت : عاش سبعة وسبعين سنة ، وتوفي سنة أربع

( ٢ ) سير ١٩٦/٢١ .

( ١ ) سير ١٠٦٣/١٠ .

( ٤ ) سير ٤٤٦/٤ - ٤٤٧ .

( ٣ ) سير ٢٣٤/٢١ .

( ٥ ) سير ٦٤٩/١٠ .

وشانين ومئة<sup>(١)</sup> فيكون مولده سنة ( ١١٤ ) .

- أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن يوسف بن دُوسْت : " توفي في رمضان سنة سبع وأربع

مئة ، وله أربع وثمانون سنة<sup>(٢)</sup> فيكون مولده سنة ( ٣٢٣ ) .

- أبو سعد ، محمد بن عبد الكريم بن خشيش : " مات في عشر ذي القعدة سنة اثنتين

وخمس مئة ، وله تسع وثمانون سنة<sup>(٣)</sup> فيكون مولده سنة ( ٤١٣ )

ويذكر سنة الولادة في كثير من الأحيان بالتقريب والظن بقوله : ولد في حدود سنة كذا

أو ظناً ، أو في خلافة فلان ، وهذه بعض الأمثلة :

- علي بن الحسين بن الإمام علي : " وُلِدَ في سنة ثمان وثلاثين ظناً<sup>(٤)</sup> .

- الحكم عتيبة : " قال أحمد بن حنبل : هو من أقران إبراهيم النَّخَمي ولد في عام واحد

قلت : ما عيّن السنة ، وهي نحو ست وأربعين<sup>(٥)</sup> .

- يحيى بن زكريا بن أبي زائدة : " مولده سنة عشرين ومئة تقريباً أو فيها<sup>(٦)</sup> .

- عبد الله بن بكر البصري : " مولده في خلافة هشام بن عبد الملك<sup>(٧)</sup> .

- عفان بن مسلم البصري : " ولد سنة أربع وثلاثين ومئة تحديداً أو تقريباً<sup>(٨)</sup> .

- أبو عبد الله ، محمد بن الفضل الفراءى : " ولد في سنة إحدى وأربعين وأربع مئة تقريباً لان

شيخ الإسلام أبا عثمان الصابوني أجاز له فيها<sup>(٩)</sup> .

- عبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الجماعيلي : " ولد بجماعيل في سنة

ثلاث وسبعين وخمس مئة ظناً<sup>(١٠)</sup> .

( ٢ ) سير ١٧/٣٢٣ -

( ١ ) سير ٨/٥١٧ -

( ٤ ) سير ٤/٣٨٦ -

( ٣ ) سير ١٩/٢٤١ -

( ٦ ) سير ٨/٣٣٨ -

( ٥ ) سير ٥/٢٠٨ -

( ٨ ) سير ١٠/٢٤٢ -

( ٧ ) سير ٩/٤٥٠ -

( ١٠ ) سير ٢٣/٣٤٠ -

( ٩ ) سير ١٩/٦١٥ -

ويذكر أحياناً الاختلاف في تحديد زمن الولادة ويُرجّح بين الأقوال ، ومن أمثلة ذلك :

- الإمام محمد بن سيرين المتوفى سنة ( ١١٠ ) : " قال خالد بن خدّاش : حدثنا حماد عن أنس بن سيرين : ولد أخي محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، قال الحاكم : هكذا وجدت في كتابي : عمر ، وقال غيره : عثمان الأول .  
قلت : الثاني أشبه ، ولو كان أولاهما لكان ابن سيرين في سنّ الحسن ، ومعلوم أنّ محمداً كان أصغر بسنوات . ولكن يشهد للأول قول عازم عن حماد بن زيد : عاز ابن سيرين . ثانياً  
وثمانين سنة ، ويشهد للثاني قول ميسرة عن معلّى بن هلال ، حدثنا يونس بن عبيد قال : مات ابن سيرين وهو ابن ثمان وسبعين سنة " ( ١ )

- إسماعيل بن عيَّاس : " اختلفوا في مولد ابن عيَّاش ووفاته ، فقال محمد بن عوف ، عن يزيد ابن عبد ربه : مولده سنة اثنتين ومئة . وروى سعيد بن عمر الشَّكُونِي عن بقية : أنّ إسماعيل ولد سنة خمس ومئة وولدت سنة عشر وروى أبو زرعة الدمشقي عن يزيد بن عبد ربه : ولد ثمان وست ومئة .

قلت : هذا أصح ، كان كذلك " ( ٢ )

- الإمام أبو العباس ابن العَرِّيف الأندلسي : " قلت في تاريخي " : " أنّ مولد ابن المبرِّف في سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، ولا يصح .

قال ابن مسدي : مولد ابن العَرِّيف في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وأربع مئة .  
قلت : هذا القول أشبه بالصحة ما تقدّم ، فإنّ شيوخه عامتهم كانوا بعد الخمس مئة ، فلقبهم وعمره عشرون سنة " ( ٣ )

وبيّّن أوهام بعض العلماء في الولادات ، ومن أمثلة ذلك :

- عمر بن أبي سَلَمَةَ المدني الحبشي المولد : " ولد قبل الهجرة بسنتين أو أكثر ، فإن أباه

( ٢ ) سير ٠٣٢٧/٨

( ١ ) سير ٠٦٠٧/٤

( ٣ ) سير ٠١١٤/٢٠

توفي في سنة ثلاث من الهجرة وخلف أربعة أولاد ، هذا أكبرهم ، وهم : عمر ، وسلمة ، وزينب وذرّه . ثم كان عمر هو الذي زوّج أمّه بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي <sup>(١)</sup> ، ثم إنه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تزوّج وقد احتلم ، وكبر فسأل عن القُبلة للصائم <sup>(٢)</sup> ، فبطل ما نقله أبو عمر في " الاستيعاب " من أنّ مولده بأرض الحبشة سنة اثنتين . ثم إنه كان في سنة اثنتين . أبواه - بل وفي سنة إحدى - بالمدينة ، وشهد أبوه بدرًا . فأنّى يكون مولده في الحبشة سنة اثنتين ؟ بل وُلد قبل ذلك بكثير <sup>(٣)</sup> .

#### التنبه على بعض الأخطاء في تحديد الولادات :

وقفت على بعض الأوهام والأخطاء في تحديد ولادة بعض المترجمين ، وهي قليلة ، ولم ينتبه لها المحققون للنسخة المطبوعة ، ولعلّ كثيرًا منها من الناسخ . وهذه أمثلة ما وقعّت عليه :

- ١- يوسف بن موسى الكوفي القُطّان المتوفى سنة ( ٢٥٣ ) : " ولد سنة نيف وستين ومئتين <sup>(٤)</sup> والصواب : سنة نيف وستين ومئة ، لأنّ وفاته سنة ( ٢٥٣ )
- ٢- عبد الحكم بن أحمد ، أبو عثمان الصّدّي المتوفى سنة ( ٣١٨ ) : " قال ابن يونس : قال لي أنه ولد سنة تسع وعشرين وثلاث مئة <sup>(٥)</sup> وهو خطأ ، والصواب : تسع وعشرون ومئتان ، لأنّ وفاته سنة ثمان عشرة وثلاث مئة .
- ٣- زاهر بن أحمد السّرّخي المتوفى سنة ( ٣٨٩ ) : " ولد سنة أربع ومئتين <sup>(٦)</sup> وهو خطأ ، والصواب سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومئتين ، لأنّ وفاته سنة ( ٣٨٩ ) وله ست وتسعون سنة ، فتكون ولادته سنة ( ٢٩٣ ) .
- ٤- أبو غالب ابن البّناء : " ولد في سنة خمس وأربعين وخمس مئة . مات في صفر ، وقيل : مات في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وخمس مئة <sup>(٧)</sup> " .

( ١ ) انظر سنن النسائي ٦ / ٨١ في النكاح ، باب إنكاح الابن أمّه .

( ٢ ) سير ٣ / ٤٠٧ .

( ٣ ) انظر : صحيح مسلم ( ١١٠٨ ) .

( ٤ ) سير ١٤ / ٥٢٢ .

( ٥ ) سير ١٢ / ٢٢١ .

( ٦ ) سير ١٩ / ٦٠٣ - ٦٠٤ .

( ٧ ) سير ١٦ / ٤٧٧ .

والصواب : ولد في سنة خمس وأربعين وأربع مئة ، لأنَّ وفاته سنة سبع وعشرين وخمس مئة .  
فلو كانت ولادته كما ذكر سنة خمس وأربعين وخمس مئة لكانت ولادته قبل وفاته بشمانية  
عشر عاماً ؟ .

٥- تميم ، أبو القاسم الجرجاني المتوفى سنة ( ٥٣١ ) : " مولده بعد الأربعين وخمس مئة " ( ١ )  
والصواب : أنَّ مولده بعد الأربعين وأربع مئة .

ومما ألفت النظر إليه في طريقته في ذكر الولادات أنَّه يذكر الولادة بالأحرف في الأعم  
الغالب ، وفي النادر يذكر الولادة بالرقم ، ومن أمثلة ذلك :

- أحمد بن أبي عثمان بن منتاب البصري : " مولده سنة ٣٩٧ " ( ٢ )
- غانم بن محمد البرجي الأصبهاني : " مولده في ذي القعدة سنة ٤١٧ " ( ٣ )
- عبد الله بن علي الشاطبي الحافظ سبط ابن عبد البر : " مولده في سنة ٤٤٣ " ( ٤ )
- والأمثلة على ذلك كثيرة ( ٥ )

\* \* \*

## المطلب الثالث أعمار المترجمين

ذكر الذهبي وفيات المترجمين وولادتهم وتفنن في عرض ذلك كما سبق بيان بعض ملامح  
منهجه في ذلك ، كما أنه ذكر أعمار المترجمين إلى جانب ذكر الولادة والوفاة . فأحياناً يذكر  
عمر المترجم مع ذكر الولادة والوفاة ، وأحياناً يقتصر على ذكر عمره فقط ، ويذكر في بعض الأحيان  
سِنَّ المترجم بالظن والتقريب ، ويحرر أعمار المترجمين ، ويبين الأقوال الشاذة ، وأكثر من ذكر

( ٢ ) سير ٥٩٩ / ١٨

( ١ ) سير ٢٠ / ٢٠ - ٢٢

( ٤ ) سير ٩٢ / ٢٠

( ٣ ) سير ٥٧٦ / ١٩

( ٥ ) انظر : ٣٢١ / ١٩ ، ٧٥ / ٢ ، ٨٩ ، ١٦١ ، ٢٤٧ ، ٣٢٧ ، ٢٢ / ١٠ ، ١٢ ، ٣١ ،

من تجاوز عمره فوق المئة، وهذه بعض الأمثلة والشواهد :

#### ذكر أعمار المترجمين :

- أبو عبيدة بن الجراح : " توفي أبو عبيدة في سنة ثمان عشرة وله ثمان وخمسون سنة " (١)
- سعد بن معاذ : " فمات من رميته تلك وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة " (٢)
- السيدة عائشة أم المؤمنين : " ومدة عمرها : ثلاث وستون سنة وأشهر " (٣)
- عبد الله بن لبيد : " قلت : عاش ثمانياً وسبعين سنة، ومراً أنه توفي سنة أربع وسبعين ومئة " (٤)

#### وذكر أعمار المترجمين بالظن والتقريب :

- طلحة بن عبيد الله : " وكان قتله في سنة ست وثلاثين . . . وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوها " (٥)
- أبو إسحاق الفزاري : " قلت : من أبناء الثمانين هو، أوجاوزها بقليل " (٦)
- المسند المجاهد ظفر بن محمد : " توفي سنة عشر وأربع مئة . قلت : نيف على الثمانين فيما أرى " (٧)
- الحافظ محمد بن إدريس الجرجاني : " توفي في ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربع مئة أحسبه من أبناء السبعين " (٨)

ويذكر الأقوال المختلفة في عمر المترجم ويرجح بعضها على بعض، ومن أمثلة ذلك :

- الزبير بن الموام : " قال الواقدي وابن نمير : قتل وله أربع وستون سنة . وقال غيرهما :

|                    |                    |
|--------------------|--------------------|
| ( ١ ) سير ٢٣ / ١   | ( ٢ ) سير ٢٩٠ / ١  |
| ( ٣ ) سير ١٩٣ / ٢  | ( ٤ ) سير ٣١ / ٨   |
| ( ٥ ) سير ٤٠ / ١   | ( ٦ ) سير ٥٤١ / ٨  |
| ( ٧ ) سير ٢٦٣ / ١٧ | ( ٨ ) سير ٣٨٣ / ١٧ |

قتل : وله بضع وخمسون سنة ، وهو أشبه \* ( ١ )

- السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : " توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر أو نحوها . عاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة . وأكثر ما قيل : أنها عاشت تسعاً وعشرين سنة . والأول أصح \* ( ٢ )

- عبد الله بن عمر : " قال ضمرة بن ربيعة : مات ابن عمر سنة ثلاث وسبعين . وقال مالك : بلغ ابن عمر سبعاً وثمانين سنة . والظاهر أنه توفي في آخر سنة ثلاث . قلت : هو القائل : كنت يوم أحد ابن أربع عشرة سنة ، فعلى هذا يكون عمره خمساً وثمانين سنة ، رضي الله عنه وأرضاه \* ( ٣ )

ويحدّد أعمار المترجمين ويردّ الأقوال الشاذة وينقدها ، ومن أمثلة ذلك :

- سلمان الفارسي : " قال العباس بن يزيد البهراني : يقول أهل العلم : عاش سلمان ثلاث مئة وخمسين سنة ، فأما مئتان وخمسون فلا يشكّون فيه "

وقد فتّشتُ فما ظفرتُ في سيّته بشيءٍ سوى قول البهراني ، وذلك منقطع لا إسناد له . ومجموع أمره وأحواله وغزوه وهيمته وتصرفه وسقته للجريد وأشياء مما تقدم ينبئُ بأنه ليس بمعمّر ولا هرم ، فقد فارق وطنه وهو حَدَث ، ولعله قد رَمَ الحجاز وله أربعون سنة أو أقل ، فلم يَنْشَبْ أن سمع ببعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم هاجر ، فلم له عاش بضعاً وسبعين سنة ، وما أراه بلغ المئة ، فمن كان عنده علم ، فليفتنا .

وقد نقل طول عمره أبو الفرج بن الجوزي وغيره . وما علمت في ذلك شيئاً يركن إليه . . . وقد ذكرت في تاريخي الكبير أنه عاش مئتين وخمسين سنة ، وأنا الساعة لا أَرْضِي ذلك ولا أصححه \* ( ٤ )

( ١ ) سير ٦٤/١ . ( ٢ ) سير ١٢١/٢ - ١٢٢ .

( ٣ ) سير ٢٣٢/٣ - ٢٣٣ وغزوة أحد كانت في السنة الثانية من الهجرة ، وابن عمر عمره أربع عشرة سنة ، وقد هاجر وهو ابن اثنتي عشرة سنة ووفاته سنة ثلاث وسبعين ، فيكون عمره خمساً وثمانين سنة .

( ٤ ) سير ٥٥٦/١ وانظر : أهل المئة فصاعداً للمؤلف ص ١١٥ مجلة المورد العراقية .

- عمرو بن العاص : " قال يحيى بن بكير : توفي عمرو سنة ثلاث - وأربعين - وله نحو مئة سنة . وقال المجلى : وسنه تسع وتسعون .

قلت : كان أكبر من عمر بنحو خمس سنين . كان يقول : اذكر الليلة التي وُلِدَ فيها عمر ، وقد عاش بعد عمر عشرين عاماً ، فينتج من هذا أنَّ مجموع عمره بضع وثمانون سنة ، ما بلغ التسعين رضي الله عنه " ( ١ )

- الحسن بن علي بن أبي طالب : " قال جعفر الصادق : عاش الحسن سبعا وأربعين سنة . قلت : وغلط من نقل عن جعفر أنَّ عمره - أي الحسن - ثمان وخمسون سنة غلطاً بيئاً . ثم نقل عن سفيان بن عيينه : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين ومات لها حسن وقتل لها حسين .

قلت : قوله : مات لها حسن خطأ ، بل عاش سبعا وأربعين سنة " ( ٢ )

#### التنبية على أوهام في أعمار المترجمين :

تنبّهت أثناء دراستي للكتاب على بعض الأوهام في ذكر أعمار بضعة مترجمين ، أذكرها وأنبه عليها ، وهي قليلة نادرة بالنسبة لحجم الكتاب وضخامته ، وها أنا أذكر بعض ما وقعت عليه من ذلك :

١- في ترجمة الإمام علي الرضی : قال الذهبي : " مولده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومئة ، عام وفاة جده - جعفر الصادق - . قال الحاكم : استشهد علي بن موسى لتبضع بقين من رمضان سنة ثلاث ومئتين ، وهو ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر " ( ٣ )  
هكذا نقل الذهبي عن الحاكم أنه توفي وهو ابن تسع وأربعين سنة وستة أشهر . مع أنه ذكر مولده عام ثمان وأربعين ومئة ، ونقل عن الحاكم وفاته سنة ثلاث ومئتين ، فيكون عمره خمسا وخمسين سنة ، كما هو ظاهر من تاريخ ولادته وفاته ، والله أعلم .

( ١ ) سير ٧٧/٣ .

( ٢ ) سير ٢٧٧/٣ ، ٣١٨ .

( ٣ ) سير ٣٨٧/٩ ، ٣٩٣ .

٢- ابن سينا : قال الذهبي في ترجمته : " مات يوم الجمعة في رمضان سنة ثمان وعشرين وأربع مئة . قال - أي ابن خَلْكَان - : ومولده في صفر سنة سبعين وثلاث مئة . قلت : إن صحَّ مولده ، فما عاش إلا ثمانيا وأربعين سنة وأشهرًا " ( ١ )

هكذا قال الذهبي ، وهو خطأ ظاهر ، ولعله من الناسخ ، والصواب : فما عاش إلا ثمانيا وخمسين سنة وأشهرًا ، كما هو ظاهر من معرفة ولادته ووفاته .

٣- وفي ترجمة أبي محمد ، عبدالله بن محمد بن العربي الإشبيلي ، والد القاضي أبي بكر : " مات بمصر في أول سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة في عشر التسعين ، فإنَّ مولده كان في سنة خمس وثلاثين وأربع مئة ، ورجع ابنه إلى الاندلس " ( ٢ )

وقول الذهبي في عشر التسعين وهم ، ولعله من الناسخ ، والصواب في عشر الستين ، كما هو بيّن من ذكر تاريخ ولادته ووفاته ، فتكون وفاته عن ثمانية وخمسين عاماً ، والله أعلم .

أهل المئة فصاعداً :

ذكر الحافظ الذهبي من بلغ المئة وجاوزها ، والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر بعضها . ( ٣ )

( ٤ ) ١ - حسان بن ثابت : " قال ابن سعد : عاش ستين سنة في الجاهلية ، وستين في الاسلام " ٢ و ٣ و ٤ - حبيب بن عبد العزيز القرشي : عاش مئة وعشرين سنة ، وسعيد بن يرسوع القرشي عاش أيضاً مئة وعشرين سنة ، وكذلك حكيم بن حزام " ( ٥ )

٥ - أنس بن مالك : " قلت ثبت مولده قبل عام الهجرة بعشر سنين . وأما موته فاختلّفوا فيه ، وقال عِدَّةٌ - وهو الأصح - مات سنة ثلاث وتسعين ، فيكون عمره على هذا مئة وثلاث سنين " ( ٦ )

( ١ ) سير ٥٣٤/١٧ .

( ٢ ) سير ١٣٠/١٩ - ١٣١ .

( ٣ ) وللحافظ الذهبي رسالة سَمَّاها : " أهل المئة فصاعداً " مطبوعة بتحقيق الدكتور بشار معروف البغدادي ، نُشِرَتْ في مجلة المَؤرِد المِراقية ص ١٠٧ - ١٤٢ .

( ٤ ) سير ٥١٢/٢ .

( ٥ ) سير ٢٤١/٢ ، ٥٤٢ وانظر ٤٤/٣ .

( ٦ ) سير ٤٠٦/٣ .

- ٦ - سويد بن غفلة : " بلغ سويد بن غفلة عشرين ومئة سنة ، لم ير محتبياً قط ، ولا متسانداً ، وأصاب بكرةً ، يعني في العام الذي توفي فيه " ( ١ )
- ٧ - يونس بن ميسرة ، " عالم دمشق ، بلغ مئة وعشرين سنة " ( ٢ )
- ٨ - أبو الحسن ، محمد بن جعفر ، ابن النجار : " عاش مئة عام ، مات بالكوفة في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربع مئة " ( ٣ )
- ٩ - أبو طاهر السلفي : " وقد ذكر غير واحد أنَّ السلفي مَن نيف على المئة عام ، حتى أنَّ تلميذه الوجيه عبد العزيز بن عيسى قال : مات وله مئة وست سنين " ( ٤ )
- ١٠ - عيسى بن سلامة بن سالم : " الشيخ المعمر مسند خراسان ، ولد في سلخ شوال سنة إحدى وخمسين - وخمس مئة - مات في أواخر سنة اثنتين وخمسين وست مئة ، عن مئة عام وعام وشهور " ( ٥ )
- ١١ - ومات معه : المعمر عبد الله بن الحسن الهكاري عن مئة وخمس سنين " ( ٦ )
- وأذكر الآن في الحاشية أرقام من ذكر الذهبي أنهم بلغوا المئة أو جاوزوها عدا الأمثلة التي ذكرتها . ( ٧ )

- 
- ( ١ ) سير ٧٢/٤ . ( ٢ ) سير ٢٣٠/٥ .
- ( ٣ ) سير ١٠١/١٧ . ( ٤ ) سير ٧/٢١ .
- ( ٥ ) سير ٢٨١/٢٣ . ( ٦ ) سير ٢٨١/٢٣ .
- ( ٧ ) انظر ( ١ )/١٧١ ، ( ٢ )/٥٤٣ ، ( ٣ )/١٦٥ ، ( ١ )/١٧٨ ، ( ٢ )/٣٨٦ ، ( ٤ )/٤٧٤ ، ( ٥ )/١٠٠٠ ، ( ٨ )/١٠٨ ، ( ١٧ )/١٧٢ ، ( ٩ )/٤٣٤ ، ( ١٠ )/٦٤٧ ، ( ١٤ )/١٥١ ، ( ١٨ )/٥١٨ ، ( ٣١ )/٥٣١ ، ( ١٥ )/٢٥٢ ، ( ٣٣٧ )/٣٥٧ ، ( ٣٧٨ )/٤٨٩ ، ( ٥٢١ )/٥٤١ ، ( ١٦ )/٢٦٠ ، ( ٢٦٣ )/٣٣١ ، ( ٤٧٠ )/٥٥٣ ، ( ١٧ )/٦٣ ، ( ٣٤٠ )/٤٩٨ ، ( ٥٦٥ )/٦٧٠ ، ( ١٨ )/٨٧٠ ، ( ١٤٨ )/٢٣٤ ، ( ١٩ )/٧٤ ، ( ٩٩ )/١٠٤ ، ( ٣٩٠ )/٤٥٦ ، ( ٢٠ )/٢٤٦ ، ( ٣٠٦ )/٤٧١ ، ( ٢١ )/٢٧٢ ، ( ٢٢ )/١٥٩ ، ( ٢٣٥ - ٢٣٦ )/٢٤١ ، ( ٢٦٧ )/١٧٦ ، ( ٢٥٥ )/٤٤٣ ، ( ٥ )/٥٢ ، ( ١٠٢ )/١٨٦ ، ( ٢١٥ )/٢٣٠ ، ( ٤٤٠ )/٢٦٧ ، ( ١٩٥ )/٢٧٢ .

# البَابُ الْأَوَّلُ

رَأْيُ اقْتِرَافِ الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ النِّقْدِيَّةَ فِي الْمَجْرَعِ وَالتَّعْدِيلِ

# الفصل الأول

البدعة وأثرها في الحج

## البدعة وأثرها في الجرح

لمحة تاريخية موجزة عن ظهور البدع والفرق :

تكلم الإمام الذهبي كلمات موجزة عن نشوء الفرق وظهورها ، فقال في ترجمة الإسماعيل أحمد : <sup>(١)</sup> " كان الناس أمة واحدة ، ودينهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر ، فلما استشهد قُتل باب الفتنة عمر رضى الله عنه وانكسر الباب ، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى تَرَبَّحَ صَبْرًا ، وتَفَرَّقَت الكلمة ، وتَفَتَّت وقعة الجمل ، ثم وقعة صفين ، فظهرت الخوارج وكَثُرَت سادات الصحابة ، ثم ظهرت الروافض والنواصب ، وفي أواخر زمن الصحابة ظهرت القدرية ، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة والجهمية والمجسمة بخراسان <sup>(٢)</sup> في أثناء عصر التابعين ، مع ظهور السنة وأهلها إلى بعد المئتين ، فظهر المأمون ، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها ، بل والشيعة " .

ويبين الذهبي ما نشأ عن مقتل عثمان من فتن ، وما كان من آثارها من انقسام الناس بعد وقعة صفين إلى أقسام ، فقال في ترجمة خالد بن سلمة بن العاص :

" وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام :

- ١ - أهل سنة ، وهم أولو العلم ، وهم محبون للصحابة كأقربون عن الخوض فيما شجر بينهم
- ٢ - ثم شيعة ، يقولون وينالون ممن حاربوا علياً ، ويقولون : إنهم مسلمون بغاة ظلمة .
- ٣ - ثم نواصب ، وهم الذين حاربوا علياً يوم صفين ، ويقولون بإسلام علي وسابقتة ، ويقولون : خَذَلَ الخليفة عثمان .

فما علمت في ذلك الزمان شيعياً كَفَرَّ معاوية وحزبه ، ولا ناصبياً كَفَرَّ علياً وحزبه ، بسبل دخلوا في سبِّ وفض .. <sup>(٣)</sup>

وألقي الذهبي نظرة شاملة عن نشوء الفرق والبدع في كتابه " المنتقى من منهجـ

( ١ ) سير أعلام النبلاء ٢٣٦/١١

( ٢ ) قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى : " أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهنم معطل ، ومقاتل مشبه " انظر : تاريخ بغداد ١٦٤/١٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧/٦ .

( ٣ ) سير أعلام النبلاء ٣٧٤/٥ .

الاعتدال " فقال : " فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرُّق والخلاف ، ولهذا لم يحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة ، فلما قُتِل وتفرَّق الناس حدثت بدعتان متقابلتان : بدعة الخوارج المكفرين لعلي ، وبدعة الرافضة المتدينين لإمامته وعصته أو نبوته أو إلهيته . ثم لما كان في آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية .

ثم لما كان في أول عصر التابعين حدثت بدعة الجهمية والمشبهة المثلثة . . ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك . ( ١ )

وذكر الحافظ الذهبي في " تذكرة الحفاظ " عقب انتهاء من الطبقة الرابعة ، وفيما أت أصحابها تتراوح تقريباً بين سنتي خمس عشر ومئة ، وخمس وأربعين ومئة - مانشأ في ذلك الزمن من فرق مبتدعة فقال : " وفي هذا الزمان ظهر بالبصرة عمرو بن عبدة العابد ، وواصل ابن عطاء الفزّال ، ودعوا الناس إلى الاعتزال والقول بالقدر ، وظهر بخراسان في قبائله مقاتل بن سفيان الفسّر ، وبالحق في إثبات الصفات حتى جَسَم ، وقام على هؤلاء علماء التابعين وأئمة السلف وحذّروا من بدعهم " . ( ٢ )

ومع ظهور هذه البدع في بداية القرن الثاني في عصر التابعين ، إلا أنها كانت خاملة ذليلة ، وألوية السنة مرفوعة عزيزة ، وإنما كثر انتشار البدع بتبني الدولة للمبتدعة ، وامتحان أئمة أهل السنة .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الليث بن سعد : " قلت : كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث ومالك والأوزاعي ، والسنة ظاهرة عزيزة ، فأما في زمن أحمد بن حنبل وإسحاق وأبي حنيفة فظهرت البدعة ، وامتنع أئمة الأثر ، ورفع أهل الأهواء رؤسهم بدخول الدولة معهم ، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة ، ثم كثر ذلك ، واحتج عليهم العلماء أيضاً بالعقول ، فطال الجدل ، واشتدّ النزاع ، وتولدت الشبهة ، نسأل الله العافية " . ( ٣ )

( ١ ) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

( ٢ ) تذكرة الحفاظ ١/١٥٩ - ١٦٠ .

( ٣ ) سير أعلام النبلاء ٨/٤٤٤ .

بعد المئتين رفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها ، وكثر أئمة الاعتزال ، وقد ذكر  
الذهبي رؤوس هؤلاء فقال : " ومن كان بعد المئتين ، من رؤوس المتكلمين والمعتزلة ،  
بشر بن غياث العريسي العدوي ، مولى آل زيد بن الخطاب ، وأبوسهل بشر بن المعتز  
الكوفي الأبرص ، من كبار المعتزلة ومصنفهم ، وأبومعن شامة بن أشرس النخعي البصري ،  
وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري ، وأبواسحاق إبراهيم بن سيار النظام ،  
وهشام بن الحكم الكوفي الرافضي المجسم ، وضرار بن عمرو الذي تنسب الضرارية إليه ،  
وأبو المعتز معتر بن عباد ، وقيل : معتر بن عمرو البصري العطار ، وهشام بن عمرو  
القطي ، وداود الجواربي ، والوليد بن أبان الكرابيسي ، وابن كيسان الأصم ، وأبو  
موسى الفراء البغدادي ، وأبوموسى البصري الملقب بالمرزاز ، وجعفر بن حرب ، وجعفر  
ابن مبشر ، وآخرون .

نعود بالله من البدع ، وأن نقول على الله ما لا نعلم " ( ١ )

وكرت البدع وانتشرت بعد ذلك ، وظلَّ الحفظ والعناية بالسنن والآثار ، وخاصة في

أواخر المئة الرابعة .

قال الذهبي في كتابه " ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل " ( ٢ ) : " ومن هذا  
الوقت - أي أواخر المئة الرابعة - تناقص الحفظ وظلَّ الاعتناء بالآثار ، وركن العلماء إلى  
التقليد ، وكان التشيع والاعتزال والبدع ظاهرة بالعراق لاستيلاء آل بويه ، ثم بمصر  
والشام والمغرب ، لاستيلاء بني عبيد الباطنية " ( ٣ ) نسأل الله العافية .

( ١ ) المصدر السابق ١٠ / ٤٤١ - ٤٤٢ .

( ٢ ) ذكر من يعتمد قوله ص ١٩٥ .

( ٣ ) وقال الحافظ الذهبي عن بني عبيد في سيره ١٧ / ٤٥٣ : وكانت الدنيا تغلي بهم  
رفضاً وجهاً . وقال أيضاً ١٨ / ٤٩٧ : " قلت : قبح الله دولة أمات السنة ورواية  
آثار النبوة ، وأحيت الرفض والضلال ، ومثت دعواتها في النواحي تغوى الناس ،  
ويدعونهم إلى نحلة الاسماعيلية ، فبهم ضلَّت جَبَلِيَّة الشام وتعشروا ، فحمد الله  
على السلامة في الدين " انتهى .

وقد ذكر الإمام الذهبي كثيراً من فرق المبتدعة وبين أقوالهم وآراءهم ، وكان - رحمه الله - شديداً على المبتدعة يبين زيف أقوالهم ، ويحذّر من سوء مقالاتهم ، وسيأتى بيان كثير من أقواله عند الكلام عن الرافضة والجهمية والمعتزلة وأصحاب علم الكلام ، ومن أقواله فى التحذير من المبتدعة والبدع :

قال الحافظ الذهبي فى ترجمة مجاهد بن جبر : " عن مجاهد قال : ما أدري أىّ النعمتين أعظم ، أن هدانى للإسلام ، أو عافانى من هذه الأهواء . قلت : مثل الرفض والقدر والتجهم " ( ١ )

وقال أيضاً فى ترجمة أبى قلابة ، عبدالله بن زيد الجرمى البصرى : " عن أبى قلابة قال : إذا حدثت الرجل بالسنة ، فقال : دعنا من هذا ، وهات كتاب الله ، فاعلم أنه ضال . قلت أنا : وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول : دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد ، وهات العقل ، فاعلم أنه أبله .

وإذا رأيت السالك التوحيدى يقول : دعنا من النقل والعقل ، وهات الذوق والوجد ، فاعلم أنه إبليس ظهر فى صورة البشر ، أو قد حلّ فيه . فإن جهنت منه ، فاهرب ، والافاصره وابرك على صدره وقرأ آية الكرسي واخنقه " ( ٢ )

وقال فى ترجمة الإمام يحيى بن صالح الوحاظى : " قال أحمد بن حنبل : أخبرنى رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال : لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث - يعنى هذه التى فى الرواية - ثم قال أحمد : كأنه نزع الى رأي جهم .

قلت : والمعتزلة تقول : لو أنّ الحديثين تركوا ألف حديث فى الصفات والأسماء والرواية والنزول لأصابوا ، والقدرية تقول : لو أنهم تركوا سبعين حديثاً فى إثبات القدر ، والرافضة تقول : لو أنّ الجمهور تركوا من الأحاديث التى يدعون صحتها ألف حديث لأصابوا . . . . . قلنا : وللكل موقف بين يدي الله تعالى " ( ٣ )

( ١ ) سير ٤ / ٤٥٥ .

( ٢ ) سير ٤ / ٤٧٢ .

( ٣ ) سير ١٠ / ٤٥٥ .

## المبحث الأول

### حكم رواية البتدع

قبل الشروع في هذا الموضوع أعرف البدعة تعريفاً موجزاً .

قال السخاوي في "فتح المغيث" وفي "الغاية" : "البدعة هي ما أُحدث على غير مثال متقدم ، فشمل المحمود والمذموم... لكنها خُصت شرعاً بالمذموم ما هو خلاف المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والمبتدع من اعتقد ذلك لا بمعاندة ، بل بنوع شبهة" (١)  
قال ابن الأثير في "النهاية" : البدعة بدعتان : بدعة هدى ، وبدعة ضلال ، فما كان خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعاً تحت عموم مآذنب الله إليه وحض عليه الله ورسوله فهو في حيز المدح... وأكثر ما يُستعمل البتدع عرفاً في الذم (٢)

وصفة التبديع التي يطلقها أئمة الجرح والتعديل على بعض الرواة تنصرف إلى مسائل العقيدة وقضايا الايمان ، لمخالفة هؤلاء البدعة لعقيدة أهل السنة والجماعة .  
ومعد هذا التعريف الموجز لدلول البدعة والمراد بها عند إطلاقها ، وقبل الخوض في هذا الموضوع أستقبله بأقوال الذهبي المتعلقة به .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة هشام الدستوائي (٣) : "قال الحافظ محمد بن البرقي : قلت ليحيى بن معين : رأيته من يرمى بالقدر يكتب حديثه ؟ قال : نعم ، قد كان قتادة وهشام الدستوائي ، وسعيد بن أبي عروبة ، وعبد الوارث - وذكر جماعة - يقولون بالقدر ، وهم ثقات ، يكتب حديثهم ، ما لم يدعوا ما إلى شيء .  
قلت : هذه مسألة كبيرة ، وهي القدرى ، والمعتزلي ، والجهمي ، والرافضي إذا علم صدقه في الحديث وتقواه ، ولم يكن داعياً إلى بدعته ، فالذي عليه أكثر العلماء قبول روايته ، والعمل بحديثه .

(١) فتح المغيث ٣٠٣/١ ، الغاية ص ١٤٩ ، واللفظ له . وانظر للتوسع في معنى البدعة

كتاب "البدعة" : تحديداتها وموقف الإسلام منها " للدكتور عزت عطية ص ١٩٣ - ٢٢٠

(٢) النهاية ١٠٦/١ - ١٠٧ . وفي هذا التعريف نظر باعتبار تقسيم البدعة شرعاً إلى قسمين ، لأن الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم يقول : "كل بدعة ضلالة" فلا يجوز لنا ان نقسمها شرعاً إلى قسمين ؟

(٣) سير اعلام النبلاء ١٥٤/٧

وترددوا في الداعية ، هل يؤخذ عنه ؟

فذهب كثير من الحفاظ إلى تجنب حديثه وهجرانه .

وقال بعضهم : إذا علمنا صدقه ، وكان داعيةً ، ووجدنا عنده سنةً تغرد بها ، فكيف يسوغ لنا ترك تلك السنة ؟ فجميع تصرفات أئمة الحديث تؤذن بأن البتة إذا لم تبسج بدعته خروجه من دائرة الاسلام ، ولم تُبح دمه ، فإن قبول ما رواه سائغ .

وهذه المسألة لم تتبرهن لي كما ينبغي ، والذي اتضح لي منها أن من دخل في بدعة ، ولم يُعَدَّ من رؤوسها ، ولا أئمة فيها ، يُقبل حديثه كما مثل الحافظ أبو زكريا بأولئك المذكورين ، وحد يثهم في كتب الإسلام لصدقهم وحفظهم .

وقال الذهبي أيضاً في ترجمة جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي : " وقال زنج - هو الحافظ محمد بن عمرو الرازي - : سمعت جريراً يقول : رأيت ابن أبي نجيج ، ولم أكتب عنه شيئاً ، ورأيت جابر الجعفي ، فلم أكتب عنه شيئاً ، ورأيت ابن جريج ، ولم أكتب عنه فقال له رجل : ضيقت يا أبا عبد الله ، قال : لا ، أما جابر ، فكان يؤمن بالرجعة ، وأما ابن أبي نجيج فكان يرى القدر ، وأما ابن جريج ، فإنه أوصى بنيه بستين امرأة ، وقال : لا تزوجوا بهن ، فإنهن أمهاتكم - كان يرى المتعة - .

قلت : أما امتناعه من الجعفي فمعدور ، لأنه كان مبتدعاً ، ولم يكن ثقةً ، وأما الآخرون ففرط فيهما ، وهما من أئمة العلم ، وإن غلطاً في اجتهداهما .<sup>(١)</sup>

فجعل الذهبي امتناع جرير من الرواية عن جابر سائفاً ، ليس من أجل بدعته فحسب ، بل لكونه غير ثقة ، والا لو كان معدوراً في امتناعه بسبب البدعة لكان ذلك عذراً له أيضاً في امتناعه من الرواية عن ابن أبي نجيج وابن جريج ، ولكنه فرط في امتناعه عن الرواية عنهما .

وقال الحافظ الذهبي أيضاً في ترجمة المحدثات المسند أبي بكر ، محمد بن الفرج الأزرق البغدادي : " قال الحاكم : سمعت الدارقطني يقول : لا بأس به ، وهو من أصحاب حسين الكرابيسي ، يُطعن عليه في اعتقاده .

( ١ ) سير أعلام النبلاء ١١ / ٩ - ١٢ . والرجعة هو القول بأن علياً سيجع إلى الدنيا

وانظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٧٤ ، وكتاب المجروحين لابن حبان ٢٠٨ / ١ .

قال الخطيب : أما أحاديثه فصاح .

قلت : له أسوة بخلق كثير من الثقات الذين حدّثهم في الصحيحين أو أحدهما ، من له بدعة خفيفة ، بل ثقيلة فكيف الحيلة ؟ نسأل الله العفو والسماح .<sup>(١)</sup>

وأورد الذهبي في ترجمة شيخ المعتزلة أبي القاسم البلخي الكهبي قول المستغفر في "تاريخ نسف" :  
" لا أستجير أن أروي عنه لأنه كان داعية . يعني إلى الاعتزال ."<sup>(٢)</sup>

وقال الذهبي في ترجمة ابن طاهر المقدسي المتوفى سنة (٥٠٧) : " قال ابن طاهر : لو أن محدثاً من سائر الفرق أراد أن يروي حديثاً واحداً بإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوافقه الكل في عقده ، لم يسلم له ذلك ، وأدّى إلى انقطاع الزوائد رأساً ، فكان اعتمادهم في العدالة على صحة السماع ، والثقة من الذي يروي عنه ، وأن يكون عاقلاً سميحاً .

قلت : العمدة في ذلك صدق المسلم الراوي ، فإن كان ذا بدعة أخذ عنه ، والإعراض عنه أولى ، ولا ينبغي الأخذ عن معروف بكبيرة ، والله أعلم ."<sup>(٣)</sup>

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن رشد الحفيد المتوفى سنة (٦٠٤) : " ثم أقبل على علوم الأوائل ولأياهم ، حتى صار يضرب به المثل في ذلك .

وقد روى عنه : أبو محمد بن حوط الله ، وسهل بن مالك ، ولا ينبغي أن يروي عنه<sup>(٤)</sup> كما حَقَّقَ الذهبي حكم رواية أهل البدع وردّها في رسالته "الموقظة" فقال :  
" فإن كان كلامهم فيه من جهة معتقدة فهو على مراتب :

فمنهم : من بدعته غليظة .

ومنهم : من بدعته دون ذلك .

ومنهم : الداعي إلى بدعته .

(١) المصدر السابق ١٢/٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٢) المصدر السابق ١٥/٢٥٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٦٨ .

(٤) سير ٢١/٣١٠ .

ومنهم : الكاف ، وما بين ذلك .

فمتى جمع الغَلَط والدعوة تُجَبَّب الأخذ عنه .

ومتى جمع الخِفَّة والكَفَّ أخذوا عنه وقبلوه .

فالغِلَظ : كفالة الخوارج ، والجهمية ، والرافضة .

والخِفَّة : كالتشيع والإرجاء<sup>(١)</sup> . انتهى .

وقد بيّن الذهبي البدعة الغليظة أو الكبرى ، والبدعة الخفيفة أو الصغرى ، وذكر بعضاً منها :

فقال في " الميزان " في ترجمة أبان بن تغلب : " شيميّ جَلَد ، لكنه صدوق ، فلنا صدقه

وعليه بدعته ، وقد رثّه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم . فلنا أن يقول : كيف ساع

توثيق مبتدع ، وحُدّ الشقة : العدالة والإتقان ؟ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة ؟

وجوابه : أنّ البدعة على ضربين : بدعة صغرى كفعل التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق ،

فهذا كثير في التامعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلورّد حديث هؤلاء لذهب

جملة من الآثار النبوية ، وهذه فسدة بيّنة .

ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والفلوّفيه ، والحدّ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ،

والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة ، وأيضاً فما أستحضر الآن في هذا

الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً ، بل الكذب شعارهم ، والتقية والنفاق دثارهم ، فكيف يقبل

نقل من هذا حاله ، حاشا وكلا .

فالشيميّ الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية

وطائفة من حارب علياً رضي الله عنه وتعرض لسبّهم ، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي

يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً ، فهذا ضالٌّ مُعْتَر<sup>(٢)</sup> .

وقال الذهبي أيضاً في " المفني " : " وقع في القدر كبار حتى أنّ الحسن لَطَّخ به ، كما

( ١ ) الموقظة ص ٨٥ .

( ٢ ) الميزان ٥ / ١ - ٦ ، وقال السيوطي في " تدريب الراوي " ١ / ٣٢٦ - ٣٢٧ بعد نقله

كلام الذهبي المذكور أعلاه : " وهذا الذي قاله هو الصواب الذي لا يحل لسلم أن

يعتقد خلافه " . ولكن الذهبي لم يبين إلا بدعة التشيع ، ولم يتعرض للبدع الأخرى

الفليضة كفلاة الرافضة والجهمية والخوارج ، والخفيفة كالارجاء<sup>٦١</sup> .

وقع في بدعة التشيع وبدعة النَّصَب خلقٌ من الكبار، فسُدَّ هذا الباب أولى ، وكذا وقع فسى الإرجاء طائفة من العلماء ، وفي الخوارج عدَّةٌ صادقون . فأما الغلاة من الناصبة والشيعة والقدرية والجهمية والدعاة من هذه الفرق ، فكان جمهور السلف يحذرون منهم ولا يرون - الرواية عنهم <sup>(١)</sup>

ومعد هذه النقل الكثيرة التي حقق فيها الذهبي حكم رواية أهل البدع من حيث القبول والرد ، سأقوم بدراسة هذا الموضوع في ضوء أقوال الحافظ الذهبي النقدية وأقوال أئمة الحديث .

قسم العلماء البدع إلى نوعين : بدعٌ مكفرة\* ، وبدع غير مكفرة\* ، وسأبحث كل قسم على حدة .

#### القسم الاول : البدع المكفرة.

##### البدع المكفرة تنقسم الى قسمين :

أولها : ما اتفق على تكفير أصحابها ، كمنكري العلم بالمعدوم أو بالجزئيات ، والمجسمين تجسماً صريحاً ، والقائلين بحلول الإلهية بعلي ، ووقوع التحريف بالقرآن .

ثانيها : البدع التي اختلف في تكفير أصحابها كنفى الرؤية لله سبحانه والقول بخلق <sup>(٢)</sup> القرآن أما الكفر الذي يخرج به الإنسان عن الإسلام فلا تقبل روايته مطلقاً .

قال أبو الخطاب الكلوزاني : " فأما الكفر على ضربين : كفر يخرج به الإنسان عن الإسلام كاليهودية والنصرانية فإنه يمنع من قبول الخبر للإجماع على ذلك ، ولأن الخارج عن الإسلام يدعوه اعتقاده إلى التحريف والكذب على الرسول ، فلا يقوى الظن بصدقه <sup>(٣)</sup> " .

(١) المفنى ٥٢٢/٢ - ٥٢٣ .

(٢) انظر : فتح المغيث ٣٠٩/١ ، تدريب الراوى ٣٢٤/١ .

(٣) التمهيد في أصول الفقه ١١٥/٣ .

وقال الرازي في المحصول : " الكافر الذي لا يكون من أهل القبلة أجمعت الأمة على أنه لا تقبل روايته سواء علم من دينه المبالغة في الاحتراز عن الكذب أو لم يعلم <sup>(١)</sup> أما الكفر بتأويل ، فقد اختلف العلماء في قبول روايته على أقوال ، وهي :

- ١ - قيل : تقبل روايته مطلقاً .
- ٢ - وقيل : تردُّ مطلقاً .
- ٣ - وقيل : تقبل إن اعتقد حرمة الكذب في نصرته مقاتله .
- ٤ - وقيل : بالتفصيل .

القول الأول : قبول روايته مطلقاً :

قال الخطيب : " وقال جماعة من أهل النقل والمتكلمين : أخبار أهل الأهواء كلها مقبولة وإن كانوا كفاراً أو فساقاً بالتأويل <sup>(٢)</sup> " .

وحجة هذا المذهب كما قال الخطيب : " احتج من ذهب إلى قبول أخبارهم بأنَّ مواقع الفسق معتمداً ، والكافر الأصلي معاندان ، وأهل الأهواء متأولون غير معاندين ، وبأنَّ الفاسق المعتمد أوقع الفسق مجانة ، وأهل الأهواء اعتقدوا ما اعتقدوا ديانته <sup>(٣)</sup> " .  
ونصّر هذا القول الإمام الكلوزاني فقال : " وجهه أن جُلَّ أصحاب الحديث قبلوا أخبار الخوارج ، والقدرية ، والمرجئة ، والشيعة . . . وأكثرهم روى عنه أحمد وغيره من أئمة أصحاب الحديث . ولأن المتحرّج الذي أخطأ بتأويل غير تارك للتحرّج والتنزه عن الكساذب فقوي الظنُّ بصدقه .

قالوا : أجمعت الأمة على رد خبر الكافر . الجواب : أنهم أجمعوا على رد خبر من كفر لا بتأويل ، بل ابتغاء غير الإسلام ديناً ، وأما المتمسك بالإسلام فقد سمعوا حديثهم على ما بيننا <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) المحصول ٥٦٢/٢ .

( ٢ ) الكفاية ص ١٩٥ .

( ٣ ) الكفاية ص ٢٠٠ .

( ٤ ) التمهيد في أصول الفقه ١١٥/٣ - ١٢١ بتصريف واختصار .

ومن ذهب إلى قبول رواية كافر التأويل العلامة ابن الوزير اليماني في "تنقيح الأنظار"  
وأتى بأدلة كثيرة تؤيد صحة قوله مع مناقشة أقوال المخالفين (١)  
القول الثاني : رد رواية أهل البدع المكفرة مطلقاً :

قال الخطيب : "اختلف أهل العلم في السماع من أهل البدع والأهواء كالقدرية والخوارج والرافضة ، وفي الاحتجاج بما يروونه ، فمنعت طائفة من السلف صحة ذلك لعلّة أنهم كفّار عند من ذهب إلى إكفار المتأولين ، وفشّاق عند من لم يحكم بكفر متأول ، ومن يروى عنه ذلك مالك بن أنس ، وقال من ذهب إلى هذا المذهب : إن الكافر والفاسق بالتأويل بمثابة الكافر المعاند والفاسق العامد ، فيجب أن لا يقبل خبرهما ولا تثبت روايتهما (٢)  
وقال أبو الخطاب الكلوزاني : "وأما الكفر بتأويل فقال عبد الجبار : لا يقبل خبره ، وهو اختيار شيخنا - هو أبو يعلى - ، وقد أومأ إليه أحمد في رواية الأثرم (٣)  
وقال الرازي : "وقال القاضي أبو بكر والقاضي عبد الجبار : لا تقبل روايتهم (٤)  
وقال السخاوي في "فتح المغيث" : "وكذا نقله - أي مذهب مالك بن أنس - الحاكم عنه ، ونصّه في المدوّنة في غير موضع يشهد له وتبعه أصحابه ، وكذا جاء عن القاضي أبي بكر الباقلاني وأتباعه ، بل نقله الآمدي عن الأكثرين ، وجزم به ابن الحاجب (٥)  
وقال الإمام ابن رجب الحنبلي : (٦) "وهذه المسألة قد اختلف العلماء فيها قد يماً وحديثاً وهي الرواية عن أهل الأهواء والبدع ، فمنعت طائفة من الرواية عنهم كما ذكره ابن سيرين ، وحكى نحوه عن مالك ، وابن عيينة ، والحميدي ، ويونس بن أبي إسحاق ، وعلي بن حبيب وغيرهم . وروى أبو إسحاق الفزاري عن زائدة عن هشام عن الحسن قال : لا تسمعوا من أهل

(١) انظر: توضيح الافكار شرح تنقيح الانظار ٢/٢١٩ - ٢٢٢.

(٢) الكفاية ص ١٩٤.

(٣) التمهيد ٣/١١٥.

(٤) المحصول ٢/٥٦٧.

(٥) فتح المغيث ١/٣٠٤.

(٦) شرح الملل ١/٥٣.

الأهواء . خرج ابن أبي حاتم (١)

وذكر الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام ابن سيرين بعض أقواله في التحذير من الرواية عن أهل البدع فقال : " وعن شبيب بن الحبحاب ، قلت لابن سيرين : ماترى في السماع من أهل الأهواء ؟ قال : لا تسمع منهم ولا كرامة (٢)

" وعن ابن سيرين : لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد الحديث ، فلما وقعت الفتنة سُرِثل عن إسناد الحديث ، فَيُنْتَظَرُ من كان من أهل البدع ترك حديثه (٣)

وساق ابن أبي حاتم بسنده إلى الإمام مالك قوله : لا يُؤْخَذُ العلم من أربعة : رجل معلن بالسفاهة وإن كان أروى الناس ، ورجل يكذب في أحاديث الناس إذا حدث بذلك وإن كنت لا تنتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب أهوى يدعو الناس إلى هواءه ، وشيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به " (٤)

وعقد الخطيب البغدادي فضلاً في كتابه " الجامع " في ترك السماع عن أهل الأهواء — والبدع (٥) وساق بسنده إلى ابن لَهَيْعَةَ قال : سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع ، وهو يقول : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عَنَّا تأخذون دينكم ، فإننا كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً (٦)

وساق بسنده إلى حماد بن سلمة قال حدثني شيخ لهم - يعني الرافضة - تاب ، قال : « كنا إذا اجتمعنا واستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً (٧)

(١) الجرح والتعديل ٣٣/٢ ، والجوزجاني في معرفة الرجال ص ٣٦ .

(٢) سير ٦١١/٤ .

(٣) سير ٦١٣/٤ ، وانظر الكفاية ص ١٩٦ - ١٩٧ وانظر مقدمة صحيح مسام

(٤) الجرح والتعديل ٣٢/٢ .

(٥) انظر : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١٣٧/١ - ١٣٨ .

(٦) أخرجه الخطيب في الجامع ١٣٧/١ ، وفي الكفاية ص ١٢٣ ، والرامهرمزي في " المحدث الفاصل " ص ٤١٥ .

(٧) الجامع ١٣٨/١ . وهذه النقول في أهل البدع عامة ، فإن كانت في حق أهل البدع غير المنكفرة فتشمل أصحاب البدع المنكفرة من باب أولى .

وهناك أسباب متعددة حملت أصحاب هذا المذهب على تجنب الرواية عن أهل البدع والأهواء ، وقد بين الحافظ ابن رجب هذه الأسباب في كتابه " شرح علل الترمذي " فقال :  
 " والمانعون من الرواية لهم مأخذان :

أحدهما : تكفير أهل الأهواء أو فسقهم ، وفيه خلاف مشهور .

الثاني : الإهانة لهم والهجران والمعقبة بترك الرواية عنهم ، وإن لم نحكم بكفرهم أو فسقهم .

ولهم مأخذ ثالث : وهو أنَّ الهوى والبدعة لا يؤمن معه الكذب ، ولا سيما إذا كانت الرواية ما تعضد هوى الراوى " ( ١ )

وهذا القول ، وهو رد رواية أهل البدع المكفرة مطلقاً ، شديد وباعدٌ لمسلك أكثر المحدثين .

وقد ادعى الإمام النووي رحمه الله في " التقريب " ( ٢ ) الاتفاق على عدم الاحتجاج بمن كُفِّر ببدعته ، وهذه الدعوى ممنوعة كما قال السيوطي في " التدريب " ( ٣ )  
 ( ٤ )  
 وأما قول ابن الصلاح رحمه الله : " اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته " فهو يوهم أنَّ من كُفِّر ببدعته فحكمه متفق عليه . وقد تعقب الحافظ العراقي تقييد ابن الصلاح للبدعة غير المكفرة فقال : " وقد قيّد المصنّف الخلاف بغير من يكفر ببدعته مع أنَّ الخلاف ثابت فيه أيضاً " ( ٥ )

( ١ ) شرح علل الترمذي ٥٤ / ١ .

( ٢ ) التقريب ٣٢٤ / ١ .

( ٣ ) تدريب الراوى ٣٢٤ / ١ .

( ٤ ) علوم الحديث ص ١١٤ .

( ٥ ) التقييد والايضاح ص ١٢٧ .

### القول الثالث : قبول رواية المبتدع إن اعتقد حرمة الكذب في نصر مقلته

قال الخطيب : " وذهبت طائفة من أهل العلم إلى قبول أخبار أهل الأهواء الذين لا يعرف منهم استحلال الكذب ، والشهادة لمن وافقهم بما ليس عندهم فيه شهادة ، ومن قال بهذا القول من الفقهاء : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، فإنه قال : " وتقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية <sup>(١)</sup> من الرافضة لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقهم ، وحكى أن هذا مذهب ابن أبي ليلى ، وسفيان الثوري ، وروى مثله عن أبي يوسف القاضي <sup>(٢)</sup> والى قبول خبرهم إن كانوا يعتقدون حرمة الكذب ذهب أبو الحسين البصري المعتزلي <sup>(٣)</sup> ، والفخر الرازي حيث وصف هذا القول بأنه الحق ، فقال : " إنه إن كان مذهبه جواز الكذب لم تقبل روايته ، وإلا قبلناها ، وهو قول أبي الحسين البصري " <sup>(٤)</sup>

### القول الرابع : التفصيل

وهو الذي حققه الإمام ابن دقيق العيد في " الاقتراح " ، والحافظ ابن حجر في " نزهة النظر " و" هدي الماري " .

قال الإمام ابن دقيق العيد : " المخالفة في العقائد أوجب تكفير الناس بعضهم لبعض ، أو تبديعهم . وأوجب عصبية اعتقدوها ديناً يتدينون به ، ويتقربون به إلى الله تعالى . ونشأ من ذلك الطعن بالتكفير أو التبديع . وهذا موجود كثيراً في الطبقة المتوسطة من المتقدمين .

( ١ ) الخطابية هم كما قال الفيومي في " الصباح المنير " ص ١٧٣ : " طائفة من الروافض نسبة إلى أبي الخطاب محمد بن وهب الأسدي الأجدع ، وكانوا يدينون بشهادة الزور لموافقهم في العقيدة إذا حلف على صدق دعواه " . وقد ذكرهم البغدادي في الفرق ص ٢٤٧ ، والاسفراييني في " التبصير " ص ٧٤ ، تحت باب من ينتسب إلى الإسلام ولا يعدون في زمرة المسلمين . وانظر لبيان معتقدهم وفرقهم الملل والنحل

للشهرستاني ١/ ١٧٩ - ١٨١ .

( ٢ ) الكفاية ص ١٩٤ - ١٩٥ .

( ٣ ) انظر " الممتد " ٢/ ٦١٧ - ٦١٩ .

( ٤ ) المحصول في علم أصول الفقه ٢/ ٥٦٧ .

والذى تقرّر عندنا : أنه لا تعتبر المذاهب في الرواية ، إذ لا نكفر أحداً من أهل القبلة ، إلا بإنكار متواتر من الشريعة . فإذا اعتقدنا ذلك ، وانضمّ إليه التقوى والسور والضبط والخوف من الله تعالى ، فقد حصل معتمد الرواية ، وهذا مذهب الشافعى رضي الله عنه ، فيما حكى عنه حيث يقول : " أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطّابية ممن الروافض " وعلّة ذلك : أنهم يزّون جواز الكذب لنصرة مذهبهم " ( ١ )

وقد حقق هذه المسألة الإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله فقال فى " نزهة النظر " : " والتحقيق أنه لا يردّ كل مكفر ببدعته ، لأن كل طائفة تدّعى أن مخالفتها مبتدعة ، وقد تبالغ فتكفر مخالفها . فلو أخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف . فالمعتمد : أن الذى تُردّ روايته ، من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة ، وكذا من اعتقد عكسه . فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضمّ إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله " ( ٢ )

وقد علّق الأستاذ المحقق أحمد شاكر على كلام الحافظ ابن حجر : " وهذا الذى قاله الحافظ هو الحق الجدير بالاعتبار ويؤيده النظر الصحيح " ( ٣ )

وقال الحافظ ابن حجر موضحاً ما ذهب إليه كما نقله عنه تلميذه السخاوى : " ( ٤ ) والذى يظهر أن الذى يُحكم عليه بالكفر ، من كان الكفر صريحاً قوله ، وكذا من كان لازم قولسه وعرض عليه فالتزمه . أما من لم يلتزمه وناضل عنه ، فإنه لا يكون كافراً ، ولو كان اللازم كفراً " وقال الحافظ فى " هدى السارى " ( ٥ ) : " فالمكفر بها - أي بالبدعة - لا بد أن يكون ذلك

( ١ ) الاقتراح فى بيان الاصطلاح ، لابن دقيق العيد ص ٣٣٢ - ٣٣٥ . وقد نقل الذهبيّ فى " الموقظة " ص ٨٥ - ٨٧ كلام شيخه ابن دقيق العيد على سبيل الاعتماد والاحتجاج .

( ٢ ) شرح نخبة الفكر ص ٥٠ .

( ٣ ) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١١١

( ٤ ) فتح المغيث ١ / ٣١٠

( ٥ ) هدى السارى ص ٣٨٥ .

التكفير مُتَّفَقاً عليه من قواعد جميع الأمة كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الإلهية في عليٍّ أو غيره ، أو الايمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك ، وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة

### القسم الثاني : البدعة المفسدة .

البدع المفسدة غير المكفرة ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أمثلة لها فقال : " والمفسد بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يفلون ذلك الغلو ، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفة لمن لأصول السنة خلافاً ظاهراً ، لكنه مستند إلى تأويل ظاهره سافح <sup>(١)</sup> " وقد اختلف العلماء أيضاً في قبول رواية البتدعة الذين لم يكفروا ببدعتهم على مذهبين :  
١ - ردّ روايته مطلقاً .

٢ - قبول روايته . بقبول وتفصيلات ، سيأتي بيانها .

### المذهب الأول : ردّ روايتهم مطلقاً :

قال الخطيب : " اختلف أهل العلم في السماع من أهل البدع والأهواء كالقدرية والخوارج والرافضة ، وفي الاحتجاج بما يروونه ، فمنعت طائفة من السلف صحة ذلك ، لعل أنهم كسار عند من ذهب إلى إكفار المتأولين ، وفساق عند من لم يحكم بكفر متأول ، ومن يروى عنه ذلك : مالك بن أنس ، وقال من ذهب إلى هذا المذهب : أن الكافر والفاسق بالتأويل بمثابة الكافر المعاند والفاسق المعاند ، فيجب أن لا يقبل خبرهما ولا تثبت روايتهما <sup>(٢)</sup> " وقال الإمام ابن الصلاح : " اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته ، فمنهم من ردّ روايته مطلقاً لأنه فاسق ببدعته ، وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول يستوي في الفسق المتأول وغير المتأول <sup>(٣)</sup> "

( ١ ) هدى السارى ص ٣٨٥ ، فتح المغيث ٣٠٣/١ .

( ٢ ) الكفاية ص ١٩٤ .

( ٣ ) علوم الحديث ص ١١٤ .

ومن ذهب الى هذا القول : الإمام مالك بن أنس، كما حكاه الخطيب عنه فيما تقدم ،  
ونصّه في المدونة في غير موضع يشهد له ، وتبعه أصحابه ، كما قال السخاوي في "فتح  
المغيث" (١)

ومن نصر هذا القول من المالكية الإمام أبو الوليد الباجي ، حيث قال في "إحكام  
الفصول" (٢) : "فأما الفسق على وجه التأويل مثل فسق أهل البدع وغيرهم فاختلف فيه  
فذهب الشافعي وطائفة من أصحاب الحديث إلى أنه لا يقع به التجريح ولا يمنع قبول  
الخبر ووجوب العمل به .

وزهد طائفة من العلماء إلى أنه يمنع من ذلك ، وهو الصحيح .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا  
أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ (٣)

فعلّق حكم ردّ الخبر على الفسق ، ومتى علّق الحكم على صفة كان الظاهر أنها علة فيه .  
ودليل آخر : وهو أن الفسق من جهة المتعمّد أخفّ من الفسق المتأوّل عند بعض  
شيوخنا ، لأنه ليس فيه أكثر من ارتكاب المحظور في الفعل المحرّم من شرب أو زنى أو غيره ،  
والفسق المتأوّل فيه ارتكاب محظور في الفعل ، وارتكاب محظور في الخطأ في النظر والاستدلال  
وضع الأدلة في غير مواضعها ، فكان أشدّ من الفسق المتعمّد .

احتجوا بأن الفاسق المتأوّل معتد للتدين ، ومعتد للصدق والتحرّز من الكذب ، بخلاف  
المعتد للفسق .

والجواب : انه لو صحّ ما ذكرتموه لوجب قبول خبر اليهود والنصارى والمجوس لأنهم  
معتدون للتدين ، ومعتدون للصدق والتحرّز من الكذب ، وان لم يجب هذا لم يجب  
ما قلتم .

( ١ ) فتح المغيث ١ / ٣٠٤ .

( ٢ ) احكام الفصول ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

( ٣ ) سورة الحجرات ، الآية ٦ .

وقال أبو الخطاب في التمهيد<sup>(١)</sup> : " فأما أهل الأهواء ، فمنهم من يُفَسِّق في اعتقاده ، ومنهم من يكفر ، فأما من يُفَسِّق في اعتقاده مع كونه متحرِّجاً في أفعاله ، فاختلف الناس فسق قبول خبرهم . فقال قوم : لا تقبل ، وقال قوم : تقبل .

ووجه الاول - أي رد رواية المبتدع بفسق متأول - : أنه فسق فُرِّدَ به الخبر كالفسق بأفعال الجوارح ، وهذا لأن فسق الجوارح يردُّ لكونه فسقاً لا لأنه فعل الجوارح ، فإذا رد بالفسق فقد وجد الفسق في الاعتقاد .

ووجه القول الثاني - أي قبول رواية المبتدع الفسِّق في اعتقاده - : وهو الأقوى عندي : أنَّ السلف اختلفوا ووقع بينهم الفرقة في زمن الصحابة والتابعين ، وقيل بعضهم أخبأر بعض ، فدلَّ على أنه اجماع .

ولأنه إذا كان متحرِّجاً يظن في اعتقاده أنه على الحق قوي ، ولم يظن فيه إقدامه على الكذب ، فقوى الظن بصدقه .

فأما الجواب عن دليلهم : فهو أننا إنما ردنا من فسق بأفعال الجوارح ، لأنه يفعل وهو يعلم أنه فسق ومعصية ، ومن أقدم على ذلك لم يؤمن أن يقدم على الكذب ، فأشهر ذلك في قوة الظن بصدقه ، بخلاف المعتقد فإنه قد اشتبه عليه ، وهو يظن أنه على الحق ، وله تحرُّج في أفعاله ، فقوى الظن بصدقه .

وقال الفخر الرازي في "المحصول"<sup>(٢)</sup> : " الفاسق إذا أقدم على الفسق فإن عُلِمَ كونه فسقاً لم تُقبل روايته بالإجماع ، وإن لم يُعلم كونه فسقاً ، فكونه فسقاً إما أن يكون مظنوناً أو مقطوعاً ، فإن كان مظنوناً قُبِلَت روايته بالاتفاق ، وإن كان مقطوعاً به قُبِلَت روايته أيضاً .

قال الشافعي رضي الله عنه : " أقبل رواية أهل الأهواء إلا الخطأية من الرافضة لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقهم " . وقال القاضي أبو بكر : لا تقبل . واحتج الخصم بأن منصب الرواية لا يليق بالفاسق ، أقصى ما في الباب أنه جهل فسق ، ولكن جهله بفسقه فسق آخر ، فإذا منع أحد الفسقين من قبول الرواية ، فالفسقان أولى بذلك المنع .

( ١ ) التمهيد في أصول الفقه ٣ / ١١٢ - ١١٤ بتصرف واختصار يسير .

( ٢ ) المحصول ٢ / ٥٧٢ - ٥٧٥ .

والجواب : أنه إذا عُلِمَ كونه فسقاً دلَّ إقدامه عليه على اجترائه على المعصية بخلاف إذا لم يعلم ذلك \* .

وكل ما سبق بيانه عند الكلام عن القول الثاني من القسم الاول ، وهو ردُّ رواية أهل البدع المَكْفُرة مطلقاً ، يعتبر هنا ، لأنَّ علماء أصول الفقه كالكلوذاني والرازي قَسَمُوا مسألة الرواية عن أهل البدع إلى قسمين : من كُفِّرَ ببدعته ، ومن قُسِّقَ ببدعته . أما علماء مصطلح الحديث فقد ذكروا تفصيلاً هذه المسألة فيمن لم يكفِّر ببدعته ، وهي تنطبق على من كُفِّرَ ببدعته من باب أولى .

وهذا القول وهو ردُّ رواية المبتدعة الذين لم يكفِّروا وعدم قبولها إطلاقاً بعيد عن منهج أكر المحدثين ومسلكتهم في الرواية . كما قال ابن الصلاح : " فَإِنَّ كَتَبَهُمْ طَافِحَةٌ بِالرَّوَايَةِ عَنِ الْمُبْتَدِعَةِ غَيْرِ الدَّعَاةِ ، وَفِي الصَّحِيحِينَ كَثِيرٌ يَمُنُّ أَحَادِيثُهُمْ فِي الشُّوَاهِدِ وَالْأَصُولِ " ( ١ ) . ووافق الحافظ ابن حجر الإمام ابن الصلاح فقال : " وهو بعيد ، وأكر ما عُلِّلَ به أن في الرواية عنه ترويجاً لأمره وتنويعاً بذكره . وعلى هذا أن لا يروى عن مبتدع شيء يشاركه فيه غير مبتدع " ( ٢ ) .

المذهب الثاني : الاحتجاج برواية المبتدعة الذين لم يكفِّروا ببدعتهم ، على أقوال :

القول الأول : الاحتجاج بروايتهم مطلقاً ، إن لم يكونوا يستحلون الكذب في نصرة مذهبهم ، سواء كانوا دعاة أم لا . ( ٣ )

قال الخطيب : " وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى قَبُولِ أَخْبَارِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ لَا يُعْرِفُ مِنْهُمْ اسْتِحْلَالُ الْكُذْبِ وَالشَّهَادَةُ لِمَنْ وَافَقَهُمْ بِمَا لَيْسَ عَنْدهُمْ فِيهِ شَهَادَةٌ . وَمِنْ

( ١ ) علوم الحديث ص ١١٥

( ٢ ) نزهة النظر ص ٥٥ .

( ٣ ) قال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في " الباعث الحثيث " ص ١١١ : وهذا القيد - أعني عدم استحلال الكذب - لا أرى داعياً له ، لأنه قيد معروف بالضرورة في كل راوٍ ، فإننا لا نقبل رواية الراوي الذي يعرف عنه الكذب مرة واحدة ، فأولئك أن نردَّ رواية من يستحل الكذب أو شهادة الزور .

قال بهذا القول من الفقهاء أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي . . . وَحُكِيَ أَنَّ هَذَا مَذْهَبَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَرَوَى مِثْلَهُ عَنْ أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي <sup>(١)</sup>

وقال ابن رجب في "شرح المُلل" : "ورُخِّصَتْ طَائِفَةٌ فِي الرِّوَايَةِ عَنْهُمْ إِذَا لَمْ يَتَّبِعُوا بِالْكَذِبِ ، مِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ : لَوْ تَرَكْتُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ لِلْقَدَرِ ، وَتَرَكْتُ أَهْلَ الْكُوفَةِ لِلتَّشْيِيعِ لَخَرَبَتْ الْكُتُبُ" <sup>(٢)</sup>

وقد ذكر الخطيب حجة هذا القول : "والذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج بأخبارهم ( ما ) اشتهر من قبل الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم ، ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل ، ثم استمرار عمل التابعين والخالفين بعدهم على ذلك لما رأوا من تحريم الصدق وتعظيمهم الكذب ، وحفظهم أنفسهم عن المحظورات من الأفعال ، وانكارهم على أهل الريب الطرائق المذمومة ، ورواياتهم الأحاديث التي تخالف آراءهم ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم ، فاحتجوا برواية عمران بن حطان وهو من الخوارج ، وعمر بن دينار ، وكان من يذهب إلى القدر والتشييع ، وكان عكرمة أباضياً ، وابن أبي نجيع وكان معتزلياً ، وعبد الوارث بن سعيد ، وشبل بن عباد ، وسيف بن سليمان ، وهشام الدستوائي ، وسعيد بن أبي عروبة ، وسلام بن مسكين ، وكانوا قدرية ، وعلقمة بن مرثد وعمر بن مرة ، وسعير بن كدام ، وكانوا مرجئة ، وعبيد الله بن موسى ، وخالد بن مخلد ، وعبد الرزاق بن همام ، وكانوا يذهبون إلى التشييع ، في خلق كثير يتبع ذكرهم ، دون أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم واحتجوا بأخبارهم ، فصار ذلك كالأجماع منهم ، وهـــــــــــــ أكبر الحجج في هذا الباب به يقوى الظن في مقاربة الصواب" <sup>(٣)</sup>

وقد اعتمد الذهبي هذا المذهب كما سبق نقله عنه حيث قال في ترجمة ابن طاهر المقدسي <sup>(٤)</sup> : "قال ابن طاهر : لو أن محدثاً من سائر الفرق أراد أن يروي حديثاً واحداً

( ١ ) الكفاية ص ١٩٤ - ١٩٥ .

( ٢ ) شرح علل الترمذي ٥٣/١ ، وانظر الكفاية ص ٢٠٢ .

( ٣ ) الكفاية ص ٢٠١ .

( ٤ ) سير ٣٦٨/١٩ .

بإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوافقه الكل في عقده - أى في مذهبه في الاعتقاد - لم يسلم له ذلك ، وأدى إلى انقطاع الزوائد رأساً ، فكان اعتمادهم في المعدالة على صحة السماع ، والثقة من الذى يُروى عنه ، وأن يكون عاقلاً مميزاً .

قلت : العدة في ذلك صدق المسلم الراوى ، فإن كان ذا بدعة أخذ عنه ، والإعراض عنه أولى " ولعل المراد بالإعراض عنه في حال وجود الرواية من غير طريق البتدع ، والله أعلم .

القول الثانى : رواية البتدع الذى لا يكفر ببدعته تُقبل إذا كان مرويّه ما يشتمل على ما تردّ به بدعته ، وذلك لبعده حينئذ عن تهمة الكذب جزماً<sup>(١)</sup> . وقال الحافظ ابن حجر فى " الهدى " : " ان اشتملت روايته على ما يردّ بدعته قبل والا فلا " (٢)

القول الثالث : قبول رواية البتدع الذى لا يكفر ببدعته إذا لم يكن داعية إلى بدعته ، أما الداعية فلا يحتج بخبره .

قال أبو الخطاب<sup>(٣)</sup> : فأما الداعية فلا يقبل خبره ، لأنه إذا دعا إلى بدعة لا يؤمن أن يضع لها حديثاً يوافقه ، فأثر ذلك فى صدقه "

وقال برهان الدين الخبازى فى " المغنى " (٤) : " وأما صاحب الهوى ، فالمختار أنه لا تقبل رواية من انتحل الهوى ودعا الناس إليه ، لأنه سبب داعٍ إلى التَّوَلُّ فلا يؤتمن "

( ١ ) ذكر هذا القول الحافظ السخاوى فى فتح المغيث ٣٠٦/١ ولم ينسبه لمعين .

( ٢ ) هدى السارى ص ٣٨٥ . وتطبيقاً لهذا القول قال الذهبى فى ترجمة جابر الجعفى فى " الميزان " ٣٨٣/١ بعد أن ساق حديثاً فى فضل عائشة فقال : " هذا حديث منكر ورواته الثلاثة رافضية ، ولكن لا يهتمون فى نقل فضل عائشة رضى الله عنها " .

( ٣ ) التمهيد فى أصول الفقه ١٢١/٣ .

( ٤ ) المغنى فى أصول الفقه ص ٢٠٧ . وقد اشترط الحنفية هدم الدعوة ، قال التهانسوى فى " قواعد فى علوم الحديث " ص ٢٣١ " وقال فى قهوالأثر : وعندنا - أى الحنفية - إن أدت إلى الفسق فقبل : قبلت رواية صاحبها إذا كان عدلاً ثقةً غير داعية " أ . هـ . وصرّح فيما بعد بكون هذا هو المختار .

على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد صرح الخطيب بأن هذا القول مذهب كثير من العلماء فقال : " وقال كثير من العلماء : تقبل أخبار غير الدعاة من أهل الأهواء فأما الدعاة فلا يحتج بأخبارهم ، ومن ذهب إلى ذلك أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل " (١)

وقال ابن الصلاح : " وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء " (٢) وقال أيضاً عن هذا المذهب : " وهذا المذهب أعدؤها وأولها " (٣) ووصف النووي هذا القول بأنه " هو الأظهر الأعدل " (٤)

ونسب ابن رجب هذا القول إلى جمع من العلماء فقال : " وفترت طائفة أخرى بسبب الداعية وغيره ، فمنعوا الرواية عن الداعية إلى البدعة دون غيره منهم ابن المبارك وابن مهدي وأحمد بن حنبل ، وروي أيضاً عن مالك " (٥)

ورجح ابن حجر هذا القول فقال : " يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته لأن تزيم بدعته قد يحمله على تحريف الروايات وتسويتها على ما يقتضيه مذهبه ، وهذا في الأصح " (٦) وقال أيضاً في " هدى الساري " : " وهذا المذهب هو الأعدل ، وصارت إليه طوائف من الأئمة " (٧)

(١) الكفاية ، ص ١٩٥ .

(٢) علوم الحديث ص ١١٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٥ .

(٤) التقريب ١/ ٣٢٥ مع التدريب .

(٥) شرح علل الترمذي ١/ ٥٣ - ٥٤ . وانظر : الكفاية ص ٢٠٣ - ٢٠٤ . وأما نسبة هذا المذهب إلى مالك فقد قال السخاوي في فتح المفتي ١/ ٣٠٧ : " على أن القاضي عبد الوهاب في " الملخص " فهم من قول مالك : لا تأخذ الحديث عن صاحب هوى يدعو إلى هواه " التفصيل . ونازه القاضي عياض ، وأن المعروف عنه الرد مطلقاً كما تقدم " .

(٦) نزهة النظر ص ٥٢ .

(٧) هدى الساري ص ٣٨٥ .

وإلى هذا الرأي ذهب الإمام الحافظ المستوفي حيث نقل عنه الذهبي في ترجمة شيخ المعتزلة الكعبي : " لا أستجيز أن أروي عنه لأنه كان داعية . يعني إلى الاعتزال " ( ١ )

وقد ادّعى ابن حبان الاتفاق بين أهل الحديث على عدم قبول رواية الداعية فقال :  
 "الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبةً لأعلم بينهم خلافاً" ( ٢ )  
 وقال ابن حبان في كتابه " الثقات " في ترجمة جعفر بن سليمان الضُّبَعي ( ٣ ) : ليس بين  
 أهل الحديث من أئمتنا خلاف بأنَّ الصدوق المتقن ، إذا كان فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها ،  
 أنَّ الاحتجاج بأخباره جائز ، فإذا دعا إلى بدعته سقط الاحتجاج بأخباره .

ودعوى الاتفاق هذه منتقضة بما مرَّ من قول من قبل رواية أهل البدع والأهواء مطلقاً  
 دون تفريق بين داعية وغيره ، وكذلك يحدّث فيها ، رد الإمام مالك لرواية المبتدع مطلقاً  
 سواء كان داعية أم لا .

وقد تعقب الحافظ العراقي دعوى ابن حبان في نقله الإجماع على عدم جواز الاحتجاج  
 بالداعية ، فقال : " وفيما حكاه ابن حبان من الاتفاق نظر ، فإنه روي عن مالك رد روايتهم  
 مطلقاً كما قال الخطيب في الكفاية " . ( ٤ )

وتعقب الحافظ ابن حجر دعوى ابن حبان فقال : " وأغرب ابن حبان وادّعى الاتفاق  
 على قبول غير الداعية من غير تفصيل " ( ٥ )

وقال في " هدى السارى " : " وادّعى ابن حبان إجماع أهل النقل عليه لكن في دعوى  
 ذلك نظر " ( ٦ )

( ١ ) سير ٢٥٥/١٥ . وانظر ترجمة المستوفي في السير ١٧ / ٥٦٤

( ٢ ) نقل ابن الصلاح ص ١١٥ دعوى ابن حبان ولم يتعقبها ، وكذلك فعل ابن كثير في  
 " اختصار علوم الحديث " ص ٩٩ .

( ٣ ) الثقات ٦ / ١٤٠ - ١٤١ . وانظر كلام ابن حبان في حكم الاحتجاج بأهل البدع  
 في مقدمة صحيحه بترتيب الفارسي ١ / ٨٨ - ٨٩

( ٤ ) التقييد والابضاح ص ١٢٧ .

( ٥ ) نزهة النظر ص ٥٠ - ٥١ .

( ٦ ) هدى السارى ص ٣٨٥ .

وتُعقب ابن الصلاح بقوله : " فإن كتبهم - أي أئمة الحديث - طافحة بالرواية عن البتدعة غير الدعاة ، وفي الصحيحين كثير من أحاديثهم في الشواهد والأصول " . وفي الصحيحين الرواية عن البتدعة الدعاة أيضا كعمران بن حطان الخارجي مَدَح عبد الرحمن ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه ، ومنهم عبد الحميد بن عبد الرحمن الحناني كان داعية إلى الإرجاء ، والظاهر أنه لا فرق بين الداعية وغيره ، ولذلك أطلق الشافعي قوله المشهور : " أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية " (١) .

وقد أجاب العراقي وابن حجر عن الرواية عن أشال هؤلاء من البتدعة .

قال العراقي : " قال أبوداود : ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ، ثم ذكر عمران بن حطان وأبا حنّان الأعرج ، ولم يحتج مسلم بعبد الحميد الحناني ، إنما خرج له في المقدمة ، وقد وثقه ابن معين " (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة عمران بن حطان في " هدي الساري " : " لم يخرج له البخاري سوى حديث واحد من رواية ابن أبي كبير عنه ، وهذا الحديث إنما أخرجه البخاري في المتابعات ، فللحديث عنده طرق غير هذه . ورأيت بعض الأئمة يزعم أن البخاري إنما أخرج له ما حمل عنه قبل أن يرى رأي الخوارج ، وليس ذلك الاعتذار بقوي لأن يحيى بن أبي كبير إنما سمع منه باليامة في حال هروبه من الحجاج ، وكان الحجاج يطلبه ليقطعه لرأيه في الخوارج ، على أن أبا زكريا الموصلي حكى في " تاريخ الموصل " عن المبرّد أن عمران هذا رجع في آخر عمره عن رأي الخوارج ، فإن صحّ ذلك كان عذراً جيداً فلا يضّرّ التخرّيج عن هذا سبيله في المتابعات ، والله أعلم " (٣) .

وقال الحافظ في " الفتح " : " عمران بن حطان السدوسي كان رئيس الخوارج من القعدية (٤)

وشاعرهم . أخرج له البخاري على قاعدته في تخرّيج أحاديث البتدعة إذا كان صادق اللهجة متديناً . قيل : إن عمران تاب من بدعته ، وهو بعيد . قيل : إن يحيى بن أبي كبير حصل

(١) انظر : اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٠٠ ، ومحاسن الاصطلاح للبليغيني ص ٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) التقييد والايضاح ص ١٢٨ .

(٣) هدي الساري ص ٤٣٣ .

(٤) القعدية هم الخوارج الذين لا يمضون إلى القتال كما في القاموس ص ٣٩٢ .

عنه قبل أن يبتدع<sup>(١)</sup>.

وقال في ترجمة عبد الحميد بن عبد الرحمن الحنّاني : " إنما روى له البخاري حديثاً واحداً في فضائل القرآن من روايته عن هريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة ، وهذا الحديث قد رواء مسلم من طريق أخرى عن أبي بردة ، فلم يخرج إلا ما له أصل ، والله أعلم<sup>(٢)</sup> والظاهر ، والله أعلم ، أن منهج البخاري الرواية عن المبتدع الداعية كما قال الحافظ ابن حجر عند كلامه عن رواية البخاري عن عمران بن حطان " على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذا كان صادق اللهجة مدّيناً " ولكن روايته لأمثال هؤلاء في المتابعات والشواهد .

القول الرابع : قبول رواية المبتدع غير الداعية إذا لم يرو ما يقوي بدعته .

قال الحافظ ابن حجر في " نزهة النظر " : " الأكثر على قبول غير الداعية إلا إن روى ما يقوى بدعته فيرد ، على المذهب المختار ، وه صرح الحافظ أبو اسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني شيخ أبي داود والنسائي في كتابه " معرفة الرجال " فقال في وصف الرواة : " ومنهم زائع عن الحق - أي عن السنة - ، صادق اللهجة ، فليس فيه حيلة إلا أن يؤخذ من حديثه ما لا يكون منكراً إذا لم تقويه بدعته " انتهى . وما قاله متجه ، لأن العلة التي لها ردّ حديث الداعية واردة فيما إذا كان ظاهر المروي يوافق مذهب المبتدع ولو لم يكن داعية والله أعلم<sup>(٣)</sup> .

ونقل السخاوي في " الفاية " كلام ابن حجر وقال عقبه : " وهو غاية في التحقيق والتلخيص ، والحاصل قبول رواية المبتدع الورع الضابط إذا كان غير داعية في الأصح ، وهو الذي مشى عليه الناظم ، ومحلّه فيما لم يكن موافقاً لبدعته كما تبين<sup>(٤)</sup> .

وقال العلامة عبد الرحمن المعلي اليمني مناقشاً هذا القول<sup>(٥)</sup> : " وحكى بعضهم أنه

( ١ ) فتح الباري ١٠ / ٢٩٠ -

( ٢ ) هدى الساري ص ٤١٦ .

( ٣ ) نزهة النظر ص ٥٣ ، وانظر كلام الجوزجاني في أحوال الرجال " ص ٣٢ .

( ٤ ) الفاية شرح الهداية ، للسخاوي ص

( ٥ ) التنكيل للمعلي ١ / ٤٥٠ .

إذا روى ما فيه تقوية لبدعته لم يؤخذ عنه . ولا ريب أن ذلك المروي إذا حكم أهل العلم ببطلانه فلا حاجة إلى روايته إلا لبيان حاله ، ثم إن اقتضى جرح صاحبه بأن ترجّح أنه تعمّد الكذب أو أنه متهم بالكذب عند أئمة الحديث سقط صاحبه البتة ، فلا يؤخذ عنه ذاك ولا غيره ، وإن ترجّح أنه أخطأ فلا وجه لمؤاخذته بالخطأ ، وإن ترجّح صحة ذلك المروي فلا وجه لعدم أخذه .

نعم ، قد تدعو المصلحة إلى عدم روايته حيث يخشى أن يغتر بعض السامعين بظاهره فيقع في البدعة .

وفي " ثقات المجلي " (١) : موسى الجهني ، قال : جاءني عمرو بن قيس الملائي وسفيان الثوري ، فقال : لا تحدّث بهذا الحديث بالكوفة ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " (٢) كان في الكوفة جماعة يغفلون بالتشيع ويدعون إلى الفلو ، فكره عمرو بن قيس وسفيان أن يسمعا هذا الحديث فيحملوه على ما يوافق غلوهم ، فيشتد شرهم .

وقد يمنع العالم طلبية الحديث عن أخذ مثل هذا الحديث لعله أنهم إذا أخذوه ربما روه حيث لا ينبغي أن يروى ، لكن هذا لا يختص بالبتدع ، وموسى الجهني ثقة فاضل لم ينسب إلى بدعة .

وقريب من هذا القول في قبول رواية المبتدع غير الداعية إذا لم يرو ما يقوى بدعته ، ما ذهب إليه ابن قتيبة في كتاب " تأويل مختلف الحديث " (٣) وحاصل كلامه أنّ المبتدع الصادق المقبول لا يقبل منه ما يقوّي بدعته ، ويُقبل منه ما عدا ذلك . وقال : " وإنما يمنع من قبول الصادق فيما وافق نحلته وشاكل هواه أنّ نفسه تريه أن الحق فيما اعتقده ، وأن القربة

( ١ ) ترتيب ثقات المجلي ص ٣٦٩ في ترجمة عمرو بن قيس الملائي .

( ٢ ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ٢٤/٥ ، وَاسْلَمُ فِي صَحِيحِهِ ١٨٧١/٤ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ٣٠١/٥ ، وَالنَّسَائِيُّ فِي خُصَائِصِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ( ١١ ) وَ ( ١٢ ) وَ ( ٤٤ ) ، وَالْحَاكِمُ ١٨٠/٣ . وَالحديث متواتر ورَوَاهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ .

( ٣ ) تأويل مختلف الحديث ص ٨٥ - ٨٦ طبعة النجار سنة ١٣٨٦ .

إلى الله عزوجل في تثبيته بكل وجه ، ولا يؤمن مع ذلك التحريف والزيادة والنقص واحتج  
بأن شهادة العدل لا تقبل لنفسه وأصله وفرعه .

وقد ردَّ هذا الرأي العلامة المصلي في كتابه " التنكيل " <sup>(١)</sup> فقال : ولا أدري كيف  
ينعت بالصادق من لا يؤمن منه التحريف والزيادة والنقص ؟ وإنما يستحق النعت بالصادق  
من يوثق بتقواه وأنه مهما التبس عليه من الحق ، فلن يلتبس عليه أن الكذب بأي وجه  
كان منافي للتقوى بجانب للإيمان .

ثم قال : " وعلى كل حال فابن قتيبة على فضله ليس هذا فنه ، ولذلك لم يعرَّج أحد  
من أئمة الأصول والمصطلح على حكاية قوله ذلك فيما أعلم " .

فكلام ابن قتيبة موافق لهذا المذهب في ردَّ رواية البتدع إذا روى ما يقوى بدعته ،  
ولكنه لم يفرِّق بين الداعية وغير الداعية ، وتناقض في وصف الداعية الصادق بأنه لا يؤمن  
منه التحريف والزيادة والنقص . .

القول الخامس : قبول رواية البتدع سواء كان داعية أم لا ، إذا تفرد بالرواية ، أما  
إذا شاركه أحد في روايته رُدَّت .

قال الحافظ ابن حجر في " هدى الساري " <sup>(٢)</sup> : " إذا اشتعلت رواية البتدع سواء كان  
داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببذعه أصلاً ، هل تردُّ مطلقاً ، أو تقبل مطلقاً ؟ مال  
أبو الفتح القشيري إلى تفصيل فيه ، فقال : إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه إجماعاً لبذعه ،  
واطفاً لناره ، وإن لم يوافقه أحدٌ ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده مع ما وصفنا من صدقه  
وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببذعه ، فينبغي أن تقدَّم  
مصلحة تحصيل ذلك الحديث ، ونشر تلك السنة على مصلحة إهانته واطفاً بدعته ، والله  
أعلم " .

وقال العلامة المصلي عن هذا الرأي : " وذهب بعضهم إلى أنه لا يروى عنه إلا عند

( ١ ) التنكيل للمصلي ٤٧/١ .

( ٢ ) هدى الساري ص ٣٨٥ ، وأبو الفتح القشيري هو تقي الدين بن دقيق العيد المتوفى

سنة ٧٠٢ ، وانظر كلامه في " الاقتراح " ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

الحاجة ، وهذا أمرٌ مصلح لا ينافي قيامَ الحجة بروايته بعد ثبوت عدالته <sup>(١)</sup> .

القول السادس : أن رواية المبتدع تقبل إذا كانت بدعته صغرى خفيفة ، وإن كانت

كبيرة غليظة فلا تقبل .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة ( أبان بن تغلب ) الشيعي الجَلَد <sup>(٢)</sup> : "إن البدعة على ضربين : فبدعة صغرى كفلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف ، فهذا كثير فليس التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلورثَ حديثُ هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بيّنة .

ثم بدعة كبرى : كالرفض الكامل والفلو فيه ، والخطّ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتجّ بهم ولا كرامة "

وقال الحافظ الذهبي في " المغنى " <sup>(٣)</sup> : " فأما الفلاة من الناصبة والشيعة والقدرية

والجهمية والدعاة من هذه الفرق ، فكان جمهور السلف يحذرون منهم ولا يروون عنهم " وقال في " الموقظة " <sup>(٤)</sup> : " فمتى جَمَعَ الْفِلْظُ والدعوة تُجَنَّبُ الأخذ عنه ، ومتى جَمَعَ الْخِيفَةُ والكأخذ وا عنه وقبلوه . فالفلظ : كفلاة الخوارج ، والجهمية ، والرافضة . والخفة : كالتشيع والإرجاء " .

وقال الحافظ ابن رجب في " شرح الملل " <sup>(٥)</sup> : " ومنهم من فَرَّقَ بين من يفلو في هواه

ومن لا يفلو ، كما ترك ابن خزيمة حديثَ عَمَّاد بن يعقوب لفلوه <sup>(٦)</sup> ، وسئل ابن الأثير :

لم ترك البخاري حديث أبي الطفيل ؟ قال : لأنه كان يفرط في التشيع ، وقريبٌ من هذا

( ١ ) التنكيل ٤٥ / ١ .

( ٢ ) الميزان ٥ / ١ - ٦ .

( ٣ ) المغنى في الضعفاء ٥٢٢ / ٢ - ٥٢٣ .

( ٤ ) الموقظة ص ٨٥ .

( ٥ ) شرح الملل ٥٥ / ١ - ٥٦ .

( ٦ ) قال الحافظ في التقریب : عَمَّاد بن يعقوب الرواجني الكوفي ، صدوق رافضي حديثه

في البخاري مقرون ، بالغ ابن حبان ، فقال يستحق الترك .

قول من فرّق بين البدع المغلظة كالتجهم والرفض والخارجية والقدر ، والبدع المخففة ذات الشبه كالإرجاء .

قال أحمد في رواية أبي داود : احتملوا من المرجئة الحديث ، ويكتب عن القدرى إذا لم يكن داعيةً .

وقال المروزي : كان أبو عبد الله يحدث عن المرجئة إذا لم يكن داعياً ، ولم نقل له على نص في الجهمى أنه يروى عنه إذا لم يكن داعياً ، بل كلامه فيه عام أنه لا يروى عنه . فيخرج من هذا أن البدع الغليظة كالتجهم يرثى بها الرواية مطلقاً ، والمتوسطة كالقدر إنما يرثى رواية الداعى إليها ، والخفيفة كالإرجاء هل يقبل معها الرواية مطلقاً أو يرد على الداعية ؟ على روايتين "

ولكن هناك كثير من الثقات الذين نُسبوا إلى بدعة غليظة وروى كثير من أئمة الحديث عنهم .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة المحدث السند أبي بكر الأزرق بعد نقله قول الدارقطني : " يطمئن عليه في اعتقاده " قلت : له أسوة بخلق كثير من الثقات الذين يسنحد يشهم في الصحيحين أو أحدهما ، ممن له بدعة خفيفة ، بل ثقيلة ، فكيف الحيلة ؟ نسأل الله العفو والسّماح . ( ١ )

ومعد هذا الاستعراض لهذه المذاهب والأقوال في حكم رواية المبتدع نجد أن كثيراً من الأقوال نظرية لا تتفق مع صنيع المحدثين .

وما أصدق كلمة الحافظ الذهبي : " فجميع تصرفات أئمة الحديث تؤذن بأن المبتدع إذا لم تبج بدعته خروجه من دائرة الإسلام ، ولم تبج دمه ، فإن قبول ما رواه سائغ " ( ٢ )

( ١ ) سير ٣٩٤/١٣ - ٣٩٥ .

( ٢ ) سير ١٥٤/٧ في ترجمة هشام الدستوائى . والذي يبد وأن للحافظ الذهبي أكثر من رأي في قبول رواية المبتدع ، حتى أنه قال : " وهذه المسألة لم تتبرهن لي كما ينبغي ، والذي اتضح لي منها أن من دخل في بدعة ، ولم يعد من رؤوسها ، ولا آمن فيها ، يقبل حديثه . " وهذا الرأي يوافق ما ذهب إليه في الموقظة ص ٨٥ : " متى جمع الغلط والدعوة تجنب الأخذ عنه ، ومتى جمع الخفة والكف أخذوا عنه وقبلوه " . ويقول في موضع آخر من سير النبلاء ٣٦٨/١٩ : " العمدة في ذلك صدق السلم ، فإن كان ذا بدعة أخذ عنه ، والإعراض عنه أولى " .

وقال الأستاذ أحمد شاكر بعد عرضه بعض أقوال العلماء في الرواية عن أهل البدع<sup>(١)</sup> " وهذه الأقوال كلها نظرية ، والمبرة في الرواية بصدق الراوي وأمانته والثقة بدينه وخلقه . والمتبع لأحوال الرواة يرى كثيراً من أهل البدع موضعاً للثقة والاطمئنان ، وإن روي ما يوافق رأيهم ، ويرى كثيراً منهم من لا يوثق بأي شيء يرويه . "

ثم ذكر قول الحافظ الذهبي المتقدم في ترجمة ( أبان بن تغلب ) وعقب عليه بقوله : " والذي قاله الذهبي مع ضمنية ما قاله ابن حجر فيما مضى<sup>(٢)</sup> هو التحقيق المنطبق على أصول الرواية ، والله أعلم . "

\* \* \*

---

( ١ ) الباعث الحثيث ص ١١١ - ١١٢ .

( ٢ ) وقول الحافظ كما في شرح النخبة ص ٥٠ : " التحقيق أن لا يرد كل مكفر ببدعته ، لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة ، وقد تبالغ فتكفر مخالفيها ، فلو أخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف . فالمعتمد أن الذي ترك روايته : من أنكر أمراً متواتراً من الشرع ، معلوماً من الدين بالضرورة ، وكذا من اعتقد عكسه . فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله " انتهى . والظاهر أن الحافظ ابن حجر رأيين في هذه المسألة : القبول مطلقاً في البدعة غير المكفرة ، والثاني : قبوله لرواية المبتدع غير الداعية كما سبق نقله عنه .

## المبحث الثاني

### الاختلاف بسبب العقائد وأثره في الجرح

الجرح بسبب البدعة في العقيدة كثير في جرح الرواة النقلة ورد رواياتهم، والغسز بسبب اختلاف العقائد من أخطر أنواع الجرح، لأنه يتناول أمراً يتصل بقضية العقيدة التي عليها مدار الكفر والايمان .

وكثير من الرواة الذين جرحوا بالبدعة، اختلفت أقوال العلماء فيهم، وذلك نتيجة اختلافهم في صحة مانسب إليهم، وأثر تلك الأقوال في الحكم على مرويات أصحابها . ولذا كانت التهمة بها عظيمة تستلزم نوعاً من التحصيل والتثبت يفوق التحصيل والتثبت في أي سبب من أسباب الجرح الأخرى .

قال الحافظ ابن حجر: "واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبيه لذلك، وعدم الاعتداد به إلا بحق" (١)

ولو توسعنا برد الروايات بسبب مانسب إلى أصحابها من بدع، لقلَّ من يسلم معنا . قال الإمام ابن جرير الطبري: "لو كان كل من ادَّعى عليه مذهب من المذاهب الردية ثبت عليه ما ادَّعى به، وسقطت عدالته، ومطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الامصار لأنه مانسبهم إلا وقد نسبهم قوم إلى ما يرغب به عنه" (٢)

وقال الحافظ الذهبي في رسالته "الرواة الثقات المتكلم فيهم": "ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدة من الصحابة والتابعين والأئمة، فبعض الصحابة كثر بعضهم بتأويل ما، والله يرضى عن الكل ويغفر لهم فما هم بمعصومين، وما اختلافهم ومعارضتهم بالتي تلينهم عندنا أصلاً، ويتكفير الخوارج لهم انحطت رواياتهم، بل صار كلام الخوارج والشيعة فيهم جرحاً في الطاعنين، فانظر إلى حكمة ربك، نسأل الله السلامة" (٣)

والجرح بسبب الابتداع والاختلاف في العقائد لم يكن منضبطاً عند بعض الجارحين فاستروح بعضهم بالجرح حتى أفرطوا وجانفوا الحق، وتجاوزوا طريقة السلف .

(١) هدى السارى ص ٣٨٥ .

(٢) هدى السارى ص ٤٢٧ في ترجمة (عكرمة مولى ابن عباس) .

(٣) الرواة الثقات المتكلم فيهم ص ٣ وأما قوله بأن الصحابة كثر بعضهم بعضاً فهو قول غير صحيح ولا دليل عليه .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة الشيخ المحدث أبي بكر محمد بن خنّب البخاري ثم البغدادي المتوفى سنة (٣٥٠) : " قال أبو كامل البصري : سمعت بعض مشايخي يقول : كنا في مجلس ابن خنّب ، فأملى فضائل الثلاثة ، إن قام أبو الفضل السليمانى وصاح : أيها الناس ، هذا دَجَّال فلا تكتبوا ، وخرج من المجلس لأنه ماسع بفضائل الثلاثة . قلت : هذا يدلُّ على زعارة السليمانى وظلمته ، الله يسامحه (١)

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره الذهبي في ترجمة ابن منده وما كان بينه وبين أبي نعيم من عداوة بسبب الاختلاف في العقائد فقال : " ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة ، فيقع في الهجران المحرّم ، وربما أفضى إلى التكفير والسعي في الدم ، وقد كان أبو عبد الله بن منده وأقر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده ، وشغب على أحمد بن عبد الله الحافظ ، بحيث أنّ أحمد اختفى (٢)

وقال الذهبي في ترجمة أبي نعيم : " وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصّب زائد يؤدى إلى الفتنة ، وقيل وقال ، وصداع طويل ، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام ، وكان الرجل يقتل .

قلت : ماهؤلاء بأصحاب الحديث ، بل فجرة جهلة ، أبعد الله شرهم (٣)

ومن أمثلة ذلك أيضاً ، ما ذكره الذهبي في ترجمة يحيى بن عمار ، شيخ سجستان : " وكان متحرّقا على المبتدعة والجهمية ، بحيث يؤوّل به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف ، وقد جعل الله لكل شيء قدراً ، إلا أنه كان له جلالة عجيبة بهراة ، وأتباعه وأنصاره (٤)

وفي ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن منده : " قلت : أطلق عبارات بدّعه بعضهم بهـ الله يسامحه ، وكان زعراً على من خالفه ، فيه خارجية (٥)

(١) سير ١٥ / ٥٢٤

(٢) سير ١٧ / ٤١

(٣) سير ١٧ / ٤٦٠

(٤) سير ١٧ / ٤٨١

(٥) سير ١٨ / ٣٥٤

ولقد كان الإمام الذهبي منصفاً في نقده متحرراً الأمانة والورع، وردّ كثيراً من الجروح بسبب الاختلاف في العقائد .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة العلامة الفتى ، محمد بن أحمد بن يحيى العثمانى الشافعى الأشعرى المتوفى سنة (٥٢٧هـ):

” قال أبو الفرج بن الجوزى : وكان غالباً في مذهب الأشعرى .

قلت : غلاة المعتزلة، وغلاة الشيعة، وغلاة الحنابلة، وغلاة الأشاعرة، وغلاة المرجئة، وغلاة الجهمية، وغلاة الكرامية، قد ماجت بهم الدنيا ، وكثروا ، وفيهم أذكيا ، وعباد وعلماء ، نسأل الله العفو والسفرة لأهل التوحيد ، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع ، ونحب السنّة وأهلها ، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة ، ولا نحب ما اتبع فيه بتأويل سائغ ، وإنما العبارة بكثرة المحاسن (١)

وكلامه هذا غاية الورع والإنصاف .

وقال الذهبي في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي : ” وكان يرى القدر ، نسأل الله العفو ، ومع هذا فما توقّف أحد في صدقه وعدالته وحفظه ، ولعلّ الله يعمدّر أمثاله من تلبّس ببدعه يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه ، وبذل وسعه ، والله حكّم عدل لطيف بعباده ، ولا يسأل عما يفعل . ثم إنّ الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعلم تحرّيه للحق ، واتّسع علمه ، وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتّباعه ، يفرّقه زلله ، ولا ننزّله ونطرحه ، وننسى محاسنه . نعم ولا نفتدي به في بدعته وخطئه ونرجوله التوبة من ذلك (٢)

وقد كثر الجرح بسبب اختلاف العقائد والربى بالبدعة في المتأخرين ، وقد ردّ الذهبي كثيراً من هذه الجروح .

قال الذهبي في ترجمة الامام المحدث النفيد الرّحال أبي مسلم عمر بن علي الليثي : ” قال أبو زكريا بن منده : هو أحد من يدّعي الحفظ إلا أنه يدّلس ، وتعبّص لأهل البدع ، أحول ، شره ، كلما هاجت ريح ، قام معها . قلت آل منده لا يعبأ بقدر حزم في خصومهم . . وأبو مسلم ثقة في نفسه (٣)

(١) سير ٢٠ / ٤٥ - ٤٦ .

(٢) سير ٥ / ٢٧١ .

(٣) سير ١٨ / ٤٠٨ .

وقال الذهبي في ترجمة الإمام غانم بن أحمد الأصبهاني : " حطَّ عليه محمد بن أبي نصر اللُّغْتَوَانِي .

قال : لأنه كان يميل إلى الأشعرية ، فانظر تر ( ١ )

وقال في ترجمة الإمام عبد الفنى المقدسي بعد نقله كلام سبط ابن الجوزي ( ٢ ) ففى " مرآة الزمان " أن الحافظ عبد الفنى أصل الناس ويقول بالتشبيه ، وأن العلماء عقوداً له مجلساً وأخذوا عليه مواضع من كتبه . . . . .

قال الذهبي : " وكل حال ، فالحافظ عبد الفنى من أهل الدين والعلم والتأله والصَّدْع بالحق ، ومحاسنه كثيرة ، فنعوذ بالله من الهوى والمراء ، والعصبية والافتراء ، ونبرأ ممن كل مجتسم ومعتل ( ٣ )

ثم قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى :

\_\_\_\_\_ " رحم الله الجميع وغفر لهم ، فما قصد هم إلا تعظيم الباري عز وجل من الطرفين ، ولكن الأكل فى التعظيم والتنزيه : الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة ، وهذا هو مذهب السلف رضى الله عنهم ( ٤ )

وقال الحافظ الذهبي فى ترجمة الإمام تاج الدين الكندى : " وقال القطي : . . . . . وكان لثبوت الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ، وإذا نظرَ جبهه بالقبح ، ولم يكن موفق القلم ، رأيت له أشياء باردة ، واشتهر عنه أنه لم يكن صحيح العقيدة .

قلت : ما علمنا إلا خيراً ، وكان يحبُّ الله ورسوله وأهل الخير ، وشاهدت له فتياً فى القرآن تدلُّ على خير وتقرير جيد ، لكنها تخالف طريقة أبي الحسن ، فلعل القطي قصَّد أنه خنبليَّ العقد ، وهذا سمج القول فيه ، فكل من قصَّد الحق من هذه الأمة ، فالله يغفر له ، أعاننا الله من الهوى والنفس ( ٥ )

( ١ ) سير ٩٩/٢٠ .

( ٢ ) قال الذهبي فى السير ٤٦٤/٢١ : " قلت : قد بلوت على أبي المظفر المجازفة وقلَّة الورع فيها يؤرخه ، والله الموعود ، وكان يترقُّ رأيت له مصنفاً فى ذلك فيه دواء انتهى

( ٣ ) سير ٤٦٤/٢١ - ٤٦٥ .

( ٤ ) المصدر السابق ٤٦٥/٢١ وانظر أقواله فى مجلس المناظرة فى ( البداية والنهاية ) لابن كثير ٣٨/١٣ - ٣٩ وتجد فيه موقفه النبيل وجراته فى الجهر بالحق ، لا كما قال الذهبي فى ترجمته : أنه قال كلمة أثارت شراً وفساداً ؟؟ .

( ٥ ) المصدر السابق ٣٩/٢٢ .

وقال في ترجمة الامام الحافظ الفقيه موفق الدين ، ابن قدامة المقدسي : " وقال أبو شامة كان إماماً في العلم والعمل ، صَنَّفَ كتباً كثيرةً ، لكن كلامه في العقائد على الطريقة المشهورة على أهل مذهبه ، فسبحان مَنْ لم يُوَضِّحْ له الأمر فيها على جلالة في العلم ومعرفة بمعاني الأخبار .

قلت : هو وأمثاله متعجبٌ منكم مع علمكم وذكائكم كيف قلتم ؟ وكذا كل فرقة تتعجبُ من الأخرى ، ولا عجب في ذلك ، ونرجو لكل من بذل جهده في طلب الحق أن يغفر له من هذه الأمة المرحومة (١)

ولكن ذلك لا يعني إلا يقال في أحد خالف العقيدة الصحيحة أنه خالف أو أخطأ ، بل يتعين عليه أن يبين غلطه ويكشف زيفه مع وجوب التثبت والتأني والانصاف والورع . قال الإمام ابن دقيق العيد : " أعراض المسلمين حُفْرَةٌ من حُفَرِ النار ، وَهَكَأ على شفيرها طاغوتان من الناس المحدثون والحكام (٢)

وقال التاج السبكي : " وما ينبغي أن يتفقد عند الجرح : حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجرح والمجروح ، فربما خالف الجرحُ المجروح في العقيدة فجرحه لذلك ، واليه أشار الرافعي بقوله : وينبغي أن يكون المزكون برئاً من الشحناء والعصبية في المذهب خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق ، وقد وقع هذا للكثير من الأئمة جرحوا بناءً على معتقدهم ، وهم المخطئون والمجروح مصيب (٣)

وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة اللسان : " وما ينبغي أن يتوقف في قبول قوله ففسى الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد ، فإنَّ الحاذق إذا تأمل ثلَبَ أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى المعجب ، وذلك لشدة انحرافه بالنصب ، وشهرة أهلها بالتشيع ، فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة وعجالة طلقسة ، حتى أنه أخذ يلجّن مثل الأعشى ، وأبي نعيم ، وعبد الله بن موسى ، وأساطين الحديث

(١) سير ١٧٢/٢٢

(٢) الاقتراح ص ٣٤٤

(٣) طبقات الشافعية ١٢/٢ - ١٣ ، قاعدته في الجرح والتعديل ص ٢٩ .

وأركان الرواية، فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثق رجلاً ضعفه، قبل التوثيق، ويلتحق به جدد الرحمن بن يوسف بن خراش المحدث الحافظ فإنه من غلاة الشيعة، بل نسب إلى الرفض<sup>(١)</sup>

وليس معنى هذا أن يظن أحد أن أئمة الجرح والتعديل كانوا أهل عصبية متمسدة حاشاهم ذلك، بل كانوا أهل نصح وأمانة وديانة وورع، وهم مجتهدون متحررون للدقنة والإنصاف.

وما أصدق كلمة الذهبي في وصفهم: "ونحن لا نذعي المصصة في أئمة الجرح والتعديل، لكن هم أكثر الناس صواباً، وأنذرهم خطأ، وأشد هم إنصافاً، وأبعد هم عن التحامل . . . . . ومن شد منهم، فلا عبرة به"<sup>(٢)</sup>

وما وقع لبعضهم من جرح بسبب التعصب لمذهب والاختلاف في معتقد، إنما كان لاعتقادهم أن هذا الأمر يستلزم الجرح.

وما أحسن كلمة الإمام ابن الصلاح في تجلية هذا المعنى عند كلامه عن جرح النصارى لأحمد بن صالح المصرى: "النسائي إمام حجة في الجرح والتعديل، وإذا نسب مثله إلى مثل هذا كان وجهه أن عين السخط تبدي مساوى لها في الباطن مخارج صحيحة تعنى عنها بحجاب السخط لا أن ذلك يقع من مثله تعمداً لقدح يعلم بطلانه، فاعلمم هذا فإنه من النكت النفيسة المهمة"<sup>(٣)</sup>

(١) لسان الميزان ١/١٦٠

(٢) سير ١١/٨٢

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٩١

## المبحث الثالث

## مسألة تكفير أهل البدع والأهواء

قال الحافظ الذهبي في ترجمة يشر بن غياث المريبي المتوفى سنة (٢١٨): "ومن كُفِّر ببذعته وإن جَلَّت، ليس هو مثل الكافر الأصلي، ولا اليهودي ولا المجوسي، أبى الله أن يجعل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وصام وصلى وحجَّ وزكَّى، وإن ارتكب العظائم وضلَّ واتبدع، كمن عاند الرسول، وعبد الوثن، ونبذ الشرائع وكفر، ولكن نبأ إلى الله من البدع وأهلها" (١)

وقال الذهبي في ترجمة أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤) (٢): "رأيت للأشعري كلمة أعجبتني، وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدوي، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأنيت به فقال: أشهد عليَّ أنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، لأنَّ الكلَّ يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات.

قلت: وينحو هذا آديس، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنسا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن" (٣) فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم.

وقال في ترجمة الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة ٣٠٩: (٤) "فما ينهني لك

(١) سير ٢٠٢/١٠

(٢) سير ٨٨/١٥

(٣) قال الأستاذ شعيب في تعليقه: حديث صحيح أخرجه أحمد ٢٧٦/٥ و ٢٧٧ و

٢٨٢، والدارمي ١٦٨/١، وابن ماجه (٢٧٧)، والحاكم ١٣٠/١، من طريق سالم بن أبي الحمدة عن ثوبان، وفيه انقطاع بين سالم وثوبان، لكن أخرجه أحمد

٢٨٢/٥، والدارمي ١٦٨/١ وابن حبان (١٦٤) من طريق متصل عن ثوبان.

(٤) سير ٣٤٣/١٤ - ٣٤٥ وقال فيه في السير ٣١٤/١٤: "وتبرأ منه سائر الصوفية

والمشايخ والعلماء لما سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبته إلى الحللول

ومنهم من نسبته إلى الزندقة... وقال الذهبي في ترجمة الشهاب الطوسي ٣٨٨/٢١:

والحلاج قُتل على الزندقة بسيف أهل الشرع انتهب.

بإفقيه أن تبادر إلى تكفير مسلم إلا ببرهان قطعي ، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية  
 فيمن قد تبرهن زغله ، وانتهك باطنه وزندقته ، فلا هذا ولا هذا ، بل العدل أن من رآه —  
 المسلمون صالحاً محمداً فهو كذلك ، لأنهم شهداء الله في أرضه ، إذ الأمة لا تجتمع على  
 ضلالة ، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مبطلاً ، فهو كذلك ، وأن من كان طائفة  
 من الأمة تضلله ، وطائفة من الأمة تشني عليه وتبجله ، وطائفة قالته تقف فيه وتتورع من الحط  
 عليه ، فهو ممن ينبغي أن يعرض عنه ، وأن يفوض أمره إلى الله ، وأن يستغفر له في الجملة ،  
 لأن إسلامه أصلي بيقين ، وضلاله مشكوك فيه ، فبهذا تستريح ويصفو قلبك من الغل للمؤمنين .  
 ثم اعلم أن أهل القبلة كلهم ، مؤمنهم وفاسقهم ، وسنيهم ومبتدعهم - سوى الصحابة -  
 لم يجمعوا على مسلم بأنه سعيد ناج ، ولم يجمعوا على مسلم بأنه شقي هالك .

فهذا الصديق فرد الأمة ، قد علمت تفرقهم فيه ، وكذلك عمر ، وكذلك عثمان ، وكذلك  
 علي ، وكذلك ابن الهيثم ، وكذلك الحجاج ، وكذلك المأمون ، وكذلك بشر المريسي ، وكذلك  
 أحمد بن حنبل ، والشافعي ، والبخاري ، والنسائي ، وهلم جرا من الأعيان في الخير والشر  
 إلى يومك هذا ، فما من إمام كامل في الخير إلا وثم أناس من جهلة المسلمين ومبتدعيهم  
 يذنبونه ويحطون عليه ، وما من رأس في البدعة والتجهم والرفض إلا وله أناس ينتصرون له  
 ويذنبون عنه ، ويدنونه بقوله بهوى وجهل ، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى  
 والجهل ، والتصفين بالورع والعلم .

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ( ٨٤٢ ) " ولقد قال إمام التعديل والجرح ،  
 والمعتمد عليه في المدح والقدح أبو عبد الله محمد بن الذهبي فيما وجدته بخطه : " ولا ريب  
 أن بعض علماء النظر بالغوا في النفي والرد والتحريف والتنزيه بزعمهم حتى وقعوا في بدعة ،  
 أو في نعت الباري بنعوت المعدوم ، كما أن جماعة من علماء الأثر بالغوا في الإثبات  
 وقبول الضعيف والمنكر ولهجوا بالسنة والاتباع ، فحصل الشغب ووقعت البغضاء ، وسدَّ  
 هذا هذا ، وكثر هذا هذا ، ونعوز بالله من الهوى والمراء في الدين ، وأن نكفر مسلماً  
 موحداً بلازم قوله وهو يغتر من ذلك اللازم وينزه ويعظم الرب (١)

وقال الإمام ابن دقيق العيد في "الاقتراح" <sup>(١)</sup> واعتمده تلميذه الذهبي في "الموقظة" <sup>(٢)</sup> والذي تقرّر عندنا : أنه لا تعتبر المذاهب في الرواية، إذ لا نكفر أحداً من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة <sup>(٣)</sup>.

وسألة تكفير المتبذة أهل الأهواء، كثر فيها أقوال العلماء واضطربت اجتهاداتهم، وخير من قام ببيانها الحافظ الذهبي، ومن قبله شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى في مواضع كثيرة من فتاويه ومؤلفاته .

وقد نقلت أقوال الذهبي التي وقفت عليها في هذه المسألة، وهي تتصف بالورع والتحرج من السارعة إلى التكفير، بل صرح بأنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة، كما كان على ذلك أيضاً شيخه الحافظ ابن تيمية في أواخر أيامه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى" <sup>(٤)</sup> : "لكن تكفير الواحد المعين منهم — أي من الرافضة — والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه، فإننا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له . . . . .

وقال أيضاً في "بغية المرناد" <sup>(٥)</sup> : "إنَّ المؤمن الذي لا ريب في إيمانه قد يخطئ في بعض الأمور العملية الاعتقادية فيغفر له كما يغفر له ما يخطئ منه من الأمور العملية، وإن حكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق الشخص المعين حتى تقوم عليه حجة الله التي بعثت بها رسوله .

( ١ ) الاقتراح ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

( ٢ ) الموقظة ص ٨٦ .

( ٣ ) أي بإنكار معلوم من الدين بالضرورة، فابن دقيق العيد وتلميذه الذهبي رحمهما الله تعالى، لا يقصدان بإنكار المتواتر، لعين التواتر، بل يقصدان ما كان معلوماً من الدين بالضرورة إثباتاً ونفيًا .

( ٤ ) الفتاوى ٥٠١ / ٢٨ في فلولي له في حكم الرافضة .

( ٥ ) بغية المرناد ص ٣١٠ .

وقد وثق الإمام ابن تيمية هذه المسألة باستيفاء في كتابه " منهاج السنة " فقال : ( ١ )  
 " إِنَّ المتأول الذي قصد به متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكفر ولا يفسق إذا اجتهد  
 فأخطأ .

وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية ، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس  
 كَفَرُوا المخطئين فيها .

وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا يعرف عن أحد  
 من أئمة المسلمين ، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ، ويكفرون  
 من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية .

ولا يلزم إذا كان القول كُفْرًا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل ، فإن ثبوت الكفر  
 في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه ، وذلك له شروط وموانع .

وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفارًا منافقين ، فيكونون من المؤمنين ، فيستغفر لهم ويترحم  
 عليهم ، وإذا قال المسلم : ( رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ) ( ٢ ) يقصد به  
 كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان ، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله فخالف السنة ، أو  
 أذنب ذنباً فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان ، فيدخل في العموم .

وإن كان من ( الثنتين والسبعين فرقة ) ( ٣ ) فإنه مامن فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا  
 كفاراً بل مؤمنين ، فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين ، والنبي  
 صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام بل جعلهم من أمته ، ولم يقل أنهم يخلدون في  
 النار .

#### النار .

( ١ ) منهاج السنة النبوية ٢٧/٣ و ٦٠ - ٦٢ بتصرف يسير واختصار .

( ٢ ) سورة الحشر ، آية ١٠ .

( ٣ ) قال الخطابي في معالم السنن ٤/٧ قوله : " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة " فيه  
 دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين إذ قد جعلهم النبي صلى الله  
 عليه وسلم كلهم من أمته ، وفيه : أَنَّ المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأوله " انتهى  
 وحديث افتراق الأمة رواه أبو داود في كتاب السنة ( ٤٤٢٨ ) و ( ٤٤٢٩ ) كما في مختصر  
 أبي داود ، من طريق أبي هريرة وسماويه . ورواه الترمذي ( ٢٧٧٩ ) من طريق عبد الله  
 ابن عمرو في كتاب الإيمان ، ورواه ابن ماجه ( ٣٩٩٣ ) من طريق أنس في كتاب الفتن ،  
 ورواه ابن أبي عاصم في السنة ( ٦٤ ) ، واللالكايني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة  
 ( ١٥٠ )

فهذا أصل عظيم ينهني مراعاته فإن كثيراً من المنتسبين إلى السنة فيهم من جنس بدع الروافض والخوارج .

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج — الذين قاتلوهم ، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحروراً ، وخرجوا عن الطاعة والجماعة ، قال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنا لكم علينا أن لا نمنعكم من مساجدنا ، ولا نمنعكم حقكم من الفى ، ثم أرسل لهم ابن عباس فناظرهم ، فرجع نحو نصفهم ، ثم قاتل الباقي وطلبهم .

ومع هذا لم يشب لهم ذريرة ، ولا غنم لهم مالا ، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتد من كسيلة الكذاب وأمثاله ، بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة ، ولم يتكر أحد على علي ذلك ، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام .

ومع هذا فقد صرح علي رضي الله عنه بأنهم مؤمنون ، ليسوا كفاراً ولا منافقين ، وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس كأبي إسحاق الإسفراييني ومن اتبعه ، يقولون : لا نكفر إلا من يكفّرنا . فإن الكفر ليس حقاً لهم ، بل هو حق لله .

وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه ، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل بأهله الفاحشة .

وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والسمتزة وغيرهم .

ومع هذا فلا نشهد للمعتن بالنار ، إلا مكان أنه تاب ، أو كانت له حسنات مكنت سيئاته ، أو كفر الله تعالى عنه بمصائب أو غير ذلك ، بل المؤمن بالله ورسوله كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب ، فإن هذا عاص مستحق للعذاب بلا ريب ، وأما ذلك فليس متعمداً للذنب ، بل هو مخطئ ، والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان انتهى (١)

(١) وقد أفاض الإمام ابن تيمية وأطال في بحث هذا الموضوع الشائك الخطير وجاء فيه بالغريد النفيد ، وانظر كلامه في هذه المسألة في كتابه " الرد على البكري " ص ٢٥٦ - ٢٦٠ ، وفي مجموعة الرسائل والوسائل " ١٩٩/٥ - ٢٠١ و ٢٠٤ في قاعدة أهل =

وأختم هذه الكلمات الجامعة في هذه المسألة الخطيرة الشائكة، بأقوال للحافظ الذهبي يظهر فيها إنصافه وورعه .

قال الذهبي : " ونرجو لكل من بذل جهده في طلب الحق أن يُغفر له من هذه الأمة المرحومة (١) "

وقال أيضاً : " فكلُّ من قصد الحق من هذه الأمة ، فإله يغفر له ، أعاننا الله من الهوى والنفس (٢) "

وقال في " ميزان الاعتدال " : ينبغي للشخص أن يتفرَّق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يسلبهم الايمان والإسلام كعمل الخوارج (٣) . . . . . "

\* \* \* \*

---

= الأهواء والسبوح ، وفي كتابه " السائل الماردينية " ص ٦٥ - ٧٠ . وانظرها مجموعة في التتعة الخامسة من كتاب الموقظة ص ١٤٧ - ١٦٣ . وانظر كتاب " تاريخ الجهمية والمعتزلة " و " الجرح والتعديل " للعلامة جمال الدين القاسمي .

( ١ ) سير ١٧٢/٢٣ .

( ٢ ) سير ٢٩/٢٢ .

( ٣ ) الميزان ٣٩/٣ .

## المبحث الرابع أقسام البدع أولاً : التشيع والرفض

التشيع والرفض من أشد البدع المؤثرة في نقد الروايات ، وقبل الخوض في أثر هذه

البدع في قبول الروايات أوردها . أعرف كلاً من التشيع والرفض تعريفاً موجزاً .

قال الفيومي في "المصباح النير" : " الشيعة الأتباع والأنصار ، وكل قوم اجتمعوا على

أمر فهم شيعة ، ثم صارت الشيعة تَبَرُّاً لجماعة مخصوصة " ( ١ )

وقال الشهرستاني في "الملل والنحل" : " الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله

عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً ، وإما خفياً ، واعتقدوا أن

الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده . . . يجمعهم

القول بوجوب التعيين والتنصيب ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجهاً عن الكبائر والصفائر ،

والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلًا وعقدًا إلا في حالة التقية .

وهم خمس فرق : كيمانية ، وزيدية ، واماسية ، وغلاة ، واسماعيلية ، ومعضهم يميل

في الأصول الى الاعتزال ، ومعضهم الى السنة ، ومعضهم الى التشبيه " ( ٢ )

أما الرافضة فهم كما قال الفيومي في "المصباح" : " الرافضة فرقة من شيعة الكوفة ، سموا

بذلك لأنهم رفضوا ، أي تركوا زيد بن علي عليه السلام ، حين نهاهم عن الطعن في

الصحابة ، فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ، ثم استعمل هذا اللقب في

كل مَنْ غَلَا في المذهب واختار الطعن في الصحابة " ( ٣ )

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب :

" قال عيسى بن يونس : جاء الرافضة زيدا . قالوا : تبرأ من أبي بكر وعمر حتى ننصرك .

قال : بل أتولاهما . قالوا : إذا نرفضك ، فمن ثم قيل لهم الرافضة ، وأما الزيدية فقالوا :

بقوله وحاربوا معه " ( ٤ )

( ١ ) المصباح النير ص ٣٢٩ .

( ٢ ) الملل والنحل ١ / ١٤٦ - ١٤٧ . ( ٣ ) المصباح النير ص ٢٣٢ .

( ٤ ) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩٠ . وقال الأشعري في مقالات الاسلاميين ص ٧٧ : " وانما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر " . وقد بين الشافعي مدلول كلمة الرفض كما نقل عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١ / ٣١ : " قال البويطي : سألت الشافعي : أصلي خلف الرافضي ؟ قال : لا تصل خلف الرافضي ولا القدرى ولا المرجئ . قلت : صفهم لنا . قال : من قال : إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي . . . "

وقد بينَ الذهبي مدلول هذه البدع التي يطلقها علماء الجرح والتعديل على بعض الرواة .

قال في ترجمة الإمام الدارقطني المتوفى سنة (٣٨٥) : " قلت : ليس تفضيل علي - أي على عثمان - برفض ولا هوبيدعة ، بل ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين ، فكلُّ من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد ، وهما متقاربان في العلم والجلالة ، ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة ، وهما من سادة الشهداء رضي الله عنهما ، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي واليه نذهب ، والخطب في ذلك يسير .

والأفضل منهما بلا شك أبو بكر وعمر من خالف في ذا فهو شيعي جلد ، ومن أبغضَ الشيخين واعتقد صحة إمامتهما فهو رافض مقيت ، ومن سبَّهما واعتقد أنهما ليسا بإمامي هدى فهو من غلاة الرافضة ، أبعدهم الله " (١)

ففي هذا النص بينَ الذهبي مدلولات العبارات الواردة كثيراً في كتب الجرح والتعديل وفي كتب الذهبي وخاصة " ميزان الاعتدال " : فيقول " شيعي جلد " وهو الذي يقدر علياً على الشيخين رضي الله عنهما ويغض وينتقص عثمان كما سيأتى ، " رافض مقيت " من أبغضَ الشيخين مع اعتقاده صحة إمامتهما ، " رافض غال " من سبَّ الشيخين واعتقد بأنهما ليسا بإمامي هدى .

وقال الحافظ الذهبي أيضاً في ترجمة أبي عروبة ، الحسين بن محمد الحراني المتوفى سنة (٣١٨) : " وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر في ترجمة معاوية ، فقال : كان أبو عروبة غالباً في التشيع شديد الميل على بني أمية .

قلت : كلُّ من أحب الشيخين فليس بفالٍ ، بلى من تعرَّض لهما بشئ من تنقص فإنَّه رافضٍ غال ، فإن سبَّ فهو من شرار الرافضة ، فإن كفر فقد باء بالكفر واستحق الخزي (٢) وقال الذهبي في " تذكرة الحفاظ " (٣) : " كلُّ من أحب الشيخين فليس بفالٍ ، بلى من

(١) سير ٤٥٧/١٦ - ٤٥٨ .

(٢) المصدر السابق ٥١١/١٤ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٧٧٥/٢ .

تَكَلَّمَ فِيهِمَا فَهُوَ غَالٍ مُفْتَرٌ، <sup>(١)</sup> فَإِنْ كَفَّرْهُمَا - وَالْعِيَانُ بِاللَّهِ - جَازَ عَلَيْهِ التَّكْفِيرُ وَاللَّعْنَةُ.

وقال الذهبيُّ في ترجمة الحسن بن صالح <sup>(٢)</sup>: "إنه كان لا يترحم على عثمان . . . قلت: . . . إِنَّ تَرَكَ التَّرحِمَ سَكُوتٌ ، والسَّكُوتُ لا ينسب إليه قول ، ولكن من سَكَتَ عن ترحم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان ، فإن فيه شيئاً من تشييع ، فمن نطق فيه بِكُفْرٍ وَتَنْقِصٍ فهو شيعي جَلْدَ يوءَدَّب ، وإن ترقى إلى الشيخين بذمٍّ فهو رافضيٌ خبيث "

ومدلول التشييع والرفض يختلف في زمان السلف عما هو في زمن الذهبي الى يومنا هذا . قال الحافظ الذهبي : " وكان النَّاسُ في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام : أهل السنة . . . ثم شيعة . . . يقولون وينالون من حاربوا علياً ، ويقولون إنهم سلمون بفاة ظلمة . فما علمت في ذلك الزمان شيعياً كفر معاوية وحزبه . . . ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفرون الصحابة ، ويبرؤون منهم جهلاً وعدواناً ، ويتعدون إلى الصديق قاتلهم الله <sup>(٣)</sup> وقال أيضاً : " فالشيعيُّ الغالي في زمان السلف وعُرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفةٍ من حارب علياً رضي الله عنه وتمرّض لسبهم . والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً ، فهذا ضالٌّ مُعْتَرٍ <sup>(٤)</sup> "

وقال ابن حجر في ترجمة أبا ن بن تغلب : " فالشيعيُّ في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل عليٍّ على عثمان ، وإنَّ علياً كان مصيئاً في حروبه ، وإنَّ مخالفه مخطئٌ ، مع تقديرهم الشيخين وتفضيلهما ، وربما اعتقد بعضهم أن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان معتقد ذلك ورعاً ديناً صادقاً مجتهداً ، فلا تُردُّ روايته بهذا ، لاسيما إن كان غير داعية ، وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض ، فلا تُقبل رواية الرافضي ولا كرامة <sup>(٥)</sup> . "

( ١ ) في الأصل " مفتر " بالفتن المعجمة ، ولعل الصواب ما أثبت .

( ٢ ) سير ٣٦٩/٧ - ٣٧٠ .

( ٣ ) المصدر السابق ٣٧٤/٥ .

( ٤ ) العيزان ١/٥ - ٦ .

( ٥ ) تهذيب التهذيب ١/٩٤ .

وقال الحافظ ابن حجر أيضاً : " والتشيع محبة عليّ وتقديمه على الصحابة ، فمن قدّمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي ، وإلا فشيوعي ، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض ، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشدّ فساد الفلو " ( ١ )

#### موقف الذهبي من الرافضة :

كان الذهبي رحمه الله شديد الكره للرافضة ، وشواهد ذلك كثيرة مبثوثة في كتابه " سير أعلام النبلاء " وكتبه الأخرى .

قال رحمه الله تعالى : " فأبعد الله الرافضة ، ما أغواهم وأشدّ هواهم . . . لكن لا حيلة في بتر الرفض ، فإنه داء مزمن ، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، فلا قوة إلا بالله " ( ٢ ) وقال في ترجمة أبي جعفر الباقر : " قال ابن فضيل ، عن سالم بن أبي حفصة : سألت أبا جعفر وابنه جعفرًا عن أبي بكر وعمر ، فقالا لي : يا سالم ، تولّهما وابراً من عدوّهما ، فإنهما كانا إمامي هدى .

كان سالم فيه تشيع ظاهر ، ومع هذا فيئت هذا القول الحق ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل والفضل ، وكذلك ناقلها ابن فضيل شيعي ثقة .

فعمّر الله شيعة زماننا ما أغرقهم في الجهل والكذب ، فينالون من الشيخين وزيري المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحملون هذا القول من الباقر والصادق على التقية " ( ٣ )

وقال في ترجمة الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب : " وكان يغضب من الرافضة ، ويقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ( ٤ ) ظاهراً وباطناً . هذا لا ريب فيه ، ولكن الرافضة قوم جهلة ، قد هوى بهم الهوى في الهاوية فبعداً لهم " ( ٥ )

( ١ ) هدى السارى ص ٤٥٩ .

( ٢ ) سير ١ / ١٤٠ - ١٤١ .

( ٣ ) سير ٤ / ٤٠٣ .

( ٤ ) لأن أمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأُمّها : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، ولهذا كان يقول : ولدني أبو بكر مرتين . كما في السير ٦ / ٢٥٥ .

( ٥ ) سير ٦ / ٢٥٥ .

وقال الذهبي أيضاً : " فدأب الروافض رواية الأباطيل ، أوردُ ما في الصَّحاح والمانيد ، ومتى إفاقة من به سُكْران " ( ١ )

وقال في ترجمة عالم الرافضة ، الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان : " وقيل : بَلَّغْتَ تواليقه مئتين ، ولم أَقَفْ على شيء منها ، والله الحمد " ( ٢ )

وقال في ترجمة المرتضى ، نقيب العلوية المتوفى سنة (٤٣٦) : " وكان من الأذكياء الأولياء ، المتبحرين في الكلام والاعتزال ، . . لكنه إمامي جَلَد ، نسأل الله العفو " ( ٣ )

" قلت : وفي تواليفه سبُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعمود بالله من علم لا ينفع " ( ٤ )

وقال في ترجمة أبي جعفر الطوسي شيخ الشيعة وصاحب التصانيف : " وأعرض عنـه الحفاظ لبدعته ، وقد أُحْرِقَتْ كتبه عدة نوب في رحبة جامع القصر ، واستتر لما ظهر عنه من التنقص بالسلف . . وكان يمدُّ من الأذكياء لا الأركياء " ( ٥ )

والأشلة على ذلك كثيرة في هذا الكتاب ، وأشدُّ كلمة قالها في الرافضة فيما وقفت عليه ، ما ذكره في ترجمة عمران بن مسلم الفزارى في " الميزان " : " قال أبو أحمد الزبيرى : رافضى ، كأنه جروكلب . قلت : خراء الكلاب كالرافضي " ( ٦ )

#### انتشار التشيع والرفض في الكوفة :

وسا نبّه عليه الحافظ الذهبي أَنَّ الصفة الغالبة على أهل الكوفة هي التشيع والرفض ، وحبُّ عثمان وتقديسه على عليّ نادراً فيهم .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة طلحة بن مُصَرِّف الهمداني الكوفي : " وقال موسى الجهمي :

( ١ ) سير ١٠ / ٩٣ .

( ٢ ) المصدر السابق ١٧ / ٣٤٥ .

( ٣ ) المصدر السابق ١٧ / ٨٥٩ .

( ٤ ) المصدر السابق ١٧ / ٥٩٠ .

( ٥ ) المصدر السابق ١٨ / ٢٣٥ .

( ٦ ) ميزان الاعتدال ٣ / ٤٤٣ .



قال الذهبي في ترجمة الشيخ المسند علي بن موسى ، ابن السمار الدمشقي المتوفى سنة (٤٣٣) : " غلت الشام في زمانه بالرفض ، بل ومصر والمغرب بالدولة المبيدية ، بل والمراق وبعض المعجم بالدولة البويهية ، واشتدّ البلاء دهرًا ، وشمخت الغلاة بأنفها ، وتواخى الرفض والاعتزال حينئذٍ ، والناس على دين الطوك ، نسأل الله السلامة في الدين (١) وعين الذهبي لقاء الرفض بالاعتزال في حدود سنة سبعين وثلاث مئة ، فقال فـ... ترجمة علي بن عيسى الرمانى : " معتزلي رافضي ، ومن حدود سبعين وثلاث مئة إلى زماننا هذا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا " (٢) .

ولكن خيوط هذه الصداقة بين الرفض والاعتزال بدأت في زمن المأمون بعد المئتين . قال الذهبي : " فظهر المأمون ، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها بل والشيعة " (٣) وقال أيضاً : " فلما استخلف المأمون على رأس المئتين نجم التشيع وأبدى صفحته ، ونزع فجر الكلام ، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة " (٤) .  
حكم الرواية عن ربي ببدعة التشيع أو الرفض :

اختلف علماء الجرح والتعديل في قبول رواية أهل البدع كما سبق بيانه ، وصنيع المحدثين بالنسبة لمن رمى ببدعة التشيع قبل روايته سواء كان داعية أم لا ، وكذلك الرافض غير الفالسي .

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة أبي بلج الكوفي : " وثقه ابن معين والنسائي وجماعة ، وضعفه جماعة بسبب التشيع وذلك لا يقدح في قبول الرواية عند الجمهور " (٥) .  
وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة خالد بن مخلد القطواني : " وقال ابن سعد : كان متشيعاً مفرطاً ، وقال صالح جزرة : ثقة إلا أنه كان متهماً بالفيلو في التشيع . . قلت :

(١) سير ٥٠٧/١٢ .

(٢) الميزان ١٤٩/٣ .

(٣) سير ٢٣٦/١١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٣٢٨/١ - ٣٢٩ .

(٥) فتح الباري ١٨٢/١٠ .

أما التشيع فقد قدّمنا أنه إذا كان ثبّت الأخذ والأداء لا يضره لاسيما ولم يكن داعية إلى رأي<sup>(١)</sup>.

وقد قيل صاحبنا الصحيحين بعض الدعاة من المبتدعة ، في غير الاحتجاج والأصول بل في المتابعات والشواهد .

قال الحافظ ابن حجر في نكتة على ابن الصلاح : " وأما روايات المبتدعة إذا كانوا صادقين ففي الصحيحين عن خلق كثير من ذلك ، لكنهم من غير الدعاة ولا الفلاة ، وأكثر ما يخرجون من هذا القسم في غير الأحكام .

نعم ، وقد أخرجنا لبعض الدعاة الفلاة كعمران بن حطان ، وعباد بن يعقوب وغيرهما إلا أنها لم يخرجنا لأحد منهم إلا ما توجع عليه<sup>(٢)</sup>.

وأما الرافضي الفالي فلا تقبل روايته سواء كان داعية أم لا .

قال الإمام الذهبي : " البدعة على ضربين : " بدعة صغرى كفعل التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرق فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلم يورد حديث هؤلاء ، لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بيّنه ، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والفلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة<sup>(٣)</sup>.

وقال الذهبي أيضاً : " البخاري يتجنب الرافضة كثيراً ، كأنه يخاف من تدنيهم بالتقية ولا نراه يتجنب القدريّة ولا الخوارج ولا الجهمية فإنهم على بدعهم يلزمون الصدق<sup>(٤)</sup>.

والذين رموا بالتشيع وروي عنهم في الصحيحين أو في أحدهما أربعة وعشرون رجلاً كما ذكرهم السيوطي في " التدريب "<sup>(٥)</sup> اشترك البخاري ومسلم في ستة عشر رويًا وانفرد كل واحد منهما في أربعة وأصل هذا الإحصاء للحافظ ابن حجر في " هدى الساري "<sup>(٦)</sup> ولكنه

( ١ ) هدى الساري ص ٤٠٠ .

( ٢ ) النكتة على ابن الصلاح ٣٧٠ / ١ .

( ٣ ) الميزان ٥ / ١ - ٦ .

( ٤ ) الميزان ١٦٠ / ٣ .

( ٥ ) انظر : تدريب الراوي ٣٢٨ / ١ .

( ٦ ) انظر : هدى الساري ص ٢١٩ .

ذكر أن الذين رموا ببدعه بالتشيع أو الرفض في صحيح البخاري تسعة عشر رجلاً ، في حين أنهم في إحصاء السيوطي عشرون ، بزيادة إسماعيل بن زكريا الخُلفاني .  
وقد تُسبب بعض العلماء إلى الرفض أو التشيع ، ولم يثبت ذلك عليهم ، وقد تعقب الذهبي من نسبهم إلى ذلك .

قال في ترجمه الحكم بن عتيبة : " وقال سليمان الشاذكوني : حدثنا يحيى بن سعيد ، سمعت شعبة يقول : كان الحكم يَفْضَلُ عليّاً على أبي بكر وعمر .

قلت : الشاذكوني ليس بمعتد ، وما أَظُنَّ الحكم يقع منه هذا ( ١ )

وقال في ترجمة عمرو بن دينار : " قال يحيى بن معين : أهل المدينة لا يرضون عمراً ، — يرمونه بالتشيع والتحايل على ابن الزبير ، ولا بأس به ، هو برى ما يقولون ( ٢ )

وقال في الميزان : " أما عمرو بن دينار الجُمَحي عالم الحجاز فحجة ، وما قيل عنه من التشيع فباطل ( ٣ )

وقال في ترجمة الإمام الشافعي : " قال أحمد بن حنبل وسُرَّط عن الشافعي ، فقُـال : لقد منَّ الله علينا به ، لقد كُنَّا تَعَلَّمْنَا كلام القوم ، وكتبنا كتبهم حتى قدم علينا ، فلما سمعنا كلامه ، علمنا أنه أعلم من غيره ، وقد جالسناه الأيام والليالي فما رأينا منه إلا كل خير . فقبل له : يا أبا عبد الله ، كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيان — يشير إلى التشيع وأنها نسباه إلى ذلك — فقال أحمد بن حنبل : ما ندرى ما يقولان ، والله ما رأينا منه إلا خيراً .

قلت : من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مُفْتَرٍ ، لا يدرى ما يقول .

قلت : لو كان شيعياً — وحاشاه من ذلك — لما قال : الخلفاء خمسة : بدأ بالصديق

وختم بعمر بن عبد العزيز ( ٤ )

( ١ ) سير ٢٠٩/٥

( ٢ ) سير ٣٠٢/٥

( ٣ ) الميزان ٢٦٠/٣

( ٤ ) سير ٥٨/١٠ - ٥٩

كما نفى الذهبي نسبة بعض العلماء الى الرفض وصَحَّحَ نسبتهم الى التشيع .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الحاكم : " عن ابن طاهر أنه سأل أبا اسماعيل عبد الله ابن محمد الهروي ، عن أبي عبد الله الحاكم ، فقال : ثقة في الحديث ، رافضي خبيث .

قلت : كلا ، ليس هو رافضياً ، بل يتشيع (١)

وقال في ترجمته في " الميزان " بعد نقله كلام أبي اسماعيل الانصاري : " قلت : الله يحب الانصاف ، ما الرجل يرافضي بل شيعي فقط (٢)

وقال في " المفني " : " محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، إمام صدوق ، لكنه يتشيع (٣)

وقال في " تذكرة الحفاظ " : وأما انحرافه عن خصوم علي فظاهر ، وأما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال ، فهو شيعي لا رافضي (٤)

وقد حَقَّقَ تلميذ الحافظ الذهبي ، الإمام السبكي في " طبقات الشافعية " أن الحاكم ليس بشيعي ولا رافضي ، بل له ميل إلى الإمام علي رضي الله عنه ، وما كان يفضل علياً على أبي بكر وعمر ولا عثمان ، وما كان يسب معاوية ، وأتى بأدلة قوية وحث متع ، مفيد لولا طولها لذكرته (٥)

ومعد هذه المقدمة ، سأذكر الآن بعض الأمثلة والنماذج للرواة الذين رموا بهذه البدعة على حسب التقسيم الذي ذكره الذهبي : شيعي معتدل ، شيعي غال ، ورافضي غير غال ، ورافضي غال .

( ١ ) سير ١٧ / ١٢٤ وانظر : المعجم الكبير ١ / ٢٨١ ، والمعجم المختص ٣٠٣ للذهبي

( ٢ ) الميزان ٣ / ٦٠٨ .

( ٣ ) المفني ترجمة رقم ( ٥٧٠٠ ) .

( ٤ ) تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٤٥ . وقال الشيخ ابن تيمية في منهاج الاعتدال ٤ / ٩٩ : " — الحاكم منسوب للتشيع . . لكن تشيعه وتشيع أشاله من أهل العلم بالحديث كالنسائي وابن عبد البر وأمثالهما — لا يبلغ إلى تفضيل عليّ على أبي بكر وعمر ، فلا يعرف فسي علماء الحديث من يفضل عليه . . . " انتهى .

( ٥ ) طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ١٦١ - ١٧١ .

أولا - الشيعة المعتدل ، ويطلق عليه الذهبي الألفاظ الاتية : فيه تشيع يسير ، أو قليل ،

تشيع حبٍّ وولا ، تشيعٌ خفيف ، فيه أدنى تشيع . والأمثلة على هذا النوع كثيرة جداً ، وأذكر منها :

١ - قال الحافظ الذهبي في ترجمة طاووس اليماني : " وقال سفيان الثوري : كان طاووس يتشيع قلت : إن كان فيه تشيع فهو يسير لا يضر إن شاء الله (١) "

٢ - وفي ترجمة علي بن زيد بن جدعان : " وكان من أوعية العلم على تشيع قليل فيه وسوء حفظ يفضه من درجة الإتقان (٢) "

٣ - وفي ترجمة سلمة بن كهيل : " وقال أحمد العجلي : تابعي ثقة ، ثبت في الحديث وفيه تشيع قليل . وقال يعقوب بن شيبة : ثقة ثبت على تشيعه (٣) "

٤ - وفي ترجمة منصور بن المعتمر (٤) : " قال أحمد بن عبد الله العجلي : كان منصور أثبت أهل الكوفة ، لا يختلف فيه أحد ، صالح متعبّد ، أكره على القضاء ، فقضى شهرين . قال : وفيه تشيع قليل ، وكان قد عمش من البكاء . قلت : تشيعه حبٍّ وولا فقط . "

قال أبو نعيم الملائي : سمعت حماد بن زيد يقول : رأيت منصور بن المعتمر صاحبكم

وكان من هذه الخشبية ، وما أراه كان يكذب .

قلت : الخشبية (٥) هم الشيعة .

( ١ ) سير ٤٣/٥ ، ٤٥ .

( ٢ ) سير ٢٠٧/٥ .

( ٣ ) سير ٢٩٩/٥ .

( ٤ ) سير ٤٠٧/٥ ، ٤٠٨ .

( ٥ ) قال الإمام الحري في كتابه " غريب الحديث " ٥٤٥/٢ : " الخشبية ضربٌ من الرافضة

وقيل : الذين يرون الخروج على من خالفهم بالخشبة ، وقيل : الذين حفظوا خشبة

زيد بن علي حين صلب . وسمعت أبا نصر يقول : الخشبية أصحاب المختار بن أبي عبيد \*

٥ - وفي ترجمة الأعشى، سليمان بن مهران : " وقال أحمد بن عبد الله المجلي : الأعشى ثقة ثبت، وكان فيه تشيع <sup>(١)</sup> .

٦ - وفي ترجمة شريك بن عبد الله القاضى : " قلت : فيه تشيع قليل على قاعدة أهل بلده . قال أبو نعيم : سمعت شريكاً يقول : قدِمَ عثمان يوم قدم ، وهو أفضل القوم . قلت : ما بعد هذا إنصاف من رجل كوفي .

وروى أبو داود الرهاوى أنه سمع شريكاً يقول : عليّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر . قلت : ما ثبت هذا عنه ، ومعناه حق : يعنى خير بشر زمانه ، وأما خيرهم مطلقاً فهذا لا يقوله مسلم <sup>(٢)</sup> .

وقال في ترجمته أيضاً : قال حفص بن غياث ، من طريق على بن خشرم عنه : سمعت شريكاً يقول : قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف المسلمون أبا بكر ، فلو علموا أنّ فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غشّونا ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، فقام بما قام به من الحق والعدل ، فلما حضرته الوفاة ، جعل الأمر شورى بين ستة ، فاجتمعوا على عثمان ، فلو علموا أنّ فيهم أفضل منه كانوا قد غشّونا .

قال على بن خشرم : فأخبرنى بعض أصحابنا من أهل الحديث أنه عرض هذا على عبد الله بن إدريس ، فقال ابن إدريس : أنت سمعت هذا من حفص ؟ قال : نعم . قال : الحمد لله الذى أنطق بهذا لسانه ، فوالله إنه لشيعة ، وإن شريكاً لشيعة .

قلت : هذا التشيع الذى لا محذور فيه إن شاء الله إلا من قبل الكلام فىمن حارب علماً رضى الله عنه من الصحابة ، فإنه قبيح يؤتّب فاعله ، ولا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير ونترضى عنهم ونقول : هم طائفة من المؤمنين بعت على الإمام على ، وذلك نبض المصطفى صلوات الله عليه لعمار : " تقتلك الفئة الباغية " <sup>(٣)</sup> .

( ١ ) سير ٢٣٥/٦

( ٢ ) سير ٢٠٢/٨ و ٢٠٥

( ٣ ) أخرجه مسلم ( ٢٩١٦ ) فى الفتن ، وأحمد فى المسند ٣١١/٦ ، والنسائى فى خصائص أمير المؤمنين علي ( ١٥٨ ) من طريق أم سلمة ، وأبى سعيد الخدرى ( ١٦٢ ) ، ( ١٦٣ ) وعبد الله بن عمرو ( ١٦٤ ) - ( ١٦٦ ) وانظر شواهد فى التعليق على الخصائص ص ١٧٤ - ١٧٨ والحديث متواتر رواه خمسة وعشرون صحابياً ، وقد صرح بتواتره الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١/ ٤٢١ .

فنسأل الله أن يرضى عن الجميع، ولألا يجعلنا ممن في قلبه غلٌّ للمؤمنين، ولا يرتاب  
أنّ علياً أفضل ممّن حاربه، وأنه أولى بالحق (١)

٧ - وفي ترجمة وكيع بن الجراح: "والظاهر أنّ وكيعاً فيه تشيّع يسير لا يضر إن شاء الله  
فإنه كوفيّ في الجملّة، وقد صنّف كتاب "فضائل الصحابة" سمعناه، قدّم فيه باب مناقب عليّ  
عليّ مناقب عثمان رضى الله عنها (٢)

٨ - وفي ترجمة سفيان الثوري: "قلت: كان سفيان رأساً في الزهد والتأله والخوف، -  
رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، من  
أئمة الدين، واغتفر له غير مسألة اجتهد فيها، وفيه تشيّع يسير، كان يثلث بملي (٣)

٩ - وفي ترجمة أبي نعيم، الفضل بن دكين: "قلت: وكان في أبي نعيم تشيّع خفيف  
قال أحمد بن ملاعب: ما كتبت عليّ الحَقْظَةُ أني سَبَيْتُ معاوية، ولفنا عن أبي نعيم أنه قال:  
حبّ علي رضى الله عنه عبادة، وخير العبادة ما كنتم (٤)

١٠ - وفي ترجمة اسماعيل بن أبان الوّاق الكوفي الحافظ: "قيل: كان في الوراق تشيّع  
قليل كدأب أهل بلده (٥)

١١ - وفي ترجمة أبي غسان التّهدى، مالك بن اسماعيل: "قلت: حديثه في كل الأصول  
وفيه أدنى تشيّع،

قال أبو الحسين الفارسي: سألت البخاري عن أبي عثمان. قال: وعماً ذا تسأل؟ قلت:  
التشيّع. فقال: هو على مذهب أهل بلده، ولو رأيتم عبيد الله بن موسى وأبا نعيم وجماعة  
مشايخنا الكوفيين لما سألتهم عن أبي غسان.

(١) سير ٢٠٩/٨ - ٢١٠.

(٢) سير ١٥٤/٩.

(٣) سير ٢٤١/٧.

(٤) سير ١٥١/١٠ وانظر سير ٤٣٢/١٠.

(٥) سير ٣٤٨/١٠.

قلت : وقد كان أبو نعيم وعبد الله مَعْظَمَيْن لأبي بكر وعمر ، وإنما ينالان من معاوية  
ودويه ، رضي الله عن جميع أصحابه ( ١ )

١٢ - وفي ترجمة أبي عروة ، الحسين بن محمد الحرّاني : " وقد ذكره ابن عساكر  
في ترجمة معاوية ، فقال : كان أبو عروة غالباً في التشيع ، شديد الميل على بنى أمية .  
قلت : كل من أحبّ الشيخين فليس بغالب ، بلى من تعرّض لهما بشيء من تنقصٍ فإنّ  
رافضيّ غال ، فإن سبّ فهو من شرار الرافضة ، فإن كفر فقد باء بالكفر واستحق الخزّي ، وأبو  
عروة فمن أين يجيئه الغلو وهو صاحب حديث وحرّاني ؟ بلى لعله ينال من المروانية فيعذر . ( ٢ )

١٣ - وفي ترجمة الإمام المغيرة محمد بن جرير الطبري : " وكان ابن جرير من رجال -  
الكمال ، وشنّع عليه بيسير تشيع ، وما رأينا إلا الخير ، ومعظمهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح  
الرجلين في الوضوء ، ولم نر ذلك في كتبه ( ٣ )

وقال أيضاً : " ولما بلغه أنّ أبا بكر بن أبي داود تكلم في حديث " غدير خم " ، عسل  
كتاب " الفضائل " فبدأ بغضل أبي بكر ثم عمر ، وتكلم على تصحيح حديث غدير خم ، واحتج  
لتصحيحه ، ولم يتم الكتاب .

قلت : جمع طرق حديث " غدير خم " فسي أربعة أجزاء ، رأيت شطرة فبهرنني سعة رواياته  
وجزئت بوقوع ذلك ( ٤ )

ونقل عن الإمام محمد بن علي بن سهل صاحب محمد بن جرير قال : سمعت محمد بن  
جرير وهو يكلم ابن صالح الأعمى : من قال أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى إيش هو ؟ قال :  
مبتدع ، فقال ابن جرير إنكاراً عليه : مبتدع مبتدع ! هذا يقل ( ٥ )

( ١ ) سير ١٠ / ٤٣٢ وأورد الحافظ كلام البخاري أيضاً في ترجمة أبي أحمد الحاكم الكبير ١٦ / ٣٧٣

( ٢ ) سير ١٤ / ٥١١ -

( ٣ ) سير ١٤ / ٢٧٧ -

( ٤ ) سير ١٤ / ٢٧٤ و ٢٧٧ -

( ٥ ) سير ١٤ / ٢٧٥ -

وقال الذهبي في "الميزان" في ترجمة ابن جرير الطبري: "ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر" (١)

١٤ - وفي ترجمة أبي عمرو محمد بن أحمد الحيري: "وقال الحافظ محمد بن طاهر المقدسي: كان يتشيع. قلت: تشيعه خفيّف كالحاكم" (٢)

ثانياً = الشيعة الغلاة: وهم الذين يقدّمون عليّاً وينتقصون عثمان رضي الله عنهما

وفي كثير من الرواة الذين نسبوا إلى الغلو في التشيع نظر، بل هم من الشيعة المعتدلين كما سيظهر لنا من خلال كلام أئمة الجرح والتعديل .

١ - قال الذهبي في ترجمة الحارث الأعور: "وقال أبو حاتم بن حبان: كان الحارث غالباً في التشيع وأهياً في الحديث... قلت: قد كان الحارث من أوعية العلم، ومن الشيعة الأولى" (٣)

فقول الذهبي عنه أنه من الشيعة الأول، والشيعة في الصدر الأول هم الذين يتولّون عليّاً وينالون ممن حاربوا عليّاً... قال الذهبي: "فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليّاً وتعرّض لسيبهم" (٤)

٢ - وفي ترجمة فطر بن خليفة: "وثقة أحمد بن حنبل: "وقال مرة: كان فطر عند يحيى بن سعيد ثقة لكنه خَشِبِيٌّ مُغْرُوط. وقال العجلي: ثقة حسن الحديث، فيه تشيع يسير. وعن أبي بكر بن عياش قال: ما تركت الرواية عن فطر إلا بسوء من مذهبه وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن فطر، فقال: ثقة صالح الحديث، حديثه حديث كَيِّسٍ إلا أنه يتشيع" (٥)

(١) الميزان ٤٩٩/٣ .

(٢) سير ٣٥٨/١٦ .

(٣) سير ١٥٣/٤ - ١٥٤ .

(٤) الميزان ٥/١ - ٦ وانظر أيضاً: السير ٣٧٤/٥ .

(٥) سير ٣١/٧ .

وقال الحافظ في هدى السارى : " وَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَالْقَطَّانُ وَابْنُ مَعِينٍ وَالْمَعْلَى وَالنَّسَائِيُّ وَآخَرُونَ ، وَأَمَّا الْجَوْزْجَانِيُّ فَقَالَ : كَانَ غَيْرَ ثِقَةٍ . وَقَالَ : ابْنُ أَبِي خَشِيمَةَ عَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ الْمَعْلَاءِ تَرَكْتُ حَدِيثَهُ لِأَنَّهُ رَوَى أَحَادِيثَ فِيهَا إِزْرَاءٌ عَلَى عِثْمَانَ ١ . هَذَا هُوَ ذَنْبُهُ عِنْدَ الْجَوْزْجَانِيِّ وَقَدْ قَالَ الْمَعْلَى : إِنَّهُ كَانَ فِيهِ تَشْيِيعٌ قَلِيلٌ . ( ١ )

٣ - وفي ترجمة علي بن هاشم بن البريد الكوفي الشيعي : " وعن ابن المديني في رواية : صدوق يتشيع .

وقال الجوزجاني : كان هو وأبوه غاليين في مذهبهما . وقال أبو حاتم : كان يتشيع ، يكتب حديثه . وعن عيسى بن يونس قال : هم أهل بيت تشيع ، وليس ثم كذب . وقال ابن حبان في الثقات كان غالياً في التشيع وروى المناكير عن المشاهير ، هكذا يقول ابن حبان ( ٢ ) وقال في المغني : " صدوق ، شيعي جلد ( ٣ ) وقال الحافظ في التقریب : " صدوق يتشيع ( ٤ )

٤ - وفي ترجمة محمد بن فضيل بن غزوان الكوفي : " الإمام الصدوق الحافظ على تشيع كان فيه ، إلا أنه كان من علماء الحديث والكمال عزيز . وَثَّقَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : هُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ شِيعِي . وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ : كَانَ شِيعِيًّا مُتَحَرِّقًا . قُلْتُ : تَحَرَّقَهُ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَوْ نَازَعَ الْأَمْرَ عَلِيًّا وَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ مُعَظَّمٌ لِلشَّيْخَيْنِ وَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ( ٥ )

وقال الحافظ ابن حجر في " هدى السارى " : " إِنَّمَا تَوَقَّفَ فِيهِ مِنْ تَوَقَّفٍ لِشِيعِهِ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ ، حَدَّثَنَا أَبُو هَاشِمٍ سَمِعْتُ ابْنَ فَضِيلٍ يَقُولُ : رَجِمَ اللَّهُ عِثْمَانَ وَلَا رَحِمَ مَنْ لَا يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ ( ٦ )

( ١ ) هدى السارى : ٤٣٥ .

( ٢ ) سير ٣٤٣/٨ .

( ٣ ) المغني ٤٥٦/٢ .

( ٤ ) التقریب ص ٤٠٦ رقم ( ٤٨١٠ ) .

( ٥ ) سير ١٧٣/٩ - ١٧٤ .

( ٦ ) هدى السارى ص ٤٤١ .

وظاهر كلامه يدل على أن تشييعه من القسم المعتدل اليسير ، وكذلك قول الذهبي  
يوئكد ذلك ، ويرد على قول أبي داود فيه .

٥ - وفي ترجمة عبيد الله بن موسى القمبي الكوفي : " روى أبو عبيد الآجري عن  
أبي داود قال : كان شيعياً محترقاً جاز حديثه .  
قلت : كان صاحب عبادة وليل ، صاحب حمزة ، وتخلق بأدابه إلا في التشيع المشؤوم  
فإنه أخذ من أهل بلدة المؤمنين على البدعة .  
ثم ساق الذهبي بسنده من طريق عبيد الله بن موسى إلى علي رضي الله عنه قوله :  
«خيرنا بعد نبيتنا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما .

قال الذهبي عقب هذه الرواية : " رواية عبيد الله مثل هذا دالٌّ على تقديمه للشيخين  
ولكنه كان ينال من خصوم علي (١)

وقال الذهبي أيضاً : " قال ابن منده : كان أحمد بن حنبل يدلُّ الناس على عبيد الله ،  
وكان معروفاً بالرفض ، لم يدع أحداً أسسه معاوية يدخل داره . فقيل : دخل عليه معاوية  
ابن صالح الأشعري . فقال : ما اسمك ؟ قال : معاوية . قال : والله لأحدثك ولا حدثت  
قوما أنت فيهم (٢)

وقال الحافظ في التقريب : " ثقة ، كان يتشيع (٣)

٦ - وفي ترجمة الإمام عبد الرزاق الصنعاني : " قال أحمد المجلى : عبد الرزاق ثقة  
كان يتشيع . قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي : أكان عبد الرزاق يفرط في التشيع ؟ -  
قال : أما أنا ، فلم أسمع منه في هذا شيئاً ، ولكن كان رجلاً يعجبه أخبار الناس .  
قال محمد بن أبي بكر المقدسي : ما أفسد جعفر بن سليمان غيره - يعني في التشيع .  
قلت أنا : بل ما أفسد عبد الرزاق سوى جعفر بن سليمان (٤)

(١) سير ٥٥٦/٩ ، وانظر أيضاً ٤٣٢/١٠ .

(٢) سير ٥٥٧/٩ .

(٣) التقريب ص ٣٧٥ رقم (٤٣٤٥) وفي المعنى ٤١٨/٢ : " ثقة ، شيعي متحرق ، ولم  
يرو عنه أحمد لذلك .

(٤) سيأتي ذكره صفحة ٢٤٣ .

قال مخلد الشعيري : كنت عند عبد الرازق ، فذكر رجلاً معاوية . فقال : لا تقدر مجلسنا  
بذكر ولد أبي سفيان <sup>(١)</sup>

" وبلغ يحيى أن أحمد تكلم في عبيد الله بن موسى بسبب التشيع . فقال يحيى : والله  
العظيم ، لقد سمعت من عبد الرازق في هذا المعنى أكثر مما يقول عبيد الله بن موسى ،  
ولكن خاف أحمد أن تذهب رحلته إلى عبد الرازق ، أو كما قال <sup>(٢)</sup>

وقال الذهبي في " الميزان " في ترجمة عبد الرازق الصنعاني : " أحد الأعلام الثقات  
وقال ابن عدي : حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد ومثالب لغيرهم مناكير .  
ونسبوه إلى التشيع .

وقال سلمة بن شبيب ، سمعت عبد الرازق يقول : والله ما انشرح صدري قط أن أفصل  
علياً على أبي بكر وعمر .

وقال أحمد بن الأزهري : أفصل الشيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه ولو لم يفضلهما  
لم أفضلهما ، كفى بن إزراء أن أحب علياً ثم أخالف قوله <sup>(٣)</sup>

وقال الحافظ ابن حجر : " أحد الحفاظ الأثبات ، وثقة الأئمة كلهم إلا العباس بن عبد  
المعظم المعنبري وحده <sup>(٤)</sup>

٧ - وفي ترجمة خالد بن مخلد القَطَواني : " قال أبو داود : صدوق ، لكنه يتشيع . وقال  
أحمد بن حنبل : له أحاديث مناكير . وقال محمد بن سعد : كان منكر الحديث ، مُفسِراً  
في التشيع ، كتبوا عنه ضرورة <sup>(٥)</sup>

وقال في " الميزان " : وقال الجوزجاني : كان شتاً معلناً بسوء مذهبه <sup>(٦)</sup>

( ١ ) سير ٥٦٦/٩ - ٥٧٠ .

( ٢ ) سير ٥٧٣/٩ .

( ٣ ) الميزان ٦٠٩/٢ - ٦١٢ .

( ٤ ) هدى الساري ص ٩١ .

( ٥ ) سير ٢١٨/١٠ .

( ٦ ) الميزان ٦٤٠/١ - ٦٤١ .

وقال الحافظ في "التقريب": "صدق يتشيع" (١) وقال في الفتح "ثقة" (٢)  
 وقال في "هدى السارى": "أما التشيع فقد قد منا أنه إذا كان ثبت الأخذ والأداء -  
 لا يضره لاسيما ولم يكن داعيه إلى رأيه" (٣)  
 ثالثاً - الرافضة غير الفلاة، وهم الذين يقدّمون علياً على أبي بكر وعمر مع اعتقادهم  
 صحة إمامتهما وعدم التعرض لهما :

١ - قال الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب الكوفي الشيعي: "وهو صدوق في نفسه  
 عالم كبير، بدعته خفيفة لا يتعرض للكبار" (٤)

وقال في "الميزان": "شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته، وقد وثقه  
 أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم، وأورده ابن عدي وقال: كان غالباً في التشيع  
 وقال السعدي: زائع مجاهر، ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلاً، بل كان  
 يمتدّ أن علياً أفضل منهما" (٥)

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة أبان: "قال ابن عدي: هو من أهل الصدق في  
 الرواية صالح لا بأس به، قلت: هذا قول منصف، وأما الجوزجاني فلا عبرة بحطّه على -  
 الكوفيين" (٦)

وقال الدارقطني في سننه: "حافظ ثقة" (٧)

وقول الحافظ الذهبي فيه "بدعته خفيفة" لا يخرجّه عن كونه رافضياً، ولكنه لا يفلو ولا يتمرّض  
 للكبار من الصحابة .

(١) التقريب (١٦٧٧) .

(٢) فتح الباري ٩/٥٢٤ .

(٣) هدى السارى ص ٤٠٠ .

(٤) سير ٦/٣٠٨ .

(٥) الميزان ١/٥ - ٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ١/٩٣ .

(٧) سنن الدارقطني ١/٨٩ .

٢ - وفي ترجمة هشام بن محمد بن السائب الكلبي : " قال ابن عساكر : رافضي ليس بشقة ، وكان أبوه مفسراً ، ولكنه لا يوثق به أيضاً ، وفيه رفض كاهنه ( ١ )

٣ - وقال في ترجمة محمد بن السائب الكلبي : " شيعي متروك الحديث ( ٢ )

وقال الحافظ ابن حجر في التقریب " متهم بالكذب ، وزعي بالرفض ( ٣ )

٤ - وفي ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي الكوفي : " محدث الشيعة ، وكان من عباد

الشيعة وعلمائهم ، وقد حج وتوجه إلى اليمن فصحه عبد الرازق وأكثر عنه به تشيع .

ويروى أن جعفرًا كان يترفض ، ف قيل له : أتسبأبا بكر وعمر ؟ قال : لا ، ولكن بفضلاً

يالك ، فهذا غير صحيح عنه .

وقال الحافظ زكريا الساجي : إنما عني بقوله : بفضا يالك : جار من له يؤذيانه اسمهما :

أبو بكر وعمر ( ٤ )

وقال الذهبي في " الميزان " بعد نقله كلام الساجي : " قلت : ما هذا ببعيد ، فإن جعفرًا

قد روى أحاديث في مناقب الشيخين رضي الله عنهما ، وهو صدوق في نفسه . قال ابن عدي :

جعفر شيعي ، أرجو أنه لا بأس به ، قد روى في فضائل الشيخين أيضاً ، وأحاديثه ليست

بالمكررة ، وهو عندي ممن - يجب أن يقبل حديثه ( ٥ )

وقال العزّي في " تهذيب الكمال " : " قال أبو أحمد الحاكم : والذي ذكر فيه من التشيع ،

الروايات التي يستدل بها على أنه شيعي ، فقد روى أيضاً في فضل الشيخين ، وأحاديثه

ليست بالمكررة ، وما كان فيه من منكر ، فلعل البلاء فيه من الراوى عنه ، وهو عندي ممن يجب

أن يقبل حديثه ( ٦ )

والذي يبدو - والله أعلم - أن جعفرًا رافضي ، وكلام الساجي في الدفاع عنه غير مسكّن

( ١ ) سير ١٠٢/١٠

( ٢ ) سير ٢٤٨/٦

( ٣ ) التقریب ص ٤٧٩ رقم ( ٥٩٠ ) .

( ٤ ) سير ٩٨/٨

( ٥ ) الميزان ٤٠٨/١ - ٤١١ .

( ٦ ) تهذيب الكمال ٤٩/٥ .

ولكن روايته لفضائل الشيخين تدل على عدم غلوه والله أعلم .

٥ - وفي ترجمة سند بغداد علي بن الجعد الجوهري : " وقال أبو إسحاق الجوزجاني :

علي بن الجعد مُتَشَبِّهُ بِغَيْرِ بَدْعَةٍ زَائِعٌ عَنِ الْحَقِّ .

وقال أبو يحيى الناقد : سمعت أبا غسان الدؤري يقول : كنت عند علي بن الجعد ، فذكروا

حديث ابن عمر : كنا نفاضل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فنقول : خير هذه الأمة

بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان فيبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره<sup>(١)</sup>

فقال علي : انظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأة يقول : كنا نفاضل .

وكنيت عنده فذكروا حديث : " ان ابني هذا سيّد " قال : ما جعله الله سيّداً .<sup>(٢)</sup>

قلت : أبو غسان لا أعرف حاله ، فإن كان قد صدق ، فلعل ابن الجعد قد تاب من هذه

الورطة ، بل جعله سيّداً على رغم أنف كل جاهل ، فإن أصرّ على مثل هذا من الردّ على

سيد البشر ، يكفر بلا مشنوية ، وأيّ سوء دأعظم من أنه يبيع بالخلافة ، ثم نزل عن الأمر

لقربته ، وما يعه على أنه وليّ عهد المؤمنين ، وأنّ الخلافة له من بعد معاوية حسماً للفتنة

وحقناً للدماء ، واصلاحاً بين جيوش الأمة ، ليتفرغوا لجهاد الأعداء ، ويخلصوا من قتال بعضهم

بعضاً ، فصَحَّ فيه تفرُّس جدّه صلى الله عليه وسلم ، وعدّ ذلك من المعجزات ، ومن باب إخباره<sup>(٣)</sup>

بالكوائن بعده ، وظهر كمال سوء دأ السيد الحسن بن علي ربحانة رسول الله صلى الله

عليه وسلم وجيبه ، والله الحمد .

قال أحمد بن إبراهيم الدؤري : قلت لعلي بن الجعد : بلغني أنك قلت : ابن عمر

ذاك الصبي . قال : لم أقل ، ولكن معاوية ما أكره أن يُعَدَّ به الله .

وقال هارون بن سفيان السستلي : كنت عند علي بن الجعد ، فذكر عثمان ، فقال : أخذ

من بيت المال مئة ألف درهم بغير حق . فقلت : لا والله ما أخذها إلا بحق<sup>(٤)</sup>

وقال الحافظ ابن حجر في " هدى الساري " بعد ذكر توثيق يحيى بن معين وأبي حاتم

له : وثقة آخرون ، وتكلم فيه أحمد بن حنبل من أجل التشيع ومن أجل وقوفه في القرآن . -

قلت : روى عنه البخاري من حديثه عن شعبة فقط أحاديث يسيرة ، وروى عنه أبو داود أيضاً<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه البخاري ١٤/٧ . في فضائل أصحاب النبي ، باب فضل أبي بكر .

(٢) وتامة : " ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين " أخرجه البخاري ٥/٢٢٥ و ٧٤/٧ .

(٣) لا يصح تسميته تفرساً ، بل هو وحي من الله عز وجل .

(٤) هدى الساري ص ٤٣ .

(٥) سير ١٠/٤٦٤ - ٤٦٥

٦ - وفي ترجمة يحيى بن عبد الحميد الحناني : " وقيل : كان يتشيع . فقال أبو داود :

سألت عن حديث لعثمان . فقال لي : تحب عثمان ؟

وقال أحمد بن محمد بن صدقة وأبو شيخ عن زياد بن أيوب دلويه ، سمعت يحيى بن عبد الحميد يقول : مات معاوية على غير ملة الإسلام . قال أبو شيخ : قال دلويه : كذب عدو الله .

قلت : قد تواتر توثيقه عن يحيى بن معين ، كما قد تواتر تجريجه عن الإمام أحمد ، مع

ما صح عنه من تكفير صاحب (١)

ولم يذكر الحافظ في " التقريب مافيه من بدعة مع أنه اشترط على نفسه في مقدمة الكتاب

أن يشير في ترجمة الرجل إلى مافيه من بدعة إن كان مبتدعاً . واكتفى بقوله : " حافظ ! لا - أنهم اتهموه بسرقة الحديث (٢) وقال فيه في " الفتح " : ضعيف (٣)

٧ - وفي ترجمة عباد بن يعقوب الرواجني : " الشيخ العالم الصدوق ، محدث الشيعة

الكوفي السند . . قال أبو حاتم : شيخ ثقة . وقال الحاكم : كان ابن خزيمة يقول : حدثنا الثقة في روايته ، المتهم في دينه ، عباد بن يعقوب .

وقال ابن عدي : فيه غلو في التشيع . وروى عبدان عن ثقة : أن عباداً كان يشتم السلف .

وقال ابن عدي : روى مناكير في الفضائل والثالب .

وروى علي بن محمد الحبيبي ، عن صالح جزرة ، قال : كان عباد يشتم عثمان ، رضي

الله عنه . وسمعت يقول : الله أعدل من أن يدخل طلحة والزبير الجنة ، قاتلاً علياً بعد أن بايعاه .

وقال ابن جرير : سمعت يقول : من لم يبرأ في صلاته كل يوم من أعداء آل محمد ، حُشِرَ

معهم .

قلت : هذا الكلام مبدأ الرفض ، بل نكف ونستغفر للأمة ، فإن آل محمد في إياهم قد

(١) سير ١٠/٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٣٧ .

(٢) التقريب ص ٥٩٣ برقم (٧٥٩١) .

(٣) فتح الباري ٣/٤٠٤ و ٨/٢٣٥ .

عادى بعضهم بعضاً واقتتلوا على الملك ، وتشت عظام ، فمن أيّهم نبياً ؟ <sup>(١)</sup>

قال محمد بن المظفر الحافظ ، حدثنا القاسم المطرّز قال : دخلت على عباد بالكوفة

وكان يتحنّ الطلبة ، فقال : مَنْ حَفَرَ البحر ؟ قلت : الله . قال : هو كذاك ، ولكن من حفره ؟

قلت : يذكر الشيخ . قال : حفره علي ، فمن أجراه ؟ قلت : الله . قال : هو كذاك ؟ ولكن

من أجراه ؟ قلت : يفيدني الشيخ ، قال : أجراه الحسين ، وكان ضريباً ، فرأيت سيفاً وجَحْفَةً

فقلت : لِمَنْ هذا ؟ قال : أعددت لأقاتل به مع المهدي . فلَمَّا فرغت من سماع ما أردت ،

دخلت عليه ، فقال : مَنْ حَفَرَ البحر ؟ قلت : حَفَرَهُ معاوية رضي الله عنه ، وأجراه عمرو بن

العباس ، ثُمَّ وَبَّتْ وَعَدْتُ ، فَجَعَلَ يصيح : أَدْرِكُوا الفاسق عدوّ الله ، فاقتلوه .

إسنادها صحيح <sup>(٢)</sup> وما أدري كيف تسمّحوا في الأخذ عَنّ هذا حاله ؟ وانا وشقوا بصدقه .

قلت : وقع لي من عواليه في البحث لابن أبي داود ، ورأيت له جزءاً من كتاب " المناقب "

جَمَعَ فيها أشياء ساقطة ، قد أغنى الله أهل البيت عنها ، وما اعتقده يتعمّد الكذب أبداً <sup>(٣)</sup>

وقال الذهبي في " الميزان " مِنْ غَلَاةِ الشيعة وروءوس البِدْع ، لكنه صادق في الحديث <sup>(٤)</sup>

وقال في " المفني " : شيميٌّ غالٍ قويُّ الحديث <sup>(٥)</sup> وفي الكاشف : " شيميٌّ جَلْدٌ ، وشقه

أبو حاتم <sup>(٦)</sup>

( ١ ) وقال الذهبي في الميزان ٣٧٩/٢ : " قلت : فقد عادى آل عليّ آل العباس ، والطائفتان

آل محمد قطعاً ، فَيَتَنّ تَبَرّاً ؟ بل نستغفر للطائفتين ، ونتبرأ من عدوان المعتدي كما

تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم لما صنع خالد لما أسرع في قتل بني جذيمة ، ومع ذلك

قال فيه : خالد سيف سَلَّهُ الله على المشركين " ، فالتبري من ذنب سيففر لا يلزم منه

البراءة من الشخص .

( ٢ ) رواها الخطيب البغدادي في الكفاية ص ٢٠٩ .

( ٣ ) سير ٥٣٦/١١ - ٥٣٨ .

( ٤ ) الميزان ٣٧٩/٢ .

( ٥ ) المفني ٣٣٨/١ ( ٣٠٥٨ ) .

( ٦ ) الكاشف ٥٧/٢ .

وقال الحافظ في " هدى السارى " : " رافضٍ مشهور إلا أنه كان صدوقاً (١) "

وقال في " التقريب " : " صدوق رافضٍ حديثه في البخاريّ مقرون ، بالغ ابن حبان فقال : يستحق الترك (٢) "

وقال في " الفتح " : " مذكور بالرفض لكنّه موصوفٌ بالصدق (٣) "

والذى يبدو من كلام الحافظ الذهبى أنه كان داعيةً إلى مذهبه ، وقصته مع القاسم بن زكريا المُطَرِّز دَلُّ أيضاً على غُلُوّه في الرفض ، وكان يشتم عثمان وطلحة والزبير ، ولكن لم ينقل عنه تعرّض للشيخين رضي الله عنهما ، واتفق كل من ذكره على غلوّه في التشيع وثقّه أبو حاتم وقال عنه الذهبى : قوي الحديث ، وصدق الحديث ، كما رَدَّ الحافظ ابن حجر على ابن حبان لقوله يستحق الترك . . . وأعدّل ما قيل فيه قول ابن خزيمة : حدثنا الثقة في حديثه المتَّهم بدينه . فلنا صدقه وعليه بدعته . والله اعلم .

٨ - وفي ترجمة إسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي ابن بنت السّدى : " وكان من شيمّة

الكوفة ، وقيل : كان غالباً (٤) "

وقال في المفضى : " يترفض ، قال أبو داود : صدوق يتشيع (٥) "

وقال الحافظ في " التقريب " : " صدوق يخطئ رُمي بالرفض (٦) "

٩ - وفي ترجمة أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة الكوفي . قال الحافظ الذهبى

في ترجمته : " أحد أعلام الحديث ونادرة الزمان ، صاحب التصانيف على ضمير فيه . (٧) "

(١) هدى السارى ص ٤١٢ .

(٢) التقريب ٢٩١ ( ٣١٥٣ ) .

(٣) فتح البارى ١٣ / ٥١٠ .

(٤) سير ١١ / ١٧٦ .

(٥) المفضى ١٤٣ / ١ ( ٧٢٥١ ) .

(٦) التقريب ١١٠ ( ٤٩٢ ) .

(٧) سير ١٥ / ٣٤٠ - ٣٥٥ . وانظر كلام ابن خراش الآتى ص ٤٤٩ .

ثم ساق الذهبي بسنده من طريق المترجم عن عليّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأنا عنده ، وأقبل أبو بكر وعمر - : " يا علي هذان سيदा كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين <sup>(١)</sup> "

وساق بسنده أيضاً إلى سفيان قوله : " لا يجتمع حبّ عليّ وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال "

قلت : قد روى ابنُ عقدة بالتشيع ، ولكن روايته لهذا ونحوه ، يدلّ على عدم غلوّه فسي تشيعه ، ومن بلغ في الحفظ والآثار مبلغ ابن عقدة ، ثم يكون في قلبه غلٌّ للمساقيين الأولين ، فهو مُعَانِدٌ أو زنديق ، والله أعلم .

قال أبو جعفر الطوسي في " تاريخه " : " كان ابنُ عقدة زيدياً جارودياً على ذلك مات ، وأنا ذكرت في جملة أصحابنا لكثرة رواياته عنهم . "

قال أبو أحمد بن عدي : هو صاحب معرفة وحفظ وتقدّم في الصنعة ، رأيت مشايخ بغداد يسيئون الثناء عليه ، ثم إن ابن عدي قوى امره ، وشأه ، وقال : لولا أنني شرطت أن أذكر كل من تكلم فيه لم أذكره لما فيه من الفضل والمعرفة "

رابعاً - الرافضة القلّة : وهم كما قال الحافظ الذهبي : " مَنْ أَبْغَضَ الشَّيْخَيْنِ وَسَبَّهُمَا واعتقدَ أنهما ليسا بإمامي هدى فهو من غلاة الرافضة <sup>(٢)</sup> " وقال أيضاً : " مَنْ تَعَرَّضَ لَهَا - أي للشيخين أبي بكر وعمر - بشيء من تنقّص فإنه رافضي غال <sup>(٣)</sup> " وقال أيضاً : " وإن ترقى إلى الشيخين بذم فهو رافضي خبيث <sup>(٤)</sup> "

( ١ ) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ( ٩٣ ) و ( ٩٤ ) والترمذي ( ٣٦٦٦ ) ، وابن ماجه ( ٩٥ ) من حديث علي ، وأخرجه من حديث أنس الترمذي ( ٣٦٦٤ ) ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة ( ١٢٩ ) ، ومن حديث أبي جحيفة ابن ماجه ( ٩٥ ) وابن حبان ( ٢١٩٢ ) ، وانظر مجمع الزوائد ٥٣/٩ .

( ٢ ) سير ٤٥٧/١٦ - ٤٥٨ .

( ٣ ) سير ٥١١/١٤ .

( ٤ ) سير ٣٦٩/٧ - ٣٧٠ .

١ - ومن هؤلاء الغلاة، الناقد البار، عبد الرحمن بن يوسف بن خراش المروزي ثم

البغدادي المتوفى سنة ( ٢٨٣ ) .

قال الذهبي في ترجمته : " وقال ابن عدي : قد ذكر بشيء من التشيع، وأرجو أنسه لا يعتمد الكذب . سمعت ابن عقدة يقول : كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئاً في التشيع يقول : هذا لا يفتق إلا عندى وعندك . وسمعت عبدان يقول : حمل ابن خراش إلى بُندار - عندنا جزئين صنفهما في مثالب الشيخين ، فأجازه بألفي درهم ، بنى له حجرة ببغداد ليحدث فيها ، فمات حين فرغ منها .

وقال أبو زرعة محمد بن يوسف الحافظ : خرج ابن خراش مثالب الشيخين ، وكان رافضياً .

وقال ابن عدي : سمعت عبدان يقول : قلت لابن خراش : حديث " ما تركنا صدقة " . فقال :

باطل ، أتهم مالك بن أوس .

قلت : هذا مُعْتَرٍّ مغدول ، كان علمه وبالاً ، وسعيه ضلالاً ، نعوذ بالله من الشقاء ( ١ )

وقال الذهبي في " الميزان " : " قلت : هذا والله الشيخ المُعْتَرُّ الذي ضلَّ سعيه

فإنه كان حافظ زمانه وله الرحلة الواسعة والاطلاع الكثير والإحاطة ، ومع هذا فما انتفع بعلمه فلا عتب على حمير الرافضة ، وحوادث جزين ومشغرا ( ٢ ) ( ٣ )

وقال في " تذكرة الحفاظ " : قلت : جهلة الرافضة لم يدروا الحديث ولا السيرة ولا كيف

ثم ، فأما أنت أيها الحافظ البار الذي شربت بولك ، إن صدقت في الترحال فما عذرك عند الله مع خبرتك بالأمر ، فأنت زنديق معاند للحق ، فلا رضي الله عنك ( ٤ )

٢ - وفي ترجمة أبي بكر أحمد بن محمد بن أبي دارم الكوفي الشيعي المتوفى سنة

( ٣٧٢ ) : " كان موصوفاً بالحفظ والمعرفة إلا أنه يترقص ، قد ألف في الحط على بعض

الصحابة ، وهو مع ذلك ليس بشقة في النقل .

( ١ ) سير ١٣ / ٥٠٩ - ٥١٠ .

( ٢ ) الحواشي هكذا في الميزان ، والصواب والله أعلم - : الحواشي بالخاء المعجمة . قال ابن السكيت في " تهذيب الألفاظ " في باب ردال الناس وسفلتهم : والخشرا من الناس الفوقاء .

( ٣ ) جزين : بلضم ثم الكسر وباء ساكنة ونون ، من قرى نيسابور ، وجزين بكسرتين : قرية كبيرة قريبة من أصبهان . كما في معجم البلدان لياقوت ١ : ٣٨٢ .

ومشغرة بالفتح ثم السكون وفيه معجمة وراء : قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع ، وقرية على سفح جبل لبنان كما في معجم البلدان ٥ : ١٣٤ .

( ٤ ) الميزان ٢ / ٦٠٠ .

قال الحاكم : هورافضي ، غير ثقة . وقال محمد بن حماد الحافظ : كان مستقيم الأمر عامة دهره ، ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب ، حضرت ورجل يقرأ عليه أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت مُحْسِنًا . . .

وفي خبر : قوله تعالى : ( وَجَاءَ فِرْعَوْنُ ) عمر ( وَمَنْ قَبْلَهُ ) ابوبكر ( وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ) عائشة وحفصة ، فوافقته وتركته حديثه .

قلت : شيخ ضال مُعْتَرٍ (١)

أما الرافضة الكفار المشبهة كهشام بن الحكم فلا (٢) رواية لهم ولا كرامة .

\* \* \*

وقد ذكر الذهبي عدداً من الرواة الذين نسبوا إلى التشيع أو الرفض سوى الذين ذكرتهم وأذكر الآن أسماءهم وما تَقَلَّ الذهبي في تشيعهم أو رفضهم على سبيل الاختصار :

١ - عطية بن سعد الكوفي : من مشاهير التابعين ، ضعيف الحديث . . وكان شيعياً (٣)

٢ - يزيد بن أبي زياد الكوفي : قال ابن فضيل : كان من أئمة الشيعة الكبار . (٤)

٣ - مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي : وقال ابوسعيد الأشج : شيعي (٥) ولم

يذكر الحافظ في التقريب نسبه إلى البدعة .

٤ - عوف بن أبي جميلة الأعرابي البصري : وثقه غير واحد وفيه تشيع . قال ابن السباوك :

مارض عوف ببدعة حتى كان فيه بدعتان : قد روي وشيعي . وقال بNDAR : كان قدريساً

رافضياً (٦)

(١) سير ٥٢٨/١٥ .

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥٤٣/١٠ .

(٣) سير ٣٢٥/٥ - ٣٢٦ .

(٤) سير ١٣٠/٦ .

(٥) سير ٢٨٦/٦ .

(٦) سير ٣٨٤/٦ .

- ٥ - قُضِيلُ بْنُ مَرْزُوقِ الْكُوفِيِّ : قلت : ما ذكره في الضعفاء البخارى ولا المعقليات ولا الدلائل ، وحديثه في عداد الحسن إن شاء الله ، وهو شيعي (١)
- ٦ - محمد بن راشد المكي الدمشقي نزيل البصرة : " قال شعبة : أما إنه صدوق - ولكنه شيعي قدرى . وقال أيضاً : معتزلى رافضى (٢)
- ٧ - محمد بن موسى الفطري المدني : قال أبو حاتم : صدوق يتشيع (٣)
- ٨ - إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي المدني : " روى عباس بن ابن معين قال : هو رافضى قدرى . وقال محمد بن عبد الله بن البرقي : كان يرى ، أو قال يرمى بالقدر والتشيع والكذب (٤)
- ٩ - عباد بن الصّوّام الواسطي ، " الإمام المحدث الصدوق . وقال ابن سعد : وكان يتشيع فحبسه الرشيد زماناً ثم خلى عنه ، فأقام ببغداد ، قلت : أظنه خرج مع إبراهيم فلذلك سجنه (٥) ولم ينسبه الحافظ في التقريب إلى بدعة .
- ١٠ - سلمة بن الفضل الأبرش : " قال ابن معين : كان يتشيع (٦) ولم ينسبه الحافظ في التقريب إلى بدعة .
- ١١ - أبو أحمد الزبيرى ، محمد بن عبد الله بن الزبير الكوفى : " قال المعلى : كوفى ثقة يتشيع (٧) ولم ينسبه الحافظ إلى بدعة فى " التقريب"
- ١٢ - سعيد بن محمد الجرسي الكوفى : " وقال بعضهم : كان يتشيع (٨) وفى التقريب

( ١ ) سير ٣٤٢/٧

( ٢ ) سير ٣٤٢/٧

( ٣ ) سير ١٦٤/٨

( ٤ ) سير ٤٥١/٨

( ٥ ) سير ٥١٢/٨

( ٦ ) سير ٥٠/٩

( ٧ ) سير ٥٣٠/٩

( ٨ ) سير ٦٣٨/١٠

صدق رمى بالتشيع<sup>(١)</sup>

١٣ - عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الكوفي ، مُشْكِدَانَة : الإمام المحدث الثقة  
وقيل : كان مُشْكِدَانَة يتشيع<sup>(٢)</sup> وفي التقريب : " صدوق فيه تشيع<sup>(٣)</sup> "

١٤ - علي بن موسى الدمشقي ، ابن التَّمَمَّاء المتوفى سنة ( ٤٣٣ ) : " قال الكتاني :  
كان فيه تشيع وتساهل . وقال أبو الوليد الباجي : فيه تشيع يفضي به إلى الرفض  
وهو قليل المعرفة ، في أصوله سقم .

ولعل تشيعه كان تَقْيَّةً لاسِحِيَّةً ، فإنه من بيت الحديث ، ولكن غَلَّتِ الشام فسـ  
زمانه بالرفض ، بل ومصر ، والمغرب بالدولة العبيدية ، بل والعراق وبعض المعجم  
بالدولة البويهية ، واشتدَّ البلاء دهرًا ، وشمَّخت الفلاة بأنفها . . . والناس على  
دين الملك ، نسأل الله السلامة في الدين<sup>(٤)</sup>

١٥ - عالم الرافضة ، الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان المتوفى سنة ( ٤١٣ ) :  
« يقول ابن أبي طي في تاريخ الإمامية : كان يتلج الصبي الفطن ، فيستأجره  
من أبويه - يعني : فيضله . وقيل : بلغت تواليفه مئتين ، لم ألق على شيء منها  
ولله الحمد<sup>(٥)</sup> »

١٦ - شيخ الشيعة ، أبو جعفر الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي المتوفى سنة  
( ٤٦٠ ) : وأعرض عنه الحفاظ لبدعته . . . وكان يعدُّ من الأذكاء لا الأركاء<sup>(٦)</sup>

١٧ - الشيخ المعمر الحسين بن أحمد النُّعَالِي البغدادي المتوفى سنة ( ٤٩٣ ) :

( ١ ) التقريب ٢٤٠ ( ٢٣٨٦ ) .

( ٢ ) سير ١٥٦/١١ .

( ٣ ) التقريب ٣١٥ ( ٣٤٩٣ ) .

( ٤ ) سير ٥٠٧/١٧ .

( ٥ ) سير ٣٤٥/١٧ .

( ٦ ) سير ٣٣٥/١٨ .

« وقال أبو عامر العبدري : هو عاميُّ أميُّ رافض ، لا يحمل أن يحمل عنه حرف ،  
لا يدري ما يُقرأ عليه <sup>(١)</sup> »

١٨ - مسند وقته ، أبو علي محمد بن سعيد بن نيهان البغدادي المتوفى سنة  
( ٥١١ ) : « قال ابن ناصر : فيه تشيع <sup>(٢)</sup> » .

١٩ - المحدث أحمد بن طارق الكركي ثم البغدادي المتوفى سنة ( ٥٩٢ ) : « قال  
الشيخ الضياء : كان شيعياً غالباً . وقال ابن نقطة : خبيث الاعتقاد ، رافضي <sup>(٣)</sup> »

\* \* \*

---

( ١ ) سير ١٩ / ١٠٢ -

( ٢ ) سير ١٩ / ٢٥٦ -

( ٣ ) سير ٢١ / ٢٧١ - ٢٧٢ -

## ثانياً - النَّصَب

قال الفيروز ابادي في القاموس : " والنواصب والناصبية وأهل النَّصَب المتدَّيِّنون بِبَغْضَةِ علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبوا له ، أي عادوه " ( ١ )

وقال الحافظ الذهبي : " وكان النَّاسُ في الصدر الأول ، بعد وقعة صفين على أقسام : أهل سنة . . . ثم شيعة . . . ثم نواصب : وهم الذين حاربوا علياً يوم صفين ، ويقرِّون بإسلام علي وسابقتهم ، ويقولون : خذل الخليفة عثمان . . . . فما علمت في ذلك الزمان شيعة ككفر معاوية وحزبه ، ولا ناصباً ككفر علياً وحزبه ، بل دخلوا في سبِّ وفض . . . وأما نواصب وقتنا فقليل ، وما علمت فيهم من يكفر علياً ولا صحابياً " ( ٢ )

وقال الذهبي أيضاً : " ومن تعرَّض للإمام عليٍّ يذم فهو ناصبي يُعزَّر ، فإن كُفره فهو خارجي مارق " ( ٣ )

وقد بيَّنت عند الكلام عن بدعة التشيع والرفض ، أنَّ غالب أهل الكوفة يميل إلى التشيع وكثير منهم ينحرف عن عثمان رضي الله عنه . وكذلك فإن أكثر أهل دمشق في الزمن السالف كانوا يتحاملون على عليٍّ رضي الله عنه .

قال الذهبي : " غالب الشاميين فيهم توقف عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يوم صفين ويرون أنهم وسلفهم أولى الطائفتين بالحق " ( ٤ )

وقد بيَّن الذهبي سبب ميل أهل الشام إلى النَّصَب فقال : " وخلف معاوية خلق كثير يحبونه ويتغافلون فيه ويفضِّلونه ، إما قد ملكهم بالكرم والجلم والمطاء ، وإما قد ولدوا في الشام طلس حبه ، وترقى أولادهم على ذلك ، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة وهدد كثير من التابعين والفضلاء ، وحاربوا معه أهل العراق ونشأوا على النَّصَب نعوذ بالله من الهوى . . فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم ، لا يكاد يشاهد فيه إلا غالباً في الحب ، مُفْرِطاً في البغض ،

( ١ ) ترتيب القاموس المحيط ٣٧٩ / ٤ .

( ٢ ) سير ٣٧٤ / ٥ .

( ٣ ) سير ٣٧٠ / ٧ .

( ٤ ) الميزان ٥٥١ / ٣ - ٥٥٢ .

ومن أين يقع له الإنصاف ولاعتدال ؟ (١) .

وقال الذهبي في ترجمة سليمان بن عبد الملك : " في آل مروان نصب ظاهر سوى عمر ابن عبد العزيز رحمه الله " (٢) .

وكما كان النصب مذهباً لأهل دمشق في فترة من الزمن ، كذلك انتشر فيهم الرفض في أيام دولة بني عبيد .

قال الذهبي في ترجمة علي بن موسى الدمشقي المتوفى سنة ( ٤٣٣ ) : " غلب الشام في زمانه بالرفض ، بل ومصر والمغرب بالدولة العبيدية ، بل والعراق وعض العجم بالدولة البويهية ، واشتد البلاء دهرًا ، وشمخت الغلاة بأنفها " (٣) .

وقال الذهبي في "الميزان" : " قلت : قد كان النصب مذهباً لأهل دمشق في وقت كما كان الرفض مذهباً لهم في وقت ، وهو في دولة بني عبيد ، ثم عدم ولله الحمد النصب وبقى الرفض خفيًا خاملاً " (٤) .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في " هدي الساري " (٥) أن البخاري روى في صحيحه عن ستة من أهل النصب ، وروى مسلم في صحيحه عن أربعة ، اشترك مع البخاري في ثلاثة وانفرد عنه بواحد .

وذكر السيوطي في " تدريب الراوي " (٦) سبعة ممن روى بالنصب في الصحيحين وهم :

١ - إسحاق بن سويد العدوي البصري .

٢ - بَهْزَبْنِ أَسَدُ الْعَمَى البصري .

( ١ ) سير ١٢٧/٣ - ١٢٨ .

( ٢ ) سير ١١٣/٥ .

( ٣ ) سير ٥٠٧/١٢ .

( ٤ ) الميزان ٧٦/١ .

( ٥ ) هدي الساري ٤٥٩ - ٤٦٠ .

( ٦ ) تدريب الراوي ٣٢٨/١ .

٣ - قيس بن أبي حازم الكوفي <sup>(١)</sup> . وهو "الثلثة" اشترك البخاري ومسلم في الرواية

عنهم .

٤ - حريز بن عثمان الرحبي .

٥ - حصين بن ثُمير الواسطي .

٦ - عبدالله بن سالم الأشعري الحمصي ، وهو "الثلثة" تفرد بهم البخاري .

٧ - خالد بن سلمة المخزومي المعروف بالفاقي ، تفرد به مسلم .

وغالب العلماء الذين رموا بالنصب كانوا أهل صدق بخلاف كثير من نسبوا إلى التشيع

والرفض، ومن الذين ذكرهم الذهبي في "سيره" من نسبوا إلى النصب :

١ - الأمير الكبير، أبو الهيثم خالد بن عبدالله القسري ، قال الذهبي في ترجمته :

"له حديث في مسند أحمد ، وفي سنن أبي داود ، رواه عن جده يزيد ، وله صحبة . وكان جَوَادًا مُنَدِّحًا مُعَظَّمًا عالي الرتبة من نبلاء الرجال ، لكن فيه نصب معروف .

قال عبدالله بن أحمد : سمعت ابن معين يقول : خالد بن عبدالله القسري رجل سوء

يقع في علي .

وقال فضل بن الزبير : سمعت القسري يقول في علي ما لا يحل ذكره <sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ في "التقريب" : "أمير الحجاز ثم الكوفة ، ليست له رواية عندهما ، قتل

سنة ست وعشرين <sup>(٣)</sup> ولم ينسبه إلى النصب وهو مشهور عنه .

وقال الذهبي في المغني : "خالد بن عبدالله القسري ، عن أبيه وجده ، صدوق لكن

ناصب جلد <sup>(٤)</sup> .

(١) قال الذهبي في الميزان ٣/٣٩٣ : "قال يعقوب السدوسي : وقيل له كان يحمل

علي علي رضي الله عنه ، والمشهور أنه يقدم عثمان . وانظر تهذيب التهذيب

٣٨٨/٨ .

(٢) سير ٥/٤٢٥ - ٤٢٦ و ٤٢٩ .

(٣) التقريب ١٨٩ (١٦٤٩) .

(٤) المغني ١/٢٩٧ (١٨٥٥) طبعة قطر .

٢ - حريز بن عثمان الرَّحبي الحمصي :

قال الذهبي : " يُرمَى بالنَّصب . . . وقد قال أبو حاتم : لا يصحُّ عندي ما يقال في رأيه ولا أعلم بالشام أحداً أثبت منه . وقال أبو اليمان : كان ينال من رجل ، ثم ترك ذلك . وجاء عنه أنه قال : لا أحبه لأنه قتل من قومي يوم صفين جماعة . وقال علي بن عيَّاش : سمعت حريز بن عثمان يقول : والله ما سبَّبتُ علياً قط .

قلت : هذا الشيخ كان أروع من ذلك ، وقد قال معاذ بن معاذ : لا أعلم أني رأيت شامياً أفضل من حريز . وقال يحيى بن معين وجماعة : ثقة " ( ١ )

وقال في " الميزان " : " كان متقناً ثبناً لكنه مبتدع . وقال أبو داود : سألت أحمد عنه فقال : ثقة ثقة . وكذا وثقه ابن معين وجماعة . . . " ( ٢ )

وقال في المغني : " ثبت ، لكنه ناصبي " ( ٣ ) وقال في رسالته في الرواة الثقات : " قلل أن يوجد في الشاميين في إتيانه ، وثقه غير واحد ، لكنه ناصبي نسأل الله السلامة إلا أنه لا يسب " ( ٤ )

وقال الحافظ ابن حجر في " هدي السارى " : " قال أبو حاتم : لا أعلم بالشام أثبت منه ، ولم يصح عندي ما يقال عنه من النصب . قلت : جاء ذلك من غير وجه ، وجاء عنه خلاف ذلك . وقال البخاري : قال أبو اليمان : كان حريز يتناول من رجل ثم ترك ، قلت : فهذا أعـدل الأقوال فلمـله تاب ، وقال ابن عدي : كان من ثقات الشاميين وإنما وضع منه بغضه لعلي ، وقال ابن حبان : كان داعية إلى مذهبه يُجتنب حديثه " ( ٥ )

وقال الحافظ أيضاً : " قال ابن عمار : يتهمونه أنه كان ينتقص علياً ويروون عنه ويحتجبون به ولا يتركونه . . . وإنما أخرج له البخاري لقول أبي اليمان : أنه رجع عن النصب " ( ٦ )

( ١ ) سير ٢ / ٨١ .

( ٢ ) ميزان الاعتدال ١ / ٤٧٥ .

( ٣ ) المغني ١ / ٢٣٠ ( ١٣٥٨ ) .

( ٤ ) الرواة الثقات ص ١٤ .

( ٥ ) هدي السارى ٣٩٦ .

( ٦ ) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٣٨ .

وقال في "التقريب": "ثقة ، ثبت رُمي بالنصب" (١)

ومن تكلم في حريز إنما تكلم فيه بسبب بدعته لا في حفظه وإتقانه ، فهو ثقة ثبت . . . وأما ما نسب إليه من النصب والغلو فيه ، فغير صحيح ، فقد ثبت عنه عدم السب ، ونقل عنه رجوعه وتوبته عن مذهبه والله أعلم .

٣ - إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي :

قال الذهبي : "الثقة الحافظ ، أحد أئمة الجرح والتعديل . . . وكان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق ، في التعامل على علي رضي الله عنه" (٢)

وقال الذهبي في ترجمة سعيد بن عُفَيْر: "وقال ابن عدي : هو عند الناس ثقة ، ثم ساق قول أبي إسحاق الشَّعْدِي الجوزجاني في سعيد بن عُفَيْر : فيه غير لونٍ من البدع . . . فهذا من مجازفات الشَّعْدِي" (٣)

والمتتبع لكثير من الرواة الذين نسبوا إلى التشيع يجد أن الجوزجاني يبالي في جرحهم ويتعنت في ذلك أشد التعنت ، ومن خير من بين تعنته وتشدده الحافظ ابن حجر فـسـ مواطن عديدة من "هدي الساري"

قال الحافظ ابن حجر: "الجوزجاني كان ناصباً منحرفاً عن علي فهو ضد الشيعي المنحرف عن عثمان ، والصواب مولاتهما جميعاً ، لا ينبغي أن يسمع قول مبتدع في مبتدع" (٤)

وقال أيضاً : "والجوزجاني غالٍ في النصب" (٥)

وقال أيضاً : "وأما الجوزجاني فقد قلنا غير مرة أنَّ جرحه لا يقبل في أهل الكوفة لشدة

انحرافه ونصبه" (٦)

(١) تقريب التهذيب ١٥٦ (١١٨٤) . (٢) ميزان الاعتدال ١/٧٥-٧٦

(٣) سير ١٠/٥٨٤ . (٤) هدي الساري ص ٣٩٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٤٠٦ . (٦) المرجع السابق ص ٤٤٦ .

(٧) والمسألة تحتاج إلى مزيد من التأنى والبحث ، فالجوزجاني لما فيه من النصب يرى التشيع مذهباً سيئاً ، وبدعة وضلالة وزيفاً عن الحق ، فيطلق على المتشيعين ما يقتضيه اعتقاده ، وقد بين قاعدته في مقدمة كتابه ص ٣٢ فقال : "ومنهم زائغ عن الحق ، صدوق اللهجة ، قد جرى في الناس حديثه ، لكنه مخذول في بدعته ، مأمون في روايته ، فهو لا يعرف فيهم هيلة إلا أن يؤخذ من حديثهم ما يعرف إذا لم يقو به بدعته فيتهم بذلك" . وابن حجر نفسه قد استحسّن قوله هذا في "النزهة" .

وقال ابن حبان : " كان حريزي المذهب ، ولم يكن بداعية إليه ، وكان صلباً في السنة ، حافظاً للحديث ، إلا أنه من صلابته ربما كان يتعدى طوره ( ١ ) انتهى .  
وقد نُسب جماعة إلى النصب ونفى الذهبي صحة ذلك ، ومن هؤلاء ميمون بن مهران الجعزي .

قال الذهبي في ترجمته : " قال أحمد العجلي والنسائي : ميمون ثقة . زاد أحمد : كان يحمل على علي رضي الله عنه .  
قلت : لم يثبت عنه حمل ، إنما كان يفضل عثمان عليه ، وهذا حق " ( ٢ ) انتهى

### ثالثاً - الخوارج

قال الإمام الشهرستاني في " الملل والنحل " : " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة في كل زمان " ( ٣ )  
وقال الامام الذهبي : " من تعرض للإمام علي بذم فهو ناصبي يعزّر ، فإن كفر فهو خارجي مارق " ( ٤ )

وقال أيضاً : " الخوارج كلاب النار ، وشر قتلى تحت أديم السماء " ( ٥ ) لأنهم مرقوا من الاسلام ، ثم لا تدري مصيرهم إلى ماذا ، ولا تحكم عليهم بخلود النار ، بل نقف " ( ٦ )

- ( ١ ) الشقات ٨ / ٨٢ - ٨١ ، وحريزي نسبة إلى حريز بن عثمان المعروف بالنصب وانظر ص ٢٥٧ .  
( ٢ ) سير ٥ / ٧٧٠ .  
( ٣ ) الملل والنحل ١ / ١١٤ .  
( ٤ ) سير ٧ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .  
( ٥ ) قوله : " الخوارج كلاب النار " قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ / ٣٥٥ ، وابنه عبد الله في السنة ٢ / ٦٣٥ ( ١٥١٣ ) ، وأبو نعيم في الحلية ٥ / ٥٦ ، وابن ماجه في سننه ١ / ٦١ ( ١٧٣ ) ، وابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٤٣٨ ( ٩٠٤ ) ، وابن صاعد في مسند عبد الله بن أبي أوفى ص ١٣٤ ( ٣٩ ) و ( ٤٠ ) جميعهم من طريق إسحاق الأزرق ، ثنا الأعشى عن عبد الله بن أوفى . وللحديث طريق آخر عن ابن أبي أوفى رواه الحاكم في المستدرک ٣ / ٥٧١ ، وله شاهد من حديث أبي أمامة أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ( ١١٣٦ ) ، وأحمد ٥ / ٢٥٣ ، والترمذی ( ٤٠٨٦ ) ففي تفسير سورة آل عمران ، وابن ماجه ١ / ٦٢ في المقدمة . وفيه قوله : " شر قتلى تحت ظل السماء " . والحديث بمجموع طرقه صحيح .  
( ٦ ) سير ١ / ٦٣٠

وقال أيضاً: " فالخوارج كلاب النار ، قد مَرَقُوا من الدين ، ومع هذا فلا نقطع لهم  
بخلود النار كما نقطع لعبدة الأصنام والأوثان " ( ١ )

وقال الحافظ ابن حجر في " هدي السارى " : " والخوارج الذين أنكروا على عليّ التحكيم  
وتبرأوا منه ومن عثمان وذريته ، وقتلوه ، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم " ( ٢ )  
وقال الحافظ ابن حجر في " التلخيص الحبير " ( ٣ ) :

وأما الخوارج فكانوا أولاً من رؤس أصحاب عليّ وكانوا من  
أشدّ الناس نكراً على عثمان ، بل الغالب أنهم ما كانوا يعتقدون أن قتله كان ظلماً ، ولم  
يزالوا مع عليّ في حروبه في الجمل وصفين إلى أن وقع التحكيم ، وذلك أن أهل صفين لما  
كادوا أن يغلبوا أشار عليهم بعضهم برفع المصاحف ، والدعاء إلى التحكيم ، فنهاهم عليّ  
عن إجابتهم إلى ذلك ، فقال لهم : أنا على حق ، فأبى أكثرهم ، فأجابهم عليّ لتحقيقه  
أن الحق بيده ، فحصل من اختلاف الحكّمين ما أوجب رجوع أهل الشام مع معاوية ، ورجوع  
أهل العراق مع عليّ بعد التحكيم ، فأنكرت الخوارج التحكيم وقالوا : لا حكم إلا لله ، وحكموا  
بكفر عليّ وجميع من أجاب إلى التحكيم ، إلا من تاب ورجع ، وقالوا لعليّ : أقرّ على نفسك  
بالكفر ، ثم تب ، ونحن نطأوك ، فأبى فخرجوا عليه وقتلهم ، وهذا أمر مشهور عنهم ،  
مصرّح به في التواريخ الثابتة ، والعلل والنحل ، وقد استوفى أخبارهم وما كانوا يعتقدون  
أبو العباس المبرّد في كامله وغيره ( ٤ ) وصف في أخبارهم محمد بن قدامة الجوهري كتاباً

( ١ ) سير ٢٨/٣ وانظر ما يتعلق بتكفير أهل البدع والاهواء ما سبق بيانه ص ٢١٨-٢٢٣ .

( ٢ ) هدي السارى ص ٤٥٩ -

( ٣ ) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لابن حجر ، كتاب الامامة وقتال  
البغاة ٤/٤٥ - ٤٦ .

( ٤ ) انظر : الكامل للمبرّد ٣/١٨٠-٢٧٦ ، والعلل والنحل للشهرستاني ١/١١٤ - ١٢٨ .

حافلاً ، وقتت عليه في نسخة كُتِبَتْ عنه ، وتاريخها سنة أربعين ومئتين ، وهو أقدم خطٍ وقتت عليه .

ولم يمتد الخوارج قط أن علياً أخطأ قبل التحكيم ، كما أنهم من جملة ما اعتقدوا من الاعتقادات الفاسدة ، أن عثمان كان مصيئاً ست سنين من خلافته ، ثم كفر بزعمهم أعاده الله من ذلك ... (١)

وقال الشهرستاني : " اعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة من كان معه في حرب صفين ، وقالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف وكان من أمر الحكمين : أن الخوارج حملوه على التحكيم أولاً ، وكان يريد أن يبعث عبد الله ابن عباس رضي الله عنه ، فما رضي الخوارج بذلك ، وقالوا : هو منك ، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله تعالى . فجرى الأمر على خلاف ما رضي به .

فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا : لم حكمت الرجال ؟ لا حكم إلا لله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان . وكبار الفرق منهم : المحكمة (٢) ، والأزارقة (٣) ، والنجدات (٤) والبيهسية (٥) .

(١) التلخيص الحبير ٤/٤٥ - ٤٦ .

(٢) المحكمة الأولى : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه واجتمعوا

بحروراء من ناحية الكوفة كما في الملل والنحل ١/١١٥ .

(٣) الأزارقة : أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز ،

فغلبوا عليها في أيام ابن الزبير كما في الملل والنحل ١/١١٨ - ١٢٢ .

(٤) النجدات : أصحاب نجدة بن عامر الحنفي المقتول سنة ٦٩ ، ويقال لهم : المازنية لأنهم

عذروا بالجهالات في أحكام الفروع . وانظر الملل والنحل ١/١٢٢ - ١٢٥ وتاريخ الإسلام

٣/٨٨ ، ولسان الميزان ٦/٤٨٨ ،

(٥) البيهسية : أصحاب أبي البيهس السهمي بن جابر المقتول سنة (٩٤) وانظر الملل والنحل

١/١٢٥ - ١٢٧ ، والفرق بين الفرق ص ٦٥ .

والعجاردة (١) ، والشمالبة (٢) ، والإباضية (٣) ، والصُّفَرِيَّة (٤) ، والباقون فروعهم .

ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك . ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً وواجباً (٥)

والخوارج أهل شجاعة وعادة ويعد عن الكذب ، ولذلك قبل العلماء روايتهم .

قال الذهبيُّ في " الميزان " في ترجمة علي بن هاشم بن البريد الشيعي : " وَلُغْلُوهُ تَسْرِكُ الْبَخَارِيُّ إِخْرَاجَ حَدِيثِهِ ، فَإِنَّهُ يَتَجَنَّبُ الرَّافِضَةَ كَثِيراً كَأَنَّهُ يَخَافُ مِنْ تَدْيِنِهِمْ بِالتَّقِيَّةِ وَلَا نَرَاهُ يَتَجَنَّبُ الْقَدْرِيَّةَ وَلَا الْخَوَارِجَ وَلَا الْجَهْمِيَّةَ ، فَإِنَّهُمْ عَلَى بَدْعِهِمْ يَلْزَمُونَ الصِّدْقَ (٦) "

وقال الذهبيُّ في " المنتقى من منهاج الاعتدال " : " ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى - المعروف عند مصنفها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف ، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم أصدق الناس ، حتى قيل : إن حديثهم من أصح الحديث (٧) . "

وقال ابن تيمية في منهاج السنة : " الخوارج أصدق من الرافضة وأدب وأورع ، بل الخوارج - لا نعرف عنهم أنهم يتعمدون الكذب ، بل هم أصدق الناس (٨) "

( ١ ) العجاردة : أصحاب عبد الكريم بن عجرد ، وانظر أخبارهم واعتقاداتهم في الملل والنحل

١٢٨/١ - ١٣١ ومقالات الإسلاميين ٩٥/١

( ٢ ) الشمالبة : أصحاب ثعلبة بن عامر ، وانظر الملل والنحل ١٣١/١٠ - ١٣٤ .

( ٣ ) الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباح وانظر الملل والنحل ١٣٤/١ - ١٣٦ ، ومقالات -

الإسلاميين ١٠٢/١ - ١٠٣ ، وانظر ترجمة عبد الله بن إباح في كتاب الأعلام للزركلي

ففيها ما يستفاد .

( ٤ ) الصُّفَرِيَّة : أصحاب زياد بن الأصغر ، وانظر الملل والنحل ١٣٧/١ ، ومقالات الإسلاميين

١٨٢/١ - ١٨٣ ، والفرق بين الفرق ص ٧٠ .

( ٥ ) الملل والنحل ١١٤/١ - ١١٥ .

( ٦ ) الميزان ١٦٠/٣ .

( ٧ ) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٢ - ٢٣ .

( ٨ ) منهاج السنة ١٠/٤ .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في " هدي الساري " <sup>(١)</sup> من نسب إلى رأي الخواج مَن روى له البخاري فبلغوا ثلاثة وهم :

١ - عكرمة مولى ابن عباس .

٢ - عمران بن حطان .

٣ - الوليد بن كثير المدني .

وذكر السيوطي في " التدريب " <sup>(٢)</sup> من روى بهذه البدعة من روى له في الصحيحين فذكر الثلاثة السابق ذكرهم ، وقد اشترك مسلم مع البخاري في الرواية عن عكرمة والوليد ، وانفرد البخاري بعمران بن حطان .

وأسوق الآن أسماء من وقفت عليه في " سير النبلاء " من الخواج وموقف أئمة النقد من الرواية عنهم :

١ - عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي البصري : من أعيان العلماء ، لكنه من رؤوس-

الخواج . قال أبو داود : ليس في أهل الاهواء أصح حديثاً من الخواج ، ثم ذكر عمران بن حطان ، وأبا حسان الأعرج <sup>(٣)</sup>

وقال الذهبي في " الميزان " : " البصري الخارجي ، لا يتابع على حديثه ، قاله العقيلي ، قال : وكان خارجياً . وقال العجلي : تابعي ثقة " <sup>(٤)</sup>

وقال الحافظ في " هدي الساري " : " عمران بن حطان السدوسي الشاعر المشهور ، كان يرى رأي الخواج . قال أبو العباس المبرد : كان عمران رأس القعدية من الصُفوية وخطيبهم وشاعرهم . انتهى . والقعدية قوم من الخواج كانوا يقولون بقولهم ولا يرون الخروج بل يزئنون وكان عمران داعية إلى مذهبه ، وهو الذي رثى عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي عليه السلام بتلك الأبيات السائرة ، وقد وثقه العجلي ، وقال قتادة : كان لا يهتم في الحديث . وقال أبو داود :

( ١ ) هدي الساري ص ٤٦٠ .

( ٢ ) تدريب الراوي ٣٢٩/١ .

( ٣ ) سير ٢١٤/٤ .

( ٤ ) ميزان الاعتدال ٢٣٥/٣ - ٢٣٦ .

ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران هذا وغيره .

قلت : لم يخرج له البخاري سوى حديث واحد من رواية يحيى بن أبي كثير عنه . قال :

سألت عائشة عن الحرير . فقالت ائمت ابن عباس فسأله ، فقال : ائمت ابن عمر فسأله ، فقال : حدثني

أبو حفص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق

له في الآخرة " <sup>(١)</sup> انتهى وهذا الحديث إنما أخرجه البخاري في المتابعات ، فللحديث

عنده طرق غير هذه من رواية عمر وغيره . . . . .

وقال الحافظ في " الفتح " <sup>(٢)</sup> كان رئيس الخوارج من القعدية وشاعرهم ، أخرج له البخاري

على قاعدته في تخريج أحاديث البتدع إذا كان صادق اللهجة متدينًا . قيل : إن عمران تاب

من بدعته وهو بعيد ، وقيل : إن يحيى بن أبي كثير حمله عنه قبل أن يتدع ، فإنه كان تزوج امرأة

من أقاربه تمتد رأياً الخوارج لينقلها عن معتقدها فنقلته هي إلى معتقدها . وليس له فـسـى

البخاري سوى هذا الموضع وهو متبعة ، وآخر في باب نقض الصور <sup>(٤)</sup>

وقال الحافظ في النكت : " وأما روايات البتدع إذا كانوا صادقين ففي الصحيحين عن

خلق كثير من ذلك لكنهم من غير الدعاة ولا الغلاة ، وأكثر ما يخرجون من هذا القسم في غير

الاحكام .

نعم ، وقد أخرجنا لبعض الدعاة الغلاة كعمران بن حطان ، وعباد بن يعقوب ، وغيرهما

إلا أنهما لم يخرجنا لأحد منهم إلا ما تـوـجـعـ عليه <sup>(٥)</sup>

( ١ ) انظر : صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب لبس الحرير وقد ما يجوز منه ٢٨٥ / ١٠ ( ٥٨٣٥ )

( ٢ ) هدى الساري ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

( ٣ ) فتح الباري ٢٩٠ / ١٠ .

( ٤ ) انظر : كتاب اللباس ، باب نقض الصور ٢٨٥ / ١٠ ( ٥٩٥٢ ) .

( ٥ ) النكت على ابن الصلاح ٣٧٠ / ١ .

٢ - عكرمة ، مولى ابن عباس <sup>(١)</sup> : " العلامة ، الحافظ المفتر ، أبو عبد الله القرشي مولا هم ، المدني ، البهرى الأصل .

وقد نقموا على هذا العالم أخلاقاً وآراءً . . قال ابن كهيعة : كان يحدث برأى نجدة الحرورى ، وأتاه ، وأقام عنده ستة أشهر ، ثم أتى ابن عباس فسلم ، فقال ابن عباس : قد جاء الخبيث .

وعن أبي الأسود - محمد بن عبد الرحمن بن عروة - قال : كنت أول من سبب لعكرمة الخروج الى المغرب ، وذلك أني قدمت من مصر الى المدينة ، فلقيني عكرمة ، وسألني عن أهل المغرب ، فأخبرته بخفتهم ، قال : فخرج إليهم ، كان أول ما أحدث فيهم رأى الصفرية .

قال يحيى بن بكير : قدم عكرمة مصر ونزل هذه الدار ، وخرج الى المغرب ، فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا .

قال علي بن المدينى : كان عكرمة يرى رأى نجدة الحرورى .  
وقال أحمد بن زهير : سمعت يحيى بن معين يقول : إنما لم يذكر مالك عكرمة - يعسني في " الموطأ " - قال : لأن عكرمة كان ينتحل رأى الصفرية .  
وقال الحافظ ابن عدى في " كماله " : وعكرمة لم أخرج هنا من حديثه شيئاً ، لأن الثقات إذا روي عنه ، فهو مستقيم الحديث ، إلا أن يروى عنه ضعيف ، فيكون قد أتى من قبل الضعيف لامن قبله ، ولم يمتنع الأئمة من الرواية عنه ، وأصحاب الصحاح أدخلوا أحاديثه إذا روى عنه ثقة في صاحبهم ، وهو أشهر من أن أحتاج أن أخرج له شيئاً من حديثه ، وهو لأبأس به .  
قلت : ما علمت مسلماً أخرج له سوى حديث واحد ، لكنه مقرون بآخر ، فروى لابن جرير عن أبي الزبير عن عكرمة ، وطاووس عن ابن عباس في حج ضباعة <sup>(٢)</sup> .

فالذين أهدروه كبار ، والذين احتجوا به كبار ، والله أعلم بالصواب ، انتهى  
وقال الذهبي في " الميزان " : " تكلم فيه لرأية لالحفظه ، فاتهم برأى الخوارج ، وقد

( ١ ) سير ١٢/٥ - ٣٤ .

( ٢ ) أخرجه مسلم في صحيحه ( ١٢٠٨ ) في الحج ، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بمعذر

المرض ونحوه .

وثقة جماعة واعتمده البخاري ، وأما مسلم فتجنبه وروى له قليلاً مقروناً بغيره (١)

وقال في "المعني" : "عكرمة مولى ابن عباس ، من أوعية العلم ، تكلموا فيه لرأيه لا لحفظه اتهم برأي الخوارج وثقة غير واحد ، وكذبه مجاهد وابن سيرين ومالك ، فإله أعلم . واعتمده البخاري ، وأما مسلم فروى له مقروناً بآخر (٢)

وأفضل من بحث في حال عكرمة وأفاض في الحديث عنه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "هدي الساري" (٣) بين أن مدار الطعن فيه على ثلاثة أشياء : على رميّه بالكذب ، وعلى الطعن فيه بأنه كان يرى رأي الخوارج ، وعلى القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأمراء . والذي يخص بحثنا ما طعن فيه ببدعة الخوارج ، فقد قال الحافظ ابن حجر :

"فأما البدعة ، فإن ثبتت عنه فلا تضر حديثه لأنه لم يكن داعيةً مع أنها لم تثبت عليه ، وأما ذم مالك فقد بين سببه وأنه لأجل ما روي به من القول ببدعة الخوارج ، وقد جزم بذلك أبو حاتم . قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن عكرمة فقال : ثقة . قلت : يحتج بحديثه ؟ قال : نعم ، إذا روى عنه الثقات ، والذي أنكر عليه مالك إنما هو بسبب رأيه . على أنه لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك ، وإنما كان يوافق في بعض المسائل فنسبوه إليهم .

وقد برأه أحمد المجلي من ذلك فقال في كتاب "الثقات" له : عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما ، مكي ، تابعي ، ثقة ، بري ، يما يرميه الناس به من الحرورية" (٤)

(١) الميزان ٩٣/٣ - ٩٦

(٢) المعني ٢/٢ (٤١٦٩) .

(٣) هدي الساري ص ٤٢٥ - ٤٣٠ وقال في أول الترجمة ص ٤٢٥ : "وقد تعقب جماعة من الأئمة ذلك - أي تضعيفه وتركه - وصنفوا في الذب عن عكرمة ، منهم : أبو جعفر بسن جرير الطبري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وأبو عبد الله بن منده ، وأبو حاتم بن حبان ، وأبو عمر بن عبد البر ، وغيرهم" وقال في آخر الترجمة ص ٤٣٠ : "وقد أطلنا القول في هذه الترجمة ، وإنما أردنا بذلك جمع ما تفرق من كلام الأئمة في شأنه ، والجواب عما قيل فيه والاعتذار للبخاري في الاحتجاج بحديثه ، وقد وضع صحة رفته في ذلك ، والله أعلم" انتهى

(٤) الثقات ص ٣٣٩ طبعة دار الكتب العلمية .

وقال ابن جرير : " لو كان كلُّ من ادعى عليه مذهبٌ من المذاهب الرديَّة ثبت عليه ما ادعى به وسقطت عدالته ومطلت شهادته بذلك ، للزم ترك أكثر محدثي الامصار ، لأنه ما منهم إلا وقد نسبوه قوم إلى ما يرغب به عنه " (١)

وقال أبو عمر بن عبد البر : كان عكرمة من جِلَّة العلماء ولا يقدر فيه كلام من تكلم فيه لأنه لا حجة مع أحد تكلم فيه "

وقال الحافظ ابن حجر أضاف " التقريب " : " عكرمة ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس ، أصله بربري ، ثقة ثبت عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا ثبت عنه بدعة ، مات سنة أربع ومئة . . " ( ١ )

وقد نقل الحافظ توثيقه عن ابن معين والنسائي وأبي حاتم والمجلي ، واحتج به أحمد وابن راهويه ، وكثير من الأئمة حتى قال فيه البخاري : ليس أحد من أصحابنا إلا احتج بعكرمة . ( ٢ )

وقال الحافظ الزيلعي في " نصب الراية " : " احتج البخاري بروايته في مواضع من كتابه قال البيهقي : هو عند أكثر الأئمة من الثقات الأثبات . وقال ابن القطان : وما قيل فيه ، فشيء لا يلتفت إليه ، ولا يخرِّج أهل العلم عليه " ( ٣ )

٣ - الوليد بن كثير المخزومي : قال الذهبي في ترجمته " قال أبو داود : ثقة إلا أنه إباحي ، وقال سفيان بن عيينه : كان صدوقا . وقال محمد بن سعد : ليس بهذا . . " ( ٤ )  
وقال في " الميزان " : " ثقة صدوق ، حديثه في الصحاح . . " ( ٥ )

وقال الحافظ ابن حجر في " هدي الساري " ( ٦ ) : " الوليد بن كثير المخزومي ، أبو محمد

( ١ ) التقريب ٣٩٢ ( ٤٦٢٣ ) .

( ٢ ) هدي الساري ص ٤٢٩ .

( ٣ ) نصب الراية ٤١٦ / ٢ و ٣٤٣ / ٣ ، ٣٦٩ .

( ٤ ) سير ٦٤ / ٧ .

( ٥ ) الميزان ٣٤٥ / ٤ .

( ٦ ) ص ٤٥٠ .

المدنى ، نزيل الكوفة ، وثقه ابراهيم بن سعد وابن معين وأبو داود . وقال ابن سعد :  
ليس بذاك ، وقال الساجى : كان ثقة ثبتاً يحتج بحديثه لم يضعفه أحد ، إنما عابوا عليه  
الرأى . وقال الآجرى عن أبي داود : ثقة إلا أنه إباحى .

قلت : الإباضية فرقة من الخوارج ، ليست مقاتلتهم شديدة الفحش ، ولم يكن الوليد  
داعية ، والله أعلم "

وقال في " التقريب " : " صدوق ، عارف بالمغازى ، روى برأى الخوارج . . . (١) "

وقال الزيلعي في " نصب الراية " : " ثقة ، ثبت أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي . وقال  
المندرى : احتج به الشيخان (٢) "

٤ - عمران بن دَوار العبَّي البصري القطان ، قال الذهبي في ترجمته : " قال يزيد بن  
زريع : كان عمران القطان حرورياً يرى السيف . وقال أحمد بن حنبل : أرجو أن يكون صالح  
الحديث . وقال ابن عدى : يكتب حديثه . وقال النسائي : ضعيف الحديث . وقال أبو داود :  
ضعيف ، أففى في أيام خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى شديدة ، فيها سفك الدماء  
وروى عنه عفان وثقه .

وقال ابن معين : ليس بشئ ، كان يرى الخروج ، ولم يكن داعية .

قلت : خرجوا له في السنن الأربعة (٣) "

وقال الحافظ في " التقريب " : " صدوق يهم روى برأى الخوارج . . . (٤) "

وقد ذكر أئمة الجرح والتعديل بعض الرواة الذين يميلون إلى رأي الخوارج بالتكفير  
أو الخروج بالسيف وترك الجمعة خلف أئمة الجور . . ولكن هؤلاء كثير منهم شيعية أو قدسية  
وأذكر منهم :

( ١ ) التقريب ٥٨٣ ( ٧٤٥٢ )

( ٢ ) نصب الراية ١٠٧/١ ، ٣٤٠ ، ٣٠٢/٤

( ٣ ) سير ٢٨٠/٧ وقال في المغني ٤٧٨/٢ صدوق ضعفه يحيى والنسائي .

( ٤ ) التقريب ٤٢٩ ( ٥١٥٤ )

( ٥ ) قال الذهبي في ترجمة ابن أبي ذئب ١٤٣/٧ : " إنما يرى السيف على من أخطأ فليس

اجتهاده الحرورية " . وقال في ترجمة عبد الرحمن منده ٣٥٤/١٨ : " كان فيه خارجية "

انتهى . وقال في ترجمة الإمام أحمد ٢١٢/١١ : أعاننا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع .

- ١ - عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان المُنْسيّ الدمشقي : قال الذهبي في ترجمته : " قلت : كان فيه خارجية كتب إليه الأوزاعي في موعظة طويلة ، تدل على أنه لا يرى جمعة خلف ولاية الجور كذهب الخوارج ولم يكن بالكفر ، ولا هو بالحجة ، بل صالح الحديث " وثقه دحيم ، وأبو حاتم . وقال صالح جزرة : قدري صدوق " . ( ١ )
- وقال الذهبي في " المصنف " : " صدوق ، رُمي بالقدْر ، وقال أحمد : لم يكن بالقوى " ( ٢ )
- وقال الحافظ في " التقريب " : " صدوق يخطئ ، ورُمي بالقدْر ، وتغيّر بأخْرة . . " ( ٣ )
- وقال في " الفتح " : " مختلف في توثيقه " ( ٤ )
- ولم ينسب إليه بدعة الخوارج مع ثبوتها عنه <sup>كما</sup> في ترجمته في " سير أعلام النبلاء " .
- ٢ - محمد بن راشد المكحولى الدمشقي : قال الذهبي في ترجمته : " وثقه الإمام أحمد . وقال أبو حاتم : صدوق ، وقال النسائي وغيره : ليس بالقوى . قال الجوزجاني : يستعمل على غير بدعة ، وكان متحرراً للصدق .
- وعن أبي مُشهر : كان يرى السيف ، فلم أكتب عنه " ( ٥ ) وقد ذكر في ترجمته رَميه بالتشيع والقدْر أيضاً .
- وقال الحافظ في " التقريب " : " صدوق يهيم ، ورُمي بالقدْر " ( ٦ )
- ٣ - الحسن بن صالح بن حي الكوفي الغفقي المأبد ، قال الذهبي في ترجمته : " قلت : هو من أئمة الاسلام ، لولا تلَبُّسه ببدعة . . وهو صحيح الحديث . قلت : كان يترك الجمعة ، ولا يراها خلف أئمة الجور بزعمه .
- محمد بن غيلان ، عن أبي نُعيم : قال : ذكر الحسن بن صالح عند الثوري . فقال : ذاك

( ١ ) سير ٣١٤/٧ .

( ٢ ) المصنف ٥٣٢/١ ( ٣٥٣٧ ) .

( ٣ ) التقريب ٣٣٧ ( ٣٨٢٠ ) .

( ٤ ) فتح الباري ٩٨/٦ . وانظر : نصب الراية ١/١٨٥ .

( ٥ ) سير ٣٤٤/٧ .

( ٦ ) التقريب ٤٧٨ ( ٥٨٧٥ ) .

رجل يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال يوسف بن أشباط : كان الحسن ابن حي يرى السيف .

وقال الفلاس : سألت عبد الرحمن عن حديث الحسن بن صالح ، فأبى أن يحدثني به ، وقد كان يحدث عنه ثلاثة أحاديث ، ثم تركه .

عن أحمد بن حنبل ، قال وكيع : حدثنا الحسن . قيل : من الحسن ؟ قال : الحسن ابن صالح الذي لورأيته ذكرت سعيد بن حبيب ، أو شبّهته بسعيد بن حبيب .

قلت : بينهما قَدْر مشترك ، وهو العلم والمباداة والخروج على الظلمة تدنياً .

قال وكيع : حسن بن صالح عندي إمام . فقليل له : إنه لا يترحم على عثمان . فقال : أفترحم أنت على الحجاج ؟

قلت : لا بآرك الله في هذا المثال . ومراده : أنَّ ترك الترحم سكوت ، والساكت لا ينسب إليه قول ، . . .

قلت : كان يرى الحسن الخروج على أمراء زمانه لظلمهم وجورهم ، ولكن ما قاتل أبداً ، وكان لا يرى الجمعة خلف الفاسق " ( ١ )

والظاهر من ترجمته أنه يميل إلى رأي الخوارج بالخروج على أمراء الجور ، وترك صلاة الجمعة خلف أئمة الفسق . . كما أنه يفيض عثمان ، ويغض عثمان أمر يشترك فيه الخوارج والشيعة .

وهو بعد ذلك منسوب إلى التشيع ، ولا شيء يدل على تشيعه سوى ترك ترحمه على عثمان ، فإن دلَّ ترك الترحم على انتقاص بغض من عثمان فلا يدل ذلك على تشيع لأنه أيضاً عند الخوارج .

( ١ ) سير ٢ / ٣٦١ - ٣٧١ .

( ٢ ) قال الذهبي في المغني ( ١٤١٥ ) : " ثقة ابن معين وغيره ، وتكلم فيه لتشييعه " . وقال الخافظ في التقریب ( ١٢٥٠ ) : " ثقة ، فقيه ، عابد ، زُني بالتشيع " . وقد استعرضت ترجمته في تهذيب الكمال ٦ / ١٨١ - ١٩١ فلم أرفيها ما يدل على تشيعه ولا على نصبه حاشاء ، بل على رأيين يوافق بهما الخوارج ، والله أعلم .

وقد بيّن الحافظ ابن حجر في " التهذيب " المراد من قول أئمة الجرح والتعديل فيه : أنه يرى السيف ويترك الجمعة .

قال الحافظ ابن حجر : " وقولهم : كان يرى السيف ، يعني كان يرى الخروج على أئمة الجور ، وهذا مذهب للسلف قديم ، لكن استقرّ الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه ، ففي وقعة الحرّة ووقعة ابن الأشعث ، وغيرهما عظة لمن تدبّر ، ومثل هذا الرأي لا يقدح في رجل قد ثبتت عدالته واشتهر بالحفظ والإتقان والورع التام ، والحسَن مع ذلك لم يخرج على أحد .

وأما ترك الجمعة ففي جملة رأيه ذلك أن لا يصلح خلف فاسق ، ولا يصحّ ولاية الإمام الفاسق ، فهذا ما يعتذريه عن الحسن ، وإن كان الصواب خلافه فهو إمام مجتهد " ( ١ )  
وقال الأستاذ بشار معروف في تعليقه على تهذيب الكمال :

" تبيّن ما تقدم أنّ جُلَّ ما أخذ عليه رويته جواز الخروج على أمراء زمانه لظلمهم وجورهم على أنه ما قاتل أبداً ، وأنه ما كان يرى الجمعة خلف الفاسق ، وهو كلام فيه ما فيه من الطعن عليه بغير حق ، وقد وثقه جهاينة الفن " ( ٢ )

وهؤلاء الرواة الثلاثة الذين ذكرتهم لا يمكن عدّهم من الخوارج باعتبار بفضهم أو تكفيرهم لسيدنا علي رضي الله عنه ، ومنهم من نُسب إلى التشيع ، بل باعتبار اعتناقهم بعض آراء الخوارج بالخروج على أئمة الجور وحمل السيف على المخالفين ، وترك الجمعة والله أعلم .

( ١ ) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٨٨ .

( ٢ ) تهذيب الكمال ٦ / ٩١ الحاشية .

رابعاً - الإرجاء

الإرجاء لغة: من أرجأ الأمر أي أخره، والمرجئة اسم فاعل، وفي الاصطلاح: قال ابن قتيبة: " وإِنما سموا بذلك لأنهم زعموا أَنَّ الإيمان قولٌ وأرجأُ العمل " (٢).  
وقال أبو موسى المديني: " المرجئة فرقة من المسلمين يعتقدون أنه لا يضر مع الكفر طاعة، سموا مرجئة لاعتقادهم أَنَّ الله عز وجل أرجأ تعذيبهم على المغاضي أي أخره عنهم " (٣).

وقال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤): " والإرجاء على معنيين: أحدهما التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ (٥)، أي أمهله وأخره.  
والثاني: إعطاء الرجاء.

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد.

وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا يضر مع الكفر طاعة.

وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار. فعلى هذا المرجئة والوعيدة: فرقان متقابلتان.  
وقيل، الإرجاء: تأخير علي رضي الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة، فعلى هذا المرجئة والشيمة فرقان متقابلتان " انتهى.

قال الحافظ الذهبي في ترجمة العالم القدوة الحافظ الصادق عبد المجيد بن عبد العزيز ابن رواد، وكان من المرجئة: (٦) " وقد كان على الإرجاء كثير من علماء الأمة، فهلاً عهد مذهباً

(١) المصباح المنير ص ٢٢٢. (٢) غريب الحديث ١ / ٢٥٣. (٣) المجموع المفهيم ١ / ٢٤٤.

(٤) الملل والنحل ١ / ١٣٩.

(٥) من سورة الشعراء: ٣٦.

(٦) سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٣٦. وقال الحافظ الذهبي في ترجمة (ميمون بن مهران) فس: سير أعلام النبلاء ٥ / ٧٣: «أنه خاصمة رجل في الإرجاء، فبينما هما على ذلك إذ سمعا امرأة تغني، فقال ميمون: أين إيمان هذه من إيمان مريم بنت عمران، فانصرف الرجل ولم يرد عليه» انتهى وفي ترجمة (طاووس) في سير النبلاء ٥ / ٤٤: " قال طاووس: عجبت

وهو قولهم :

أنا مؤمن حقاً عند الله الساعة ، مع اعترافهم بأنهم لا يدرون بما يموت عليه المسلم من كفر أو إيمان ، وهذه قوله خفيفة . وإنما الصعب من قول غلاة المرجئة : إن الإيمان هو الاعتقاد بالآئدة ، وأن تارك الصلاة والزكاة وشارب الخمر وقاتل النفس والزاني وجميع هؤلاء يكونون مؤمنين كاملين الإيمان ، ولا يدخلون النار ، ولا يعذبون أبداً ، فردوا أحاديث الشفاعة المتواترة وجسروا كل فاسق وقاطع طريق على الميقات ، نعوذ بالله من الفتن .

وقال الحافظ ابن حجر في " هدي الساري " (١) : فالإرجاء بمعنى التأخير ، وهو عندهم على قسمين : منهم من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين اللتين تقاتلوا بعد عثمان ، ومنهم من أراد تأخير القول في الحكم على من أتى الكبائر وترك الفرائض بالنار ، لأن الإيمان عندهم الإقرار والاعتقاد ، ولا يضر (ترك) العمل مع ذلك .

قال العلامة الشيخ طاهر أحمد التهانوي رحمه الله في " قواعد في علوم الحديث " (٢) بعد نقله كلام الحافظ المذكور : " ولا يخفى أن الإرجاء بالمعنى الأول ليس من الضلالة في شيء بل هو - والله - الورع والاحتياط ، والركوت عما جرى في الصحابة وشجر بينهم أولي ، فليس كل من أطلق عليه الإرجاء متبهماً في دينه ، وخارجاً عن السنة ، بل لابد من الفحص عن حاله . فإن كان أطلق عليه لإرجائه أمر الصحابة الذين تقاتلوا فيما بينهم إلى الله ، وتوقفه عن تصويب إحدى الطائفتين فهو من أهل السنة ، ومن حزب الله الورعين حتماً .

وان أطلق عليه الإرجاء لقوله بعدم إضرار المعاصي فهو الذي يُتَّهم في دينه " والمعنى الثاني هو الذي ذهب إليه الحافظ الذهبي واعتبره من قول غلاة المرجئة كما سبق النقل عنه .

وأول من قال بالإرجاء ، بالمعنى الأول المشروع ، هو التابعي الجليل : أبو محمد ، الحسن

ابن محمد بن علي بن أبي طالب ، المتوفى سنة (٩٥) .

= لإخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمناً . قلت : يشير إلى المرجئة منهم ، الذين يقولون : هو مؤمن كامل الإيمان مع عصفه وسفكه الدماء وسب الصحابة انتهى

( ١ ) هدي الساري ص ٤٥٩

( ٢ ) قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٣

( ٣ ) على تفسير ابن حجر لا على تفسير الذهبي رحمه الله تعالى .

قال الحافظ الذهبي في " تاريخ الإسلام " <sup>(١)</sup> : " قلت : الإرجاء الذي تكلم به ، معناه أنه يُرجأ أمر عثمان وعلي إلى الله تعالى ، فيفعل فيهم ما يشاء ، ولقد رأيت أخبار الحسن بن محمد ، في " مسند علي رضي الله عنه " ليعقوب بن شيبة ، فأورد في ذلك كتابه في الإرجاء ، وهو نحو ورقتين ، فيها أشياء حسنة ، وذلك أن الخوارج تولت الشيخين ، ورثت من عثمان وعلي ، فعارضتهم السبائية - أي أتباع عبد الله بن سبأ - فبرئت من أبي بكر وعمر وعثمان ، وتولت علياً فأفرطت فيه ، وقالت المرجئة الأولى : نتولى الشيخين ، وترجى عثمان وعلياً فلا نتولاهما ولا نترأ منهما " قلت : وهذا النوع من الإرجاء خطأ ، وإن تكلم به الحسن بن محمد فهو غير مشروع ، ويجب تولي عثمان وعلي رضي الله عنهما .

وساق الحافظ الذهبي كلمات من رسالة الحسن بن محمد بن الحنفية ، وكذلك ساق بعضها الحافظ ابن حجر في " تهذيب التهذيب " <sup>(٢)</sup> وهي بتمامها في كتاب " الايمان " <sup>(٣)</sup> للحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر المدني المتوفى سنة (٢٤١) .

وسا جا فيها : " أما بعد ، فإننا نوصيكم بتقوى الله ، ونحثكم على أمره ، ونرضى لكم طاعته ونسخط لكم معصيته . . . . .

إلى أن قال : ونضيف ولا يتنازل إلى الله ورسوله ، ونرضى من أئمتنا بأبي بكر وعمر أن يُطسعا ونسخط أن يعصيا ، وترجى أهل الفرقة ، فإن أبا بكر وعمر لم تقتل فيهما الأمة ، ولم تختلف فيهما ، ولم يُشك في أمرهما ، وإنما الإرجاء فيمن غاب عن الرجال ، ولم يشهد .

فمن غاب علينا الإرجاء من الأمة ، وقال : متى كان الإرجاء ؟ قلنا : كان على عهد موسى نبي الله ، إذ قال له فرعون : ما بال القرون الأولى ؟ قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى . سورة طه : ٥٢ .

( ١ ) تاريخ الاسلام ٣ : ٣٥٨ وانظر : سير اعلام النبلاء ٤ / ١٣٠ - ١٣١ . وقال الحافظ الذهبي في ترجمة ( قتادة ) في سير اعلام النبلاء ٥ / ٢٧٥ : " قال قتادة : إنما يحدث هذا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث " انتهى

( ٢ ) انظر : تهذيب التهذيب ٢ / ٣٢١ - ٣٢٣ .

( ٣ ) انظر : كتاب الايمان لابن أبي عمر المدني ، ص ١٤٥ - ١٤٩ .

( ٤ ) يعني لا يوالي عثمان وعلياً ، ويترك أمرهما إلى الله ، وهذا يقتضي القطع بموالاتهم ، وأين تذهب الأحاديث ببيارتهم في الجنة ؟

ومن نعادي فيهم شبيهة متمنية ، ظهروا بكتاب الله وأعلنوا الفرية . . . اتخذوا أهـل بيت من العرب إماماً ، وقلدوهم دينهم ، يوالون على حبهم ، ويفارقون على بغضهم . . . . . وذكر الرسالة بطولها (١)

(٢)  
قال الحافظ ابن حجر في " تهذيب التهذيب " في ترجمة الحسن بن محمد المذكور : قلت : المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعنيه أهل السنة ، المتعلق بالآيمان ، وذلك أني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور ، أخرجه ابن أبي عمير العدني في كتاب " الآيمان " له ، في آخره .

ومعنى الذي تكلم فيه الحسن : أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتلتين في الفتنة بكونه مخطئاً أو مصيئاً ، وكان يرى أنه يُرجأ الأمر فيهما ، وأما الإرجاء الذي يتعلق بالآيمان فلم يصرح عليه ، فلا يلحقه بذلك عاب ، والله أعلم (٣)

وقد نسب للإرجاء عدد كبير من الأئمة الهداة الجهابذة ، ولو تركوا لضاع الكثير من السنن والآثار ، لذلك نبه العلماء وحققوا في نسبة هؤلاء الأئمة ، ويثبتون أن الإرجاء على قسمين : إرجاء غير مذموم ، وإرجاء يذمي مذموم .

قال العلامة اللكنوي : (٤) " قد يظن من لاعلم له ، حين يرى في ميزان الاعتدال " و " تهذيب الكمال " و " تهذيب التهذيب " و " تقريب التهذيب " وغيرها من كتب الفن في حق كثير من الرواة الطمأن بالإرجاء على أئمة النقد الأثبات ، حيث يقولون : رُمي بالإرجاء ، أو كان مرجئاً ، أو نحو ذلك من عباراتهم - كونهم خارجين من أهل السنة والجماعة ، داخلين في فرق الضلالة

(١) انظر الرسالة بتمامها في كتاب الآيمان للعدني ص ١٤٥ - ١٤٩ ووقع في المطبوعة تصحيقات صححتها .

(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٢١ .

(٣) لكن هذا المعنى الذي نسبته ابن حجر إلى الحسن بن محمد لا يحتله كلامه الذي سقتبه آنفاً . وتعريف الإرجاء الأول هو الذي ذكرته عن الذهبي ، وهو المعروف عند الأقدمين . كما قال ابن سعد في ترجمة محارب بن دثار : كان من المرجئة الأولى الذين يرجئون علياً وعثمان إلى أمر الله لا يشهدون عليهما بآيمان ولا بكفر .

(٤) الرفع والتكميل ص ٣٥٢ - ٣٧٠ .

مجروحين بالبدعة الاعتقادية ، معدودين من الفرق المرجئة الضالة . ومنشأ ظنهم : غفلتهم عن أحد قسبي الإرجاء ، وسرعة انتقال ذهنهم إلى الإرجاء الذي هو ضلال عند العلماء .

ثم قال بعد كلام في بيان معنى الإرجاء وإطلاقاته على معنى مشروع ومعنى منسوخ : " وخلاصة المرام في هذا المقام أنَّ الإرجاء قد يطلق : على أهل السنة والجماعة من مخالفيهم المعتزلة الزاعمين بالخلود الناري لصاحب الكبرية ، وقد يُطلق على الأئمة القائلين بأن الأعمال ليست بداخله في الإيمان ، وعدم الزيادة فيه والنقصان ، وهو مذهب أبي حنيفة وأتباعه من جانب المحدثين القائلين بالزيادة والنقصان ، ويدخل الأعمال في الإيمان .

وهذا النزاع وإن كان لفظياً كما حققه المحققون من الأولين والآخرين ، لكنه لما طال وآل الأمر إلى بسط كلام الفريقين من المتقدمين والمتأخرين ، أدى ذلك إلى أن أطلقوا الإرجاء على مخالفيهم وشننوا بذلك عليهم ، وهوليس يطعن في الحقيقة على مالا يخفى على مهتمة الشريعة .

وإذا انتقش هذا كله على صحيفة خاطرك ، فاعرف أنه لا تنبغي العبادرة نظراً إلى قبول أحد من أئمة النقد وإن كان من أجلة المحدثين في حق أحد من الراويين : إنه من المرجئين بإطلاق القول بكونه من فرق الضلالة ، وجرحه بالبدعة الاعتقادية ، بل الواجب التنقيح ، والحكم بما ظهر بالوجه الرجح .

ويشهد لما ذكرنا ما في " لسان الميزان " <sup>(١)</sup> لابن حجر المصقلاني في ترجمة محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة : " نقل ابن عدي عن إسحاق بن راهوية ، سمعت يحيى بن آدم يقول : كان شريك لا يجيز شهادة المرجئة ، فشهد عنده محمد بن الحسن فرددَّ شهادته : فقليل له في ذلك ؟ فقال : أنا لا أجيز شهادة من يقول : الصلاة ليست من الإيمان " انتهى فإن هذا صريح في أنه إنما أطلق على ( محمد ) الإرجاء ، لكونه لا يرى الصلاة جزءاً من حقيقة الإيمان ، ومن المعلوم أنَّ هذا ليس بضلال وطفيان .

وكذا قول الذهبي في " الميزان " <sup>(٢)</sup> في ترجمة سَعْر بن كدام : " ولا عبرة بقول السليمانبي :

( ١ ) لسان الميزان ١٢١ / ٥

( ٢ ) ميزان الاعتدال ٩٩ / ٤

كان من المرجئة : مسعر ، وحماد بن أبي سليمان ، والنعمان ، وعمر بن مرة ،  
وعبد العزيز بن أبي رواد ، وأبو معاوية ، وعمر بن ذر ، وسرر جماعة .

قلت : الإرجاء مذهب لعدة من أجلة العلماء ولا ينبغي التحامل على قائله " انتهى"  
والذى عليه جمهور السلف أن الأعمال داخلية في الإيمان . قال البغوي <sup>(١)</sup> : اتفقت  
الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان . . . .  
وقال العلامة المعلي : " ومعيار الإيمان القلبي العمل ، ولهذا كان السلف  
يقولون : " الإيمان قول وعمل " ولا يذكرون الاعتقاد ، وكانت المرجئة تقول : الإيمان قول .  
وقال الله عز وجل : \* قالت الأعراب آمنا \* إلى قوله : \* إنما المؤمنون الذين (٢)  
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون \*  
وقال تعالى : ( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته  
زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ويسأون رزقناهم ينفقون ، أولئك هم  
المؤمنون حقاً ) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الإيمان  
بضع وسبعون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » . وفي رواية مسلم : « أعلاها لا آله إلا الله ،  
وأدناها إمطة الأذى عن الطريق » .

وفي تذكرة الحفاظ عن سفيان الثوري أنه قال : خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث :  
يقولون : الإيمان قول لا عمل ، ونقول : قول وعمل ، ويقولون : إنه لا يزيد وينقص ، ونقول :  
يزيد وينقص ، ونحن نقول : النفاق ، وهم يقولون لا نفاق ، انتهى <sup>(٤)</sup> .

(١) شرح السنة ١ / ٣٨ - ٣٩ .

(٢) سورة الحجرات : ١٤ / ١٥ .

(٣) سورة الانفال : ٢ - ٤ .

(٤) التكميل : ٣٧١ / ٢ - ٣٧٢ وانظر فيه لزماً ٢ : ٣٦٢ - ٣٧٨ .

وقد تكلم علماء السلف في بيان هذه المسألة في كتبهم ، ومن أوسع من حقق هذه  
المسألة الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه ( تعظيم قدر الصلاة ) حيث عقد  
باباً في ذكر الأخبار المفسرة بأن الإيمان والإسلام تصديق وخشوع بالقلب واللسان ،  
وعمل بسائر الجوارح . صفحة ص ٣٦٥ - ٨٧١ .

وقد بينَ الذهبي أنَّ الإرجاء الذي يطلقه كثير من أئمة الجرح والتعديل من البدع الخفيفة غير المؤثرة كما سبق نقله في ترجمة عبد العزيز بن أبي رَوَاد : " وهذه قولة خفيفة <sup>(١)</sup> وقال في الموقظة : " والخفة كالشيع والإرجاء <sup>(٢)</sup> "

ومع ذلك فقد بينَ أئمة النقد وجهابذة المحدثين هذه البدعة وشنعوا على أصحابها لمخالفتهم للنصوص الشرعية الصريحة في اعتبار العمل من الإيمان وزيادة الإيمان ونقصانه ، ولئلا يغترَّ الناس بقولهم فيحملهم ذلك على التهاون في العمل .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في " هدي الساري <sup>(٣)</sup> " من روى عنه البخاري مَن رُمي بالإرجاء فبلغوا أحد عشر رويًا ، وذكر السيوطي في " التدريب <sup>(٤)</sup> " من رُمي بالإرجاء من روي عنهم في الصحيحين أو أحدهما فبلغوا ثلاثة عشر رويًا بزيادة راضين عما ذكره ابن حجر وهذه أسماءهم كما ذكرهم السيوطي في " التدريب " وابن حجر في " الهدى " والتقريب :

- ١ - إبراهيم بن طهمان الخراساني : " ثقة يُفربُ تكلم فيه للإرجاء " ، ويقال : رجع عنه " خ م .
- ٢ - أيوب بن عائد الطائي : " ثقة رمي بالإرجاء " خ م .
- ٣ - نربن عبد الله الترهيني : " ثقة عابد ، رُمي بالإرجاء " خ م .
- ٤ - شبَّابة بن سَوَّار الدائني : " ثقة حافظ ، رُمي بالإرجاء " خ م .
- ٥ - عبد الحميد بن عبد الرحمن اليحمانى الكوفي : " صدوق يخطئ " ، ورُمي بالإرجاء خ م .
- ٦ - عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَاد : " صدوق يخطئ " ، وكان مرجئاً " م .
- ٧ - عثمان بن غياث البصري : " ثقة ، ورُمي بالإرجاء " خ م .
- ٨ - عمر بن دَرَّالهمداني الكوفي : " ثقة : رمي بالإرجاء " خ م .
- ٩ - عمرو بن مَرْة الكوفي : " ثقة عابد ، كان لا يدلُّس ، ورُمى بالارجاء " خ م .

( ١ ) سير ٤٣٦/٩ .

( ٢ ) الموقظة ص ٨٥ ، وقال الذهبي في ترجمة حماد بن أبي سليمان ٢٣١/٥ : " وكان مرجئاً إرجاء الفقهاء ، وهو أنهم لا يعدُّون الصلاة من الإيمان ويقولون : الإيمان إقرار باللسان ويقين في القلب ، والنزاع على هذا لفظي ان شاء الله .

( ٣ ) هدي الساري ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

( ٤ ) تدريب الراوي ٣٢٨/١ .

- ١٠ - محمد بن خازم ، أبو معاوية الضير الكوفي خ م .
- ١١ - ورقاء بن عمر التَّشْكُري الكوفي : " صدوق في حديثه عن منصورين " خ م . ولم ينسبه في التقريب إلى الإرجاء ؟
- ١٢ - يحيى بن صالح الوُحَاظي الحمصي : " صدوق من أهل الرأي " خ م . ولم ينسبه في التقريب إلى الإرجاء أيضا .
- ١٣ - يونس بن بكير بن واصل الشيباني الكوفي : " صدوق يخطئ " البخاري تعليقا .
- ومسلم . ولم ينسبه في التقريب إلى الإرجاء .
- فاشترك البخاري ومسلم بعشرة ، وانفرد البخاري بواحد ، ومسلم باثنين .
- وسأورد الآن بعض النماذج التطبيقية للرواة الذين رموا بالإرجاء وموقف الذهبي وأئمة الجرح والتعديل من رواياتهم .
- ١ - طَلْقُ بن حبيب العَنَزي : قال الذهبي في ترجمته : " بصري زاهد كبير ، من العلماء العاملين . قال أبو حاتم : طَلْقُ صدوق ، يرى الإرجاء . قال أبو زرعة : طَلْقُ سمع من ابن عباس ، وهو ثقة مرجئ ، مات قبل المئة (١) .
- قال الحافظ في التقريب : " بصري ، صدوق ، عابد ، رُمي بالإرجاء ، مات بعد التسعين (٢) .
- ٢ - عَوْنُ بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : " الإمام القدوة العابد ، أبو عبد الله الهذلي الكوفي .
- قال ابن سعد : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه راحلاً إليه عون بن عبد الله وموسى بن أبي كبير ، وعمر بن ذر ، فكلّموه في الإرجاء وناظره ، فزعموا أنه لم يخالفهم فشيء منه .

وقال الأصمعي : كان من آداب أهل المدينة وأفقههم ، كان مرجئاً ، ثم تركه (٣) .

وفي التقريب : " ثقة عابد ، مات قبل سنة عشرين ومئة (٤) .

(١) سير ٦٠٢/٤ - ٦٠٣ .

(٢) التقريب ٢٨٣ (٣٠٤٠) .

(٣) سير ١٠٣/٥ - ١٠٤ .

(٤) التقريب ٤٣٤ (٥٢٢٣) .

٣ - قيس بن مسلم : " الإمام المحدث أبو عمرو الجدلي الكوفي . وثقه أحمد وغيره ، قال  
أبو داود : كان مرجئاً <sup>(١)</sup>

وفي التقريب : " ثقة ، روي بالإرجاء ، مات سنة عشرين ( ومئة ) <sup>(٢)</sup>

٤ - عمرو بن مرة : " الإمام القدوة الحافظ أبو عبد الله المرادي الكوفي ، أحد الأئمة  
الأعلام . سئل أحمد بن حنبل عنه فزكاه ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : ثقة يروى  
الإرجاء .

عن مطيرة قال : لم يزل في الناس بقية حتى دخل عمرو بن مرة في الإرجاء ، فتهاافت  
الناس إليه .

مات عمرو سنة ست عشرة ومئة ، وقيل : مات سنة ثمانى عشرة <sup>(٣)</sup>

قال الحافظ في " هدى السارى " : " أحد الأثبات من صفار التابعين ، متفق على  
توثيقه ، إلا أن بعضهم تكلم فيه لأنه كان يرى الإرجاء <sup>(٤)</sup>

وقال في " الفتح " : " ثقة ، تابعي صغير ، لم يسمع من الصحابة إلا من ابن أبي أوفى  
وقال شعبه : كان لا يدل <sup>(٥)</sup>

وفي " التقريب " : " ثقة عابد ، كان لا يدل ، وروي بالإرجاء <sup>(٦)</sup>

٥ - محارب بن دثار الكوفي " الفقيه القاضي . قال ابن سعد : كان من المرجئة الأولى  
الذين يرجئون علياً وعثمان إلى أمر الله ولا يشهدون عليهما بإيمان ولا بكفر . وثقه أحمد بن  
حنبل ويحيى بن معين . توفي سنة ست عشرة ومئة <sup>(٧)</sup>

( ١ ) سير ١٦٤/٥ .

( ٢ ) التقريب ٤٥٨ ( ٥٥٨٩ ) .

( ٣ ) سير ١٩٨/٥ .

( ٤ ) هدى السارى ص ٤٣٢ . ( ٥ ) الفتح ٣/٣٦١ .

( ٦ ) تقريب ٤٢٦ ( ٥١١٢ ) .

( ٧ ) سير ٢١٨/٥ .

وقال الذهبي في "الميزان": "من ثقات التابعين وأخبارهم وعلمائهم، وثقة غير واحد... هو حجة مطلقاً" (١)

وجرح ابن سعد له بالإرجاء لا يعتمد به حيث قال: ولا يحتجون به، وأما تعريفه للإرجاء فهو المعتمد حيث قال: وكان المرجئة الأولى الذين كانوا يرجئون علياً وعثمان، ولا يشهدون عليهما بإيمان ولا كفر (٢).

قال الحافظ ابن حجر في "هدي الساري": "محارب بن دثار أحد الأئمة الأثبات، تابعي

جليل، وثقة أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي والمجلى وآخرون، وقال ابن سعد: — لا يحتجون به. قلت: بل احتج به الأئمة كلهم، وقال أبو زرعة: مأمون، ولكن ابن سعد يقلد الواقدي، والواقدي على طريقة أهل المدينة في الانحراف عن أهل العراق، فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله (٣)

وقال أيضاً في تمييز أسباب الطعن، فيمن ضعف بأمر مردود كالتحامل أو التعنّت... "محارب بن دثار: تكلم فيه ابن سعد بلا مستند (٤)

٦ - حماد بن أبي سليمان "الإمام فقيه العراق... تفقه بإبراهيم النخعي، وهو أنبل أصحابه وأفقههم، وأقيسهم وأبصرهم بالمناظرة والرأي... وليس هو بالمكثر من الرواية لأنه مات قبل أوان الرواية، وأكبر شيخ له هو أنس بن مالك فهو في عداد صفار التابعين... وكان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحشمة وتجمل

قال معمر: قلت لحماد: كنت رأساً، وكنت إماماً في أصحابك، فخالفتهم فصرت تابعياً

قال: إني أن أكون تابعياً في الحق خير من أن أكون رأساً في الباطل.

قلت: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئاً إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة

والزكاة من الإيمان.

ويقولون: الإيمان إقراراً باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي إن شاء الله

(١) الميزان ٣/٤٤١.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/٣٠٧.

(٣) هدي الساري ص ٤٤٣.

(٤) المصدر السابق ص ٤٦٣.

وانما غلّوا الإرجاء من قال : لا يضرب مع التوحيد تركه الفرائض، نسأل الله العافية .

وقال النسائي : ثقة مرجى

وحديثه في كتب السنن ، ما أخرجه البخاري ، وخرج له مسلم حديثاً واحداً مقروناً

بغيره ، ولا يلتفت إلى ما رواه أبو بكر بن عياش ، قال : حدثني حماد - وكان غير ثقة - ...

خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم : قال أتيت حماد بن أبي سليمان فقلت : ما هذا الرأي

الذي أحدثت لم يكن على عهد إبراهيم النخعي <sup>(١)</sup> فقال : لو كان حكماً لتأبني عليه . يعني الإرجاء <sup>(٢)</sup>

قال الذهبي في "الكاشف" : "ثقة امام مجتهد <sup>(٣)</sup>

ومن خلال كلام الامام الذهبي يظهر جلياً أنه إمام ثقة ، وأن ربه بالإرجاء لا يحط من

مرتبته لأن إرجاءه إرجاء الفقهاء ، وقد وثقه ابن شاهين ، والنسائي ، والمجلي ، وذكره

ابن حبان في الثقات <sup>(٤)</sup>

٧ - خالد بن مسلمة بن العاصي المخزومي الكوفي القأفا : "الإمام الفقيه" . . . . .

وقد روى عنه عمرو بن دينار مع تقدمه ، وثقه أحمد وابن معين ، وكان مرجئاً ينال من عيسى

رضي الله عنه .

قُتل في أواخر سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، وهو من عجائب الزمان كوفي ناصبي ، ويندر

أن تجد كوفياً إلا وهو يتشيع <sup>(٥)</sup>

(١) قال الذهبي في ترجمة إبراهيم النخعي في سير النبلاء ٥٢٣/٤ : وجاء ذم الإرجاء

من وجهه عنه ، وكان يقول : لأننا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم

من الأزارقة انتهت . وواضح أن كلامه في ذم الإرجاء المنوع بدليل مقابلته برأي الخوارج .

(٢) سير ٢٣١/٥ - ٢٣٦

(٣) الكاشف ٨٨/١ (١٢٣٠) .

(٤) انظر : أسماء الثقات لابن شاهين ص ٦٦ (٢٤٠) ، وتاريخ الثقات للمجلي ١٣١ (٣٣١) ،

والثقات لابن حبان ١٦٠/٤ .

(٥) سير ٣٧٣/٥ - ٣٧٤ . وقال الحافظ في التقریب : أصله مدني .

قال الحافظ في "التقريب": "صدق زعمي بالإرجاء والتَّصَبُّ، قُتِلَ سنة اثنتين وثلاثين بواسطَ لَمَّا زالت دولة بني أمية" (١)

٨ - عبد الكريم بن أبي المخارق البصري: "ضعيف الحديث، مؤدَّب يروي عن أنس، ومجاهد، وسعيد بن جبلة كان يرى الإرجاء مع تعبد وخشوع. قال النسائي والدارقطني: متروك. وقال أحمد: ضربت على حديثه.

وقال ابن عبد البر: اغترَّ مالك ببكائه في المسجد، وروى عنه في الفضائل (٢)  
قال الحافظ في "التقريب": "ضعيف" (٣)

وقال الزيلعي في "نصب الراية": "قال الدارقطني: متروك، وقال ابن عدي: ضعيف  
وقال أحمد ويحيى: ليس بشيء" (٤)

وقال أيضاً: "قال الشيخ: لا نعلم أنَّ مالكاً حدَّث عن أحد يترك حديثه إلا عبد الكريم" (٥)  
وقال: ضعفه ابن عدي عن جماعة. وقال ابن حزم: ساقط (٦)

والظاهر من كلام أئمة الجرح والتعديل أن ضعفه بسبب حفظه وضبطه، ولا علاقة لإرجائه في ذلك مطلقاً.

٩ - حُصِفَ بن عبد الرحمن الحراني: "الإمام الفقيه... وثقة يحيى بن معين، وقال النسائي: صالح. وقال أحمد بن حنبل: ليس بحجة. وقال أبو زرعة: هو ثقة. وعن جرير: كان متمكناً في الإرجاء. وقال أحمد: ليس بقوي، تكلم في الإرجاء.  
قلت: حديثه يرتقي إلى الحسن (٧)

(١) التقريب ١٨٨ (١٦٤١).

(٢) سير ٨٣/٦.

(٣) التقريب (٤١٥٦) وانظر حاشية المحقق، وانظر: الفتح ٧/٢٩٠، ٨/٤٧٢٤، ٥٤٧/٩.

(٤) نصب الراية ٤٨/١ و ٣٢٥.

(٥) نصب الراية ٤٥٩/٢ والشيخ هو الإمام ابن دقيق العيد محمد بن علي بن وهب المتوفى

سنة (٧٠٢). (٦) نصب الراية ١٩٤/٤ و ٣٤٢.

(٧) سير ١٤٥/٦ - ١٤٦. وإنما ضعفه الإمام أحمد لسوء حفظه فقد قال فيه: كما في التهذيب ٣/١٤٣: ليس بحجة ولا قوي في الحديث، وقال: شديد الاضطراب. في السند، وقال أبو حاتم: صالح يخلط تكلم في سوء حفظه.

قال الحافظ في التقریب: " صدوق سيء الحفظ خلط بأخرة وروي بالإرجاء <sup>(١)</sup> وقال في الفتح: " ضعف <sup>(٢)</sup>

وقال الزيلعي في " نصب الراية " فيه مقال ، ضعفه غير واحد ، ومثله قال الشيخ فـسـي الإمام <sup>(٣)</sup>

وقال محققا الجزء السادس من سير أعلام النبلاء: " إن كان المراد من وصفه بالإرجاء وهو الذي يغلب على الظن - أنه لا يقول بزيادة الايمان ونقصانه ، ولا يقول بدخول العمل بحقيقة الايمان ومُسْتَأْه ، كما هو مذهب غير واحد من العلماء فلا يعدُّ قدحاً في حقه ، كما هو المنصوص عليه . . . لكن خصيفاً ضعيف لسوء حفظه وتخليطه في آخر عمره . . وهذا علّة الضعف فيه <sup>(٤)</sup> انتهى

١٠ - عمر بن ذر: " الإمام العابد ، أبو ذر الهمداني ، ثم المُرْهَبِي الكوفي ، قال يحيى ابن سعيد : هو ثقة ، ليس ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه . وقال يحيى بن معين: ثقة ، وكذا وثقه النسائي والدارقطني .

وقال أبو داود : كان رأساً في الإرجاء . وقال المجلي : كان ثقةً بليفاً يرى الإرجاء وقال أبو حاتم : صدوق مرجئ لا يحتج بحديثه هو مثل يونس بن أبي اسحاق وقال في موضع آخر: كان رجلاً صالحاً ، محلّه الصدوق . وقال الفسوي : ثقة مرجئ .

قال علي بن المديني : قلت ليحيى القطان : إن عبد الرحمن قال : أنا أترك من أهل الحديث كل رأس في بدعه ، فضحك يحيى وقال : كيف تصنع بقتادة ؟ كيف تصنع بعمر بن ذر ؟ كيف تصنع بآبن أبي رواد ؟ وعدَّ يحيى قوماً أمسكت عن ذكرهم . ثم قال يحيى : إن تُرك هذا الضرب يُترك حديثاً كثيراً <sup>(٥)</sup>

وكلام يحيى القطان في غاية الإنصاف والسداد مع ما اشتهر عن يحيى من تعنتٍ وتشدد .

( ١ ) التقریب ١٩٣ ( ١٧١٨ ) .

( ٢ ) فتح الباری ٦ / ٤٩٢ .

( ٣ ) نصب الراية ٣ / ٢١ .

( ٤ ) هاشم سير النبلاء ٦ / ١٤٥ .

( ٥ ) سير ٦ / ٣٨٥ - ٣٨٨ .

١١ شَمْرَبْن كدام الكوفي : " شيخ العراق ، من أسنان شعبة . . قال يحيى بن سعيد :  
مارأيت أحداً أثبت من شَمْرَبْن . وقال أحمد : الثقة كشعبة وشَمْرَبْن . وقال وكيع : شكَّ شَمْرَبْن  
كيقين غيره .

قال محمد بن سعد : كان لسمر أمّ عابدة ، فكان يخدمها ، وكان مرجئاً ، فمات . فلم  
يشهده سفيان الثوري والحسن بن صالح (١)

قال الذهبي في " الميزان " : " أما سمر بن كدام فحجة إمام ، ولا عبرة بقول السليمانسي :  
كان من المرجئة ، سمر وحماد بن أبي سليمان ، والنعمان ، وعروب بن مرة ، وعبد العزيز  
ابن أبي رَوَاد ، وأبو معاوية ، وعمر بن ذر . . . وسرد جماعة ، قلت : الإرجاء مذهب لمادة  
من جلة العلماء لا ينبغي التحامل على قائله (٢)

وقال الحافظ ابن حجر في " التهذيب " : " قال شعبة : كنا نسمي سمر المصحف ، وقال  
إبراهيم بن سعيد الجوهري : كان يسمى الميزان (٣) وفي التقريب : " ثقة ثبت فاضل (٤) ولم  
يذكر نسبته إلى الإرجاء .

وعدم حضور الثوري جنازة سمر من شدته رحمه الله تعالى ، كما أنَّ الثوري لم يصل على  
عبد العزيز بن أبي رَوَاد ولم يشهد جنازته لأنه يرى الإرجاء (٥)

١٢ - عبد العزيز بن أبي رَوَاد : " شيخ الحرم ، أحد الأئمة المُبَاد . . . قلت : كان ابن  
أبي رَوَاد كثير الحاسن ، لكنه مرجئ (٦)

قال الحافظ الزيلعي : " قال ابن حبان : كان يحدث على التوهم . وقال صاحب " التنقيح  
وإن كان ابن حبان تكلم فيه ، فقد وثقه يحيى القطان ، وابن معين ، وأبو حاتم ، وغيرهم

(١) سير ١٦٣/٧ - ١٦٥ .

(٢) الميزان ٩٩/٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ١١٤/١٠ - ١١٥ .

(٤) التقريب ٥٢٨ ( ٦٦٠٥ ) .

(٥) انظر ذلك في ترجمته ١٨٦/٧ .

(٦) سير ١٨٦/٧ .

والمؤثّقون له أعرف من المضعّفين ، وقد أخرج له البخاري استشهاداً <sup>(١)</sup>

وقد قال الامام ابن حبان في عهد العزيز بن أبي رزّاد : " وكيف يكون التقي في نفسه من كان شديد الصلابة في الإرجاء كثير البفض لمن انتحل السنن <sup>(٢)</sup> وليس في كلام عبد العزيز بن أبي رزّاد ما يدل على بعضه لمنتحلي السنة ، وحاشاء من ذلك ، وابن أبي رزّاد من مرجئة السنة لما نقل في ترجمته من كثرة عبادته ونسكه رحمه الله .

١٣ - إبراهيم بن طهمان : " الإمام ، عالم خراسان ، أبو سعيد الهروي ، نزيل نيسابور ، ثم حرم الله تعالى .

وثقة ابن المبارك وأحمد وأبو حاتم وغيرهم . وقال أبو داود : ثقة . . . فقل أهل نيسابور من قول جهم إلى الإرجاء .

وقال صالح بن محمد جزرة : ثقة ، حسن الحديث ، يميل شيئاً إلى الإرجاء في الايمان .  
وقال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي : سمعت سفيان بن عيينة يقول : ما قدم علينا خراساني أفضل من أبي رجاء ، عبد الله بن واقد . قلت له : فإبراهيم بن طهمان ؟ قال : كان ذاك مرجئاً . ثم قال أبو الصلت : لم يكن إرجاءؤهم هذا المذهب الخبيث : أن الايمان قول بلا عمل ، وأن ترك العمل لا يضر بالايمان ، بل كان إرجاءؤهم أنهم يرجون لأهل الكبائر المغفرة ردّاً على الخوارج وغيرهم الذين يكفرون الناس بالذنوب <sup>(٣)</sup> .

وقال أبو حاتم : شيخان بخراسان مرجئان : أبو حمزة الشكري ، وإبراهيم بن طهمان ، وهما ثقتان \*

وقال الدارقطني وغيره : ثقة ، إنما تكلموا فيه للإرجاء .

وقال الجوزجاني : فاضل يرمى بالإرجاء <sup>(٤)</sup> .

وقال الذهبي في رسالته " الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردّهم " : " إبراهيم بن طهمان ثقة متقن من رجال الصحيحين وكان مرجئاً ، فهذا رجل عالم كبير بخراسان أخطأ في مسألة فكان

( ١ ) نصب الراية ٢ / ٤٢٢ .

( ٢ ) كتاب المجروحين ٢ / ١٣٦ - ١٣٧ .

( ٣ ) وهذا القول في رجاء المغفرة لأهل الكبائر والرد على الخوارج هو عين السنة .

( ٤ ) سير ٣ / ٣٧٨ - ٣٨٣ .

ماذا ؟ فما لمجرد الإرجاء يُضَعَّف حديث الثقة ويُهدر ، فقد كان من هو أكبر من إبراهيم مرجئاً \* (١)

وقال الحافظ ابن حجر في " هدي الماری " (٢) : " أحد الائمة وثقة ابن المبارك وابن معين والعجلي وابن راهويه والجمهور . . . تكلموا فيه للإرجاء ، وذكر الحاكم أنه رجع عن الإرجاء ، وأفرط ابن حزم فأطلق أنه ضعيف وهو مردود عليه . "

وقال الحافظ في " التلخيص الحبير " : " وإبراهيم بن طهمان ثقة من رجال الصحيحين ، فلا يلتفت الى تضعيف أبي محمد بن حزم له ، وإن من ضعفه من قبل الإرجاء ، كما حزم بذلك الدارقطني ، وقد قيل : إنه رجع عن الإرجاء \* (٣)

١٤ - أبو معاوية ، محمد بن خازم : " الإمام الحجة ، أبو معاوية السَّعْدِي الكوفي الضريع ، أحد الاعلام . . .

قال العجلي : كوفي ثقة ، يرى الإرجاء ، وكان لين القول فيه . وقال يعقوب بن شيبة : ثقة ، ربما دلَّس ، كان يرى الإرجاء ، فيقال : إن وكيعاً لم يحضر جنازته لذلك . وقال أبو داود : كان رئيس المرجئة بالكوفة . وقال ابن حبان : كان حافظاً متقناً ، ولكنه كان مرجئاً خبيثاً \* (٤)

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة حفص بن غياث : " قال ابن عمار : وكان بشر الحافي إذا جاء إلى حفص بن غياث ، وإلى أبي معاوية ، اعتزل ناحية ولا يسمع منهما . فقلت له ؟ فقال : حفص هو قاضي ، وأبو معاوية مرجئ يدعوا اليه ، وليس بيني وبينهم عمل \* (٥)

( ١ ) الرواة الثقات ص ٩ .

( ٢ ) ص ٣٨٨ ، وانظر : تهذيب التهذيب ١ / ٣١ وانظر كلام ابن حزم فيه في المحلى ١١ / ٣٠٣ .

( ٣ ) التلخيص الحبير ٣ / ٢٣٨ ، وانظر فتح الباري ٢ / ٣٨٠ و ٨ / ٦١٤ .

( ٤ ) سير ٩ / ٧٦ - ٧٧ .

( ٥ ) سير ٩ / ٢٦ .

وقال الحافظ في "التقريب" : "ثقة أحفظ الناس لحديث الأعشى وقد يهيم في حديث غيره . . وقد رُوي بإرجاء" (١)

١٥ - عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رزاد : "العالم القدوة الحافظ الصادق ، شيخ الحرم . . وكان من المرجئة ومع هذا فوثقه أحمد ويحيى بن معين . وقال أحمد : كان فيه غلو في الإرجاء ، يقول : هو لاء الشكك ، يريد قول العلماء : أنا مؤمن إن شاء الله . وقال أبوداود : كان عبد المجيد رأساً في الإرجاء . وقال يعقوب بن سفيان : كان مبتدعاً داعية . قال ابن عدي : عامة ما أنكر عليه الإرجاء .

وقال هارون بن عبد الله الحمال : ما رأيت أخشع لله من وكيع ، وكان عبد المجيد أخشع منه .

قلت : خشوع وكيع مع إمامته في السنة جعله مقدماً ، بخلاف خشوع هذا المرجئ - غا الله عنه - أعاننا الله وإياكم من مخالفة السنة ، وقد كان على الإرجاء عددٌ كثير من علماء الأمة ، وهو قولهم : أنا مؤمن حقاً عند الله الساعة ، مع اعترافهم بأنهم لا يدرون بما يموت عليه المسلم من كفر أو إيمان ، وهذه قوله خفيفة . . (٢)

وقال الذهبي في "الميزان" : "صدوق مرجئ كأبيه وثقه الإمام يحيى بن معين وغيره . . (٣)

وقال الحافظ ابن حجر في "التقريب" : "صدوق يخطئ" ، وكان مرجئاً ، أفرط ابن حبان فقال : متروك (٤)

ومن خلال هذه الدراسة الموجزة للرواة الذين نسبوا إلى الإرجاء نجد أن أكثرهم من

(١) التقريب ٤٧٥ (٥٨٤١) .

(٢) سير ٤٣٤/٩ - ٤٣٦ .

(٣) الميزان ٦٤٨/٢ - ٦٤٩ .

(٤) التقريب ٣٦١ (٤١٦٠) .

الثقات والصدوقين ، ومن ضَعَفَ منهم بسبب آخر يعود الى ضبطهم وحفظهم .  
وأُسْرِدُ الآن تنمة أسماء الرواة الذين نسبوا إلى الإرجاء مكتفياً بما يدل على ذلك من  
كتاب " سير أعلام النبلاء " .

- ١٦ - خارجة بن مصعب : " قال الجوزجاني : يُرمى بالإرجاء " ( ١ )  
١٧ - ورقاء بن عمر : " قيل : وكان مرجئاً ، وقال أبوداود في مسائله : ورقاء صاحب سنة ،  
إلا أن فيه إرجاء " ( ٢ )  
١٨ - يونس بن بكير : " الإمام الحافظ الصدوق ، صاحب المفازي والتخيرات ، روى عباس  
عن ابن معين : كان صدوقاً . وجاء عن ابن معين أيضاً : ثقة إلا أنه مرجئ " ( ٣ )  
١٩ - سعيد بن سالم القداح : " الإمام المحدث قال محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ :  
قد كتبت عنه ، وكان مرجئاً " ( ٤ )  
٢٠ - سلم بن سالم البلخي : " الزاهد القدوة ، قال ابن سعد : كان مرجئاً ضعيفاً .  
قال الخطيب : مذكور بالعبادة والزهد مرجئ " ( ٥ )  
٢١ - محمد بن شعيب بن شابور : " الإمام المحدث ، العالم الصادق ، أبو عبد الله  
الدمشقي . قال ابن معين : محمد بن شعيب كان مرجئاً ، وليس به بأس فسي  
الحديث . قلت : كان إماماً طليحاً للعلم " ( ٦ )  
٢٢ - شبابة بن سوار : " الإمام الحافظ الحجة ، وكان من كبار الأئمة إلا أنه مرجئ .  
وقال أبو زرعة : رجع شبابة عن الإرجاء . وقال أحمد : كان داعية إلى الإرجاء .  
وعن أحمد : تركته للإرجاء " ( ٧ )

( ١ ) سير ٣٢٧/٧

( ٢ ) سير ٤٢٠/٧ - ٤٢١

( ٣ ) سير ٢٤٦/٩ - ٢٤٧

( ٤ ) سير ٣١٩/٩

( ٥ ) سير ٣٢١/٩ - ٣٢٢

( ٦ ) سير ٣٧٨/٩

( ٧ ) سير ٥١٣/٩ - ٥١٤

٢٣ - يحيى بن صالح الوحاظي : "الإمام العالم الحافظ الفقيه . قال يحيى بن معين :

ثقة ، وقال أبو حاتم : صدوق ومن وثقه ابن عدي وابن حبان ، وغمره بمض الأئمة  
لبدعة فيه ، لا لعدم إتقان .

قلت : قد كان ينكر الإرجاء . وقال إسحاق الكوسج : حدثنا الوحاظي ، وكان مرجئاً  
داعياً دعوة<sup>(١)</sup> .

٢٤ - عبد الحميد بن عبد الرحمن الجتاني : "كان من علماء الحديث ، وثقه يحيى بن  
معين . وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال أبو داود : كان داعيةً إلى الإرجاء<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ومن خلال تتبع الرواة الذين رموا بالإرجاء، وذكرهم الذهبي في "سير النبلاء" تبين لسي  
أنهم جميعاً ليسوا من مرجئة البدعة والضلالة ، بل من مرجئة الفقهاء ، والظاهر - والله  
أعلم - أن إطلاق وصف الإرجاء في كتب الجرح والتعديل يراد به هذا النوع من  
الارجاء<sup>(٣)</sup> ، بخلاف إطلاقه في كتب العقائد والفرق .

---

(١) سير ١٠٤ / هدف

(١) سير ١٠ / ٤٥٣ - ٤٥٦

(٢) سير ١٠ / ٥٤٠ - ٥٤١

(٣) وهذا النوع من الإرجاء بدعة لأنه إن كان بمعنى عدم الترضي لمن دخل في الفتنة  
فهذا ليس من السنة ، وإن كان بمعنى عدم دخول الأعمال في الإيمان فهو أيضاً  
ليس من السنة .

## خامساً - القدر

قال الحافظ ابن حجر : والقدر مصدر تقول : قَدَرْتُ الشيء بتخفيف الدال وفتحها أَقْدَرُهُ بالكسر والفتح قَدْرًا وَقَدْرًا ، إذا أَحْطَ بِمَقْدَارِهِ .

والمراد : أَنَّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجـد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته <sup>(١)</sup> . وهذا هو معنى القدر الذي يجب الإيمان به وعليه كان السلف إلى أن حدثت بدعة القدر وآخر زمن الصحابة والقدريه قسمان :

١ - الفلاة الذين قالوا : لا قدر والأمر أنفد أي لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه - وهذه البدعة مركبة من أمرين : إنكار علم الله تعالى بالأمور قبل وقوعها ، والقول بأنَّ الإنسان هو الذي يوجد إرادة نفسه من غير إرادة الله أو علمه به . قال النووي عن هذا الرأي : " وهذا القول قول غلاتهم ، وليس قول جميع القدريه وكما ذهب قائله وضلَّ وافترى " <sup>(٢)</sup>

٢ - والقسم الثاني هم الذين قالوا : إِنَّ الشرف فعل العبد وحده وليس من الله ، وهذا المذهب هو الذي نُسب إليه جماعة من أئمة الحديث .

قال الحافظ ابن حجر مبيناً بدعة القدر الذي وُصِفَ به جمع ممن له رواية في صحيح البخاري : " والقدريه من يزعم أَنَّ الشرف فعل العبد وحده <sup>(٣)</sup> وكذلك قال السيوطي : " وهو زعم أن الشر من خلق العبد <sup>(٤)</sup> "

وللامام النووي رحمه الله كلام نفيس في هذا البحث أنقله بطوله لما فيه من فوائد ، قال رحمه الله في " شرح صحيح مسلم <sup>(٥)</sup> :

(١) فتح الباري ١/ ١١٨ وانظر فيه ١١/ ٤٧٨ . وانظر كتاب الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٣٦٤ - ٣٧٠

(٢) شرح مسلم ، للنووي ١/ ١٥٦ .

(٣) هدي الساري ٤٥٩ . وقال الخطابي كما في شرح مسلم للنووي ١/ ١٥٤ : والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعاً ، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته ، فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً ، وإلى الفاعلين لها من عباده فعلاً واكتساباً انتهى .

(٤) تدريب الراوي ١/ ٣٢٩ .

(٥) شرح صحيح مسلم ١/ ١٥٤ .

« اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه : أن الله تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القدم ، وعلمها سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدّر لها سبحانه وتعالى .  
 وأنكرت القدرية هذا ، وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدّر لها ، ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها ، وأنها مستأنفة العلم ، أي : إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها ! وكذبوا على الله سبحانه وتعالى ، وجلّ عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً . وسميت هذه الفرقة "قدرية" لأنكارهم القدر .

قال أصحاب المقالات من المتكلمين : وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه ، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ، ولكن يقولون : الخير من الله ، والشر من غيره ! تعالى الله عن قولهم .

وقد حكى أبو محمد ابن قتيبة في كتابه "غريب الحديث" ، وأبو المعالي - إمام الحرمين - في كتابه "الإرشاد في أصول الدين "

أن بعض القدرية قال : لسنا بقدرية ، بل أنتم القدرية ، لا اعتقادكم إثبات القدر ! قال ابن قتيبة والإمام - أي الجويني - : هذا تمويه من هؤلاء الجهلة وبها تهة وتوايح ، فإن أهل الحق يفوضون أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى ، ويضيفون القدر والأفعال إلى الله سبحانه ، وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ، ومدّعي الشيء لنفسه ومضيفه اليه : أولى بأن ينسب إليه ، ممن يمتدّعه لغيره وينقيه عن نفسه .

ثم قال النووي : قلت : وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف ، على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى . وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه ، ومن أحسن المصنفات فيه وأكثرها فوائد : كتاب الحافظ الفقيه أبي بكر البيهقي <sup>(١)</sup> رضي الله عنه " انتهى .

( ١ ) ومن أفرد به بالتصنيف قبل البيهقي : الإمام عبد الله بن وهب ، وكتابه مطبوع بتحقيق أستاذنا الدكتور عبد العزيز العثيمين ، وكذلك أفرد الإمام أبو داود صاحب "السنن =

ولا يتسع المجال للخوض في أقوال القدرية وخرقهم ، وإنما اكتفيت بهذا التعريف الموجز  
الكاشف ، ومن أراد التفصيل فيجده في مكانه في كتب الفرق والمعائد .  
والذي نقصده في هذا البحث معرفة حكم رواية المتهم ببدعه القدر ، وتطبيق العلماء  
لذلك من خلال النماذج العملية .

فقد بين الذهبي أنَّ عدداً كبيراً من الرواة الثقات نسبوا إلى القدر ، فقال في ترجمة  
عبد الله بن أبي نجيج : " وقد رأى القدر جماعة من الثقات وأخطوا وسأل الله العفو " (١)  
وقال في ترجمة عبد الحميد بن جعفر : " قلت : قد لطم بالقدر جماعة ، وحد يثهم فسي  
" الصحيحين " أو أحدهما ، لأنهم موصوفون بالصدق والإتقان " (٢)  
وقال ابن تيمية : " في هؤلاء يعني القدرية - خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم .  
وأخرج البخاري وسلم لجماعة منهم ، وقال الإمام أحمد : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا  
أكثر أهل البصرة . قال ابن تيمية : " وهذا لأنَّ مسألة خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات  
مسألة مشككة " (٣)

مدعة القدر أشد من الإرجاء ، لذلك قال الذهبي : " وهو - أي الإرجاء - خير من القدر  
بكثير " (٤)

وقال ابن رجب الحنبلي : " قال أحمد في رواية أبي داود : احتملوا من المرجئة ، ويكتب  
عن القدري إذا لم يكن داعية " (٥)

= وجعفر الغريابي ، وكتابه محقق لتبيل الماجستير من قبل الطالب جمال الذهبي في جامعة  
الإمام محمد بن سعود ، كما أدخل الأئمة أحاديث القدر في كتبهم المبوبة ، وفي الصحيحين  
وسنن الترمذي كتاب القدر ، وفي كتب المعائد أبواب مفردة ، وانظر " شرح أصول اعتقاد  
أهل السنة والجماعة " لأبي القاسم اللالكائي ٥٣٤/٢ - ٦٢٤ .

( ١ ) سير ١٢٦/٦

( ٢ ) سير ٢١/٧

( ٣ ) الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٣٦٩ .

( ٤ ) الميزان ٣٥١/٣

( ٥ ) شرح العلل ٥٦/١

وكما انتشر التشيع والرفض في الكوفة، كذلك انتشر القول بالقدر في البصرة.  
قال الحافظ الذهبي في ترجمة بكر بن عبد الله المزني البصري: "وقال عبد الله بن بكر: أخبرني أختي . قالت: كان أبوك قد جعل على نفسه أن لا يسمع رجلين يتنازعان في القدر إلا قام فصلى ركعتين .

قلت: هذا يدل على أن البصرة كانت تغلي في ذلك الوقت بالقدر، ولا فلو جعل الفقيه اليوم على نفسه ذلك لأشك أن يبقى السنة والسنتين لا يسمع متنازعين في القدر وله الحمد، ولا يتظاهر أحد بالشام ومصر بإنكار القدر<sup>(١)</sup>  
وقال الذهبي أيضاً: "البصرة عش القدر"<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر الحافظ ابن حجر من روى بالقدر من روى لهم البخاري في صحيحه فبلغوا ثمانية وعشرين رجلاً<sup>(٣)</sup>، كما ذكر السيوطي في "التدريب"<sup>(٤)</sup> من روى بالقدر في الصحيحين فبلغوا ثلاثين رجلاً، وهذه أسماؤهم كما في "الهدى" و"التدريب" مقارناً بالتقريب:

- ١ - ثور بن زيد المدني ( خ م ) ولم ينسبه في التقريب إلى القدر .
- ٢ - ثور بن زيد الحمصي ( خ م ) .
- ٣ - حسان بن عطية المحاريب الدمشقي ( خ م ) . ولم ينسبه في التقريب إلى القدر .
- ٤ - الحسن بن ذكوان البصري ( خ ) .
- ٥ - داود بن الحُصَيْن المدني ( خ م ) . ونسبه في التقريب إلى رأي الخوارج لا القدرية .
- ٦ - زكريا بن إسحاق المكي ( خ م ) .
- ٧ - سالم بن عجلان الأفطس الحراني ( خ ) . ونسبه في التقريب إلى الإرجاء .
- ٨ - سلام بن مسكين البصري ( خ م ) .
- ٩ - سيف بن سليمان المكي ( خ م ) .

(١) سير ٥٣٣/٤

(٢) السيزان ٩١/٣

(٣) انظر: هدى الساري ٤٥٩ - ٤٦٠

(٤) تدريب الراوي ٣٢٨/١ - ٣٢٩ ولم يذكر السيوطي قتادة، وإنما ذكره الحافظ ابن حجر .

- ١٠ - شَيْهَلُ بْنُ عَجَّادٍ الْمَكِّي ( خ )
- ١١ - شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَيْرٍ الْمَدَنِي ( خ ، م ) ولم ينسبه في "التقريب" إلى القدر .
- ١٢ - صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ الْمَدَنِي ( خ ، م ) لم ينسبه في "التقريب" إلى القدر أيضاً .
- ١٣ - عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُثَنَّى ( خ ، م ) .
- ١٤ - عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي كَبِيدٍ الْمَدَنِي ( خ ، م ) .
- ١٥ - عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ الْمَكِّي ( خ ، م ) .
- ١٦ - عَبْدِ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْبَصْرِي ( خ ، م ) ولم ينسبه في "التقريب" إلى القدر .
- ١٧ - عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَدَنِي ( بخ ، م ) .
- ١٨ - عَبْدِ الْوَاوِثِ بْنِ سَعِيدٍ الْبَصْرِي ( خ ، م ) وقال في "التقريب" : رُمِيَ بالقدر ، ولم يثبت عنه .
- ١٩ - عَطَاءُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ الْبَصْرِي ( خ ، م ) .
- ٢٠ - الْعَلَاءُ بْنُ الْحَارِثِ الدَّمَشَقِيُّ ( م ) .
- ٢١ - عَرَبُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ الْهَمْدَانِيُّ الْكُوفِيُّ ( خ ، م ) .
- ٢٢ - عِرَانُ بْنُ مَسْلَمٍ الْقَصِيرُ الْبَصْرِي ( خ ، م ) ولم ينسبه في "التقريب" إلى القدر .
- ٢٣ - عَمِيرُ بْنُ هَانِئٍ الدَّمَشَقِيُّ ( خ ، م ) ولم ينسبه في "التقريب" إلى القدر أيضاً .
- ٢٤ - عَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ الْأَعْرَابِيِّ الْبَصْرِي ( خ ، م ) .
- ٢٥ - قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيِّ الْبَصْرِي ( خ ، م ) ولم ينسبه في "التقريب" إلى القدر أيضاً .
- ٢٦ - كَهْمَسُ بْنُ الْيَنْهَالَ السَّدُوسِيِّ الْبَصْرِي ( خ ) .
- ٢٧ - مُحَمَّدُ بْنُ سَكْوَةَ الْبَصْرِي ( خ ، م ) .
- ٢٨ - هَارُونُ بْنُ مُوسَى الْأَعْمَرُ الْبَصْرِي ( خ ، م ) .
- ٢٩ - هِشَامُ الدَّشْتَوَائِيُّ الْبَصْرِي ( خ ، م ) .
- ٣٠ - وَهْبُ بْنُ مِنْهَ الْيَمَانِيِّ ( خ ، م ) .
- ٣١ - يَحْيَى بْنُ حَزْزَةَ الْحَضْرَمِيِّ الدَّمَشَقِيِّ ( خ ، م ) .

فاشترك البخاري ومسلم في الرواية عن خمسة وعشرين راوياً ، وانفرد البخاري بأربعة ،  
ومسلم باثنين .

وقد رُمي ببدعة القدر عددٌ من الأئمة ، ولم يثبت ذلك عليهم ، أو أنهم رجعوا وتابوا  
وقد نفى الذهبي شتوت هذه البدعة عن كثير من الأئمة في كتابه "سير أعلام النبلاء" .

١ - ومن هؤلاء الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى سيّد أهل زمانه علماً وعلاً  
قال الذهبي في ترجمته <sup>(١)</sup> "عن أبيب ، قل : كذب على الحسن ضربان من الناس : قوم  
القدر رأيتهم لينفقوا في الناس بالحسن ، وقوم في صدورهم شنانٌ وغلظ للحسن . وأنا  
نزلتُ غير مرة في القدر حتى خُفّت بالسلطان ، فقال : لأعود فيه بعد اليوم . فلا أطم  
أخداً يستطيع أن يعيب الحسن إلا به ، وقد أدركت الحسن - والله - ما يقوله .

وقال سليمان التيمي : رجع الحسن عن قوله في القدر ، وعن حميد : سمعت الحسن  
يقول : خلق الله الشيطان ، وخلق الخير ، وخلق الشر ، فقال رجل : قاتلهم الله ، يكذبون  
على هذا الشيخ .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكم فسي  
الخصوص ، حتى نسبت القدر إلى الجبر ، وتكلم في الاكتساب حتى نسبت السنة إلى القدر ،  
كل ذلك لافتنائه وتفاوت الناس عنده ، وتفاوتهم في الأخذ عنه ، وهو بريء من القدر ومن كل  
بدعة .

قلت : وقد مرّ إثبات الحسن للأقدار من غير وجهٍ عنه سوى حكاية أبيب عنه ، فلمها  
هفوة منه ورجع عنها .

كما نقل عنه أحمد الأبار في "تاريخه" : عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن قال : الخير  
بقدر ، والشر ليس بقدر . قلت : قد رُمي قتادة بالقدر انتهى

( ١ ) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٠ - ٥٨٣ . وقال الحافظ الذهبي أيضاً في ترجمة أبي  
سعد المسمان المعتزلي كما في سير النبلاء ١٨ / ٥٨ : "وأما قول القائل : كان  
- أي المسمان - يذهب مذهب الحسن ، فردد ، قد كانت هفوة في ذلك من الحسن  
وثبت أنه رجع عنها والله الحمد انتهى .

- وقال الذهبي في "الميزان" <sup>(١)</sup> : "سيد التابعين في زمانه بالبصرة ، كان ثقة في نفسه ، حجة رأساً في العلم والعمل ، عظيم القدر ، وقد بدت منه هفوة في القدر لم يقصدها لذاتها ، فتكلموا فيه ، فما التفت إلى كلامهم لأنه لما حوَّق عليها تبرأ منها" .
- ٢ - ومن هؤلاء أيضاً : مكحول الدمشقي عالم أهل الشام . قال الذهبي في ترجمته " قال محمد بن عبد الله بن عمار : مكحول إمام أهل الشام . وقال المعلى : تابعي ثقة وقال ابن خراش : صدوق يرى القدر .
- وروي مروان بن محمد ، عن الأوزاعي قال : لم يبلغنا أن أحداً من التابعين تكلم في القدر إلا هذين الرجلين : الحسن ومكحول ، فكشفنا عن ذلك ، فإذا هو باطل . قلت : يعني رجعا عن ذلك <sup>(٢)</sup>
- ٣ - ومن هؤلاء أيضاً : حسان بن عطية الإمام الحجة . قال الذهبي في ترجمته : " وثقة أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . وقد روي بالقدر ، قال يحيى بن معين : كان قدرياً : قلت : لعنه رجوع وتاب <sup>(٣)</sup>
- ٤ - ومن هؤلاء أيضاً : شور بن يزيد ، المحدث الفقيه ، عالم حمص . قال الذهبي في ترجمته : " قال أحمد : كان شور يرى القدر ، وليس به بأس . وقال عبيد الله بن موسى : قال سفیان : اتقوا شوراً ، لا ينطحنكم بقرنه .
- قلت : كان شور عابداً ورعاً ، والظاهر أنه رجوع ، فقد روى أبو زرعة عن منبه بن عثمان ، أن رجلاً قال لشور : يا قدري . قال : لئن كنت كما قلت إني لرجل سوء ، وإن كنت على خلاف ما قلت إني لفي حل <sup>(٤)</sup>
- ٥ و ٦ - ومن هؤلاء أيضاً : قتادة بن دعامة السدوسي وسعيد بن أبي عروبة .
- قال الذهبي في ترجمة سعيد بن أبي عروبة : " قال أحمد بن حنبل : كان قتادة وسعيد

(١) الميزان ١/٥٢٧ .

(٢) سير ٥/١٥٩ وانظر الميزان ٤/١٧٧ - ١٧٨ حيث نقل عن ابن معين : " كان قدرياً

- أي مكحول - ثم رجوع عن ذلك انتهى .

(٣) سير ٥/٤٦٦ - ٤٦٨ .

(٤) سير ٦/٣٤٤ - ٣٤٥ .

يقولان بالقدر ويكتان . قلت : لعلهما تابا ورجعا عنه كما تاب شيخهما - أي الحسن البصري -  
 ٧ - وفي ترجمة الإمام محمد بن عبد الرحمن القرشي المدني المعروف بابن أبي ذئب  
 قال الذهبي : " وكان من أوعية العلم ، ثقة فاضلاً ، قَوَّلاً بالحق مهيباً . قال الواقدي : كان  
 من أروع الناس وأفضلهم ، ما كان قدرياً ، لقد كان يتقي قولهم ويعيبه ، ولكنه كان رجلاً كريماً  
 يجلس إليه كل أحد ويغشاه فلا يطرده ، ولا يقول شيئاً ، وإن مرض عاده ، فكانوا يتهمونه  
 بالقدر ، لهذا ومثبه .

قلت : كان حقه أن يكهر في وجوههم ، ولعله كان حسن الظن بالناس (٢)  
 وقال الذهبي في "الميزان" : " أحد الأعلام الثقات متفق على عدالته ، وذكره السليمانس  
 في أسامي القدرية ، قاله أعلم ، وقد نفى عنه القدر الواقدي وغيره (٣) وقد عدّه الجوزحانيس  
 من رمي بالقدر (٤)

وقال الذهبي في المنتقى : " فالمحتجون بالقدر على المعاصي شر من القدرية المكذّبين  
 بالقدر ، ومن ثم اتهم بالقدر جماعة لم يكونوا قدرية ، لكن كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصي  
 بالقدر كما قيل للإمام أحمد : كان ابن أبي ذئب قدرياً ؟ فقال : الناس كل من شدد عليهم  
 المعاصي . قالوا : قدرى (٥)

وهذا النص من الإمام أحمد يبيّن لنا كثيراً من الجروح التي نسبت لبعض الرواة مــــن  
 اتهم بالقدر وسبب ذلك .

\* \* \* \*

( ١ ) سير ٤١٤/٦ : ولكن سبق قول الذهبي في ترجمة الحسن البصري ٥٨٣/٤ : قد رُمي  
 قتادة بالقدر وسبأتني في ترجمته ما يدل على ثبوت ذلك عنه ، أما سعيد بن أبي عروبة  
 فلم يذكره الحافظ ابن حجر في الفصل الذي أفرد له لذكر أسما من روى بالبدعة في صحيح  
 البخاري وذكر بدعتهم ، كما أن السيوطي لم يذكره في "التدريب" .

( ٢ ) سير ١٤٠/٧ - ١٤١

( ٣ ) الميزان ٦٢٠/٣ وانظر تهذيب التهذيب ٣٠٥/٩ - ٣٠٦

( ٤ ) معرفة الرجال ترجمة رقم ( ٣٤٤ ) .

( ٥ ) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٢٣ .

وسأذكر الآن بعض الرواة الذين تُسبوا للقدر لمعرفة موقف أئمة النقد في قبول رواياتهم  
أورد ها .

١ - قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، قال الذهبي في ترجمته : " حافظ العصور  
قدرة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضريع الأكمه . . . . . وكان ممن  
أوعية العلم ، ومن يضرب به المثل في قوة الحفظ . . . . . وكان يرى القدر ، نسأل الله العفو  
ومع هذا فما توقف أحد في صدقة وعدالة وحفظه ، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلجس بهدعة  
يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه <sup>(١)</sup> وذل وسعه ، والله حكيم عدل لطيف بعباده ، ولا يُسأل  
عما يفعل . ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعلم تحريره للحق ، واتسع علمه ، وظهر  
ذكاءه ، وعرف صلاحه وورعه واتباعه ، يُغفر له زله ، ولا ننضله ونطرعه ، وننسى محاسنه . نعم  
ولا نقدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك .

وروى ضمرة عن ابن شاذب قال : ما كان قتادة يرضى حتى يصبح به صياحاً . يعني : —

القدر .

قلت : قد اعتذرنا عنه وعن أمثاله ، فإن الله عذرهم ، فيا حبذا ، وإن هو عذّبهم فإني الله  
لا يظلم الناس شيئاً ، ألا له الخلق والأمر .

قال ابن المديني : قلت ليحيى بن سعيد : إن عبد الرحمن يقول : اترك من كان رأساً  
في بدعة يدعوا إليها ، قال : فكيف يصنع بقتادة ، وابن أبي رواد ، وعمر بن ذرّ ، وذكر قوماً ،  
ثم قال يحيى : إن ترك هذا الضرب ترك ناساً كثيراً <sup>(٢)</sup>

( ١ ) وما يدل على أن القدرية لم يقولوا تلك المقالة إلا ومقصدهم تنزيه الله سبحانه وتعالى

بزعهم ، ما جاء في ترجمة قُرط بن حريث الباهلي في " ميزان الاعتدال " ٣ / ٢٨٨ :

قال ابن معين : كتبنا عنه فدعانا إلى القدر وقال : " نزّهوا الله تعالى عن هذه المعاصي " انتهى

( ٢ ) سير ٥ / ٢٦٩ - ٢٧٨ . نساق الذهبي في آخر ترجمته بسنده حديث حجاج آدم —

لموسى ، وفيه ردّ على القائلين بالقدر .

وقال الذهبي في "الميزان" : "حافظ، ثقة، ثبت، لكنه مدلس ورمي بالقدر، قاله يحيى بن معين، ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح لاسيما إذا قال حدثنا <sup>(١)</sup> وقال الحافظ ابن حجر في "هدي الساري" <sup>(٢)</sup> : أخذ الأثبات المشهورين روي بالقدر وذكر ذلك عنه جماعة، وأما أبو داود فقال : لم يثبت عندنا عن قتادة القول بالقدر، والله أعلم . ولم ينسبه الحافظ في "التقريب" إلى بدعة القدر فكأنه يرى صحة قول أبي داود . ولكن كلام ابن معين وابن المديني <sup>(٣)</sup> يدل على نسبه إلى القدر، وكذلك قول الجوزجاني <sup>(٤)</sup> ٢ - عبد الله بن أبي نجيح، قال الذهبي في ترجمته <sup>(٥)</sup> : "الإمام الثقة المفسر . . . وثقة يحيى بن معين وغيره إلا أنه دخل في القدر، وقال يحيى القطان : كان معتزلاً . وقال يعقوب السدوسي : هو ثقة قدرى . وقال البخاري : كان يُتهم بالاعتزال والقدر . وقال ابن المديني : كان يرى الاعتزال، وقال أحمد : أفسدوه بأخرة، وكان جالس عمرو بن عبيد . وقال علي : سمعت يحيى بن سعيد يقول : كان ابن أبي نجيح من رؤوس الدعاة . قلت <sup>(٦)</sup> : أما التفسير، فهو فيه ثقة بعلمه، قد قفز القنطرة، واحتج به أرباب الصحاح ولعله رجع عن البدعة، وقد رأى القدر جماعة من الثقات وأخطوا، وسأل الله العفو" قال الحافظ في "هدي الساري" <sup>(٧)</sup> : وثقة أحمد وابن معين والنسائي وأبو زرعة وقال أبو حاتم : إنما يقال فيه من أجل القدر وهو صالح الحديث. وقال أحمد بن حنبل : هو وأصحابه قدرية. وقال العجلي : ثقة، كان يرى القدر. وذكره النسائي فيمن كان يدلس قلت : احتج الجماعة به "

( ١ ) الميزان ٣ / ٣٨٥ .

( ٢ ) ص ٤٣٦ .

( ٣ ) انظر : سوالات ابن أبي شيبة لعلي بن المديني ص ٤٥ .

( ٤ ) انظر : معرفة الرجال للجوزجاني ترجمة ( ٣٢٨ ) .

( ٥ ) سير ١٢٥ / ٦ - ١٢٦ .

( ٦ ) في الأصل المطبوع : قال علي . ولعل الصواب ما أثبت .

( ٧ ) ص ٤١٦ .

٣ - سيف بن سليمان المكي ، قال الذهبي في ترجمته : "أحد الثقات . . . وهو في نفسه ثقة ، لكن رماه يحيى بن معين بالقدر . وتعمت ابن عدي بذكره في "الكامل" . . . . . قال يحيى القطان : كان عندنا ثباً من يصدق ويحفظ وقال النسائي : ثقة ثبت <sup>(١)</sup> وقال في الميزان : "أحد الثقات ، قال ابن معين : قدري . قلت : حدث يحيى القطان مع تعنته عن سيف ، وقال أحمد : ثقة <sup>(٢)</sup> . . . . "

فهذا ابن القطان على شدة يوثقه ويحدث عنه ما يدل على قبول رواية أهل البدع — الثقات .

٤ - هشام الدستوائي : قال الذهبي في ترجمته : "الحافظ الحجة الإمام الصادق . . . قال أبو داود الطيالسي : كان هشام الدستوائي أمير المؤمنين . قال العجلي : هشام بصرى ثقة ، ثبت في الحديث . . . كان يقول بالقدر ، ولم يكن يدعوا إليه . وقال ابن سعد : هشام الدستوائي كان ثقة ، ثبتاً في الحديث ، حجة إلا أنه يرى القدر .

وقد كان هشام بن أبي عبد الله من الأئمة ، لولا ما شاب علمه بالقدر .

قال الحافظ محمد بن البرقي : قلت ليحيى بن معين : أرايت من يُرس بالقدر يكتب حديثه ؟ قال : نعم ، قد كان قتادة ، وهشام الدستوائي ، وسعيد بن أبي عروبة ، وعبد الوارث . وذكر جماعة - يقولون بالقدر ، وهم ثقات ، يكتب حديثهم ما لم يدعوا إلى شيء <sup>(٣)</sup>

وقال الحافظ ابن حجر في "هدي الساري" <sup>(٤)</sup> أحد الأثبات مُجمع على ثقته واتقائه وقدّمه أحمد على الأوزاعي ، وأبوزرعة على أصحاب قتادة ، وكان شعبية يقول : هو أحفظ مني ، وكان القطان يقول : إذا سمعت الحديث من هشام الدستوائي لا تبال أن لا تسمعه من غيره ، ومع هذه المناقب فقال محمد بن سعد : كان ثقة حجة إلا أنه كان يرى القدر ولا يدعوا إليه . قلت : احتج به الأئمة "

(١) سير ٢٢٨/٦ - ٢٢٩ .

(٢) الميزان ٢٥٥/٢ .

(٣) سير ١٤٩/٧ - ١٥٤ وانظر كلامه في حكم رواية المبتدع وقد سبق نقله في أول مبحث البدعة .

(٤) ص ٤٤٨ .

وقال في التقريب : "ثقة ثبت ، وقد رُمي بالقدر" (١)

هـ - عبد الوارث بن سعيد البصري . قال الذهبي في ترجمته : <sup>(٢)</sup> الإمام الثبت الحافظ . وكان عالماً مجتهداً ، من فصحاء أهل زمانه ، ومن أهل الدين والورع إلا أنه قدرى مبتدع . قال محمود بن غيلان : قيل لأبي داود الطيالسي : لم لا تحدث عن عبد الوارث ؟ فقال : أأحدثك عن رجل كان يزعم أن يوماً من عمرو بن عبيد أكبر من عمر أيوب السخيتاني ، ويونس ، وابن عون ؟

قال يعقوب الفسوي : حدثنا الحسن بن الربيع قال : كنا نسمع من عبد الوارث ، فإذا أقيمت الصلاة ذهبنا ، فلم نصل خلفه .

قال : وقيل لعبد الله بن المبارك : كيف رويت عن عبد الوارث ، وتركت عمرو بن عبيد ؟ قال : إن عمراً كان داعياً ، وقال عبد الله القواريري : مارأيت يحيى القطان روى عن أحد من مشايخنا قبل موته إلا عن عبد الوارث .

ورود عن حماد بن زيد أنه كان ينهى عن الأخذ عن عبد الوارث لمكان القدر . . وقال يزيد بن زريع : من أتى مجلس عبد الوارث فلا يقربني .

قلت : ومع هذا حديثه في الكتب الستة "

فالظاهر من ترجمة عبد الوارث أنه كان غير داعية إلى بدعته ، وقد سبق في مبحث البدعة أن بعض الائمة ذهب إلى رد رواية المبتدع المتقن الصدوق إذا كان داعياً إلى بدعته ، ورجح النووي هذا القول ، وقال : هو الأظهر الأعدل ، وقول الكثير أو الأكثر <sup>(٣)</sup> . وقيل الحافظ الجوزجاني <sup>(٤)</sup> هذا القول للداعية إذا كانت روايته لا تقوي بدعته .

ولكن الحافظ ابن حجر نفى نسبته إلى بدعة القدر وحقق ذلك في كتابه "هدي الساري" فقال : "من مشاهير المحدثين ونبلائهم أثنى شعبه على حفظه ، وكان يحيى بن سعيد

(١) التقريب ٥٧٣ (٧٢٩٩) .

(٢) سير ٣٠٠/٨ - ٣٠٣ .

(٣) انظر : التقريب ٣٢٥/١ ، والإرشاد ٣٠٣/١ .

(٤) انظر : معرفة الرجال للجوزجاني ص ٣٢

القطان يرجع إلى حفظه ، وثقة أبوزرعة والنسائي وابن سعد وابن نعيم والعجلي . . . وذكر  
أبو داود عن أبي علي التوماني : أنَّ حماد بن زيد كان ينهاهم عنه لأجل القول بالقدر .  
قال البخاري : قال عبد الصمد بن عبد الوارث : مكذب علي أبي ، وما سمعت منه يقول فـسـ  
القدر قط شيئاً وقال الساجي : حدثنا علي بن أحمد ، سمعت هذبة بن خالد يقول :  
سمعت عبد الوارث يقول : ما رأيت الاعتزال قط . قال الساجي : ما وضع منه إلا القدر .

قلت : يحتمل أنه رجع عنه ، بل الذي اتضح لي أنهم اتهموه به لأجل ثناءه على عمرو  
ابن عبد فانه كان يقول : لولا أعلم أنه صدوق ما حدثت عنه ، وأثمة الحديث كانوا يكذبون  
عمرو بن عبد ومنهون عن مجالسته فمن هنا اتهم عبد الوارث وقد احتج به الجماعة <sup>(١)</sup>  
ولذلك قال الحافظ في "التقريب" : "ثقة ثبت رُمي بالقدر ولم يثبت عنه" <sup>(٢)</sup>

٦ - يحيى بن حمزة : قال الحافظ الذهبي في ترجمته : "الإمام الكبير ، الثقة . .  
قاضي دمشق . قال ابن سعد : كان كثير الحديث ، صالحه . وقال أحمد : ليس به بأس  
وقال دحيم : ثقة ، عالم عالم . وقال يحيى : ثقة قدرى . وقال أبو حاتم : صدوق .  
قلت : ما دام على القضاء ثلاثين عاماً ، وكان ثبتاً في الحديث ، وإن كان يميل للقدر  
فلم يكن داعية" <sup>(٣)</sup>

قال الحافظ ابن حجر : "يحيى بن حمزة الحَضْرِي ، وثقة أحمد وابن معين وأبو داود  
ونسبه إلى القول بالقدر ، ومع ذلك فكأنه لم يكن داعيةً واحتج به الجماعة" <sup>(٤)</sup>  
وفي "التقريب" : "ثقة رُمي بالقدر" <sup>(٥)</sup>

والظاهر من كلام الحافظ الذهبي وابن حجر أن ما يؤيد توثيقه مع ما نسب إليه من  
بدعة القدر كونه غير داعية . وكأن التفريق بين الداعية وغيره تتمثل بموقف النقاد لمن رُمي

( ١ ) هدى السارى ص ٤٢٢ .

( ٢ ) التقريب ٣٦٧ ( ٤٢٥١ ) .

( ٣ ) سير ٣٥٤/٨ - ٣٥٥ .

( ٤ ) هدى السارى ص ٤٥١ .

( ٥ ) التقريب ٥٨٩ ( ٧٥٣٦ ) .

ببدعة القدر أكثر من غيرها من البدع . ويدل على هذا السلك كلمة يحيى بن معسرين :  
 " وذكر جماعة يقولون بالقدر ، وهم ثقات ، يكتب حديثهم ما لم يدعوا إلى شيء " وكذلك  
 قول ابن المبارك عندما سئل كيف روى عن عبد الوارث وترك عمرو بن عبدة ؟ فقال : إن عمراً  
 كان داعياً .

أما رؤوس القدرية الدعاة فالجمهور على ترك الرواية عنهم ، وهذه أمثلة تدل على ذلك :  
 ٧ - معبد بن عبد الله الجهني : قال الذهبي في ترجمته : <sup>(١)</sup> نزيل البصرة ، وأول  
 من تكلم بالقدر في زمن الصحابة . وكان من علماء الوقت على بدعته . وقد وثقه يحيى بن  
 معين . وقال أبو حاتم : صدوق في الحديث .

قال الجوزجاني : وكان قوم يتكلمون في القدر ، احتل الناس حديثهم لما عرفوا من  
 اجتهداهم في الدين وصدق ألسنتهم وأمانتهم في الحديث ، ولم يتوهم عليهم الكذب ، وإن  
 بلوا بسوء رأيهم ، فمنهم : قتادة ، ومعبد الجهني ، وهو رأسهم ، وقد روي عنه . <sup>(٢)</sup>  
 قال محمد بن شعيب : سمعت الأوزاعي يقول : أول من نطق في القدر سوسن بالعراق ،  
 كان نصرانياً فأسلم ، ثم تنصر ، فأخذ عن معبد ، وأخذ غيلان القدري عن معبد .  
 وعن صدقة بن يزيد قال : كان الحجاج يعذب معبداً الجهني بأصناف العذاب  
 ولا يجزع ثم قتله . <sup>(٣)</sup>  
 قال خليفة : مات قبل التسعين ، وقال سعيد بن غدير : في سنة ثمانين صلب  
 عبد الملك معبداً الجهني بدشق .

قلت : يكون صلبه ثم أطلقه " ورمز له الذهبي بحرف ( ق ) أي روى له ابن ماجه .  
 وقال الذهبي في " الميزان " : " المقتول في القدر ضال مسكين " <sup>(٤)</sup>

( ١ ) سير ١٨٥/٤ - ١٨٧

( ٢ ) معرفة الرجال ص ١٨١

( ٣ ) وإنما قتله الحجاج لاشتراكه مع ابن الأشعث ، فقد قال مالك بن دينار كما في السير  
 ١٨٧/٤ : " لقيت معبداً بحكة بعد فتنة ابن الأشعث وهو جريح ، قد قاتل الحجاج  
 في المواطن كلها " انتهى .

( ٤ ) الميزان ٣/٣٣٨ ولكن قال في المغني ( ٦٣٣٢ ) : قتله الحجاج صبراً لخروجه .  
 وانظر الحديث الأول من صحيح مسلم وفيه أن معبداً هو أول من قال في  
 القدر في البصرة ١/١٥٠

وقال الذهبي في "المفني": "صدوق ، لكنه قدرى مشهور . . وقد وثقه ابن معين<sup>(١)</sup>  
وقال الزيلعي في "نصب الراية": "قال الدارقطني: لاصحبه له . ويقال: إنه أول من  
تكلم في القدر من التابعين<sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ ابن حجر في "التقريب": "مقبد بن خالد الجهنى القدرى ، ويقال :  
إنه ابن عبد الله بن عكيم ، ويقال : اسم جده عويمر ، صدوق مبتدع ، وهو أول من أظهر  
القدر بالبصرة ، من الثالثة ، قتل سنة ثمانين . تميز"<sup>(٣)</sup>

ورمز الحافظ ابن حجر لمعبد "تميز" غير صحيح ، فقد روى له ابن ماجه حديثا في كتاب  
الأدب ، باب المدح<sup>(٤)</sup> وقد رمز له الحافظ في التهذيب<sup>(٥)</sup> (ق) إشارة الى سنن ابن  
ماجه وقال : روى له ابن ماجه حديث معاوية : "إياكم والتماح".

ولما ذكر الجوزجاني معبداً في كتابه قال : "قد روي عنه"<sup>(٦)</sup> ، فهذا معبدٌ وهو رأس  
القدرية الأولى تساهل بعض العلماء في الرواية عنه لصدقه وأمانته ، وهذا يدل على عدم  
تشدد العلماء في رد روايات القدرية .

٨ - عمرو بن عبيد : قال الذهبي في ترجمته : "الزاهد العابد القدرى ، كبير المعتزلة  
وأولهم ، أبو عثمان البصري .

روى عنه الحنّادان ، وعبد الوارث ، وابن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، ثم تركه  
القطان .

قال النسائي : ليس بثقة . وقال حفص بن غياث : مالم يأت أزهّد منه ، وانتحل ما انتحل .

( ١ ) المفنى ٢ / ٣١٢ ( ٦٣٣٢ ) .

( ٢ ) نصب الراية ١ / ٥١ .

( ٣ ) تقريب التهذيب ٥٣٩ ( ٦٧٧٧ ) وقوله من الثالثة أى الطبقة الوسطى من التابعين .

( ٤ ) انظر : سنن ابن ماجه ٢ / ٢٣٢ ، وانظر : المجرد في رجال سنن ابن ماجه ، للذهبي ( ٣٥٩ ) .

( ٥ ) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٢٥ .

( ٦ ) معرفة الرجال ترجمة رقم ( ٣٢٩ ) .

وقال ابن المبارك : دعا إلى القدر فتركوه .

وقد كان المنصور يعظم ابن عبيد ويقول :

كلكم يمشى رويد كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

قلت : اغتر بزهده واخلاصه ، وأغل بدعته <sup>(١)</sup>

وقال الذهبي في "الميزان" : "المعتزلي القدرى مع زهده وتألهه ، قال ابن معين :

لا يكتب حديثه ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال أيوب ويونس : يكذب . وقال ابن حبان :

كان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهماً لاتعمداً . وقال أحمد بن محمد الحضرمي :

سألت ابن معين عن عمرو بن عبيد فقال : لا يكتب حديثه . فقلت له : كان يكذب؟ فقال :

كان داعية إلى دينه ، فقلت له : فلم وثقت قتادة وابن أبي عروبة وسلام بن مسكين؟ فقال :

كانوا يصدقون في حديثهم ولم يكونوا يدعون إلى بدعة <sup>(٢)</sup> انتهى

فكلام ابن معين يدل على صدق عمرو ، ولكن نبذ العلماء له سببه الغلو في البدعة

والدعوة إليها .

وقال الحافظ في التهذيب <sup>(٣)</sup> : قال عمرو بن علي : متروك صاحب بدعة . وقال أبو حاتم :

متروك الحديث . وقال الميموني عن أحمد بن حنبل : ليس بأهل أن يحدث عنه . وقال

الساجي : كان قد رياً داعية فتركه أهل النقل ومن كان يميز الأثر . . .

(٤)

وقد نفى الحافظ ابن حجر رواية البخاري عنه فقال : " روى البخاري في الفتن عن

الكعبي عن حماد بن زيد عن رجل لم يسمه عن الحسن قال : خرجت بسلاح ليالي الفتنة

(١) سير ١٠٤/٦ - ١٠٥ وقال الزركلي في الأعلام ٨١/٥ : وللدارقطني "أخبار عمرو بن

عبيد" في وريقات وأشار إلى أنه مطبوع .

(٢) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٣ - ٢٨٠ .

(٣) ٧٣ - ٧٠/٨ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ٣١/١٣ ، باب إذا التقى المسلمان بسيفهما حديث

(٧٠٨٣) وانظر الفتح ٣٢/١٣

فاستقبلني أبوبكرة . . « الحديث . فقيل : إن الرجل المكثي عنه هو عمرو بن عبيد . قلت : لم يخرج البخاري هذا الإسناد للاحتجاج وإنما خرج ليبيّن أنه غلط يظهر ذلك من سياقه . . ثم بيّن الحافظ صحة قوله وقال : " فلا يقال في مثل هذا أن البخاري أخرج عن عمرو ابن عبيد وأبيه ، بل الظاهر أن حماد بن زيد هو الذي تعمّد عدم تسميته وقصد التنبيه على سوء حفظه بكونه جعل القصة التي للأحنف للحسن ، وهذا واضح بيّن بحمد الله " ( ١ )

\* \* \*

وأذكر الآن أسماء من وقت عليه من ربي بالقدر وترجم له الذهبي في " سير النبلاء " سوى الذين سبق ذكرهم ودراسة موقف النقاد من قبول رواياتهم وردّها ، وأكتفي هنا بما ذكره الذهبي في سيره بما يتعلّق ببدعة القدر :

٩ - عمير بن هاني العبسي الداراني : " قال أبوداود : كان قديراً " ( ٢ )

١٠ - داود بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن العباس : " وقيل : كان يرى القدر " ( ٣ )

١١ ( ٢٤١ ) - عطاء بن أبي ميمونة : " بصري حجة ، وثقه ابن معين وقال : هو وولده قديران " ( ٤ )

١٢ - عمران بن سلم القصير الرياني ، العابد أبوبكر البصري : " قال يحيى القطان : كان يرى القدر " ( ٥ )

١٤ - زكريا بن إسحاق المكي : " كان ثقة في نفسه صدوقاً . إلا أنه روى بالقدر . قال أبو حاتم : لا بأس به . وقال يحيى بن معين : قدير " ( ٦ )

١٥ - عوف بن أبي جميلة الأعرابي : " الإمام الحافظ . . وكان من علماء البصرة على بدعته قلت : كان يدعى عوفاً الصدوق وثقه غير واحد ، وفيه تشييع . قال ابن السأرك :

---

( ١ ) تهذيب التهذيب ٨ / ٧٣ ، وانظر : توجيه النظر للعلامة طاهر الجزائري ص ١٠٦ - ١٠٩ .

( ٢ ) سير ٥ / ٤٢٢ .

( ٣ ) سير ٥ / ٤٤٤ .

( ٤ ) سير ٦ / ٤٧ .

( ٥ ) سير ٦ / ٢٢٥ .

( ٦ ) سير ٦ / ٣٤٠ .

مارضى عوف ببدة حتى كان فيه بدعتان : قدرى شيمي .

وقال بNDAR : كان قدرياً رافضياً . قلت : لكنه ثقة مكرر . قال النسائي : ثقة ثبت<sup>(١)</sup> .

١٦ - عبد الحميد بن جعفر : " الإمام المحدث الثقة . قال ابن معين : كان عبد الحميد ثقة يرمى بالقدر .

قلت : قد لُطِّخَ بالقدر جماعة ، وحد يشهم في " الصحيحين " ، أو أحدهما ، لأنهم موصوفون بالصدق والاتقان<sup>(٢)</sup> .

١٧ - محمد بن إسحاق : " صاحب السيرة النبوية . . . وهو أول من دُون العلم بالدين ، وذلك قبل مالك وذويه ، وكان في العلم بحرًا عجائبًا ، ولكنه ليس بالسجود كما ينهني . . . وقد أسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء ، منها : تشييع ونسب إلى القدر ، ويدلّس في حديثه . فأما الصدق ، فليس بدفع عنه .

قال أبو زرعة الدمشقي : ابن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه . . . وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقًا وخيرًا مع مدح ابن شهاب له ، وقد ذاكرت دحيما قول مالك ، فرأى أن ذلك ليس للحديث ، إنما هو لأنه اتهم بالقدر . وقال أبو إسحاق الجوزجاني : ابن إسحاق الناس يشتبهون حديثه ، وكان يرمى بغير نوع من البدع . وقال محمد ابن عبد الله بن نمير : كان ابن إسحاق يرمى بالقدر . وكان أبعد الناس منه<sup>(٣)</sup> .

١٨ - الوليد بن كثير المخزومي مولاهم المدني الحافظ : " كان أخبارياً علامة ثقة ، بصيراً بالمفازي . قال أبو داود : ثقة إلا أنه إياضي . وذكره العقيلي في كتابه فقال بسنده إلى عبيد التبان قال لولده محمد بن عبيد : يا بني ، تدري من الوليد بن كثير؟ كان والله قدرياً ، وإنما يأتي أهل العراق بلدنا ، فلا يبالغون عن أخذوا<sup>(٤)</sup> .

١٩ - عباد بن منصور : " الإمام القاضي ، أبو سلمة التاجي البصري . قال أبو حاتم :

( ١ ) سير ٢٨٤ / ٦ .

( ٢ ) سير ٢١ / ٧ .

( ٣ ) سير ٣٣ / ٧ - ٤٣ .

( ٤ ) سير ٦٤ / ٧ .

ضعيف يكتب حديثه . وقال ابن معين : هو وعبد بن كثير ، وعبد بن راشد ، ليس حدِيثهم بالقوي . وقال ابن حبان : قدرى داعية\* (١)

٢٠ - عبد الواحد بن زيد : " الزاهد ، القدوة ، شيخ المُبَاد ، أبو عبيدة البصري قلت : فارق عمرو بن عبيد لاعتزاله وقال بصحة الاكتساب ، وقد نُسِب إلى شيء من القدر ، ولم يُشهر ، بل نصب نفسه للكلام فى مذاهب النساك ، وتبعه خلق . . وكان عبد الواحد صاحب فنون ، داخلاً فى معاني المحبة والخصوص ، قد بقي عليه شيء من رؤية الاكتساب وفى ذلك شيء من أصول أهل القدر ، فإنَّ عندهم : لانتجاة إلا بعمل ، فأما أهل السنّة فيحضون على الاجتهاد فى العمل ، وليس به انتجاة وحده دون رحمة الله . وكان عبد الواحد لا يطلق : إنَّ الله يفضل العباد تنزيهاً له ، وهذه بدعة . وفى الجملة : عبد الواحد من كبار المُبَاد ، والكمال عزيز\* (٢)

٢١ - سميد بن بشير : " الإمام المحدث الصدوق الحافظ ، أبو عبد الرحمن الأزدي البصري نزيل دمشق . قال أبو حاتم : محله الصدق ، وقال ابن سعد : كان قدرياً . وقال أبو الجاهر : ما كان قدرياً ، معاذ الله\* (٣)

٢٢ - عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الدمشقي : " الشيخ العالم الزاهد المحدث . وثقه دُحيم وأبو حاتم . وقال صالح جزرة : صدوق قدرى . ولم يكن بالمكر ، ولا هو بالحجة ، بل صالح الحديث\* (٤)

٢٣ - صدقة بن عبد الله ، أبو معاوية الدمشقي السمين : " كان من كبار العلماء . . . قال أبو حاتم : سألت دُحيماً عنه فقال : محله الصدق ، غير أنه كان يشبهه القدر . قلت : هو من يجوز حديثه ولا يحتج به . . وكان عنده حديث كثير ، ولم يكن بالمتقن\* (٥)

(١) سير ١٠٥/٢

(٢) سير ١٢٨/٢ - ١٨٠

(٣) سير ٣٠٤/٢ - ٣٠٥

(٤) سير ٣١٣/٢ - ٣١٤

(٥) سير ٣١٤/٢ - ٣١٧

٢٤ - عثمان بن مقسم البصري البُري : " فقيه البصرة . . تركه ابن المبارك والقَطَّان ، وكان قليل الحديث ، يُزَنُّ - أي يتهم - ببدعة . وقال غان : سمعت عثمان البُري ينكسر الميزان . وقال محمد بن كثير : سمعته يقول : ليس بميزان إنما هو المدل . وقال غان : كان قدرياً " ( ١ )

٢٥ - سَلَام بن مسكين : " الإمام الشقة ، أبو روح الأزدي البصري . . روى له الجماعة سوى الترمذى . قال أبو داود : كان يذهب إلى القدر " ( ٢ )

٢٦ - إبراهيم بن أبي يحيى الدني : " الشيخ العالم المحدث ، أحد الأعلام المشاهير . . حدث عنه جماعة قليلة منهم : الشافعي ، وإبراهيم بن موسى الفُـسْـرَاء ، والحسن بن عرفة ، وقد كان الشافعي مع حسن رأيه فيه إذا روى عنه ربما دلَّسه ، ويقول : أخبرني من لا أتهم . فنجد الشافعي لا يؤثقه ، وإنما هو عنده ليس بمتهم بالكذب ، وقد اعترف الشافعي بأنه كان قدرياً ، ونهى ابن عيينه عن الكتابه عنه . وقال أحمد بن حنبل : قَدَرِيٌّ جهليٌّ ، كل بلاء فيه ، تركوا حديثه . وروى عباس عن ابن معين : هو رافضي قدرى . وقال مرة : كذاب . قلت : لا يرتاب في ضعفه . بقي : هل يترك أم لا ؟ " ( ٣ )

٢٧ - عبد الأعلى بن عبد الأعلى السَّامي : " الإمام المحدث الحافظ ، أبو محمد القرشي البصري . قال يحيى بن معين : ثقة . وأما ابن سعد فقال : لم يكن بالقوي . قلت : بل هو صدوق قوي الحديث ، لكنه رُمِيَ بالقدر ، قاله أعلم "

وقال أيضا : " قلت : تقرر الحال أن حديثه من قسم الصحيح ، نعم ما هو في القوة فس رتبة يحيى القطان وغندر " ( ٤ )

٢٨ - أحمد بن عطاء الهُجَبي : " شيخ الصوفية ، العابد القانت ، البصريُّ القدرىُّ المبتدع ، فما أقيح بالزهاد ركوب البدع . قال الدارقطني : متروك . وقال السَّاجي : كان

( ١ ) سير ٣٢٥/٧ - ٣٢٦ .

( ٢ ) سير ٤١٤/٧ - ٤١٥ .

( ٣ ) سير ٣٩٢/٨ - ٤٠٠ سياًتي ذكره عند الحديث عن بدعة التجهم .

( ٤ ) سير ٢٤٢/٩ - ٢٤٣ .

مجتهداً - يعني في العبادة - وكان مغفلاً يحدث بما لم يسمع .

قلت : ما كان الرجل يدري ما الحديث ، ولكنه عبثٌ صالح ، وقع في القدر ، نعوذ بالله من تُرهات الصوفية ، فلا خير إلا في الاتباع ، ولا يمكن الاتباع إلا بمعرفة السنن <sup>(١)</sup> .

٢٩ - عبدالله بن عمرو المقعد : " الإمام الحافظ المجود ، أبو معمر البصري . . وليس هو بالمكر ، لكنه متقنٌ لعلمه ، وكان عدلاً ضابطاً ، إلا أنه قد رى من غلمان عبد الوارث في ذلك <sup>(٢)</sup> . قال ابن معين : ثقة ثبت . وقال يعقوب بن شيبة : كان ثقة ثبتاً ، صحيح الكتاب ، وكان يقول بالقدر . قال العجلي : أبو معمر ثقة يرى القدر . قلت : وحديثه في الكتب معبدته ، نسأل الله التوفيق <sup>(٣)</sup> .

٣٠ - شيان بن قروش : " المحدث الحافظ الصدوق ، أبو محمد البصري ، مسند عصره . وما علمت به بأماً ، ولا استنكروا شيئاً من أمره ، ولكنه ليس في الذروة . قال أبو زرعة : صدوق . وأما أبو حاتم فقال : كان يرى القدر واضطر الناس إليه بأخيرة . يعني : أنه تفرد بالأسانيد العالية <sup>(٤)</sup> .

٣١ - مسعود بن ناصر السجزي سنة (٤٧٧) : " الإمام المحدث الرحال ، الحافظ ، أبو سعيد السجزي . قال زاهر الشحامى : كان مسعود السجزي يذهب إلى القدر ، ويقروها " فجع آدم موسى " بنصب آدم <sup>(٥)</sup> .

(١) سير ٤٠٨/٩ - ٤٠٩

(٢) عبد الوارث بن سعيد ، قال الحافظ في التقریب (٤٥٢) : ثقة ثبت روى بالقدر ولم يثبت عنه .

(٣) سير ٦٢٢/١٠ - ٦٢٤

(٤) سير ١٠١/١١ - ١٠٢

(٥) سير ٥٣٣/١٨ ، وحديث محااجة آدم لموسى أخرجه البخارى في كتاب القدر (٦٦١٤) وسلم في القدر (٢٦٥٢) ، ومالك ٨٩٨/٢ في القدر ، وانظر الفاظه وطرقه في جامع الاصول ١٠/١٢٤ ، ١٢٦ ، وقوله " فجع آدم موسى " آدم مرفوعة على الفاعلية وموسى في محل النصب أى ألزمه آدم الحجة ، قال الخطابي في معالم السنن : إنما حجة آدم في رفع اللوم إذ ليس لأحد من الآدميين أن يلوم أحداً ، وأما الحكم السذي تنازعه ، فهما على السواء لا يقدر أحد أن يسقط الأصل الذى هو القدر ، ولا أن يبطل الكسب الذى هو السبب " انتهى وانظر : حاشية الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٢١ .

## سادساً : التجهم والاعتزال

قال الشهرستاني : " الجهمية أصحاب جَهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمز (١) "

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام سلام بن أبي مطيع : " الجهمية - هم الذين جحدوا الصفات المقدسة وقالوا : بخلق القرآن (٢) "

وكان أول من قال بخلق القرآن وأنكر أن يكون الله تكلم به على الحقيقة ، وأنكر أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلاً هو الجعد بن درهم المقتول سنة (٢٤٠) هـ .

قال الذهبي في ترجمته : " مؤدّب مروان الحمار ، هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ولا كلم موسى ، وأن ذلك لا يجوز على الله (٣) " وقال في الميزان : " الجعد ابن درهم ، عداه في التابعين ، مبتدع ضال ، زعم أن الله لم يتخذ خليلاً ولم يكلم موسى ، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر ، والقصة مشهورة (٤) "

وتبع الجهم بن صفوان آراء الجعد بن درهم في نفي صفات الله تعالى ، والقول بخلق القرآن ، وزاد عليها بدعاً أخرى .

قال الذهبي في ترجمته : " جَهم بن صفوان ، أبو صحرز الراسبي ، مولا هم ، السمرقندي الكاتب المتكلم ، أمي الضلالة ، ورأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدال . . . وكان ينكسر الصفات ، وينزه الباري عنها بزعمه ، ويقول بخلق القرآن ، ويقول : إن الله في الأمكنة كلها . قال ابن حزم : كان يخالف مقاتلاً في التجسيم . وكان يقول : الايمان عقد بالقلب وان تلفظ بالكفر . قيل : إن سلم بن أخوذ قتل الجهم (٥) "

(١) الملل والنحل ٨٦/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٨/٧ - ٤٢٩ .

(٣) سير ٤٣٣/٥ .

(٤) الميزان ٣٩٩/١ .

(٥) سير ٢٦/٦ وانظر تاريخ الجهمية والمعتزلة للعلامة القاسمي ص ١٠ وما بعدها .

وقال في الميزان : " أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأسُ الجهمية ، هلك ففسى زمان صفار النابيعين ، لكنه زرع شراً عظيماً " (١)

وقد ذكر الذهبي في " سيره " بعض آراء الجهمية وتعمقها بالنقد والرد .

قال الذهبي في ترجمة الامام ابن المبارك : " قلت : " الجهمية يقولون : إِنَّ الباري تعالى في كل مكان والسلف يقولون : إِنَّ علم الباري في كل مكان ، ويحتجون بقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ بمعنى : بالعلم ، ويقولون : إنه على عرشه استوى ، كما نطق به القرآن والسنة " (٢)

وقال في ترجمة أبي معمر الهذلي القطيعي : " وعن أبي معمر القطيعي قال : آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله . قلت : بل قولهم : إنه عز وجل في السماء وفي الأرض ، لا امتياز للسماء . وقولُ عمومِ أمة محمد صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الله في السماء ، يطلقون ذلك وفق ما جاءت النصوص بإطلاقه ، لا يخوضون في تأويلات المتكلمين ، مع جزم الكل بأنه تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ " (٣)

وقال أيضاً في ترجمة عثمان بن سعيد الدارمي (٤) : " ومن كلام عثمان رحمه الله ففسى كتاب النقض له : اتفقت الكلمة من المسلمين أَنَّ الله تعالى فوق عرشه ، فوق سماواته . قلت : أوضح شيء في هذا الباب قوله عز وجل : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٥) فليمر كما جاء ، كما هو معلوم مذهب السلف ، وينتهي الشخص عن المراقبة والجدال وتأويلات المعتزلة ﴿ ربنا آتينا بما أنزلت واتبعنا الرسول ﴾ (٦) .

(١) الميزان ٤٢٦/١ .

(٢) سير ٤٠٢/٨ .

(٣) سير ٧٠/١١ - ٧١ وانظر أيضاً أقواله في إثبات رؤيته الباري عز وجل ١٦٧/٢ و — ١١٣/١٠ - ١١٤ و ٥٤/١١ و خلود الجنة والنار ١٢٦/١٨ .

(٤) سير ٣٢٥/١٣ .

(٥) سورة طه ، آية ٥ .

(٦) سورة آل عمران ، آية ٥٣ .

والتجهم على مراتب بعضها أسوأ من بعض، قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (١) ليس الناس في التجهم على مرتبة واحدة، بل انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع، فالشيعة ثلاث درجات: الغالية، والرافضة، والفضلة... (٢). وكذلك الجهمية على ثلاث درجات: فشرها الغالية الذين يتفنون أسماء الله وصفاته، وان سقوه بشيء من أسماء الحسنى قالوا: هو مجاز. والدرجة الثانية من التجهم: هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقولون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن يتفنون صفاته، وهم أيضا لا يقولون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يحملون كثيرا منها على المجاز، وهو "لا" هم الجهمية المشهورون. والدرجة الثالثة: هم الصفاتية المبتنون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقولون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسماء وصفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها، ومن هؤلاء من يقر بصفات الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من أهل الحديث... هؤلاء إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية.

وقد أطلق اسم الجهمية على المعتزلة في زمن المأمون، وذلك لأن المعتزلة أثبتت وجادلت في نفي صفات الله تعالى والقول بخلق القرآن العظيم.

قال العلامة القاسمي: "إن المعتزلة أخذت عن الجهمية القول بنفي الرواية والصفات وخلق الكلام ووافقتها عليها، وإن كان لكل فروع واختيارات غير مألوفة، إلا أن ما توافقوا فيه من هذه المسائل الكبيرة جعلهم كأهل المذهب الواحد، فلذلك أطلق أئمة الأئمة لفظ الجهمية على المعتزلة... فتلقبهم - أي المعتزلة - بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم للجهمية في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة، وتهديدهم السبيل للتوسع فيها (٣).

وقال الحافظ الذهبي مبيناً العلاقة بين الجهمية والمعتزلة في "المنتقى من منهاج الاعتدال (٤)

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة للعلامة القاسمي ص ٥١ - ٥٥ وأصل كلام ابن تيمية المنقول من الرسالة التسمينية.

(٢) انظر كلام ابن تيمية في تقسيم الشيعة الى ثلاث درجات في المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٤.

(٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) المنتقى للذهبي ص ١١٤ وأصل الكلام للشيخ ابن تيمية في منهاج السنة ٢٥٦/١.

كل معتزلي جهني ، وليس كل جهني معتزلياً ، لكن جهن أشد تعظيلاً لأنه ينفي الأسماء والصفات ، والمعتزلة تنفي الصفات \*

وقد بين الحافظ الذهبي سبب تلقيب المعتزلة ، فقال في ترجمة واصل بن عطاء البصري المتوفى سنة (٣١١) :

«وهو وعروب بن عبيد رأسا الاعتزال ، طرده الحسن عن مجلسه لما قال : الفاسق لا مؤمن ولا كافر ، فانضم اليه عمرو ، واعتزلا حلقة الحسن ، فسماوا المعتزلة <sup>(١)</sup>»

أما موقف العلماء من قبول روايات الجهمية أورثها ، فإن الأئمة كانوا يحذرون الرواية عن الجهمية بسبب الفتنة الكبيرة التي أحدثوها في مسألة القول بخلق القرآن ، وأجبار علماء السنة على القول بهذه البدعة بقوة السلطان والسيف وكان على رأس المناهضين لهؤلاء الجهمية الإمام أحمد رحمه الله تعالى الذي واجه المحنة بصبر وثبات ونقلت عنه كثيراً من الأقوال في ذم الجهمية والتحذير من الرواية عنهم .

وقد سبق أن البخاري وسلفاً احتجا في صحيحيهما بكثير من الرواة الذين نسبوا إلى البدع ، أما بدعة التجهم فلا يوجد في الصحيحين من تُسب إلى هذه البدعة إلا راوٍ واحد وهو بشر بن السري البصري ، مع أنه صحَّ رجوعه عن هذه البدعة ، ولم يذكر ابن حجر ولا السيوطي غيره <sup>(٢)</sup> ولكن ذكر الذهبي وغيره من النقاد بعض الرواة الذين نسبوا إلى التجهم وروى لهم في الصحيحين أو أحدهما كيجي بن صالح الوحاظي ، وعلي بن الجعد الجوهري وهذه بعض المنازج الدالة على موقف أئمة النقد من رواية من تُسب إلى التجهم والاعتزال :

١ - بشر بن السري الأنفي : قال الذهبي في ترجمته : «هو الواعظ الزاهد العابد الإمام الحجة ، أبو عمرو البصري ، نزيل مكة . سمع سفيان بن كدام ، وحمام بن سلمة ، وسفيان الثوري ، ومالكاً ، وطائفة . حدث عنه أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، وأبو حفص الغفلاس

(١) سير ٤٦٤/٥ - ٤٦٥ ، وانظر : «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، للملطبي

ص ٣٧ - ٣٨ والفرق بين الفرق ص ١٥ ، والطل والنحل للشهرستاني ٣٠/١ .

(٢) انظر : هدي الساري ص ٤٥٩ وتدريب الراوي ٣٢٩/١ .

(٣) سير ٣٣٢/٩ - ٣٣٣ . وانما ذكرته في بيان موقف الأئمة فيمن نسب إلى التجهم مع ثبوت رجوعه عن هذه البدعة ، لبيان أثر هذه البدعة في الجرح وبيان دقة الأئمة المحدثين وانصافهم في النقد ، ولتأكيد ثبوت رجوعه عن هذه البدعة .

وجماعة سواهم . قال أحمد : كان متقناً للحديث عجباً . وقال أبو حاتم : صالح ثبت . وقال يحيى بن معين : ثقة . قال الحميدى : كان جهمياً ، لا يحل أن يكتب حديثه . قلت : بسـل حديثه حجة ، وصح أنه رجع عن التجهم ،

وقال فى " الميزان " : " قلت : أما التجهم فقد رجع عنه ، وحديثه فى الكتب الستة ، ومات سنة خمس وتسعين ومئة " ( ١ )

قال الحافظ فى " هدى السارى " ( ٢ ) : " قال ابن معين : رأيت بهكة يستقبل البيت ويدعو على قوم يرمونه برأى جهم ، وثقة هو وجد الرحمن بن مهدي والعجلي وعمرو بن عيسى والدارقطنى وقال : إنا وجدنا عليه فى أمر المذهب ، فحلف واعتذر من ذلك . وقال ابن عدي : له أفراد وغرائب عن الثورى ، وهو ثقة فى نفسه لا بأس به . قلت : له فى البخارى حديث واحد متابع ، وهو أول شيء فى كتاب الفتن قال : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا يشر بن السكري ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبي ملكية ، عن أسماء بنت أبي بكر فى ذكر الحوض ( ٣ ) ورواه البخارى أيضاً فى موضع آخر عن سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر عالياً ، وروى له الباقر .

وقال الحافظ فى " الفتح " : " يشر بصرى سكن مكة ، وكان صاحب مواظ فلقب الأفسوس ، وهو ثقة عند الجميع " ( ٤ )

وقال فى " التقريب " : " كان واعظاً ثقة متقناً طمئن فيه برأى جهم ثم اعتذر وتاب " ( ٥ )

٢ - إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى الأسلى : قال الذهبى فى ترجمته : " أحد الاعلام المشاهير . . . وقد كان الشافعى مع حسن رأيه فيه إذا روى عنه ربما دلّسه ، ويقول : أخبرنى من لأتاهم ، فتجد الشافعى لا يوثقه ، وإنا هو عنده ليس بمتهم بالكذب . قال أحمد بن حنبل :

( ١ ) الميزان ٣١٧/١ - ٣١٨ .

( ٢ ) ص ٣٩٣ .

( ٣ ) انظر : كتاب الفتن باب ما جاء فى قول الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا

منكم خاصة ٤/١٣ .

( ٤ ) فتح البارى ٤/١٣ .

( ٥ ) التقريب ١٢٣ ( ٦٨٧ ) .

قدري جهنم كل بلاء فيه . وقال البخاري : قدري جهنم ، تركه ابن المبارك والناس . . . . .<sup>(١)</sup>  
وقال في الميزان : " أحد العلماء الضعفاء . قال إبراهيم بن عزرعة سمعت يحيى بن  
سميد يقول : سألت مالكاً عنه : أكان ثقة في الحديث ؟ فقال : لا ، ولا في دينه . وقال ابن  
معين : سمعت القطان يقول : إبراهيم بن أبي يحيى كذاب ، وروى أبو طالب عن أحمد بن  
حنبل قال : تركوا حديثه ، قدري معتزلي يروي أحاديث ليس لها أصل . . قال ابن حبان :  
كان يرمى بالقدر ويذهب إلى كلام جهنم ويكذب مع ذلك في الحديث<sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ ابن حجر في " التلخيص الحبير " : " وأكثر أهل الحديث على تضعيف ابن  
أبي يحيى ، لكن الشافعي كان يقول : إنه صدوق ، وإن كان مبتدعاً ، وأطلق النسائي أنه  
كان يضع الحديث . وقال العجلي : كان قدرياً معتزلياً رافضياً كل بدعة فيه ، وكان من  
أحفظ الناس لكنه غير ثقة .

وقال ابن عدي : نظرت في حديثه فلم أجد فيه منكراً ، وله أحاديث كثيرة . وقال الساجي :  
لم يخرج الشافعي عن إبراهيم حديثاً في فرض ، وإنما جعله شاهداً .  
قلت : وفي هذا نظر ، والظاهر من حال الشافعي أنه كان يحتج به مطلقاً ، وكمن  
أصل أصله الشافعي لا يوجد إلا من رواية إبراهيم .

وقال محمد بن سحنون : لا أعلم بين الأئمة اختلافاً في إبطال الحجة به .  
وفي الجملة : فإن الشافعي لم يثبت عنده الجرح ، فلذلك اعتد به ، والله أعلم .<sup>(٣)</sup>  
وقال في " التقريب " : " متروك<sup>(٤)</sup> وفي " الفتح " : " ضعيف<sup>(٥)</sup> " .

فهذا الراوي مخوف بالبدع من كل جانب بل وفي الضعف في الحديث أيضاً ، ومع ذلك  
روى عنه الشافعي لأنه ليس بشهم بالكذب ، مع ثبوت بدعته ، ولكن كل ما رمي به من بسطع  
لم تؤثر في الرواية عنه مادام لا يكذب .

( ١ ) سير ٤٥٠ / ٨ - ٤٥٢ .

( ٢ ) الميزان ٥٧ / ١ - ٦١ .

( ٣ ) التلخيص الحبير ٢٢ / ١ - ٢٣ وانظر : نصب الراية ٣٣٥ / ٤ .

( ٤ ) التقريب ٩٣ ( ٢٤١ ) .

( ٥ ) فتح الباري ٤٥٩ / ٣ و ١١٦٤ / ١١ .

٣ - يحيى بن صالح الوحاظي : قال الذهبي في ترجمته : الإمام العالم ، الحافظ الفقيه . . . قال يحيى بن معين : ثقة . وقال أبو حاتم : صدوق . ومن وثقه ابن عدي وابن حبان ، وغزه بعض الأئمة لبدعة فيه ، لالعدم إتيان . قال أحمد بن حنبل : أخبرني رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال : لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث — يعني هذه التي في الرواية - ثم قال أحمد : كأنه نزع إلى رأي جهم .

قلت : والمعتزلة تقول : لو أن المحدثين تركوا ألف حديث في الصفات والأسماء والرواية والنزول لأصابوا ، والقدرية تقول : لو أنهم تركوا سبعين حديثاً في إثبات القدر ، والرافضة تقول : لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التي يدعون صحتها ألف حديث لأصابوا . . . قلنا : وللكل موقف بين يدي الله تعالى . ياسبحان الله : أحاديث رؤية الله في الآخرة متواترة ، والقرآن مصدق لها ، فأين الإنصاف ؟

قال أبو جعفر العجلي : يحيى الوحاظي حمص جهمي (١)

قال الحافظ في " هدي الساري " : وثقه يحيى بن معين وأبو اليان وابن عدي وذمه أحمد لأنه نسب إلى شيء من رأي جهم . وقال الساجي : هو من أهل الصدق والأمانة . . . روى عنه البخاري حديثين أو ثلاثة وروى له الباقر سوي النسائي (٢)

٤ - علي بن الجعد " الإمام الحافظ الحجة سند بغداد ، أبو الحسن البغدادي - الجوهري . . . قال فيه مسلم : هو ثقة لكنه جهمي . قلت : ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه . وقد كان طائفة من المحدثين ينتظمون في من له هفوة صغيره — تخالف السنة ، والافعليّ امام كبير حجة (٣)

كما ذكر الذهبي في " سيره " بعض أئمة الجهمية والمعتزلة الرواس في بدعتهم الفالسين فيها الدعاة اليها ، ومن هؤلاء " واصل به عطاء " (٤) وعمر بن عبيد ، (٥) ومنهم أيضاً :

(١) سير ٤٥٣/١٠ - ٤٥٦

(٢) هدي الساري ص ٤٥١ - ٤٥٢

(٣) سير ٤٦٦/١٠ وسبق الكلام عن علي بن الجعد في مبحث التشيع والرفض وسيأتي أيضاً في مبحث " مسألة خلق القرآن " .

(٤) سبق الحديث عنه في بداية هذا المبحث ، وانظر الميزان ٣٢٩/٤ .

(٥) سبق الكلام عنه عند الكلام عن القدرية .

١ - بشر العريسي : قال الذهبي في ترجمته : " المتكلم المناظر البارع أبو عبد الرحمن ، بشر بن غياث العريسي من كبار الفقهاء . . . ونظر في الكلام فغلب عليه ، وانسلخ من الورع والتقوى ، وجرد القول بخلق القرآن ، ودعا إليه ، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم ، فمقت أهل العلم ، وكفره عِدَّة ، ولم يدرك جهنم بن صفوان ، بل تلقى مقالاته من أتباعه . . . ومات في آخر سنة ثمان عشرة ومئتين ، وقد قارب الثمانين ، فهو بشر الشر وبشر الحافي بشر الخير ، كما أن أحمد بن حنبل هو أحمد السنة ، وأحمد بن أبي ذؤانب أحمد البدهسة " ( ١ )

٢ - بشر بن المعتز : قال في ترجمته " العلامة أبو سهل الكوفي ، ثم البغدادي ، شيخ المعتزلة ، وصاحب التصانيف . وكان أبرص ذكياً فطناً لم يوت الهدى ، وطال عمره فما ارعوى وله كتاب " تأويل المتشابه " ، وكتاب " الرد على الجبال " وكتاب " العدل " وأشياء لم نرها ولله الحمد ( ٢ )

كما أن الامام الذهبي ذكر في تراجم المعتزلة شيئاً من ضلالاتهم وتعقبها بالرد والنقد

٣ - شامة بن أشرس : قال الذهبي في ترجمته : " العلامة ، أبو معن النخعي البصري المتكلم من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جلّ مُنْزَلُهُ . قال ابن حزم : ذكر عنه أنه كان يقول : العالم هو بطباع فعل الله . وقال : المقلدون من أهل الكتاب وعبد الأوثان لا يدخلون النار ، بل يصيرون تراباً ، وإن مات مسلماً وهو مصرّ على كبره خُلد في النار وإن أطفال المؤمنين يصيرون تراباً ، ولا يدخلون جنة .

قلت : قبح الله هذه النحلة ( ٣ )

٤ - وقال في ترجمة شيخ المعتزلة ، إبراهيم بن سيار النظام البصري سنة ( ٢٢ ) : " تكلم في القدر ، وانفرد بمسائل ، وهو شيخ الجاحظ وكان يقول ، ان الله لا يقدر على الظلم ولا الشر ، ولو كان قادراً ، لكننا لا نؤمن وَقَعَ ذلك ، وإن الناس يقدرون على الظلم ، وصحَّح

( ١ ) سير ١٠ / ١٩٩ - ٢٠٢ .

( ٢ ) سير ١٠ / ٢٠٣ .

( ٣ ) سير ١٠ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

- بأن الله لا يقدر على إخراج أحدٍ من جهنم ، وأنه ليس يقدر على أصلح ما خلق .
- قلت : القرآن والعقل الصحيح يكدّبان هؤلاء ، ويزجرانهم عن القول بلا علم ، ولم يكن النظام من نعمة العلم والفهم ، وقد كَفَّرَ جماعة <sup>(١)</sup>
- ٥ - وقال في ترجمة راس المعتزلة أبي الهذيل العلاف البصري سنة (٢٢٧) : " صاحب التصانيف ، الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن ، حتى لا ينطقون بكلمة ، وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة .
- وطال عُمَرُ أبي الهذيل ، وجاوز التسعين ، وانقطع في سنة سبع وعشرين ومئتين <sup>(٢)</sup> -
- ٦ - وقال في ترجمة ضرار بن عمرو من رؤوس المعتزلة ، شيخ الضرارية ، فمن نحلته قال : يمكن أن يكون جميع الأمة في الباطن كهاراً لجواز ذلك على كل فردٍ منهم . . . وأنكر الجنة والنار ، وقال : اختلف فيهما : هل خلقنا بعدُ أه لا . . . <sup>(٣)</sup>
- ٧ - وقال في ترجمة أبي المعتمر مُعْتَمِر بن عمرو البصري المتوفى سنة (٢١٥) : " وكان يقول في العالم أشياء موجودة لانهاية لها ، ولا لها عند الله عدد ولا مقدار ، فهذا ضلال يردّه قوله تعالى : ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ <sup>(٥)</sup> . . . . .
- وهلك سنة خمس عشرة ومئتين <sup>(٦)</sup>
- ٨ - وقال في ترجمة هشام بن عمرو القُوطي المعتزلي الكوفي : " صاحب ذكاء وجدال - مدعة وهال " ثم ذكر بعض آرائه وتقمرانه وقال : " قلت : هذا غاية ما عند هؤلاء المستقرين من العلم ، عبارات وشقاشق لا يعبأ الله بها ، يحرفون بها الكلم عن مواضع قد يماً وحد يشأ فنغزو بالله من الكلام وأهله <sup>(٧)</sup>

(١) سير ١٠/٥٤١ - ٥٤٢

(٢) سير ١٠/٥٤٣

(٣) سير ١٠/٥٤٤ - ٥٤٦

(٤) سورة الجن ، آية ٢٨

(٥) سورة الرعد آية ٨

(٦) سير ١٠/٥٤٦ وانظر فيه بقية آرائه

(٧) سير ١٠/٥٤٧

وذكر من كبار المعتزلة عيسى بن صبيح البصري ، والوليد بن أبان الكرابيسي ، وجعفر ابن مبشر البغدادي ، وجعفر بن حرب الهذلي ، وتلميذه أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي ، وأبو سهل عباد بن سلمان البصري ، وأبو موسى عيسى بن الهيثم (١) ثم قال (٢) : " وأشباههم ممن كان ذكراً وهم مبالاً عليهم ، ثم بينهم من الاختلاف والخطأ أمر لا يخفى على أهل التقوى ، فلا عقولهم اجتمعت ، ولا اعتنوا بالآثار النبوية ، كما اعتنى أئمة الهدى ، فأي الفريقين أحق بالأمن ؟ (٣) . انتهى .

ومن رؤوس الجهمية وكبارهم الذين ذكرهم الذهبي .

٩ - أحمد بن أبي داود ، قال الذهبي في ترجمته : " القاضي الكبير ، أبو عبد الله أحمد ابن فرج الإيادي البصري ، ثم البغدادي ، الجهمي ، عدو أحمد بن حنبل ، كان داعية إلى خلق القرآن (٤) "

١٠ - ومنهم : إبراهيم بن إسماعيل بن علقمة : قال الذهبي في ترجمة النظام : " وكان في هذا الوقت العلامة المتكلم أحمد مشايخ الجهمية إبراهيم ابن الحافظ إسماعيل بن علقمة البصري (٥) وقال في ترجمة الإمام الشافعي : " قلت : كان إبراهيم من كبار الجهمية ، وأبو إسماعيل شيخ المحدثين إمام (٦) وقال في ترجمة محمد بن إسماعيل بن علقمة : " قلت : أخوه هو إبراهيم بن علقمة الجهمي المتكلم الذي ناظره الإمام الشافعي ، نسأل الله العفو (٧) "

(١) انظر سير اعلام النبلاء ٥٤٨/١٠ - ٥٥٦ . التراجم (١٧٨) و (١٧٤) و (١٨٠) و (١٨١) و (١٨٢) و (١٨٣) و (١٨٤) .

(٢) سير ٥٥٦/١٠ .

(٣) سورة الأنعام آية ٨١ .

(٤) سير ١٦٩/١١ وسيأتي ذكره وأخباره مع الإمام أحمد في " مسألة خلق القرآن " .

(٥) سير ٥٤٢/١٠ (٦) سير ٢٤/١٠

(٧) سير ٢٩٥/١٢

وقال الذهبي في "المغني" : "إبراهيم بن إسماعيل بن عُمَيْهِ ، جهلي هالك" (١)

فهو "لا" جميعا لارواية لهم ، لإغراقهم في بدعتهم ، ولبعدهم عن الرواية والأثر .  
كما ذكر الذهبي في "سيره" بعض أئمة المعتزلة من المتأخرين ، ويُن بدعتهم ، وحسَّذ  
من كتبهم ، ومن هو "لا" ؛

- القاضي عبد الجبار الهذلي المتوفى سنة (٤١٥) : قال في ترجمته : "عبد الجبار بن  
أحمد ، العلامة المتكلم ، شيخ المعتزلة ، صاحب التصانيف من كبار فقهاء الشافعيين . . . . .  
وتصانيفه كثيرة ، تخرَّج به خلق في الرأي المقتول" (٢)

- الإمام الحافظ أبو سعد السَّان المتوفى سنة (٤٤٥) : قال في ترجمته : "الإمام الحافظ  
العلامة البارع المتقن ، أبو سعد ، إسماعيل بن علي الرازي السَّان . قال عبد العزيز الكتاني :  
وكان يذهب مذهب الحسن البصري ، ومذهب الشيخ أبي هاشم" (٣) ودخل الشام والعجاز  
والمغرب ، وقرأ على ثلاثة آلاف شيخ . . . . . قال : وكان يقال في مدحه : إنه مشاهد مثل  
نفسه ، كان تاريخ الزمان ، وشيخ الاسلام .

قلت : وذكر أشياء في وصفه ، وأثنى يوصف من قد اعتزل وابتدع ، والكتاب والسنة فقل  
ما انتفع ؟ فهذا عبرة ، والتوفيق من الله وحده .

هَفَّ الذكاءُ وقال : لستُ بنافعٍ إلا بتوفيق من الوَهَّاب

وأما قول القائل : كان يذهب مذهب الحسن ، فمردو ، قد كانت هفوة في ذلك من الحسن  
وثبت أنه رجع عنها ، والله الحمد

وأما أبو هاشم الجُبَّائي ، وأبوه أبو علي فمن رؤوس المعتزلة ، ومن الجهلة بآثار النبوة ، برعوا  
في الفلسفة والكلام ، وهاشموا رائحة الإسلام ، ولوتفرغ أبو سعد بحلاوة الإسلام ، لانتفع  
بالحديث فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا وتوحيدنا . (٤)

(١) المغني ٤٢/١ (٣٩) .

(٢) سير ٥/١٧ .

(٣) هو أبو هاشم الجُبَّائي من كبار المعتزلة ، المتوفى سنة (٣٢١) انظر ترجمته ، سير النبلاء

٦٣/١٥

(٤) سير ٥٨/١٨ - ٥٩ .

- أبو يوسف القزويني المتوفى سنة ( ٤٨٨ ) : قال في ترجمته : " الشيخ العلامة البار ، شيخ المعتزلة وقاضيه ، أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني المفسر . . . وكان داعية إلى الاعتزال ويفتخر به . . . " ( ١ )

\* \* \*  
سابعاً : علم الفلسفة والمنطق

قال الحافظ السيوطي في " تدريب الراوي " : " من الملحق بالمبتدع مَنْ دأبه الاشتغال بعلوم الأوائل كالفلسفة والمنطق ، صرح بذلك المتكفي في " معجم السفر " ، والحافظ أبو عبد الله بن رُشيد في رحلته ، ( ٢ ) فإن انضم إلى ذلك اعتقاده بما في علم الفلسفة ونحوه فكافر ، أولاً فيها ما ورد الشرع بخلافه وأقام الدليل الفاسد على طريقتهم فلا نأمن ميله إليهم ، وقد صرح بالحط على من ذكر وعدم قبول روايتهم وأقوالهم ابن الصلاح في فتاويه ، والصف - أي النووي - في طبقاته ، وخلائق من الشافعية ، وابن عبد البر وغيره من المالكية خصوصاً أهل المغرب ، والحافظ سراج الدين القزويني وغيره من الحنفية ، وابن تيمية وغيره من الحنابلة ، والذهبي لَهَجَ بذلك في جميع تصانيفه " انتهى .

وأقوال الحافظ الذهبي في نقد علوم الأوائل والحط عليها كثيرة جداً في كتابه " سير أعلام النبلاء " وسائر كتبه الأخرى ، وأسوق الآن ما وقفت عليه من أقواله في هذا الموضوع .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن شُرَيْح ونقل قوله : " استقلوا قلوبكم ، وتعلموا هذه الرغائب والرقائق ، فإنها تجددُ العبادة ، وتورث الزهادة " قال عقب هذا القول : " قلت : صدق والله ، فما الظنُّ إذا كانت مسائل الأصول ، ولوازم الكلام في معارضة النص .

فكيف إذا كانت من تشكيكات المنطق ، وقواعد الحكمة ، ودين الأوائل ؟

فكيف إذا كانت حقائق الاتحادية ، وزندقة السبعينية ، وقرق الباطنية ؟ فواغرى تساء ،

( ١ ) سير ٦١٦/١٨ - ٦١٨ .

( ٢ ) تدريب الراوي ٣٢٧/١ .

( ٣ ) هو الإمام محمد بن عمر بن محمد ، أبو عبد الله ابن رُشيد الفهرى الصُّبَتي ، المتوفى سنة ( ٧٢١ ) بفاس . وَرَحَلَ إلى مصر والشام والحرمين سنة ( ٦٨٣ ) ، وسمى رحلته " ملء العمية فيما جُمع بطول القية في الرحلة إلى مكة وطيبة " طُبعت بعض أجزاءه بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد الحبيب خوجة .

ويا قَلَّةَ ناصراء .

آمنت بالله ، لا قوة إلا بالله " ( ١ )

وقال في ترجمة الإمام أبي يوسف القاضي : " وما أنبل قوله الذي رواه جماعة عن يشر بن الوليد ، سمعت أبا يوسف يقول : العلم بالخصومة والكلام جهل ، والجهل بالخصومة والكلام علم .

قلت : مثاله شبه واشكالات من نتائج أفكار أهل الكلام ، تورط في الجدال على آيات الصفات وأحاد يشها ، فيكفر هذا هذا ، وينشأ الاعتزال والتجهم والتجسيم وكلُّ بلاء ، نسأل الله العافية " ( ٢ )

وقال أيضاً في ترجمة نعيم بن حَمَّاد المروزي : " والعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأواثل والهيئات الفلاسفة ، وبعض رياضتهم ، بل أكثره . . رسائل " إخوان الصفا " فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتحذر ، ومن ابتلي بالنظر فيها للفرجة والمعرفة من الأذكياء فليقلل من ذلك ، وليطالعه وحده ، وليستغفر الله تعالى ، وليلتجئ إلى التوحيد ، والدعاء بالعافية في الدين . . " ( ٣ )

وقال في ترجمة الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : " قلت : قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب " التهافت " ، وكشف عوارهم ، ووافقهم في مواضع ظناً منه أن ذلك حق ، أو موافق للملّة ولم يكن له علم بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل ، وحبّ إليه إدامان النظر في كتاب " رسائل إخوان الصفا " ، وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قتال ، ولولا أن أيسا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين ، لتلف ، فالحذار الحذار من هذه الكتب ، فاهربوا بد ينكم من شبه الأواثل ، ولا وقعت في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز ، فليزِم العبودية وليد من الاستغاثة بالله ، وليتّهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحابة وسادة التابعين ، والله الموفق ، فيحسن قصد العالم فيغفر له وينجوا إن شاء الله " ( ٤ )

( ١ ) سير ١٨٢/٧ .

( ٢ ) سير ٥٣٩/٨ .

( ٣ ) سير ٦٠٤/١٠ .

( ٤ ) سير ٣٢٨/١٩ - ٣٢٩ .

وقال الذهبي أيضاً في ترجمة الإمام أبي طاهر الشَّكْفِي بعد أن ساق له قصيدة طويلة في ذكر كبار الحفاظ من أهل السنة ، والتحذير من المبتدعة - قال : صَدَقَ السَّائِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَأَجَادَ ، فَلَأَن يَعْيِشَ الْمُسْلِمُ أَخْرَسَ أَبْكَمَ خَيْرَ لَهْ مِنْ أَن يَمْتَلِئَ بَاطِنُهُ كَلَامِمْسًا وَفَلَسْفَةً . ( ١ )

وقد بيَّن الذهبي في كثير من التراجم موقفه من هذه العلوم وأنها من العلم المتروك الباطل بل والجهل خير منه .

قال الذهبي في ترجمة إسماعيل بن صالح الهاشمي " قال سعيد بن عُفَيْرٍ : كَانَ جَامِعًا لِكُلِّ سُوءٍ ، وَيَعْرِفُ الْفَلَسْفَةَ وَضَرْبَ الْعُودِ وَالنَّجُومِ . قُلْتُ : عَلِمَهُ هَذَا الْجَهْلُ خَيْرَ مِنْهُ ( ٢ )

---

( ١ ) سير ٣٦/٢١ .

( ٢ ) سير ٣٥٩/٨ .

وقال في ترجمة يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف: "كان رأساً في حكمة الأواثل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك. لا يلحق شأوه في ذلك العلم المتروك" (١)

وقال في ترجمة السرخسي\* الفيلسوف البارع أبو العباس، أحمد بن الطيب، من بحر العلم الذي لا ينفع (٢)

وقال في ترجمة شيخ الفلسفة الحكيم أبي نصر محمد بن محمد الفارابي: "له تصانيف شهيرة، من ابتغى الهدى منها ضلّ ومار، منها تخرّج ابن سينا، نسأل الله التوفيق" (٣)

وقال في ترجمة أبي القاسم، عيسى بن علي الجراح البغدادي: "وقال محمد بن إسحاق النديم: كان عيسى أواحد زمانه في علم المنطق والعلوم القديمة، له مؤلف في اللغة الفارسية قلت: لقد شانت هذه العلوم ومازانت، ولمعله رُجم بالحديث إن شاء الله" (٤)

وقال في ترجمة ابن سينا: "هو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة وله كتاب "الشفاء" وغيره، وأشياء لا تحتل (٥)

وفي ترجمة رأس المعتزلة ومارعهم محمد بن أحمد بن الوليد الكرخي المتوفى سنة (٤٧٨):- وكان يدري المنطق جيداً. وما تنفع الآداب والبحث والذكا، وصاحبها هاوٍ بها في جهنم (٦)

وفي ترجمة ركن الدين العميدي المتوفى سنة (٦١٥): "كان مبرزاً في الخلاف والنظر وليس علمه من زاد المعاد (٧)

وفي ترجمة وجيه الدين الدهان المتوفى سنة (٦١٢): "وكان مضطرباً بعلوم كثيرة.. وعلم النجوم وعلوم الأواثل. قلت: لو جهل هذين العلمين لسعد (٨)

(١) سير ١٢/٣٣٧

(٢) سير ١٣/٤٤٩

(٣) سير ١٥/٤١٦ - ٤١٧

(٤) سير ١٦/٥٥٠

(٥) سير ١٧/٥٣٥

(٦) سير ١٨/٤٩٠

(٧) سير ٢٢/٧٧

(٨) سير ٢٢/٨٧

وقال في ترجمة الإمام ابن حزم رحمه الله : " وكان قد مهراً أولاً في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة ، فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم منه ، ولقد وقفت له على تأليف يحض على الاعتناء بالمنطق ، ويقدمه على العلوم فتألمت له " . وقال أيضاً : " وعني بعلم المنطق ورع فيه ، ثم أعرض عنه . قلت : ما أعرض حتى زرع في باطنه أموراً وانحرفاً عن السنة ( ١ )

وقال في ترجمة الإمام ابن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى : " قال : وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء ، وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً . قلت : كانوا ينهاونهم عن مجادلة المعتزلة ، ويأبى حتى وقع في حباظهم ، وتجسروا على تأويل النصوص ، نسأل الله السلامة ( ٢ )

وقال في "الميزان" في ترجمته : " أحد الأعلام وفرد زمانه علماً ونقلاً وذكاءً وتفناً ، إلا أنه خالف السلف ووافق المعتزلة في عدة بدع نسأل الله المغفرة والسلامة ، فإن كثرة التبخر في الكلام ، ربما أضرب صاحبها . ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ( ٣ )

وقال في "الميزان" أيضاً في ترجمة علي بن عبيد الله بن الزاغوني الفقيه الحنبلي : " له تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة بدعها ، لكونه نصرها ، وما هذا من خصائصه ، بل قل من أضمن النظر في علم الكلام إلا وأداء اجتهاده إلى القول بما يخالف محض السنة ، ولهذا ذم علماء السلف النظر في علم الأوائل ، فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية ، فمن رام الجمع بين علم الأنبياء عليهم السلام ، وبين علم الفلاسفة بذكائه ، لا بد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء . ومن كلف ومشى خلف ما جاءت به الرسل من إطلاق ما أطلقوا ولم يتحذلسق ولا عقق فإنهم صلوات الله عليهم أطلقوا وما عتقوا ، فقد سلك طريق السلف الصالح وسلم له دينه وبقينه ، نسأل الله السلامة في الدين ( ٤ )

( ١ ) سير ١٨٦/١٨ و ١٨٨ .

( ٢ ) سير ٤٤٧/١٩ .

( ٣ ) الميزان ١٤٦/٣ .

( ٤ ) الميزان ١٤٤/٣ .

وقد بين الحافظ الذهبي أن علماء المغرب كانوا لا يدخلون في الكلام ولا يخوضون فـى  
المعقولات .

قال في ترجمة أبي ذر الهروي : قلت : أخذ الكلام ورأى أبي الحسن عن القاضي أبي  
بكر بن الطيب من ذلك بمكة ، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب ، والأندلس ، وقبل ذلك كانت  
علماء المغرب لا يدخلون في الكلام ، بل يتقنون الفقه والحديث والعربية ، ولا يخوضون  
في المعقولات ، وعلى ذلك كان الأصيلي ، وأبو الوليد بن القزحي ، وأبو عمر الطلنكي ، —  
ومكي القيسي ، وأبو عمرو الداني ، وأبو عمر بن عبد البر والعلماء (١)

وقد صرح الذهبي بعدم جواز الرواية عن نسيب إلى علوم الأوايل ، وما ذلك إلا لإخمار  
بدعتهم والبعد عن مداخلهم قال في ترجمة الإمام ابن رشد الحفيد المتوفى سنة ( ٦٠٤ ) :  
« ثم أقبل على علوم الأوايل ولا ياهم ، حتى صار يضرب به المثل في ذلك . . . وقد روى عنه  
أبو محمد بن حوط الله ، وسهل بن مالك ، ولا ينبغي أن يروى عنه » (٢)

وقد أوضح الإمام الذهبي خطر تلك العلوم التي ذهب إليها أهل الفلسفة والكلام  
فقال : « فما ظنك بعلم المنطق والجدل وحكمة الأوايل التي تسلب الإيمان ، وتورث الشكوك  
والحيرة ، التي لم تكن والله من علم الصحابة ولا التابعين ، ولا من علم الأوزاعي والثوري —  
ومالك وأبي حنيفة وابن أبي ذئب وشعبة — ، ولا والله ما عرفها ابن المبارك  
ولا أبو يوسف القاطل : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ولا وكيع ، ولا ابن مهدي ، ولا ابن  
وهب ، ولا الشافعي ، ولا غان ، ولا أبو عبيد ، ولا ابن المديني وأحمد وأبو ثور والمزني  
والبخاري والأثرم ومسلم والنسائي وابن خزيمة وابن سريج وابن المنذر وأمثالهم ، بسـل  
كانت علومهم القرآن والحديث والفقه والنحو وشبه ذلك (٣)

وأبان الإمام الذهبي في كتابه « بيان زلل العلم والطلب » ما لعلم الكلام من تأثير  
في النفوس فقال : « وأصول دين الخلف هو ما صنفوا فيه وبنوا على العقل ، والمنطق ، وكان

(١) سير ١٢/٥٥٢ .

(٢) سير ٢١/٣٠٨ و ٣١٠ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٣٢٨ - ٣٢٩ .

السلف يحطون على ماله ويبدعون ، ومنهم اختلاف شديد في مسائل منه ، تركها من حُسن إسلام المرء ، فإنه يورث أمراضاً في النفوس ، ومن لم يصدقني يجرب ، فإنَّ الأصولية بينهم السيف يقر هذا ، ويضلل هذا ، فالأصولي الواقف مع الظاهر والآثار عند خصومه يجعلونه مجسماً وحشواً ومبتدعاً ؛ والأصولي الذي طرد التأويل عند الآخرين جهماً ومعتزلياً وضالاً ، والأصولي الذي أثبت بعض الصفات ونفى بعضها وتأول في أماكن يقولون : متناقضاً ، والسلامة والعافية أولى بك (١)

ومع ذلك فإن الخوض في الكلام قد يضطر العالم إليه للرد على أعداء الدين ، ولكن ذلك مشروط بأن يكون من عالم متمكن في الكتاب والسنة ، وأن يكون كلامه فيها أذن به الشرع . قال العلامة القاسمي : (٢) " وأما خصوم الجهمية فقد أتقنوا علم السمع ، وعلموا منه كثيراً من القواعد وتواتر من السمع لهم ما لم يتواتر لغيرهم إلا أنهم ظنوا أنَّ العلوم العقلية معارضة لما عرفوه من السمع الحق ، وحسبوا أنَّ الإصغاء لعلم المعقول والنظر إليه يستلزم البدعة من غير بد ، مع أنَّ العقل السليم لا ينا في السمع الصحيح .

قال الإمام الغزالي في الإحياء : " لا غنى بالعقل عن السماع ، ولا غنى بالسماع عن العقل ، فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور ، فإياك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعاً بين الأصلين ، فإنَّ العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية " انتهى .

ومن خير من جلَّى أمر هذه العلوم ، وبيَّن أنها تنقسم إلى حق وباطل الإمام ابن دقيق العيد ، فقال في الآفة الرابعة التي أدت إلى الوقوع بأهل الشقة والعدالة : " ورابعها : الكلام بسبب الجهل بالعلوم ومراتبها ، والحق والباطل منها ، وهذا محتاج إليه في المتأخرين أكثر مما يُحتاج إليه في المتقدمين ، وذلك لأنَّ الناس انتشرت بينهم أنواع من العلوم المتقدمة والمتأخرة حتى علوم الأوائل ، وقد عُلِمَ أنَّ علوم الأوائل قد انقسمت إلى حق وباطل ، ومن الحق : علم الحساب والهندسة والطب ، ومن الباطل : ما يقولونه في الطبيعات وكثير من

( ١ ) بيان زغل العلم ص ٢١ - ٢٣ .

( ٢ ) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٣٧ .

الإلهيات وأحكام النجوم، وقد تحدّث في هذه الأمور أقوام . ويحتاج القادح بسبب ذلك أن يكون ميّزاً بين الحق والباطل لئلا يكتفر من ليس بكافر، أو يقبل رواية الكافر . والمتقدّمون قد استراحوا من هذا الوجه ، لعدم شيوع هذه الأمور في زمانهم .<sup>(١)</sup>

\* \* \* \* \*

( ٢ )  
ومعد ، فهذا بحث البدعة قد تكلمت عن كثير من مباحثه وذكرت أنواع البدعة ، وقدّمت قبل ذلك حكم الرواية عنهم . . . ولقد رأينا الذهبي في خلال هذا البحث إماماً ناقداً ، ذكر في " سِيرِهِ " كثيراً ما يتعلّق بهذا الموضوع ، وفصل أمر البدعة وحذّر من مقالاتهم ، وسأين حكم قبول رواياتهم أو ردّها ، وجلّى أثر الاختلاف في المذهب والمقيدة في الجرح والتعديل ، ووضّح مسألة تكفير أهل الأهواء والبدع ، وذكر أصناف البدعين وآراءهم ما يدل على براعة في معرفة السبل والفرق ومعتقداتها . . . وكان في ذلك كلّه مثال الناقد البصير المنصف الموع .

---

( ١ ) الاقتراح لابن دقيق العيد ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

( ٢ ) أما بدعة القول بخلق القرآن فقد أفردتها في بحث مستقل لأهميتها ، ولكثرة أقوال الحافظ الذهبي المتعلقة بهذه البدعة من الجوانب التاريخية والعقدية وتأثيرها عند الرواة .

## المبحث الخامس

## يُدْعَةُ الْقَوْلِ بِخِلَافِ الْفِرَاقِ وَأَثَرُهَا فِي الْحَرَكَةِ وَالنَّعْدِائِلِ

بحث الإمام الذهبي مسألة خلق القرآن بحثاً موسعاً ، وتعرض لجوانبها التاريخية والسياسية والعقدية ، وتأثيرها في الرواية جرحاً وتعديلاً .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الجليل أحمد بن حنبل <sup>(١)</sup> "كان الناس أمة واحدة ، ود بينهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر ، فلما استشهد قُتل باب الفتنة عمر رضي الله عنه ، وانكسر الباب ، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى ذبح صبراً . وتفرقت الكلمة وتمت وقعة الجسل ، ثم وقعة صقين ، فظهرت الخوارج ، وكفرت سادة الصحابة ، ثم ظهرت الروافض والنواصب .

وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية ، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة والجهمية والمجسمة — بخراسان في أثناء عصر التابسين ، مع ظهور السنة وأهلها إلى بعد المئتين ، فظهر المأمون الخليفة — وكان ذكياً متكلماً ، له نظري الممقول — فاستجلب كتب الأواغل ، وعُزِّبَ حكمة اليونان <sup>(٢)</sup> ، وقام في ذلك وقعد ، وخُجِّبَ <sup>(٣)</sup> ووضع ، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها ، بل والشيعة فإنه كان كذلك . وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن ، وامتنح العلماء ، فلم يُمهَّل ، وهلك لعامة <sup>(٤)</sup> . وخلق بعده شراً ولائاً

(١) سير أعلام النبلاء ١٠ : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) قال الإمام الذهبي في ترجمة المأمون في سير أعلام النبلاء ١٠ : ٢٧٣ : "وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأواغل ، وأمر بتعريب كتبهم ، بالغ ، وعمل الرصد — وهو موضع تميم في حركات الكواكب — فوق جبل دمشق ودعا إلى القول بخلق القرآن بالغ ، نسأل الله السلامة .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي مُشهر الدمشقي في سيره ١٠ : ٢٣٤ : "قلت : قد كان المأمون بأساً ولائاً على الإسلام "

(٣) خُجِّبَ : أي عُد . وأسرع فيه . وانظر : المعجم الوسيط ١/٣٢١

(٤) وذلك في رجب في ثانی عشره ، سنة ثمان عشرة ومئتين ، وله ثمان وأربعون سنة ، وانظر السير ١٠ : ٢٨٩ .

في الدين .

فإنَّ الأمة ما زالت على أنَّ القرآن العظيم كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله ، لا يعرفون غير ذلك ، حتى نَبَّعَ لهم القول بأنَّه كلام الله مخلوق مَجْعول ، وأنه إنما يضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف ، كبيت الله ، وناقاة الله ، فأنكر ذلك العلماء ، ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين ، فلما ولي المأمون ، كان منهم ، وأظهر المقالة .

وروى أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن محمد بن نوح : أنَّ الرشيد قال : بلغني أن بشر ابن غياث المريسي يقول : القرآن مخلوق ، فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَظْفَرَنِي بِهِ ، لَأَقْتُلَنَّهُ . ( ١ )

قال الدورقي : وكان متواريًا أيام الرشيد ، فلما مات الرشيد ، ظهر ، ودعا إلى الضلالة .

قلت : ثم إنَّ المأمون نظر في الكلام ، وناظر ، وبقى متوقفًا في الدعاء إلى بدعته .

قال أبو الفرج بن الجوزي : خالطة قوم من المعتزلة فحَسَّنوا له القول بخلق القرآن ، وكان

يتردَّد ويراقب بقايا الشيوخ ، ثم قوى عزمه ، وامتنح الناس . ( ٢ )

ثم ساق الذهبي بسنده إلى ابن أكرم ، قال : قال لنا المأمون : لولا مكان يزيد بسن

هارون ، لأظهرت أنَّ القرآن مخلوق . فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، ومن يزيد حتى

يُتَّقَى ؟ فقال : ويحك ! إني أخاف إنَّ أظهرته فيردُّ عليَّ يختلف الناس ، وتكون فتنة وأنا أكره الفتنة

وقال الرجل : فأنا أخبرك منه قال له : نعم . فخرج إلى واسط ، فجاء إلى يزيد ، وقال :

يا أبا خالد ، إنَّ أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويقول لك : إني أريد أن أظهر خلق القرآن .

فقال : كذبت على أمير المؤمنين . أمير المؤمنين لا يحملُ النَّاسَ على ما لا يعرفونه . فإنَّ كنت

صادقًا ، فأقعد . فإذا اجتمع الناس في المجلس ، فقل . قال : فلما أن كان الفد ، اجتمعوا

( ١ ) قال الذهبي في ترجمة بشر المريسي في السير ١٠ : ٢٠١ " قلت : قد أخذ بشر

في دولة الرشيد وأهين من أجل مقالته " انتهى " وانظر : مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٥ .

( ٢ ) مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ص ٣٨٦

فقام ، فقال كعقلته ، فقال يزيد : كذبت على أمير المؤمنين ، إنه لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه  
وما لم يقل به أحد . قال : فقدم وقال : يا أمير المؤمنين ، كنت أعلم ، وقصص عليه ، قال : ويحك  
يَلْعَبُ بِكَ !<sup>(١)</sup> " انتهى "

قال الذهبي أيضاً في ترجمة المأمون : " وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومئتين  
فأنكر الناس ذلك ، واضطربوا ، ولم ينل مقصوده ، ففتر إلى وقت . . . أما مسألة القرآن فما  
رجع عنها ، وصم على امتحان العلماء في سنة ثمانى عشرة ، وشدد عليهم فأخذه الله <sup>(٢)</sup> "

وقال الذهبي في معرض حديثه عن حوادث سنة ثمانى عشرة ومئتين في كتابه " المبر " —  
" وفيها امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن وكتب في ذلك إلى نائبه ببغداد ، بالغ في  
ذلك ، وقام في هذه البدعة قيام معتقدي بها ، فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه <sup>(٣)</sup> "

قال الذهبي في ترجمة المأمون : " وكتب المأمون إلى نائبه على العراق إسحاق بن  
إبراهيم الخزاز كتاباً يمتحن العلماء ، يقول فيه : " وقد عرفنا أن الجمهور الأعظم والسواد  
من حشور الرعية وسفلة العامة ، ممن لا نظر لهم ولا روية ، أهل جهالة وعي عن أن يعرفوا  
الله كنه معرفته ، ويقدره حق قدره ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ، فساوا بين الله وبين خلقه ،  
وأطبقوا على أن القرآن قديم ، لم يخترعه الله ، وقد قال : " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا ؛ فكل ما جعله  
فقد خلقه ، كما قال : " وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ " وقال : " نَقَضْتُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ " ، فأخبر  
أنه قصص لأمر أحدثه بعدها . وقال : " أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَلْتَ " والله محكم له ، فهو خالقه  
ومبدعه . . . إلى أن قال : " فمال قوم من أهل السمات الكاذب والتخشع لغير الله إلى موافقتهم  
فرأى أمير المؤمنين أنهم شر هذه الأمة ولعمرو أمير المؤمنين ، إن أكذب الناس من كذاب

( ١ ) انظر : تاريخ بغداد ٣٤٢/١٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٩ ، ونقل الذهبي من

كتاب " ذم الكلام " للهروي : عن عبد الوهاب بن الحكم قال : كان المأمون يسأل عن

يزيد بن هارون يقول : مات ، وما امتحن الناس حتى مات يزيد " انتهى "

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ٢٨١/١٠ - ٢٨٣ .

( ٣ ) المبر ٣٧٢/١ .

على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حق معرفته . فأجمع القضاة ، وامتحانهم ، فيما يقولون وأعلمهم  
أنى غير مستعين في عمل ، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه ، فإن وافقوا فمَرَّهم بتص من بحضرتهم  
من اليهود ، وسألتهم عن عملهم في القرآن وردَّ شهادة من لم يقر أنه مخلوق <sup>(١)</sup>  
” وكتب المأمون أيضاً في أشخاص سبعة <sup>(٢)</sup> : محمد بن سعد ، وابن معين ، وأبي  
مسلم المستنلي <sup>(٣)</sup> ، وإسماعيل بن داود ، وأحمد الدورقي ، فامتحانوا فأجابوا - قال ابن  
معين : جَبَّنا خوفاً من السيف <sup>(٤)</sup> .

ثم أشخصهم إلى بغداد وأمر إسحاق بن إبراهيم أن يجمعهم ويشهر بقولهم بحضرة  
العلماء ، وأن يأخذ إقرارهم أمام ذلك الجمع مرة أخرى ، ففعل إسحاق ذلك وأقرؤا به فخلص  
سبيلهم .

قال ابن كثير : ” وأحضر - أي إسحاق - خلقاً من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد  
وغيرهم فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك ، فأجابوا  
بمثل جواب أولئك موافقة لهم ، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة ، فإننا لله وإنا إليه راجعون <sup>(٥)</sup>  
وانما أجاب هؤلاء خوفاً من بطش السلطان ، وخشية من قطع الأرزاق . قال ابن كثير :  
” لا نهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه ، وإن كان له رزق على بيت المال قطع ، وإن كان  
مفتياً منع من الإفتاء ، وإن كان شيخ حديث رُبرع عن الإسماع والأداء ، ووقفت فتنة صماً ، ومحنة  
شنعاً ، وداهية دهياء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله <sup>(٦)</sup> ”

- ( ١ ) سیر اعلام النبلاء ، ٢٨٢/١ - ٢٨٨ ، وتاريخ الطبري ٦٣٣/٨ - ٦٣٣ .  
( ٢ ) لم يذكر الذهبي إلا ستة ، وأسقط منهم إسماعيل بن أبي مسعود ، كما أنَّ ابن كثير ذكر  
ستة أيضاً في ” البداية والنهاية ” ٣٠٨/١٠ وأسقط إسماعيل بن داود . وقد وردت -  
أسماءهم كاملة في ” محنة أحمد ” لحنبلي بن إسحاق ص ٣٠ ، والطبري في تاريخه  
٦٣٤/٨ ، ومحنة أحمد ” لعبد الغني المقدسي ص ٤٠ - ٤١ وغيرها كثير .  
( ٣ ) وهو مستنلي يزيد بن هارون واسمه : عبد الرحمن بن يونس ، انظر تاريخ بغداد ٢٥٨/١٠ .  
( ٤ ) سیر اعلام النبلاء ٢٨٨/١٠ .  
( ٥ ) البداية والنهاية ٣٠٩/١٠ .  
( ٦ ) البداية والنهاية ٣١٠/١٠ .

ثم كتب العأمون "يا حضار من أمتنع منهم: أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجند بسابوري ،  
 ومشر بن الوليد ، وأبي حسان الزياتي ، وعبيد الله بن عمر القواريري ، والحسن بن حماد  
 سجاده ، وعلي بن الجعد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وعلي بن أبي مقاتل ، وذئال بن  
 الهيثم بوقتيبة بن سميد ، وسعدويه الواسطي . . . في عدة ، فتلكا طاغفة ، وصم أحمد وابن  
 نوح ققيدا ، ومك بهما ، فلما بلغا الرقة ، تلقاهم موت العأمون ، وكان مرض بأرض الشفر" (١)  
 والعأمون لم يكن يدعوبزعه إلى بدعة وضلال ، بل إلى الحق الذي زين له حاشيته ، ويظهر  
 ذلك في وصيته إلى خليفته من بعده "المعتصم" حيث أشهد على نفسه "أن الله وحده لا شريك  
 له ، وأنه خالق ، وماسواه مخلوق ، ولا يخلو القرآن من أن يكون شيئاً له مثل ، والله لا يشل  
 له . . . . (٢)

وقال في وصيته لأخيه أيضاً : "وخذ بسيرة أخيك في القرآن ، واعمل في الخلافة إذ طوقها  
 الله عمل المرید لله ، لا تخاف من عقابه وعذابه . . . . (٣)

وتعهد بالخلافة إلى المعتصم ، ودخل بغداد في سبتهل شهر رمضان سنة ٢١٨ ،  
 قال الحافظ الذهبي في ترجمته : "قلت : وأمتحن الناس بخلق القرآن ، وكتب بذلك إلى  
 الأمصار ، وأخذ بذلك المؤننين وفقهاء المكاتب ، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة  
 عشر عاماً (٤)

وقال أيضاً : "وفي رمضان سنة عشرين ومئتين كانت محنة الإمام أحمد في القرآن ، وضرب  
 بالسياط حتى زال عقله ولم يجب فأطلقوه" (٥)

وقد أفرد الذهبي فصلاً طويلاً في أخبار محنة الإمام أحمد (٦) واستهله بقوله صلى الله عليه وسلم

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٨/١٠ ، وانظر: تاريخ الطبري ٦٣٦/٨ .

(٢) سير ٢٨٩/١٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٦٤٨/٨ - ٦٤٩ .

(٤) سير ٢٩١/١٠ .

(٥) سير ٢٩٢/١٠ .

(٦) سير ٢٣٢/١٠ - ٢٦٥ .

" لا يمتنع أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق علمه " (١) وقوله صلى الله عليه وسلم : " أحب الجهاد الى الله كلمة حق تقال لإمام جائر " (٢)

وقال : الصّدق بالحق عظيم ، يحتاج إلى قوة وإخلاص ، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به ، والقوي بلا إخلاص يُغْدَل ، فمن قام بهما كاملاً ، فهو صدّيق ، ومن ضَعَف ، فلا أقبل من التّألم والإنكار بالقلب وليس وراء ذلك إيمان ، فلا قوة إلا بالله (٣)

وقد ساق أبو نعيم وابن الجوزي حكايات باطلة وأخباراً موضوعة في امتحان المعتصم للإمام أحمد وضربه له ، كسقوط سراويل الإمام أحمد وغير ذلك .

قال الذهبي بعد إيراده رواية ساقها ابن الجوزي في سقوط سراويل الإمام أحمد : " هذه حكاية منكّرة أخاف أن يكون داود ( بن عرفة ) وضعها " (٤)

وقال أيضاً : " وهذه الحكاية لا تصح ، وقد ساق صاحب الحلية من الخرافات السّجّة هنا ما يستحيا من ذكره " (٥)

وقد خشي المعتصم من هلاك الإمام أحمد ممّا لقي من أصناف الضرب والأذى ، " قال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول : دعا المعتصم بعمّ أحمد ، ثم قال للناس : تعرفونهم؟ قالوا : نعم ، هو أحمد بن حنبل ، قال : فانظروا إليه ، أليس هو صحيح البدن ؟ قالوا : نعم ، ولولا أنه فعل ذلك ، لكنت أخاف أن يقع شيء لا يقام له . قال : ولما قال : قد سلّمتهم إليكم صحيح البدن ، هَذَا الناس وسكتوا "

قال الذهبي " قلت : ما قال هذا مع تمكنه في الخلافة وشجاعته إلا عن أمر كبير ، كأنه خاف أن يموت من الضرب ، فتخرج عليه العامة . ولو خرج عليه عامة بغداد لربما عجز عنهم " (٦)

(١) رواه الإمام أحمد ٤٧/٣ وانظر : السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٦٨) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٥١/٥ و ٢٥٦ ، وابن ماجه (٤٠١٢) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة المحدث الشهير الألباني (٤٩١) .

(٣) سير ٢٣٤/١١ .

(٤) سير ٢٥٥/١١ .

(٥) سير ٢٥٥/١١ أيضاً .

(٦) سير ٢٥٩/١١ - ٢٦٠ .

قال الإمام أحمد : " وما كان في القوم أرفأ بن ولا أرحم من أبي إسحاق ( المعتصم ) ، فأما الباكون فأرادوا قتلي وشاركوا فيه لو أطاعهم أو أجابهم إلى ذلك <sup>(١)</sup> .  
وقد رأى المعتصم بعد ما أذاق الإمام أحمد صنوف الضرب والتعذيب أن يخلي سبيله .  
قال صالح بن أحمد : " ثم خلى عنه ، فصار إلى المنزل ، وكان أثر الضرب بيّناً فـ في ظهره إلى أن توفي رحمة الله عليه <sup>(٢)</sup> .  
ومات المعتصم سنة سبع وعشرين ومئتين ، وخلفه ابنه " الواثق بالله " ولي الأمر بمعهـد من أبيه .

قال الذهبي في ترجمته : " وفي سنة إحدى وثلاثين ( ومئتين ) : قتل أحمد بن نصر الخزاعي <sup>(٣)</sup> الشهيد ظلماً ، وأمر باستحان الأئمة والمؤمنين بخلق القرآن <sup>(٤)</sup> .  
قال الذهبي في ترجمة الإمام أحمد : " قال حنبل : لم يزل أبو عبد الله بعد أن برى من الضرب يحضر الجمعة والجماعة ، ويحدث ويفتي ، حتى مات المعتصم ، وولي ابنه الواثق ، فأظهر ما أظهر من المحنة والميل إلى أحمد بن أبي ثؤاد وأصحابه . . . فبينما نحن في أيام الواثق ، إن جاء يعقوب ليلاً برسالة الأمير إسحاق بن إبراهيم إلى أبي عبد الله : يقول لك الأمير : إن أمير المؤمنين قد ذكرك ، فلا يجتمعن إليك أحد ، ولا تساكنتي بأرض — ولا مدينة أنا فيها ، فانهب حيث شئت من أرض الله . قال : فاخفى أبو عبد الله بقيّة حياة الواثق . . . <sup>(٥)</sup> .

وقد ذكر الذهبي والسبكي مناظرة وقعت بحضرة الواثق كانت سبباً في رجوعه عن استحان الناس <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) محنة الامام أحمد ، لحنبل بن اسحاق ص ٥١ .

( ٢ ) سيرة الامام أحمد ، لصالح ص ٦٦ .

( ٣ ) انظر ترجمة الإمام الكبير الشهيد أحمد بن نصر الخزاعي في سير أعلام النبلاء .  
١١٦٦ / ١ - ١١٦٩ .

( ٤ ) سير ٣١٢ / ١٠ .

( ٥ ) سير ٢٦٣ / ١١ - ٢٦٤ .

( ٦ ) انظر تفاصيل تلك المناظرة في سير النبلاء ٣٠٧ / ١ - ٣١١ ، وفي طبقات الشافعية الكبرى ٥٥ / ٢ ، وانظرها إن شئت في " محنة الإمام أحمد بن حنبل " للإمام عبـد الفتي المقدسي ص ١٦٢ - ١٧٥ .

وقال ابن الجوزي : " وقد رُوي أَنَّ الواثق رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته " ( ١ )

ومات الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومئتين ، هو بيع المتوكل على الله عند موت أخيه الواثق

في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين .

قال الذهبي في ترجمته : " قال خليفة : استُخلف المتوكل فأظهر السنة ، وتكلم بها ففس

مجلسه ، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة ، وسط السنة ، ونصر أهلها " ( ٢ )

وقال أيضاً : " وفي سنة ٢٣٤ أظهر المتوكل السنة ، وزجر عن القول بخلق القرآن ، وكتب

بذلك إلى الأمصار ، واستقدم المحدثين إلى سامراء ، وأجزل صلاتهم ، ورووا أحاديث الرواية

والصفات " ( ٣ )

وقال أيضاً : " غضب المتوكل على أحمد بن أبي نؤاد وصادره وسجن أصحابه وحمل ستة

عشر ألف ألف درهم وافتقر هو وآله " ( ٤ )

قال ابن الجوزي : " فأظهر الله به - أي بالمتوكل - السنة ، وكشف تلك الغمة ، فشكره الناس

على ما فعل " ( ٤ )

( ١ ) مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزي ص ٤٣٧ ، ومحنة الإمام أحمد للمقدس ص ١٧٥ .

( ٢ ) سير ٣٠ / ١٢ - ٣١ .

( ٣ ) سير ٣٤ / ١٢ .

( ٤ ) سير ٣٦ / ١٢ وقال الذهبي في ترجمة أحمد بن أبي نؤاد من سيره ١١ / ١٧١ : -

قلت : صادره المتوكل وأخذ منه ستة عشر ألف ألف درهم وافتقر . . . فالدنيا محن .

( ٥ ) مناقب الإمام أحمد ص ٤٧٩ . وقال الذهبي في ترجمة المتوكل ١٢ / ١٨ : « وكان

في المتوكل نصب ، نسأل الله العفو » وقال ذلك أيضاً في ترجمة نصر بن علي ١٢ / ٣٥ :

" قلت : والمتوكل سني ، لكن فيه نصب "

وقد نفى هذه التهمة الإمام المعافى بن زكريا النهرواني المتوفى سنة ( ٣٩٠ ) في كتابه

" الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي " ٢ / ٢١٧ .

وقد بعث المتوكل إلى الإمام أحمد يسأله عن أمر القرآن سوءاً لِمعرفة وتبصرة لاسوءال  
امتحان فأملئ على ابنه عبد الله جواباً مطولاً ، وما جاء في هذه الرسالة : " القرآن كلام  
الله غير مخلوق ، وهو الذي أذهب إليه ، لست بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من  
هذا ، إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن  
أصحابه ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك ، فإنَّ الكلام فيه غير محمود " ( ٢ )

وَعَلَّقَ الحافظ الذهبي على هذه الرسالة بقوله : " فهذه الرسالة إسنادها كالشمس ، فانظر  
إلى هذا النفس النوراني ، لا كرسالة الإصطخري ، ولا كالرد على الجهمية الموضوع على أبي  
عبد الله ، فإنَّ الرجل كان تقياً ورعاً لا يتغوّ به مثل ذلك . . . " ( ٢ )

وَعَلَّقَ عليها أيضاً في " تاريخ الإسلام " بقوله : " رواية هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات  
أشهد بالله أنه أملاها على ولده ، وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة الإصطخري  
ففيها نظر ، والله اعلم " ( ٣ )

وقد خرج الإمام من المحنة منتصراً ، وارتفع قدره وَعَلَتْ مكانته ، وما أَصْدَقَ كلمة الإمام  
الكبير ، والمحدثات الشهير علي بن المديني في ذلك : " إِنَّ الله عز وجل أُيِّدَ هذا الدين

( ١ ) انظر الرسالة بطولها في سير أعلام النبلاء ٢٨١ / ١١ - ٢٨٦ . وفي تاريخ الإسلام  
ص ١٢٠ - ١٢٤ ترجمة الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر .

( ٢ ) سير ٢٨٦ / ١١ ، ورسالة الإصطخري ، أحمد بن جعفر ، ذكرها بتمامها القاضي أبو  
يعلى في " طبقات الحنابلة " ٢٤ / ١ - ٣٦ وفيها من العبارات ما يخالف ما عليه السلف  
بقوله . . . " وكَلَّمَ الله موسى تكليماً مِنْ فيه ، وتناوله التوراة من يده إلى يده . . . " وذكر  
الحافظ الذهبي قطعة من هذه الرسالة بسنده في ترجمة الإمام أحمد ٣٠٢ / ١١ - ٣٠٣  
وقال : " إلى أن ذكر أشياء من هذا الأنموذج المنكر ، والأشياء التي - والله - ما قالها  
الإمام : فقاتل الله واضعها . ومن أسمع ما فيها قوله : " ومن زعم أنه لا يرى التقليد ، ولا -  
يقلد دينه أحداً ، فهذا قول فاسق عدو لله ! فانظر إلى جهل المحدثين كيف  
يروون هذه الخرافة ويسكتون عنها " انتهى .

( ٣ ) تاريخ الإسلام ص ١٠٦

بأبي بكر الصديق يوم الـ ..... سورة ، وأحمد بن حنبل يسوم  
المحنة\* (١)

ولقد بين الحافظ الذهبي ثمرة المحنة، في ترجمة الإمام مالك وهي جدرة بالامام مالك  
وأحمد وسائر الأئمة الذين ثبتوا في المحن .

قال الحافظ الذهبي مبيناً أثر المحنة: " قلت: هذا ثمرة المحنة المحمودية، إنها ترفع  
المعد عند المؤمنين، وكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويغفوا الله عن كثير، " ومن  
يرد الله به خيراً يُصِيبُ منه\* (٢)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " كلُّ قضاء المؤمن خيرٌ له\* (٣) وقال الله تعالى: " —  
( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ) (٤)

وأنزل تعالى في وقعة أحد قوله: ( أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ شَيْئاً قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا  
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ) . (٥)

وقال: ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ) (٦)

فالمؤمن إذا استحن صبراً وتغلب، واستغفر، ولم يتشاغل بدم من انتقم منه، فالله يحكم  
مقسط، ثم - يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له\* (٧) انتهى .  
هذا، وقد توسع المؤرخون في بيان حال هذه المحنة وأوردت لها كتب مستقلة (٨) ولكن

(١) تاريخ بغداد ٤/٤١٩ . تهذيب الكمال ١/٤٥١ . طبقات علماء الحديث ٢/٨٣ . المقصد الأرشد ١/٦٩ .

(٢) أخرجه البخاري . ١/٩٤ في كتاب المرضى من حديث أبي هريرة .

(٣) قطعة من حديث أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٤ من حديث أنس، قال: رسول الله  
صلى الله عليه وسلم " عجباً للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيراً له .

(٤) سورة محمد ، آية ٣١ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ٦٥ .

(٦) سورة الشورى ، آية ٣٠ .

(٧) سيرة أعلام النبلاء ٨/٨١ .

(٨) استفاضت أخبار المحنة في كتب التاريخ ، واستقصى أخبارها الذهبي في " تاريخ  
الاسلام " وفي " سيرة أعلام النبلاء " ١١/٢٣٦ - ٢٨٢ ، وابن كثير في " البداية والنهاية =

الحافظ ابن عساكر لم يتعرض لها في كتابه " تاريخ دمشق " ، ربما دعا الحافظ الذهبي أن يتعجب من صنيعه فقال : " العَجَب من أبي القاسم علي بن الحسن الحافظ كيف ذكر - ترجمة أحمد مطوّلة كموائد ، ولكن ما أورد من أمر المحنة كلمة مع صحة أسانيد ها ، فإن حنبلا ألفها في جزأين ، وكذلك صالح بن أحمد وجماعة " ( ١ )

وقال أيضاً : " أنا اتعجب من الحافظ ابن القاسم كيف لم يسق المحنة ولا شيئاً منها في " تاريخ دمشق " مع فرط استقصائه ، ومع صحة أسانيد ها ، ولعل له نية في تركها " ( ٢ )  
أول من تكلم في مسألة خلق القرآن وأدّعى أنَّ القرآن مخلوق الجعد بن درهم ، ( ٣ ) وقال ذلك في سنة نيف وعشرين ومئة ، ثم تبعه على قوله الجهم بن صفوان ، ( ٤ ) ثم من بعدهما بشر بن غياث المريسي ( ٥ )

= ١٠٠ / ٣٣١ - ٣٣٥ ، وتاج الدين السبكي في " طبقات الشافعية الكبرى " ١ / ٢٠٥ - ٢١٧ وأورد ها ابن عم الإمام أحمد ، حنبل بن إسحاق المتوفى سنة ٢٧٣ في " محنة ابن حنبل " وقد طبع بتحقيق الدكتور محمد نفش ، وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ، كما أورد ها الحافظ غيد الفنى المقدسى المتوفى سنة ٦٠٠ في كتابه " محنة الإمام أحمد بن حنبل " وقد طبع قريباً بتحقيق الدكتور عبد الله التركي .  
( ١ ) سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٦٤ .

( ٢ ) تاريخ الاسلام ص ١٠٦ .

( ٣ ) قال الذهبي في ترجمته في سير النبلاء ٥ / ٤٣٣ : " هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا كلم موسى ، وأن ذلك لا يجوز على الله " انتهى .

( ٤ ) قال الذهبي في ترجمته في سير النبلاء ٦ / ٢٦ : " جهم بن صفوان ، أبو محرز الراسبي السمرقندي ، الكاتب المتكلم ، أشّ الضلالة ، ورأس الجهمية ، كان صاحب ذكاء وجدال وكان ينكر الصفات ، وينزّه الباري عنها بزعمه ، ويقول بخلق القرآن ، ويقول : إن الله في الأمكنة كلها " انتهى .

( ٥ ) قال الذهبي في ترجمته في سير النبلاء ١٠ / ١٩٩ : " المتكلم المناظر البارع ، أبو عبد الرحمن ، بشر بن غياث البغدادي المريسي : كان بشر من كبار الفقهاء أخذ عن أبي يوسف القاضي . . ونظر في الكلام فقلب عليه ، وأسلخ من الورع والتقوى ، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه ، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم ، فمقتة أهل العلم ، وكفره عريضة ، ولم يدرك جهم بن صفوان ، بل تلقى مقالاته من أتباعه ، انتهى .

فأما الجعد فقتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٨ ، وأما الجهم فقتل بمسرو  
في خلافة هشام بن عبد الملك في سنة ١٢٨ ، وأما بشر فأخذه الله في ذي الحجة سنة  
ثمانى عشرة ومئتين .

وقد انتشرت هذه البدعة في عهد المأمون انتشاراً واسعاً ، ومن ثم في عهد أخيه  
المعتصم ، ثم في عهد الواثق ، وكثرت المناظرات فيها وامتنح الناس بسببها .  
وقد أجمع أئمة المسلمين على أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي : " ومذهب  
السلف وأئمة الدين ، أن القرآن العظيم المنزل كلام الله تعالى غير مخلوق ، ومذهب  
المعتزلة أنه مخلوق ، وأنه كلام الله تعالى على حد قولهم : عيسى كلمة الله ، وناقاة الله ،  
أي إضافة ملك .

ومذهب داود <sup>(١)</sup> وطائفة أنه كلام الله ، وأنه محدث مع قولهم : بأنه غير مخلوق .

وقال آخرون من الحنابلة وغيرهم : هو كلام الله قد يمّ غير محدث ولا مخلوق . وقالوا : إذا  
لم يكن مخلوقاً فهو قديم ، ونوزعوا في هذا المعنى وفي إطلاقه .

وقال آخرون : هو كلام الله مجازاً ، وهو دالّ على القرآن القديم القائم بالنفس .

وهنا بحوث وجدال لا نخوض فيها أصلاً ، والقول هو ما بدأنا به ، وعليه ننسّ أزيد من ثلاث  
مئة إمام ، وعليه امتحن الإمام أحمد ، وضرب بالمصياط رحمه الله <sup>(٢)</sup>

(١) قال الذهبي في ترجمته في سير النبلاء ٩٧/١٣ - ١٠٨ : " داود بن علي ، البحر ،  
الحافظ ، العلامة ، المعروف بالأصبهاني ، رئيس أهل الظاهر . وكان يقول في القرآن : أما  
الذي في اللوح المحفوظ فغير مخلوق ، وأما الذي هو بين الناس فمخلوق وكان يقول : القرآن  
محدث ، ولفظي بالقرآن مخلوق . . فقام عليّ داود خلق من أئمة الحديث وأنكروا قوله ودّعوه .  
وفي الجملة ، فداود بن علي بصير بالفقه ، عالم بالقرآن ، حافظ للأثر ، رأس في معرفة الخلاف ،  
من أوعية العلم ، له ذكاء خارق ، وفيه دين متين ، وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعة لهم علم  
باهر ، وذكاء قوي ، فالكمال عزيز ، والله الموفق ، توفي سنة سبعين ومئتين انتهى  
وانظر أيضاً في بيان مذهب داود في القرآن : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٦٠/٢ -  
٣٦١ ، وتاريخ بغداد للخطيب ٣٧٤/٨ .

(٢) سير ٢٨٩/١٢ - ٢٩٠ .

وقال الذهبي في ترجمة الإمام أحمد : " الذي لا ترتاب فيه أنَّ القرآن كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق ، والله أعلم " ( ١ )

وقال الحافظ الذهبي أيضاً في ترجمة داود الظاهري : " فالقرآن العظيم ، حروفه ومعانيه وألفاظه كلام ربِّ العالمين ، غير مخلوق " ( ٢ )

وقال في ترجمة أسد بن الفرات المتوفى سنة ( ٢١٣ ) : " قال داود بن أحمد : رأيت أسداً يمرض التفسير ، فقرأ : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ( فقال : ويل أمُّ أهـل البدع ، يزعمون أنَّ الله خلق كلاماً ، يقول : أنا .

قلت : آمنت بالذي يقول : إني أنا الله ، وبأنَّ موسى كليمه سمع هذا منه ، ولكني لا أدرى كيف تكلم الله " ( ٣ )

ونقل الذهبي في ترجمة منصور بن عمار : " قال مُكَلِّم بن منصور : كتب بشر المريس إلى أبي : أخبرني عن القرآن ؟ فكتب إليه : عافانا الله ، وإياك ، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة ، تشارك فيها السائل والمجيب ، تماطى السائل ما ليس له ، وتكلف المجيب ما ليس عليه ، وما أعرف خالقاً إلا الله ، وما دونه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، فانتبه بنفسك والمختلفين فيه معك إلى أسمائه التي سَمَّاه الله بها ، ولا تسم القرآن باسم من عندك ، فتكون من الضالين " ( ٤ )

وقد توسَّع أئمة أهل السنة بتقرير هذه الحقيقة ، فأفرد الإمام أبو القاسم اللالكائي المتوفى سنة ( ٤١٨ ) في كتابه " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " فصلاً في أن القرآن كلام الله غير مخلوق ( ٥ )

وتحدَّث الإمام البيهقي المتوفى سنة ( ٤٥٨ ) في كتابه " الأسماء والصفات " عن هذه المسألة من ناحية الاعتقاد ، وأفرد باباً فيما يشهد لقول أهل السنة من كلام الصحابة والتابعين وأئمة

( ١ ) سير ٢٩٠/١١ .

( ٢ ) سير ١٠١/١٣ .

( ٣ ) سير ٢٢٧/١٠ .

( ٤ ) سير ٩٢/٩ .

( ٥ ) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢١٦/١ - ٣٦٣ .

( ١ ) المسلمين

كما استوفى ابن حزم في "الفصل في الملل والأهواء والنحل" الكلام على شرح هذه المسألة في أناةٍ وهدوءٍ ( ٢ )

وكذلك الإمام المحدث الحسين بن سعيد البغوي المتوفى سنة ( ٥١٦ ) في "شرح السنة" حيث سرد في مطلعها دلائل كثيرة على أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ( ٣ )

ومن بعده الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ( ٥٩٧ ) حيث أفرد في كتابه "فنون الألفان" باباً في أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ( ٤ )

وهذا الأمر، وهو أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، متفق عليه بين أئمة أهل السنة ولكن لما وقعت تلك الفتنة خاض بعض العلماء في بعض متعلقات هذه المسألة، ففصلوا بين اللفظ والمفهوم، والتلاوة والتملؤ، وعرفوا باللفظية، ومنهم من وقف، فلم يقل مخلوقاً ولا غير مخلوق، وعرفوا بالواقفة، وسأحدث عن كل منهما بما يأتي :

١ - اللفظية :

أول من قال : "لفظي بالقرآن مخلوق" هو الحسين بن علي الكرابيسي البغدادي، المتوفى سنة ( ٢٤٨ ) :

قال الذهبي في ترجمته : "وكان من بحور العلم، ذكياً فطناً فصيحاً لیسناً، تصانيفه فروع الفروع والأصول تدل على تبحره، إلا أنه وقع بينه وبين الإمام أحمد فُهِجِرَ لذلك . وهو أول من فتن اللفظ، ولما بلغ يحيى بن معين، أنه يتكلم في أحمد . قال : ما أخوجه أن يضرب وشتمه .

قال حسين في القرآن : لفظي به مخلوق، فبلغ قوله أحمد فأنكره، وقال : هذه بدعة فأوضح حسين المسألة، وقال : تلفظك بالقرآن . يعني : غير المفهوم . وقال في أحمد : أي شيء نعمل بهذا الصبي ؟ إن قلنا : مخلوق، قال : بدعة، وإن قلنا : غير مخلوق، قال : بدعة ففضب لأحمد أصحابه ونالوا من حسين . . .

( ١ ) انظر : الأساء والصفات للبيهقي ص ٢٣٩ - ٢٦٩ . والاعتقاد، ص ٣٢ - ٤١ .

( ٢ ) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٣ - ١٥ .

( ٣ ) انظر : شرح السنة للبغوي، باب الرد على من قال بخلق القرآن ١٨١ / ١ - ١٨٨ .

( ٤ ) انظر : فنون الألفان في عيون علوم القرآن ص ١٤٩ - ١٩٥ .

ولاريب أن ما ابتدعه الكرابيسي ، وَحَرَّرَهُ فِي مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ ، وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ هُوَ حَقٌّ ، لَكُنْ  
أَبَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لَثَلَا يُتَذَرَعُ بِهِ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، فَسَدَّ الْبَابَ لَأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَفَرِّزَ  
التلفظ من المفوظ الذي هو كلام الله إلا في ذهك ( ١ )

وقال الذهبي في ترجمة الإمام أحمد : " فقد كان هذا الإمام لا يرى الخوض في هذا البحث  
خَوْفًا أَنْ يُتَذَرَعَ بِهِ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَلَكِنَّ عَنْ هَذَا أَوْلَى .  
آمَنَّا بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَأَقْدَارِهِ ، وَالْبَعْثِ ، وَالْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ  
الدين .

ولو بسط هذا السطر وَحَرَّرَ وَقَرَّرَ بِأَدْلَتِهِ لَجَاءَ فِي خَمْسِ مَجَلَّدَاتٍ ، بَلْ ذَلِكَ مُوجُودٌ مُشْرَحٌ  
لِمَنْ رَآهُ ، وَالْقُرْآنُ فِيهِ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .

ومعلوم أن التلفظ شيء من كسب القارئ غير المفوظ ، والقراءة غير الشيء المقروء ، والتلاوة  
وحسنها وتجويدها غير المتلو ، وصوت القارئ من كسبه فهو يحدث التلفظ والصوت والحركة  
والنطق ، وإخراج الكلمات من أذناه المخلوقة ، ولم يحدث كلمات القرآن ولا ترتيبه ، ولا تأليفه  
ولا معانيه .

فلقد أحسن هذا الإمام أبو عبد الله حيث منع من الخوض في المسألة من الطرفين إن كُـلَّ  
واحد من إطلاق الخلقية وعدمها على اللفظ موهم ، ولم يأت به كتاب ولا سنة ، بل الذي لا يرتاب  
فيه أن القرآن كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق ، والله أعلم ( ٢ )

وقال الحافظ الذهبي في " تذكرة الحفاظ " : " فَإِنَّ التَّلْفُظَ بِالْقُرْآنِ مِنْ كَسْبِ النَّاسِ ، وَالتَّلْفُظُ  
والتلاوة والكتابة والحفظ أمور من صفات العبد وفعله ، وأفعال المباد مخلوقة ، لكن السلف  
كانوا لا يسوغون إطلاق ذلك لأنهم خافوا أن يتذرع بذلك إلى القول بخلق القرآن ، ورأوا إطلاق  
الخلقية على اللفظ بدعة .

وقد ورد عن الإمام أحمد بن حنبل ما يوضح ذلك ، فإنه قال : " من قال : لفظي بالقرآن -  
مخلوق ، يريد به القرآن فهو جَـهَـمِيٌّ ( ٣ )

( ١ ) سير ٨٠ / ١٢ - ٨٢ -

( ٢ ) سير ٢٩٠ / ١١ -

( ٣ ) تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٤٨ -

وقال الذهبي أيضاً في ترجمة الإمام أحمد <sup>(١)</sup> « قلت : الذي استقرَّ الحالُّ عليه ، أنَّ أبابا عبد الله كان يقول : من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فهو مبتدع . وأنه قال : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جَهمي . فكان رحمه الله لا يقول هذا ولا هذا . وربما أوضح ذلك فقال : لفظي بالقرآن مخلوق ، يريد به القرآن فهو جَهمي . » <sup>(٢)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٨/١١  
(٢) تعددت الروايات عن الإمام أحمد في حكمه على اللفظية وبعض هذه الروايات لم تثبت عنه ، وقد نقل ابن قتيبة بعض هذه الروايات في  
"الاختلاف في اللفظ" ص ٤٥ : " واختلفت عن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الروايات ، ورأينا كل فريق منهم يدعي ويحكي عنه قولاً . . . ، ومن عجيب ما حكى عنه مما لا يشك أنه كذب عليه إذ كان موثقاً بحمد الله رشيداً أنه قال : " من زعم أن القراءات - مخلوقة فهو جهمي ، والجهمي كافر ، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع ، وكل بدعة ضلالة فكيف يتوهم على أبي عبد الله مثل هذا القول ، وأنت تعلم أنَّ الحق لا يخلو من أن يكون في أحد الأمرين ، وإذا لم يخل من ذلك صار الحق في كفر أو ضلال ! ! » انتهى وأورد البيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٦٦ بسنده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : " سمعت أبي يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق - يريد به القرآن - فهو كافر " قلت : - القائل البيهقي - هذا تقييد - حفظه عنه ابنه عبد الله ، وهو قوله : " يريد به القرآن " فقد غفل عنه غيره من حكى عنه في اللفظ خلاف ما حكينا " انتهى . وانظر كتاب الاعتقاد للبيهقي ص ٤١ .

ونقل الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أحمد عن الحاكم بسند صحيح ٢٩١/١١ : - حدثنا الأعم ، سمعت محمد بن إسحاق الصَّغاني ، سمعت فوزان صاحب أحمد يقول : سألتني الأثرم وأبو عبد الله المصيطي أن أطلب من أبي عبد الله خلوة ، فأسأله فيها عن أصحابنا الذين يفرقون بين اللفظ والمحكمي ، فسألت ، فقال : القرآن كيف تصرف في أقواله وأفعاله فغير مخلوق .

فأما أفعالنا فمخلوقة . قلت : فاللفظية تعدُّهم بإبأ عبد الله من الجهمية ؟ فقال : لا . الجهمية الذين قالوا : القرآن مخلوق " انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٤٥٠/١٢ : فتبين أنَّ الواجب أن يقال ما قاله الأئمة كأحمد وغيره : أن كلام الإنسان كله مخلوق حروفه ومعانيه ، - والقرآن غير مخلوق حروفه ومعانيه ، وقال أيضاً ٧٣/١٢ : فإذا أنشد المنشد قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . كان هذا الكلام كلام لبيد لفظاً ومعناه مع أنَّ أصوات المنشدين له تختلف ، وتلك الأصوات ليست صوت لبيد . وكذلك من روى حديث : " إنما الأعمال بالنيات . . . " كان هذا الكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفظاً ومعناه ، ويقال لمن رواه : أرى الحديث بلفظه ، وإن كان صوت المبلغ ليس هو صوت الرسول ، فالقرآن أولى أن يكون كلام الله لفظاً ومعناه ، وإذا قرأه القراء =

.....

= فإنما يقرؤنه بأصواتهم ،

ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة يقولون من قال : اللفظ بالقرآن أو لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال : انه غير مخلوق فهو مبتدع .

وفي بعض الروايات عنه : من قال لفظي بالقرآن مخلوق - يعني به القرآن - فهو جهمي ، لأنَّ اللفظ يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً ، وسمي هذا فعل العبد ، وفعل العبد مخلوق ، ويراد باللفظ : القول الذي يلفظ به الالفاظ ، وذلك كلام الله ﷻ كلام القارئ ، فمن قال : انه مخلوق فقد قال : ان الله لم يتكلم بهذا القرآن ، وان هذا الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله ، ومعلوم أنَّ هذا مخالف لما علم بالاضرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وأما صوت العبد فهو مخلوق ، وقد صرح الإمام أحمد وغيره بأنَّ الصوت المسموع صوت العبد ، ولم يقل أحمد قط : من قال : ان صوتي بالقرآن مخلوق فهو جهمي . وقال أيضاً ٤٢٦/١٢ : وكذلك في كلام الإمام أحمد وأئمة أصحابه وغيرهم ممن إضافة صوت العبد بالقرآن إلى العبد أخذاً بحديث : " زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " وقوله : " لله أشدُّ أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته "

ثم قال : ولو ذكرت ما في كلام الإمام أحمد وأصحابه وغيرهم من الرد على من يقول : لفظ العبد أو صوته غير مخلوق ، أو يقول : إنَّ الصوت المسموع من القارئ قديم لظال .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام هشام بن عمار الدمشقي : " وقال أبو بكر المروزي في كتاب " القصص " : وَرَدَ عَلَيْنَا كِتَابٌ مِنْ دِمَشْقَ : سَلِّ لَنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنْ هَشَامًا ، قَالَ : لَفْظَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ . فَسَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : أَعْرِفُهُ طَيَّاشًا ، <sup>(١)</sup> لَمْ يَجْتَرِ الْكَرَابِيسُ أَنْ يَذَكَرَ جَبْرِيلَ وَلَا مُحَمَّدًا ، هَذَا قَدْ تَجَهَّهَ فِي كَلَامٍ غَيْرِ هَذَا "

قلت : كان الإمام أحمد يسدُّ الكلام في هذا الباب ، ولا يجوّزه ، وكذلك كان يبدع من يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق . ويضللُّ من يقول : لفظي بالقرآن قديم ، ويكفر من يقول : القرآن مخلوق . بل يقول : القرآن كلام الله مُنْزَلٌ غير مخلوق ، وينهى عن الخوض في مسألة اللفظ .

ولاريب أنَّ تَلَفُّظَنَا بِالْقُرْآنِ مِنْ كَسْبِنَا ، وَالْقُرْآنُ الْمَلْفُوظُ الْمَتْلُوكَلَامُ اللَّهُ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَالتَّلَفُّظُ وَالْكِتَابَةُ وَالصَّوْتُ بِهِ مِنْ أَعْمَالِنَا ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ <sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أحمد بن صالح المصري : وقال محمد بن موسى المصري : سألت أحمد بن صالح ، فقلت : إِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ : إِنَّ لَفْظَنَا بِالْقُرْآنِ غَيْرُ الْمَلْفُوظِ فَقَالَ : لَفْظَنَا بِالْقُرْآنِ هُوَ الْمَلْفُوظُ ، وَالْحِكَايَةُ هِيَ الْمَحْكِيُّ ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، مِنْ قَالِ : لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ .

قلت : إِنَّ قَالِ : لَفْظِي وَعَنَى بِهِ الْقُرْآنَ ، فَنَعْمٌ .

( ١ ) قال الذهبي في ترجمة هشام بن عمار في سيره ٤٣١ / ١١ - ٤٣٢ : " قلت : أما قول الإمام فيه : طَيَّاشٌ ، فَلِأَنَّهُ بَلَفَهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَلَّى لَخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ . فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا يَنْبَغِي إِطْلَاقُهَا ، وَإِنْ كَانَ لَهَا مَعْنَى صَحِيحٌ ، لَكِنْ يَحْتَاجُ بِهَا الْحُلُولِيُّ وَالْإِتْحَادِيُّ . وَمَا بَلَفْنَا أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى لَشَيْءٍ إِلَّا بِجِبِلِّ الطُّورِ فَصِيرَهُ كَدَّكَ ، وَفِي تَجَلِّيهِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتِلَافٌ أَنْكَرْتُهُ عَائِشَةُ ، وَأَثْبَتَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَكُلُّ حَالٍ فَكَلَامُ الْأَقْرَانِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ يَحْتَمِلُ ، وَطَيْئُهُ أَوْلَى مِنْ بَيْتِهِ ، إِلَّا أَنْ يَتَّفَقَ الْمُتَعَاصِرُونَ عَلَى جَرَحِ شَيْخٍ ، فَيُعْتَمَدُ قَوْلُهُمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " انتهى .

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ٤٣٢ / ١١ .

وان قال : لفظي ، وقصد به تلفظي وصوتي وفعلي أنه مخلوق ، فهذا مصيب ، فالله تعالى خالقنا ، وخالق أفعالنا وأدواتنا ، ولكن الكفا عن هذا هو السنة ، ويكفي المرء أن يؤمن بأن القرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله على قلب نبيه ، وأنه غير مخلوق ، ومعلوم عند كل ذي ذهن سليم أن الجماعة إذا قرؤوا السورة ، أنهم جميعاً قرؤوا شيئاً واحداً ، وأن أصواتهم وقراءاتهم وحناجرهم أشياء مختلفة ، فالمقرء كلام ربه ، وقراءتهم وتلفظهم ونغماتهم متباينة ، ومن لم يتصور الفرق بين التلفظ والمفوظ ، قد عجز وأعرض عنه ( ١ )

وقال أيضاً موضحاً هذه المسألة متوسعاً في بيانها في ترجمة الإمام أحمد بن صالح المصري في كتابه " معرفة القراء الكبار " : ( ٢ )

" وقال القاسم بن أسد الأصبهاني الحافظ : حدثنا أبو بكر محمد بن موسى المصري وجماعة ، قال : سألت أحمد بن صالح قلت : إن قوماً يقولون : إن لفظنا بالقرآن هو غير المفوظ به . قال : لفظنا بالقرآن هو المفوظ ، والحكاية هي المحكي ، والدراسة هي المدرس ، وهو كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : لفظي به مخلوق ، فهو كافر .

قلت : اللفظ يطلق على ألفاظ القرآن وكلماته وحروفه التي بلغها جبريل عن الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، فليس لجبريل ، ولا للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ، إلا مجرد البلاغ ، ومحض الأداء ، من غير زيادة حرف فيه ، ولا نقصان ولا تصرف .

ويطلق اللفظ أيضاً على تلفظ القارئ ، ونطقه ، وتلاوته للمفوظ المتلو المسموع . تقول : فلان حسن التلفظ ، وعذب التلاوة ، ومليح القراءة ، وردي الأداء ، وشع القراءة . ولا تقول : فلان حسن المفوظ ، ولا المقرء ؛ لأن التلاوة والتلفظ والقراءة من فعل القارئ ، وأفعاله مخلوقة .

قال الله تعالى : ( وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ) ( ٣ )

( ١ ) المصدر السابق ١٢ / ١٧٧ .

( ٢ ) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١ / ١٨٦ - ١٨٨ .

( ٣ ) سورة الصافات : ٩٦ .

ولا يوصف المقرء ، ولا الملفوظ من كتاب الله تعالى ، إلا بما وصفه الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم من العظمة والهدى والإعجاز ، والحق فهو في نفسه شيء واحد من حيث النعوت الكاملة ، سواء قرأه خيرُ الناس أو شرُّ الناس ، لكن الصوت الحسن ، واللفظ العذب يزيد حلاوة وطلاوة مراعاة في الأسماع والقلوب ؛ لاسيما إذا سُمع كذلك من قارئ مجتهد ، صاحب قلب منيب ، وخوف شديد .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " <sup>(١)</sup> وقال لما سمع قراءة أبي موسى : " لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مَزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ " <sup>(٢)</sup> وقال : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَدٍ " <sup>(٣)</sup> وقال أبو موسى يارسول الله : " لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَسَمَّعُ لِحَبْرَتِهِ تَحْبِيرًا " <sup>(٤)</sup> يعنى : لَحَسَّنْتُ صَوْتِي وَتَلَاوْتِي تَحْسِينًا يَطْرِبُكَ وَيَسْرِكُ ، قال تعالى : ( فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ) <sup>(٥)</sup> جاء في التفسير قال : هو السماع . <sup>(٦)</sup>

فالصوت وتحسينه ، والتلاوة وتجويد ها ، والتلفظ وتحريره ، ونحو ذلك جميعه ، من كسب العبد ، والقرآن الملفوظ المتلو السمع المكتوب كلام الله تعالى .  
وقوله : " غير مخلوق ، فمن زعم أنه كلام البشر ، فقد ضلَّ وكفر ، وأضلَّ منه زعم أن صوت العبد أو تلفظه وتلاوته وكتابتها غير مخلوقه "

- (١) أخرجه أحمد ٢٨٥/٤ ، وأبو داود (١٤٦٨) ، والنسائي (١٠١٥) (١٠١٦) ، وفي فضائل القرآن من السنن الكبرى (٧٥) ، وأبو عبيد في غريب الحديث ٢/١٤١ ، والحاكم ١/٥٧١ ، والبخارى في خلق أفعال المباد (٢٤٠) ، الإيجري في أخلاق حملة القرآن (٨١) من رواية طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب وهو حديث صحيح .  
(٢) رواه البخارى ٩٢/٩ ، ومسلم (٧٩٣) ، والنسائي (١٠٢٠) (١٠٢١) ، وفي فضائل القرآن (٧٦) ، والدارمي (١٤٩٧) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .  
(٣) رواه أحمد ٧/١ ، وابن ماجه (١٣٨) عن أبي بكر وعمر ، ورواه الحاكم ٣/٣٦٨ ، — والبيهقي ٤٥٢/١ عن عمر ، ورواه أحمد ٤٤٥/١ عن ابن سمود .  
(٤) قال الحافظ في الفتح ٩٣/٩ : أخرجه أبو يعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى (٧٢٤٢) ، وابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم .  
(٥) سورة الروم : ١٥  
(٦) وهو قول الأوزاعي ويحيى بن أبي كبير ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤/١٢ - ١٣ .

ولم يُرد أحمد بن صالح هذا قط، وإن كان ظاهرُ عبارته يدلُّ عليه، والشأن في صحة ذلك عنه، لأن رايها لا أعرفه. وقد غلط غير واحد من الكبار في هذه المسألة، وما ذكرته لك فيها فهو قُصْل الخطاب، والله أعلم .

وهي من أدق السائل التي يعذر الله فيها العباد بالجهل إن شاء الله، فقد جهل بعض الناس، وقالوا: صوت العبد القديم، كما جهل بعض الناس وقالوا: ليس لله كلام يسمع انتهي .

وكما أنَّ الكرابيسي أول من قال بمسألة اللفظ، كذلك فإنَّ الإمام داود الظاهري أول من فَرَّق في مسألة القرآن فَادَّعى أنَّ ما في اللوح المحفوظ غير مخلوق، وما بين الناس فهو مخلوق .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة داود بن علي الأصفهاني، <sup>(١)</sup> قال أحمد بن كامل القاضي، أخبرني أبو عبد الله الوَّراق، أنه كان يورِّق على داود بن علي وأنه سمعه يسأل عن القرآن، فقال: أما الذي في اللوح المحفوظ، فغير مخلوق، وأما الذي هو بين الناس فمخلوق .

قلت: هذه التفرقة والتفضيل ما قالها أحدٌ قبله فيما علمت، وما زال المسلمون على أنَّ القرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله حتى أظهر المؤمن القول بأنه مخلوق، وظهرت مقالة المعتزلة، فثبت الإمام أحمد بن حنبل وأئمة السنة على القول: بأنه غير مخلوق، إلى أن ظهرت مقالة حسين بن علي الكرابيسي، وهي: أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن ألفاظنا به مخلوقة. فأنكر الإمام أحمد ذلك، وعدَّه بدعة، وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن، فهو جهيم . وقال أيضاً: من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فزجر عن الخوض في ذلك من الطرفين .

وأما داود فقال: القرآن محدث. فقام على داود خلق من أئمة الحديث وأنكروا قوله مدَّعوه، وجاء بعده طائفة من أهل النظر، فقالوا: كلام الله معنى قائم بالنعز، وهذه الكتب المنزلة دالة عليه، ودققوا وعمقوا فنسأل الله الهدى واتباع الحق .

فالقرآن العظيم ، حروفه ومعانيه وألفاظه كلام رب العالمين ، غير مخلوق ، وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " (١) ولكن لما كان الملفوظ لا يستقلُّ إلا بتلفظنا ، والمكتوب لا ينفك عن كتابةٍ ، والمتلو لا يسمع إلا بتلاوة تالٍ ، صُعِبَ فهم السألة ، وَعُسِرَ إفراز اللفظ الذي هو الملفوظ من اللفظ الذي يُعنى به التلفظ ، فالذهن يعلم الفرق بين هذا وبين هذا ، والخوض في هذا خَطَرٌ — نسأل الله السلامة في الدين ، وفي السألة بحوثٌ طويلة الكُفَّ عنها أولى ، ولا سيما في هذه الأزمان المزمنة .

وقال الذهبي في " الميزان " : فَإِنَّ جَاهِيزَهُمْ - أي علماء الكلام - ما فَرَّقُوا بَيْنَ الَّذِي فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ وَبَيْنَ الَّذِي فِي الْمَصَاحِفِ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ لَازِمٌ عِنْدَهُمْ لِهَذَا وَلِهَذَا ، وَأَمَّا يَقُولُونَ : الْقَائِمُ بِالذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، لِأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ تَعَالَى ، وَالْمُنَزَّلُ إِلَيْنَا مُحَدَّثٌ (٢)

وقال الإمام الذهبي في ترجمة عالم الإمامية حمزة بن محمد الجعفرى المتوفى سنة

( ٤٦٥ ) : وَكَانَ يَحْتَجُّ عَلَى حَدِيثِ الْقُرْآنِ بِدُخُولِ النَّاسِخِ فِيهِ وَالْمَنْسُوخِ (٣)

فَرَّدَ الذَّهَبِيُّ عَلَى زَعْمِهِ بِقَوْلِهِ : " فَأَمَّا مَا زَعَمَهُ مِنْ حَدِيثِ الْقُرْآنِ ، فَإِنَّ عَنِي بِهِ خَلْقُ الْقُرْآنِ فَهُوَ مُعْتَرِضٌ لِي جِهِي ، وَإِنْ عَنَى بِحَدِيثِهِ إِنْزَالَهُ عَلَى الْأُمَّةِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، فَلَا يَأْسُ بِقَوْلِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُعَدَّتْ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ) (٤) أَيْ مُعَدَّتْ الْإِنْزَالُ إِلَيْهِمْ (٥) .

واشتهرت مسألة اللفظ بعد أن تكلم البخارى فيها ، فَلَمَّا قَدِمَ نِيسَابُورَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِثْنَتَيْنِ وَأَقَامَ بِهَا يَحْدُثُ أَهْلَهَا وَيُعَلِّمُهُمْ ، وَكَانَ إِمَامَ نِيسَابُورَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهَلِيُّ يُوَصِّى طَلِبَةَ الْعِلْمِ بِالسَّمَاعِ مِنْهُ ، بَلْ كَانَ هُوَ نَفْسَهُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعِلَلِ وَالرِّجَالِ ، وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجُمَةِ

( ١ ) سبق تخريجه ص ٣٤٩

( ٢ ) الميزان ١٥ / ٢ - ١٦ .

( ٣ ) سير اعلام النبلاء ١٤١ / ١٨

( ٤ ) سورة الانبياء ، آية ٢

( ٥ ) سير اعلام النبلاء ١٤٢ / ١٨

الإمام البخاري قصته مع محمد بن يحيى الذهلي. ( ١ )

قال الذهبي : " قال الحاكم أبو عبد الله : سمعت محمد بن حامد البزاز قال : سمعت الحسن بن محمد بن جابر يقول سمعت محمد بن يحيى قال لنا لما ورد محمد بن اسماعيل البخاري نيسابور : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه . فذهب الناس إليه وأقبلوا على السماع منه ، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى ، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه . ( ٢ )

وقال أبو أحمد بن عدي : ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه ، وحسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه ، واجتماعهم عليه ، فقال لأصحاب الحديث : إنَّ محمد بن اسماعيل يقول : اللفظ بالقرآن - مخلوق ، فامتنعوا في المجلس . فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، مات قول في اللفظ بالقرآن ، مخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ، ولم يجبه . فقال الرجل : يا أبا عبد الله ، فأعاد عليه القول ، فأعرض عنه . ثم قال في الثالثة ، فالتفت إليه البخاري ، وقال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأفعال المباد مخلوقة ، والامتحان بدعة ، فشعب الرجل ، وشعب الناس ، وتفرقوا عنه . وقعد البخاري في منزله " ( ٣ )

وقال أبو حامد الأعشي : رأيت محمد بن اسماعيل . . . ومحمد بن يحيى يسأله عن الأسامي والكنى وظل الحديث ، ويمرّ فيه محمد بن اسماعيل مثل السهم . فما أتى على هذا شهر حتى قال محمد بن يحيى : ألا من يختلف إلى مجلسه فلا يختلف إلينا ، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد أنه تكلم في اللفظ ، ونهيناه ، فلم ينته ، فلاتقربوه ، ومن يقربه فلا يقربنا ، فأقام محمد بن اسماعيل ها هنا مدة ، ثم خرج إلى بخاري " ( ٤ )

( ١ ) انظر تفاصيل هذه القصة في سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٢ - ٤٦٣ ، وهدى الساري

ص ٤٩٠ - ٤٩١

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٢ ، وأخرجه الخطيب ٣٢/٢ من طريق محمد بن حامد البزاز ، وفي السند

مجهول ( ٣ ) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٢ - ٤٥٤

( ٤ ) المصدر السابق ٤٣٢/١٢ - ٤٥٥ أيضاً . وانظر تفصيل رأي البخاري في هذه المسألة

في كتابه " خلق أفعال المباد "

قال الحافظ الذهبي في ترجمة محمد بن يحيى الذهلي : " كان الذهلي شديداً متمسكاً بالسنة ، قام على محمد بن إسماعيل لكونه أشار في مسألة خلق العباد " إلى أن تلفظ القاري بالقرآن مخلوق ، فلتج واصرح ، والحق أوضح . ولكن أبى البحث في ذلك أحمد بن حنبل ، وأبو زرعة ، والذهلي ، والتوسع في عبارات المتكلمين سداً للذريعة فأحسنوا ، أحسن الله جزاءهم . وصاف ابن إسماعيل مختفياً من نيسابور ، وتألم من فعل محمد بن يحيى ، وما زال كلام الكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بفرد . . . . . رحم الله الجميع وغفر لهم ولنا آمين ( ١ )

وقال الذهبي أيضاً مبيناً أن الذهلي أخذ بلازم كلام البخاري ، ولازم المذهب ليس بلازم كما هو مذهب المحققين " قلت : المسألة هي أن اللفظ مخلوق ، سُرِّط عنها البخاري ، فوقف فيها ، فلما وقف واحتج بأن أفعالنا مخلوقة واستدل لذلك ، فهم منه الذهلي أنه يوجه مسألة اللفظ ، فتكلم فيه ، وأخذ بلازم قوله هو وغيره . ( ٢ )

وسبب الجفوة التي وقعت بين الإمامين البخاري والذهلي أن الذهلي لشدة تمسكه بالسنة لما بلغه أن البخاري يقول : لفظ القرآن مخلوق ، فهجره لذلك ، ولير بسبب الحسد . والدليل على أن الشائعة قد بلغت الذهلي ما رواه الخطيب بإسناد صحيح عن محمد بن نصر المروزي قال : سمعته ( أي البخاري ) يقول : من زعم أني قلت : لفظ القرآن مخلوق فهو كذاب ، فإنني لم أقله . فقلت له : يا أبا عبد الله قد خاض الناس فيه هذا وأكثروا فيه . فقال : ليس إلا ما أقول . وقال أبو عمرو الخفاف : قال البخاري : فذكر من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمدان وحلبوان وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والبصرة أنني قلت :

" لفظ القرآن مخلوق فهو كذاب ، فإنني لم أقله ————

المقالة إلا أنني قلت : أفعال العباد مخلوقة .

وقال الحافظ الذهبي ! . . . . .

( ١ ) سير ١٢ / ٢٨٥ .

( ٢ ) سير ١٢ / ٤٥٧ .

( ٣ ) تاريخ بغداد ٢ / ٣٢ .

( ٤ ) سير ١٥ / ٤٩٤ .

((مع أَنَّ البخاريَّ - رحمه الله - ما صَرَّحَ بذلك ولا قال : أُلْفَظُنا\_\_\_\_\_  
بالقرآن مخلوقة ، بل قال : أفعالنا مخلوقة\_\_\_\_\_))

وقد أدت "مسألة" اللفظ إلى إعنات وإغلاظ واستحان للمخالفين كما سيأتي بيانه  
في كلام الإمام ابن قتيبة\_\_\_\_\_.  
قال الحافظ الذهبي في ترجمة محمد بن نصر المروزي : "قال الحافظ أبو عبد الله بن  
سندة في "مسألة الايمان" : صَرَّحَ محمد بن نصر في كتاب "الايمان" بأن الايمان مخلوق ، وأنَّ -  
الإقرار والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق ثم قال : وهجرة على ذلك علماء وقته ، وخالفه  
أئمة خراسان والعراق .

قلت : الخوض في ذلك لا يجوز ، وكذلك لا يجوز أن يقال : الايمان والإقرار والقراءة والتلفظ  
بالقرآن غير مخلوق ، فإنَّ الله خلق المباد وأعمالهم . والايمان : فقول وعمل ، والقراءة والتلفظ  
من كسب القاري ، والمقروء الملفوظ : هو كلام الله ووحيه وتنزيله ، وهو غير مخلوق ، وكذلك كلمة  
الايمان ، وهي قول "لا إله إلا الله ؛ محمد رسول الله" داخله في القرآن ، وما كان من القرآن  
فليس بمخـلـوق ، والتكلم بها من فعلنا ، وأفعالنا مخلوقة .

ولو أننا كلما اخطأ إماماً في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له ، قمنا عليه ، ودعناه  
وهجرناه ، لما سلَّم معنا لا ابن نصر ، ولا ابن مند ، ولا من هو أكبر منهما ، والله هو هادي الخلق  
إلى الحق وهو أرحم الراحمين ، فنعمون بالله من الهوى والفظاظة" (٢)

(١) انظر قول البخاري في انكاره على من اتهمه بقوله باللفظ في القرآن في تاريخ الخطيب  
٣٢/٢ ، وسير أعلام النبلاء ، وابن حجر في هدى الساري ص ٤٩١ ، ذكر جميعهم الرواية  
عن "تاريخ بخاري" لغنجار . وقد أورد ها اللالكائي أيضاً من غير طريق غنجار في "شرح  
أصول اعتقاد أهل السنة"

(٢) سير ٣٩/١٤ - ٤٠ . وذكر أئمة الحديث ما في الراوى من بدعة ويزنون كل قدح بما  
يليق به فهو من انصافهم ودقتهم .

ومن أعظم من صور آثار هذه المسألة وصفها وصفاً دقيقاً الإمام ابن قتيبة، فقد عاين هذه المحنة ورأى آثارها فقال في كتابه "الاختلاف في اللفظ": "وليس لما اختلفوا فيه مما يقطع الإلغة، ولأما يوجب الوحشة، لأنهم مجمعون على أصل واحد، وهو القرآن كلام الله غير مخلوق في كل موضع وكل جهة وعلى كل حال، وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لفموضه ولطف معناه، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه، ولم يكن معهم آلة التمييز ولا فحص النظاريين ولا علم أهل اللغة... وكل من ادعى شيئاً أو انتحل نحلة فهو يزعم أن الحق فيما ادعى وفيما انتحل خلا الواقع الشاك، فإنه يقر على نفسه بالخطأ لأنه يعلم أن الحق في أحد الأمرين الذين وقف بينهما وأنه ليس على واحد منهما، وقد بلي بالفريقين المستبصر المسترشد، وبإعانتهم ومحتتهم وإغلاطهم لمن خالفهم وكفاره وإكفاره من شك في كفره، فإنه ربما ورد الشيخ المصرف فعمد للحديث، وهو من الأدب غل ومن التمييز، ليس له من معاني العلم إلتقاد سنه، وأنه قد سمع ابن عيينة وأبا معاوية ويزيد بن هارون وأشباههم. فيبدؤونه قبل الكتاب بالمحنة، فالويل له إن تلثم أو تمكث أو سعل أو تنحج قبل أن يعطيهم ما يريدون، فيحمله الخوف من قد حهم فيه واسقاطهم له على أن يعطيهم الرضا فيتكلم بغير علم ويقول بغير فهم..... أفترى لو كان ما هم عليه من اعتقادهم هذا الأمر أصل التوحيد الذي لا يجوز للناس أن يجهلوه، وقد سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهةً كان يجب أن يبلغ فيه هذه الغاية فكيف وهم لو سئلوا: من أين قلتم؟ ما رجعوا في ذلك إلى وثيقة من حديث يثرونه أو قول إمام من العلماء يحسن تقليد مثله، أو قياس يطردونه، وإنما هو رأي رأوه وقد يخطئ الرأي، وظن ظنوه، وأجهل الناس من جعل ظنه لله ديناً" (١)

## ٢ - الواقع:

قال الحافظ ابن حجر: "والواقع في القرآن من لا يقول مخلوق ولا ليس بمخلوق" (٢)

(١) الاختلاف في اللفظ ص ٤٣ ، ٥١ - ٥٢ .

(٢) هدى الساري ص ٤٥٩ .

وقد أئرد الإمام اللالكائي فصلاً في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" ساء : سياق ماروي في تكفير من وقنف في القرآن شاكاً أنه غير مخلوق . فروى عن علماء أهل المدينة والكوفة صفداد ومصر والشام والجزيرة والشغور وخراسان <sup>(١)</sup> ، وقد أحسن اللالكائي حيث قيد التوقف بالشك .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة أحمد بن صالح المصري : " قال أبو داود : سألت أحمد بن صالح عن قال : القرآن كلام الله ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق ، فقال : هذا شك والشاك كافر . قلت : بل هذا ساكت ، ومن سكت تورعاً لا ينسب إليه قول ، ومن سكت شاكاً مزيئاً على السلف فهذا مبتدع . <sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة يعقوب بن شيبة : " قال أحمد بن كامل القاضي : كان يعقوب بن شيبة من كبار أصحاب أحمد بن المعدل ، والحارث بن مسكين ، فقيهاً سرياً ، وكان يقف في القرآن .

قلت : أخذ الوقف عن شيخه أحمد المذكور ، وقد وقف علي بن الجعد ، ومصعب الزبيري ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وجماعة ، وخالفهم نحو من ألف إمام ، بل سائر أئمة السلف والخلف على نفي الخليفة عن القرآن وتكفير الجهمية ، نسال الله السلامة في الدين " <sup>(٣)</sup>

( ١ ) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٩ . والمجيب أنه ذكر من الأئمة الذين قالوا بتكفير من وقف في القرآن نعيم بن حماد المروزي من أهل مصر ، وهشام بن عمار من أهل الشام . وقد قال الحافظ ابن حجر في التهذيب ١٠ / ٤٦٢ في ترجمة نعيم ابن حماد " قال سلمة بن قاسم : كان له مذهب سوء في القرآن كان يجعل القرآن قرآنين فالذي في اللوح المحفوظ كلام الله تعالى ، والذي بأيدي الناس مخلوق انتهى . قال الحافظ : " كأنه يريد الذي في أيدي الناس ما يتلون به بالسنتهم ، ويكتبونه بأيديهم ، ولا شك أن المداود والورق والكاتب والتالي وصوته مخلوق ، وأما كلام الله سبحانه فإنه غير مخلوق قطعاً " انتهى وأما هشام بن عمار فتقدم الكلام عنه في مسألة اللفظ .

( ٢ ) سير اعلام النبلاء ١٢ / ١٧٧ .

( ٣ ) المصدر السابق ١٢ / ٤٧٨ .

" قال أبو بكر المروزي : أظهر يعقوب بن شيبة الوقف في ذلك الجانب من بغداد ، فحذر أبو عبد الله منه ، وقد كان المتوكل أمر عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمد بن حنبل عن يقلت القضاء ، قال عبد الرحمن : فسألت عن يعقوب بن شيبة . فقال : مبتدع صاحب هوى .

قال الخطيب : وصفه أحمد بذلك لأجل الوقف \* ( ١ )  
أثر مسألة خلق القرآن في الجرح والتعديل :

إن الدارس لكتب الرجال ، والمطلع على كتب التاريخ بين سنتي ٢١٨ إلى سنة ٢٣٢ وما بعدها يجد الأثر الواضح والتأثير الكبير لهذه الفتنة التي نتجت عن التأثر بالفلسفة وفشو علم الكلام والجدل . ويرى الناظر في كتب النقد : الجرح بسبب هذه المحنة ، وإن كان الجرح بمسألة خلق القرآن نادر بالنسبة للبدع الأخرى ، مع أن الخلاف فيها يعود إلى مسألة اللفظ والوقف اللتين سبق بيانها .

ولا بد قبل إيراد بعض الأسئلة الشاهدة لتأثير هذه المحنة من الإشارة والثناء على الإمام الجليل ناصر السنة أحمد بن حنبل وعلى موقفه النبيل الشجاع في فتنة القول بخلق القرآن . فقد كانت محنته وخروجه منها صابراً محتسباً ما أكرمه الله به واختصه دون سائر أقرانه ، لذلك اجتمعت كلمتهم بالثناء عليه وكان بحسبك علم السنة وناصرها .

يقول الدكتور الشيخ وصي الله عباس في مقدمة تحقيقه لكتاب العلل للإمام أحمد :  
 " كان الإمام أحمد يرجو ويطلب من أصحابه الذين لهم مكانة معروفة بين الناس علماً وديانة أن لا يسارعوا في التقيّة ، وأن لا يوافقوا في القول بخلق القرآن ، وكان يرى أنهم لو صبروا كان لهم عند الدولة اعتبار ، وما سارعت في تنفيذ ما أراد المعتزلة منها ، فلما تسارعوا في استعمال التقيّة ، وبقي الإمام وقيل من الآخرين الذين ليس لهم كبير مكانة في الشعب هانت على الدولة أن تأخذهم بحجة أن جمهور العلماء والفقهاء معها كما صارت مواقفهم سبباً لزلزلة أفكار العامة واضطرابها أيضاً .

( ١ ) المصدر السابق ٤٧٨/١٢ أيضاً ، وانظر تذكرة الحفاظ ٥٧٨/٢ .

( ٢ ) مقدمة تحقيق كتاب العلل للإمام أحمد ٨٠/١ بتصرف واختصار يسير .

وكانت نعمة الإمام بالأخص على أولئك الذين لم يدخلوا في المحنة ، ولم يصابوا  
بأذى قليل ولا كثير ، بل خافوا في المستقبل وتخاذلوا ،  
ورأى الإمام أنهم فرطوا في أمانة الدعوة والقيام بجانب الحق ونصرته ، فكان  
من الطبيعي أن ينبعث الغضب لله في نفسه .  
والحق أن هجر الإمام للمجيبين في المحنة لم يكن إلا تأديباً وتشنيعاً لفعلهم  
ولم يكن تجريحاً في عدالتهم بحال .  
فجزى الله إمام أهل السنة والجماعة أحمد ابن حنبل عليه موقفه وثباته وشجاعته  
وجراته في الحق .

وأسوق الآن بعض الأمثلة الشاهدة لتأثير هذه المحنة في الجرح والتعديل :

١ - أبو نعيم ، الفضل بن دكين الكوفي المتوفى سنة (٢١٩) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال أبو العباس السراج عن الكديمي . قال : لما دخل أبو نعيم  
على الوالي ليمتحنه . . . فقال : أدركت بالكوفة وبها أكثر من سبع مئة شيخ ، الأعسن فمن دونهم  
يقولون : القرآن كلام الله وعنقي أهون من زري هذا " (١)

وقال الذهبي أيضاً : " عن الفضل بن زياد : سألت أحمد : أيجري عندك ابن فضيل مجرى  
عبيد الله بن موسى ؟ : لا ، كان ابن فضيل أستر ، وكان عبيد الله صاحب تخطيط ، روى أحاديث

---

( ١ ) سير اعلام النبلاء ١٠ / ١٤٩ .

سوء . قلت : فأبو نعيم يجرى مجراها ما ؟ قال : لا ، أبو نعيم يقظان في الحديث ، وقلم فني الأمر - يعني المحنة <sup>(١)</sup> فالإمام أحمد وثقه بوصفٍ مدوحٍ زائد على التوثيق وهو بيان ثباته في المحنة رحمه الله تعالى .

٢ - الإمام الحافظ الصدوق إسماعيل بن أبي أويس المتوفى سنة (٢٢٦) .

قال الذهبي في ترجمته : " ذكره أحمد بن حنبل مرة ، فوثقه ، وقال : قام في أمر المحنة - مقاماً محموداً " <sup>(٢)</sup>

٣ - الإمام الحافظ الحجة علي بن الجعد المتوفى سنة (٢٣٠) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال زياد بن أيوب : كنت عند علي بن الجعد ، فسألو عن القرآن ، فقال : القرآن كلام الله ، ومن قال : مخلوق ، لم أعفّه . فقال أحمد : بلغني عنه أشد من هذا .

وقال أبو زرعة : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن علي بن الجعد ، ولا سميد بن سليمان ، ورأيت في كتابه مضمناً عليهما <sup>(٣)</sup> " وحق للإمام وهو علم الأعلام في السنة في تلك الحقبة أن يحذر من يرى فيه أدنى بدعة .

وقال محمد بن حماد المقرئ : سألت يحيى بن معين عن علي بن الجعد ، فقال : ثقة صدوق ، ثقة صدوق ، قلت : فهذا الذي كان منه ؟ فقال : أيس كان منه ؟ ثقة صدوق .

وقال فيه سلم : هو ثقة لكنه جهل .

قلت : ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه .

وقد كان طائفة من المحدثين ينتظمون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة ، ولا فعلي إمام كبير حجة ، يقال : مكث ستين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وحسبك أن ابن عدي يقول في " كالمه " : لم أرفى رواياته حديثاً منكراً إذا حدث عنه ثقة <sup>(٤)</sup>

وقال الذهبي في ترجمة عبد الله بن الإمام أحمد : " وامتنع من الأخذ عن علي بن الجعد لوقفه في مسألة القرآن " <sup>(٥)</sup>

(١) المصدر السابق ١٠ / ٥٥٥ .

(٢) المصدر السابق ١٠ / ٣٩٤ .

(٣) المصدر السابق ١٠ / ٤٦٥ ، وسعيد بن سليمان هو سعد بن وهب وسألت الكلام عنه .

(٤) سير اعلام النبلاء ١٠ / ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٥) المصدر السابق ١٣ / ٥١٢ ، وانظر الميزان ٣ / ١١٦ .

(\*) ليس هذا تنطاعاً ، بل هو من ورعهم وإنصافهم ، يذكرون ما في الراوى من بدعة وينزلون كل شخص منزله .

وقال الحافظ ابن حجر في "تعجيل المنفعة" : قلت : كان عبد الله بن أحمد لا يكتب إلا عن أذن له أبوه في الكتابة عنه ، وكان لا يأذن له أن يكتب إلا عن أهل السنة ، حتى كان يمنعه أن يكتب عن أجاب في المحنة ، ولذلك فاته علي بن الجعد ونظراؤه من السند (١) .  
 ٤ - الإمام الثبت سعيد بن سليمان الواسطي ، الملقب بسعدويه ، المتوفى سنة (٢٢٥) :  
 قال الذهبي في ترجمته : " قال أبو حنبل : ثقة مأمون ، لعله أوثق من عثمان وأما أحمد بن حنبل فكان يفضُّ منه ، ولا يرى الكتابة عنه ، لكونه أجاب في المحنة ثقةً ، ويقول : صاحب تصحيف ماشئت .

وقال أبو بكر الخطيب : كان سعدويه من أهل السنة ، وأجاب في المحنة (٢) .  
 ٥ - الإمام الثقة القدوة ، عبد الملك بن عبد العزيز ، أبو نصر التمار ، المتوفى سنة (٢٢٨) :  
 قال الذهبي في ترجمته : " قال أبو زرعة الرازي : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة ، عن أبي نصر التمار ، ولا ابن معين ، ولا من امتحن فأجاب .  
 وقال أبو الحسن الميموني : صحَّ عندي أنه - يعني أحمد - لم يحضر أباً نصر التمار حين مات ، فحسبت أن ذلك لما كان أجاب في المحنة .  
 قلت : أجاب تقيّة وخوفاً من النكال ، وهو ثقة بحاله ، ولله الحمد (٣) .  
 وقال الذهبي في ترجمته في "الميزان" : " كان من امتحن في خلق القرآن فأجاب وخاف ، فقال سعيد بن عمرو : سمعت أباً زرعة يقول : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ولا يحيى بن معين ولا أحد من امتحن فأجاب .

قلت : هذا تشديد ومبالغة ، والقوم معذرون تركوا الأفضل فكان ماذا (٤) .

٦ - الإمام المحدث الصادق ، بشر بن الوليد الكندي المتوفى سنة (٢٣٨) :  
 (١) تعجيل المنفعة ص ١٦ .

(٢) سير ٤٨٢/١٠ والظاهر أن عدم الكتابة عنه لكونه صاحب تصحيف ، ثم لأنه أجاب في المحنة ، وقد عرفنا أن الإمام كان يسك عن أجاب في المحنة مؤقتاً .  
 (٣) سير ٥٢٢/١٠ وكأنَّ الحافظ الذهبي فهم أنَّ نهى الإمام أحمد عن الكتابة عنه تضعيفاً ، والحق أنَّ الإمام كان يمتنع ويمنع أولاده وأصحابه حتى لا يستهان بالمسألة وليبر أنه يسقط القائلين بها عن العدالة ، ولقد كان هو وأتباعه رمزاً للحق في هذه الأثر ولو أنه حدَّث عنهم لهانت المسألة .

(٤) الميزان ٦٥٨/٣ .

قال الذهبي في ترجمته : " وكان حسن المذهب ، وله هفوة لا تزال صدقة وخيرة إن شاء

الله .

قال سعد العوفي : سمع به رجل إلى الدولة ، وقال : إنه لا يقول بخلق القرآن ، - فأمر به المعتصم أن يحبس في داره ، ووكل بيباه . فلما استخلف المتوكل أمر بإطلاقه ، وعاش وطال عمره ، ثم إنه قال : كما أني قلت : القرآن كلام الله ، ولم أقل : إنه مخلوق ، فكذلك لا أقول : إنه غير مخلوق ، بل أقف ، ولزم الوقف في المسألة ، فنفر منه أصحاب الحديث للوقوف وتركوا الأخذ عنه ، وحمل عنه آخرون " ( ١ )

٧ - الإمام الحافظ الثقة إبراهيم بن المنذر القرشي الحزامي المدني ، المتوفى سنة

: ( ٢٣٦ )

قال الذهبي في ترجمته : " وقال عبدان بن أحمد الهمداني : سمعت أبا حاتم يقول : إبراهيم بن المنذر أعرف بالحديث من إبراهيم بن حمزة الزبيري ، إلا أنه خلط في القرآن جاء إلى أحمد بن حنبل ، فاستأذن فلم يأذن له أحمد ، وجلس حتى خرج ، فسلم على أحمد فلم يرد عليه السلام " ( ٢ )

وقال الحافظ ابن حجر : " قال الساجي : بلغني أن أحمد كان يتكلم فيه ويذمه ، وكان قدم إلى ابن أبي رواد قاصداً من المدينة " ( ٣ )

وعقد الحافظ ابن حجر في " هدي الساري " فصلاً فيمن ضُفَّ بأمر مردود . . . . . وعُدَّ منهم إبراهيم بن المنذر فقال : " تكلم فيه أحمد لدخوله إلى ابن أبي رواد " ( ٤ )

٨ - الإمام العلامة الصدوق ، مصعب بن عبد الله القرشي الأسدي الزبيري المدني المتوفى

سنة ( ٢٣٦ ) :

قال الذهبي في ترجمته : " وثقة الدارقطني وغيره ، ومنهم من تكلم فيه لأجل وقفه في مسألة القرآن

( ١ ) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٧٤ .

( ٢ ) المصدر السابق ١٠ / ٦٩٠ ، وانظر : الميزان ١ / ٦٧ .

( ٣ ) تهذيب التهذيب ١ / ٦٧ .

( ٤ ) هدي الساري ص ٤٦٠ .

قال أبو بكر المروزي : كان من الواقعة . فقلت له : قد كان وكيع وأبو بكر بن عياش يقسولان القرآن غير مخلوق . قال : أخطأ وكيع وأبو بكر . قلت : فعندنا عن مالك أنه قال : غير مخلوق . قال : أنا لم أسمعه . قلت : يحكيه إسماعيل بن أبي أويس .

قال الحسين بن قهم : كان مصعب إذا سُئل عن القرآن ، يفتُ ويمصّب من لا يفتُ ( ١ )

٩ - الامام الحجة ، أمير المؤمنين في الحديث ، أبو الحسن ، علي بن المديني ، المتوفى سنة ( ٢٣٤ ) :

قال الحافظ الذهبي في ترجمته : " قال ابن عمار الموصلي في " تاريخه " : قال لي علي ابن المديني : ما يمنعك أن تكفر الجهمية ، وكنت أنا أولاً لأكفرهم ؟ فلما أجاب علي في المحنة كتبت إليه أذكره ما قال لي ، وأذكره الله . فأخبرني رجلاً عنه أنه بكى حين قرأ كتابي . ثم رأيته بعد ، فقال لي : ما في قلبي ما قلت وأجبت إلى شيء ، ولكنني خفت أن أقتل ، وتعلم ضعفي ، اني لو ضربت سوطاً واحداً لمت ، أو نحو هذا .

قال ابن عمار : ودفع عني عليّ امتحان ابن أبي رواد إياي ، شفع فيّ ، ودفع عن غير واحد من أهل الموصل ، فما أجاب ديانته إلا خوفاً ( ٢ )

وقال الذهبي أيضاً : " قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : كان أبو زرعة ترك الرواية عن علي من أجل ما بدا منه في المحنة . وكان والدي يروى عنه لنزوه عَمَّا كان منه . قال أبي : كان عليّ علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل ( ٣ )

وقال التاج السبكي : " وكان عليّ بن المديني ممن أجاب إلى القول بخلق القرآن في المحنة فنقم ذلك عليه ، وزيد عليه في القول ، والصحيح عندنا أنه إنما أجاب خشية السيف ( ٤ )

قال الخطيب في تاريخه : " قال علي بن الحسين بن الوليد : حين ودّعت علي بن المديني قال : بلغ أصحابنا عني أَنَّ القوم كفَّارٌ ضَلَّال ، ولم أجد بداً من متابعتهم ، لأنني جلست في بيت

( ١ ) سير ٣٠/١١ - ٣١ .

( ٢ ) سير ٥٧/١١ ، وتاريخ بغداد ٤٧/١١ .

( ٣ ) سير ٥٩/١١ ، الجرح والتعديل ١٩٤/٦ .

( ٤ ) طبقات الشافعية ١٤٧/٢ .

مظلم ثمانية أشهر، وفي رجلي قيد ثمانية أمنان، حتى خفت على بصري، فإن قالوا: يأخذ منهم فقد سُبقت إلى ذلك، فقد أخذ من هو خير مني" (١)

وقال الحافظ ابن حجر: "تكلّم فيه أحمد ومن تابعه لأجل ما تقدّم من إجابته في المحنة وقد اعتذر الرجل عن ذلك وتاب وأتاب" (٢)

وأحسن من تصدّى للدفاع عن ابن المديني الإمام الذهبي في "الميزان" وأسوق كلامه بتمامه لأهميته، حيث قال: "أحد الأعلام الأثبات، وحافظ العصر، ذكره العقيلي في كتاب "الضعفاء" فبئس ماصنع، فقال: (٣) جَنَحَ إلى ابن أبي رواد والجهمية، وحديثه مستقيم إن شاء الله، قال لي عبد الله بن أحمد: كان أبي حدثنا عنه ثم أمسك عن اسمه وكان يقول: حدثنا رجل، ثم ترك حديثه بعد ذلك.

قلت: بل حديثه عنه في مسنده، وقد تركه إبراهيم الحري، وذلك لميله إلى ابن أبي رواد فقد كان محسناً إليه، وكذا امتنع مسلم من الرواية عنه في صحيحه لهذا المعنى، كما امتنع أبو زرعة وأبو حاتم من الرواية عن تلميذه محمد لأجل مسألة اللفظ.

ثم قال: "وقد بدت منه هفوة ثم تاب منها، وهذا أبو عبد الله البخاري - وناهيك به - قد شَكَنَ صحيحه بحديث علي بن المديني، وقال: ما استصغرت نفسي بين يدي أحد إلا بين يدي علي بن المديني.

ولو تركت حديث علي، وصاحبه محمد، وشيخه عبد الرزاق، وعثمان بن أبي شيبة، وإبراهيم ابن سعد، وعفان، وأبان العطار، وإسرائيل، وأزهر السمان، ومهوب بن أسد، وثابت البناني، وجريز بن عبد الحميد، لغلّقنا الباب، وانقطع الخطاب، ولما تآتت الآثار، واستولت الزنادقة ولخرج الدجال.

أفما لك عقلٌ يا عقيلي؟ أتدري فيمن تتكلم؟ وإنما اتبعناك في ذكر هذا النمط لنذب عنهم ولنزيّف ما قيل فيهم، كأنك لا تدري أن كل واحدٍ من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق

(١) تاريخ بغداد ٤٧١/١١

(٢) تهذيب التهذيب ٣٥٦/٧

(٣) الضعفاء الكبير ٢٣٥/٣، والميزان ١٣٨/٣

من ثقات كثيرين لم توردهم في كتابك ، فهذا ما لا يرتاب فيه محدث ، وأنا أشنتهى أن تعرفنى من هو الثقة الثبت ، الذي ما غلط ولا انفرد بمسألة لا يتابع عليه ؟ بل الثقة الحافظ إذا انفرد بأحاديث كان أرفع له ، وأكمل لرتبته ، وأدل على اعتناؤه بعلم الأثر وضبطه دون أقرانه لأشياء ما عرفها ، اللهم إلا أن يتبين غلطة ووهمه في الشيء فيعرف ذلك ، فانظر أول شيء إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبار والصغار ، ما فيهم أحد إلا وقد انفرد بسنة ، فيقال له : هذا الحديث لا يتابع عليه ، وكذلك التابعون ، كسل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم ، وما الفرض من هذا ؟ فإن هذا مقرر على ما ينبغي في علم الحديث ، وأن تفرد الثقة المتقن بعد صحيحاً غريباً ، وأن تفرد الصدوق ومن دونه بعد منكر ، وأن إكثار الراوي من الأحاديث التي لا يوافق عليها لفظاً أو إسناداً يصيره متروك الحديث .

ثم ما كل أحد فيه بدعة أوله هفوة أو ذنوب يقدر فيه بما يوهن حديثه ، ولا من شرط الثقة أن يكون معصوماً من الخطايا والخطأ ، ولكن فائدة ذكرنا كثيراً من الثقات الذين فيهم أدنى بدعة أولهم أو هام يسيرة في سعة علمهم أن يعرف أن غيرهم أرجح منهم وأوثق إذا عارضهم أو خالفهم ، فزِن الأشياء بالعدل والورع .

وأما علي بن المديني فإليه المنتهى في معرفة علم الحديث النبوي ، مع كمال المعرفة بنقد الرجال ، وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن ، بل لعله فرد زمانه في معناه . . . (١) ورغم توبة ابن المديني وانابته ، فقد روي أن الإمام أحمد لم يحدث عنه بعد المحنة بشيء كما سبق نقله من قول ابن أبي حاتم . (٢)

وذكر العقيلي في كتابه " الضعفاء " قال : قرأت على عبد الله بن أحمد كتاب العلل عن أبيه حكايات كثيرة عن علي بن عبد الله ، ثم قد ضرب على اسمه ، وكتب فوقه : حدثنا رجل ، ثم ضرب على الحديث كله ، فسألت عبد الله فقال : كان أبي حدثنا عنه ، ثم أسك عن اسمه ، وكان يقول : حدثنا رجل ، ثم ترك حديثه بعد ذلك . (٣)

( ١ ) انظر : الميزان ٤٠ / ٣ وقال الدكتور وصي الله عباس في مقدمة تحقيقه للعلل للإمام أحمد ٨٤ / ١ : إن ترك الرواية عن ابن المديني كان مؤقتاً ، ولذلك نجد نصوصاً كثيرة رواها الإمام في هذا الكتاب ( أي العلل ) كما نجد روايات كثيرة عنه في المسند . فيمكن أن يكون ضرب علي أحاديثه ثم أجازها ف رواها عنه تلامذته .

( ٢ ) الضعفاء ٢٣٩ / ٤ .

قال الحافظ الذهبي : " قلت : ويُروى عن عبد الله بن أحمد أن أباه أمسك عن الرواية عن ابن المديني ولم أر ذلك ، بل في " مسنده " عنه أحاديث ، وفي صحيح البخاري عنه جملة وافرة <sup>(١)</sup> .

وقال الذهبي أيضاً في ترجمة الإمام أحمد : " قال عبد الله : حدثني أبي ، قال حدثنا علي بن عبد الله ، وذلك قبل المحنة . قال عبد الله : ولم يحدث أبي عنه بعد المحنة بشيء . قلت : يريد عبد الله بهذا القول أن أباه لم يحمل عنه بعد المحنة شيئاً ، والا فسماع عبد الله بن أحمد لسائر كتاب " المسند " من أبيه كان بعد المحنة بسنوات في حدود سنة سبع أو ثمان وعشرين ومئتين ، وما سمع عبد الله شيئاً من أبيه ولا من غيره إلا بعد المحنة ، فإنه كان أيام المحنة صبياً مميّزاً ما كان حله يسمع بعد ، والله أعلم <sup>(٢)</sup> .

إنَّ ولادة عبد الله بن أحمد سنة ثلاث عشرة ومئتين ، ووقعت المحنة للإمام أحمد في شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومئتين وكان ابتداء حبسه من أيام المأمون قبل وفاته ، وكانت وفاة المأمون في رجب سنة ثمان عشرة ، وكان إخراجه من السجن في رمضان سنة عشرين ومئتين فمكث في السجن نحو ثمانية وعشرين شهراً <sup>(٣)</sup> .

وكانت بداية محنة علي بن المديني سنة تسع وعشرين . قال أبو عبيد الآجري : سمعت أبا داود يقول : أخذ علي بن المديني سنة تسع وعشرين ومئتين <sup>(٤)</sup> .

وإذا كان سراد الإمام عبد الله بن أحمد بامتناع أبيه عن الرواية عن ابن المديني بعد المحنة أي بعد رفعها في أيام المتوكل سنة أربع وثلاثين ومئتين ، ففي هذه السنة توفي الإمام ابن المديني ، فكيف - يحمل عنه ؟

والظاهر أنه يريد امتناعه عن الرواية بعد محنة ابن المديني سنة تسع وعشرين ومئتين ، والله

( ١ ) سير ١١ / ٥٩ .

( ٢ ) سير ١١ / ١٨١ .

( ٣ ) انظر : المنهج الأحمد ، للعليسي ١ / ٣٧ - ٣٨ .

( ٤ ) سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود ص ٢٠٠ .

أعلم .

قال الحافظ ابن حجر: " قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند بعد أن روى عن أبيه عن علي حديثاً : لم يحدث أبي بعد المحنة عنه بشيء ، وفي مسند طلق بن علي ، حدثنا أبي ، حدثنا علي بن عبد الله - أي ابن المديني قيل أن يمتحن - " ( ١ ) .

١٠ - الإمام الحافظ الثبت أبو مَعْمَر ، إسماعيل بن إبراهيم الهذلي المتوفى سنة ( ٢٣٦ ) .

قال الحافظ الذهبي : " حدث عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم . . . .

قال عبيد بن شريك البزاز : كان أبو مَعْمَر القطيعي من شدة إذلاله بالسنة يقول : لو تكلمت بغلتي لقلت : إنها سنينة قال : فأخذ في محنة القرآن ، فأجاب . فلما خرج ، قال : -

كفرنا وخرجنا .

وروى سعيد بن عمرو البرذعي عن أبي زرعة قال : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ، ولا أبي مَعْمَر ، ولا يحيى بن معين ، ولا عن أحد من استحسن فأجاب " ( ٢ ) .

١١ - الإمام الحافظ الجيهني ، أبو زكريا يحيى بن معين المتوفى سنة ( ٢٣٣ ) :

قال الحافظ الذهبي في ترجمته : " قال سعيد بن عمرو البرذعي : سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي ، يقول : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ، ولا عن يحيى بن معين ، ولا عن أحد من استحسن فأجاب .

قلت : هذا أمر ضيق ولا حرج على من أجاب في المحنة ، بل ولا على من أكرهه على صريح الكفر عملاً بالآية ( ٣ ) وهذا هو الحق . وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة ، فخاف من سطوة الدولة ، وأجاب بتيقن " ( ٤ ) .

قال الحافظ المقدسي في " محنة الإمام أحمد " بإسناده إلى أبي بكر المروزي يقول :

جاء يحيى بن معين ، فدخل على أحمد بن حنبل وهو مريض ، فسلم عليه ، فلم يرد السلام .

( ١ ) تهذيب التهذيب ٣٥٧/٧ .

( ٢ ) سير ٧٠/١١ ، وانظر تهذيب التهذيب ٢٧٣/١ ، والميزان ٢٢٠/١ .

( ٣ ) وهي قوله تعالى : ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) سورة النحل آية ١٠٦ .

( ٤ ) سير ٨٧/١١ وانظر قول أبي زرعة الرازي في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٤٧٣ .

وكان أحمد قد حَلَّتْ بالعهد أن لا يَكُفُّمُ أَحَدًا مِّنْ أَجَابِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، فما زال يَعتذر ويقول : حديث عمار <sup>(١)</sup> وقال الله تعالى ﴿إِلا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَظْمُونٌ بِالْإِيمَانِ﴾ <sup>(٢)</sup>

وَقَلْبُ أَحْمَدَ وَجْهَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ . فقال يحيى : لا يقبل عذرا ، فخرجت بعمده وهو جالس على الباب ، فقال : ايثر قال أحمد بعمدي ؟ قلت : قال : يحتج بحديث عمار ، وحديث عمار مررت بهم وهم يسبُّونك فنهيتهم ، فضربوني " ، وأنتم قيل لكم : نريد أن نضربكم . . . " <sup>(٣)</sup>

وقال الحافظ الذهبي " في الميزان " : " الْمَلِكُ الثَّابِتُ الْحِجَّةُ ، وقد قال أحمد بن حنبل : أَكْرَهَ الْكُتَابَةَ عَنْ أَجَابِ فِي الْمَحَنَةِ كِيحْيَى وَأَبِي نَصْرٍ التَّامِرِ . . . وانما ذكرته عبرة ليعلم أن ليس كل كلام وقع في حافظ كبير يموثر فيه بوجه ، ويحيى قد قفز القنطرة ، بل قفز من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي " <sup>(٤)</sup>

( ١ ) - الإمام الثقة الحافظ ، أبو كريب ، محمد بن العلاء الهمداني الكوفي ، المتوفى سنة

( ٢٤٨ ) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال حجاج بن الشاعر : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لو حدثت عن أجاب في المحنة ، لحدثت عن اثنين : أبو معمر <sup>(٥)</sup> وأبو كريب ، أما أبو معمر فلم يزل بعد ما أجاب يذم نفسه على إجابته وامتحانه ، ويحسن أمر من لم يجب . وأما أبو كريب ، فأجري عليه ديناران ، وهو محتاج ، فتركهما لما علم أنه أُجْري عليه لذلك " <sup>(٦)</sup>

( ١ ) - حديث عمار رواه الطبري في تفسيره ١٨٢/١٤ ، والحاكم في المستدرک ٣٥٧/٢ ، وقال :

صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقة الذهبي . وانظر لفظ الحديث بتمامه في مستدرک الحاكم ٣٥٧/٢ وانظر : أيضا فتح الباری ٣١٢/١٢ .

( ٢ ) - سورة النحل : الآية ١٠٦ .

( ٣ ) - محنة الإمام أحمد ، لعبد الفني المقدسي ١٤٧ - ١٤٨ ، ومعنى كلام الإمام أحمد : هَلَّا اجتمعتم وامتنعتم حتى ينثار هل يضربونكم أم لا ؟

( ٤ ) - الميزان ٤١٠/٤

( ٥ ) - أبو معمر واسمه إسماعيل بن إبراهيم الهذلي سبق الحديث عنه .

( ٦ ) - سير ٣٩٥/١١ ، وانظر : تهذيب التهذيب ٣٨٥/٩ - ٣٨٦ ، ومناقب الإمام أحمد

لابن الجوزي ص ٤٧٤ .

١٢ - إسحاق بن أبي إسرائيل ، لحافظ الثقة ، المتوفى سنة (٢٤٥) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال أحمد بن أبي خيثمة ، وعثمان الدارقي ، عن يحيى : ثقة ثم قال عثمان : ثم اسحاق أظهر الوقف ، حين سألت ابن معين عنه . وقال صالح جزرة : صدوق ، يقول : القرآن كلام الله ، ويقف . وقال أبو العباس السراج : سمعته يقول : هو " لا الصبيان يقولون : كلام الله غير مخلوق ، ألا قالوا : كلام الله وسكتوا ؟ ويشير إلى دار الإمام أحمد . وقال أبو حاتم : وقف في القرآن فوقنا عن حديثه . ولقد تركه الناس حتى كنت أمر بمسجده وهو وحيد لا يقربه أحد بعد أن كان الناس إليه عنقا <sup>(١)</sup> واحداً .

قلت : أداه ورعه وجموده إلى الوقف ، لأنه كان يتجهم ، كلا .

قال أحمد بن أبي خيثمة : قال لي مصعب الزبيري : ناظرني إسحاق بن أبي إسرائيل فقال : لا أقول كذا ، ولا غير ذا - يعني في القرآن - فناظرته ، فقال : لم أقل على الشك ولكني أسكت كما سكت القوم قبلي .

قلت : الإنصاف في من هذا حاله أن يكون باقياً على عدالته ، والله اعلم <sup>(١)</sup> .

١٣ - أحمد بن الممّذل ، أبو العباس المبدى البصرى المالكي .

قال الحافظ الذهبي : " قلت : كان يقف في خلق القرآن <sup>(٢)</sup> .

١٤ - الإمام الحافظ الصادق ، عبد الحميد بن عمام الجرجاني المتوفى سنة (٢٥٧) :

قال الذهبي في ترجمته : قال الممرار : لما وقعت المحنة في اللفظ ، سكت الجرجاني ، فخرج عليه أصحاب الحديث ، فسمعت أبي يقول : ذهبت مع صالح بن حمويه أخي الممرار ، فوقف على مجلس الجرجاني ، فقال : مات قول في اللفظ بالقرآن ؟ فسكت حتى سأله الثالثة ، فقال : أراء محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة <sup>(٣)</sup> .

١٥ - الإمام الحجة محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة (٢٥٦) :

قال ابن أبي حاتم : " سمع منه أبي وأبو زرعه ثم تركا حديثه عند ما كتب إليهما محمد بن يحيى

(١) سير ٤٧٧/١١ - ٤٧٨ ، وانظر كلام أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢١٠/١

(٢) سير ٥٢٠/١١ . وقال الذهبي : لم أر له وفاة .

(٣) سير ١٨٢/١٢

\* عنقا بضم العين يقال : جاء القوم عنقا عنقا أي طوايف ، ويقال : هم عنق عليه ، كقولك : هم الب عليه . أنظر : لسان العرب .

النيسابورى أنه أظهر عند هم أن لفظه بالقرآن مخلوق (١)

قال الحافظ الذهبي عقب نقل قول ابن أبي حاتم: "قلت: إن تركا حديثه أو لم يتركاه، البخاري ثقة مأمون مجتنب به في العالم" (٢)

وقد سبق بيان موقف البخاري وما جرى بينه وبين الذهلي عند الكلام عن مسألة اللفظ، وأما الحديث هنا عن أثر هذه المحنة في الجرح والتعديل .

ومن أثر ذلك أن البخاري كان يدلس اسم الذهلي لما وقع بينهما .

قال الذهبي في ترجمة محمد بن يحيى الذهلي: "روى عنه خلائق منهم . . . محمد ابن اسماعيل البخاري، ويدلسه كثيراً، لا يقول: محمد بن يحيى، بل يقول: محمد فقط أو محمد بن خالد، أو محمد بن عبد الله ينسبه إلى الجد، ويعتني اسمه لمكان الواقع بينهما، غفر الله لهما" (٣)

وقال الذهبي أيضاً: "ومن روى عنه أي عن الذهلي وأكثر عنه مسلم، ثم فسد بينهما، — فامتنع من الرواية عنه، فما ضره ذلك عند الله" (٤)

وقال الذهبي في ترجمة علي بن حجر المروزي: "قال الحافظ أبو بكر الأتيني: مشايخ خراسان ثلاثة: قتيبة، وعلي بن حجر، ومحمد بن مهران الرازي، ورجالها أربعة: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، قبل أن يظهر منه ما ظهر، ومحمد بن بن يحيى، وأبو زرعة .

قلت: هذه دقة من الاعين، والذي ظهر من محمد أمر خفيف من المسائل التي اختلف فيها الأئمة في القول في القرآن، وتسع مسألة أفعال التالين (٥)

(١) الجرح والتعديل ١٩١/٧، وسير أعلام النبلاء ٤٦٢/١٢ .

(٢) سير ٤٦٣/١٢

(٣) المصدر السابق ٢٧٥/١٢

(٤) المصدر السابق ٢٧٥/١٢ وكيف علم الذهبي أنه ما ضره ذلك عند الله؟

(٥) لقد أكره الإمام الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" البحث في هذه المسألة، وأوسعها بحثاً ومناقشةً واستدللاً كما سبق نقله عنه في مواضع من هذا البحث ولم أنقل كلامه هنا لطوله ولأنه مضى قريباً منه ص ٣٤٢ وانظر: سير ٥٠٩/١١ - ٥١١ .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الفقيه أبي الوليد حسان بن محمد النيسابوري الشافعي المتوفى سنة (٣٤٩) : " قال الحاكم : سمعت الأستاذ أبا الوليد يقول : قال لي أبي : أي شيء تجمع؟ قلت : أخرج على كتاب البخاري ، فقال عليك بكتاب مسلم ، فإنه أكثر بركة ، فإن البخاري كان ينسب إلى اللفظ .

قال محمد بن الذهبي : وسلم أيضا يُنسب إلى اللفظ ، ألا تراه كيف قام من مجلس الذهلي على رأس الملأ لما قال : ألا من كان يقول بقول محمد بن إسماعيل فلا يقرينا ؟ فهذه مسألة مشككة ، وقد كان أحمد بن حنبل وغيره لا يرون الخوض في هذه المسألة مع أن البخاري رحمه الله ماصح بذلك ، ولا قال : أفاظنا بالقرآن مخلوقة ، بل قال : أفعالنا مخلوقة ، والمقروء الملفوظ هو كلام الله تعالى ، وليس بمخلوق ، فالمسكوت عن توسع العبارات أسلم للإنسان " ( ١ )

وقد تحققت التاج السبكي للإمام البخاري فقال بعد أن ذكر أنه ينبغي تفقد حسان العقائد في الجرح : " قلت : ومن أمثلة ما قد منا قول بعضهم في البخاري : تركه أبو زرعة وأبو حاتم من أجل مسألة اللفظ ، فيالله والمسلمين ، أيجوز لأحد أن يقول : البخاري متروك (\*) وهو حامل لواء الصناعة ، ومقدم أهل السنة والجماعة ، ثم بالله والمسلمين أتجعل مبادئه مذام ، فإن الحق في مسألة اللفظ معه ، إذ لا يستريب عاقل من المخلوقين في أن تلفظ من أفعاله الحادثة التي هي مخلوقة لله تعالى ، وإنما أنكرها الإمام أحمد لبشاعة لفظها (٢) والسبكي يقرر مسألة اللفظ على البخاري مع أن الإمام البخاري تبرأ مما نسب إليه ، فكان على السبكي أن يعتذر عن البخاري بما اعتذر هو عن نفسه .

ومن أجل مسألة القرآن ترك أبو داود أحمد بن منصور الرمادي الثقة .

فقد ذكره الذهبي في رسالته " الرواة الثقات " فقال : أحمد بن منصور الرمادي الحافظ الثبت ، وثقة الدارقطني ، قال أبو العباس محمد بن رجاء : قلت لأبي داود : كم أرك تحبث عن الرمادي ؟ فقال : كان يصحب الواقعة ( ٣ )

( ١ ) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٩٤ .

( ٢ ) قاعدة في الجرح والتعديل ص ٣٠ - ٣١ وانظر قول ابن أبي حاتم في الجرح ٧ : ١٩١ .

( ٣ ) الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم ص ١٢ ، وانظر تهذيب التهذيب ١ / ٨٣ ،

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل في ترجمة الرمادي ٢ / ٧٨ : وكان أبي يوثقه " .

(\*) إذا كان تركه أبو زرعة وأبو حاتم فلا يقال : إن البخاري متروك .

وتكلم بعض النقاد في علي بن أبي هاشم عبيد الله الليثي المعروف بابن طبراح للوقوف أيضاً .

قال ابن أبي حاتم : " علي بن أبي هاشم الليثي البغدادي ، واسم أبي هاشم عبيد الله كان يعرف بابن طبراح ، كتب عنه أبي بالري وببغداد ، سمعت أبي يقول : ما علمته إلا صدوقاً وقف في القرآن فترك الناس حديثه ، ولم يقرأ علي أبي حديثه فقال : وقف في القرآن فوقفتنا عن الرواية عنه ، فاضربوا على حديثه " ( ١ )

وقال الحافظ ابن حجر في " هدي الساري " قد بين أبو حاتم السبب في توقف من توقف عنه ، وليس ذلك بمانع من قبول روايته " ( ٢ )

وهؤلاء الذين ذكرتهم ، وكثير غيرهم ، ممن تكلموا بمسألة اللفظ أو الوقف ، أئمة أعلام ولو تركوا وأهدروا لضاع قسم مهم من السنة . وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن رومي بمثل هذه الجرح المردودة .

وقد أحسن الذهبي وأجاد حين دافع عن كثير من هؤلاء الرواة فقال في ترجمته محمد بن نصر المروزي :

" ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له ، قمنا عليه ، ودعناه وهجرناه ، لما سئل معنا لا ابن نصر ، ولا ابن منده ، ولا من هو أكبر منهما .

ويقول معتزلاً عن بعض الرواة أنه أجاب في المحنة تقيّة ، فقال في ترجمة أبي نصر التمار :

وكثير ممن أجاب في محنة خلق القرآن أجاب تقيّة وخوفاً من النكال فهم معذرون في ذلك . ( ٤ )  
وجرح هؤلاء تشديداً وبالفرة ، والقوم معذرون تركوا الأفضل ، فكان ماذا ؟ ( ٥ )

( ١ ) الجرح والتعديل ١٩٤/٦ - ١٩٥ ، وقال في التهذيب ٣٩٣/٧ : وكتب عنه أبو حاتم ولم يحدث عنه .

( ٢ ) هدي الساري ص ٤٣٠ .

( ٣ ) سير ٤٠/١٤ .

( ٤ ) انظر ترجمة أبي نصر التمار في السير ٥٧٢/١٠ - ٥٧٣ . ولكن التقيّة لها حد ، ولم

يصل الأمر إلى التعذيب وانظر مقدمة تحقيق كتاب العلل ٨٠/١ - ٨٤ للدكتور وصي الله عباس عتاب الإمام أحمد على الذين أجابوا في المحنة . ( ٥ ) الميزان ٦٥٨/٣ .

ولا حَرَجَ على من أجاب في المحنة ، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية ، وهذا هو الحق <sup>(١)</sup> ، وليس كل كلام وقع في حافظ كبير بمؤثر <sup>(٢)</sup> .

وَمَنْ أدَّاه ورع وجمود ، إلى الوقف فالانصاف في من هذا حاله أن يكون باقياً على عدالته <sup>(٣)</sup> .  
أما الذين أجابوا في المحنة طوعاً معتقدين بقول الجهمية والمعتزلة فإن جمهور الأمة على ردّ رواياتهم إلا من تاب منهم .

قال الحافظ الذهبي في بشر بن غياث المريسي أحد روءس المحنة الدعاة : " مبتدعٌ ضال لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة " <sup>(٤)</sup> .

ومن رُوى بالقول بخلق القرآن ثم تاب من قوله : بشر بن السري ، أبو عمرو الأوفى .  
قال الحافظ في التقریب <sup>(٥)</sup> : " بشر بن السري ، أبو عمرو الأوفى ، بصريّ سكّن مكة ، وكان واعظاً ثقةً متقناً طبعاً فيه برأى جهم ثم اعتذر وتاب " .

قال الذهبي في " الميزان " : " أما التجهم فقد رجع عنه وحديثه في الكتب الستة " <sup>(٦)</sup> .  
وموقف المسلم مع الأئمة الأعلام الذين نُقِلَتْ فيهم الجروح المردودة أن يسلك سبيل الأدب معهم ، ولا ينظر إلى كلام بعضهم في بعض . ولذلك قال الحافظ الذهبي في سيره : " ووقع في كتب التواريخ وكتب الجرح والتعديل أمور عجيبة ، والعامل خصم نفسه ، ومن حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ، ولحوم العلماء مسمومة " <sup>(٧)</sup> .

ويقول الإمام السبكي : " ينبغي لك أيّها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح ، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدورك ، والا فاضرب صفحاً عما جرى بينهم ، فإنك لم تخلق لهذا " <sup>(٨)</sup> .

( ١ ) من كلام الذهبي في ترجمة يحيى بن معين في السير ٨٧/١١

( ٢ ) من كلام الذهبي في ترجمة يحيى بن معين في الميزان ٤١٠ / ٤ .

( ٣ ) من كلام الذهبي في ترجمة إسحاق بن أبي إسرائيل في السير ٣٩٥ / ١١ .

( ٤ ) الميزان ٣٢٢ / ١ ( ٥ ) التقریب ( ٦٨٧ ) .

( ٦ ) الميزان ٣١٨ / ١ ( ٧ ) سير ٩٣ / ١٠ - ٩٤ .

( ٨ ) طبقات الشافعية ٢ / ٢٧٨ - ٢٧٩ باختصار شديد .

وقد وقع السبكي نفسه فيما نصح غيره من الوقوع فيه ، غفر الله له .

# الفصل الثاني

دراسة أقوال المحافظ الذهبي النفديّة  
في مباحث الحج والتعديل

## المبحث الأول

## الجرح ليس بغيبة

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الامام ابن أبي حاتم الرازي : "كلام الناقد الورع فوس الضعفاء من النصح لدين الله ، والذب عن السنة" (١)

ولقول الذهبي هذا رأيت أن أفرد بحثاً في بيان هذه المسألة .

قال الإمام الترمذي : " وقد عاب بعض من لا يفهم على أهل الحديث الكلام في الرجال وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال منهم الحسن البصري وطاويس . .

فما حملهم على ذلك عندنا - والله أعلم - إلا النصيحة للمسلمين ، لا نظن أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة ، إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا ، لأن بعضهم من الذين ضعفوا كان صاحب بدعة ، وبعضهم كان متبهماً في الحديث ، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتبيناً ، لأن الشهادة في الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال" (٢)

قال الحافظ ابن رجب في شرح علل الترمذي : مقصود الترمذي أن يبين أن الكلام في الجرح والتعديل جائز قد أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، لما فيه من تمييز ما يجسب قبوله من السنن ما لا يجوز قبوله .

وقد ظن بعض من لا علم عنده أن ذلك من باب الغيبة ، وليس كذلك ، فإن ذكر عيب الرجل إذا كان فيه مصلحة ولو كانت خاصة كالقدح في شهادة شاهد الزور ، جائز بفسير نزاع ، فما كان فيه مصلحة عامة للمسلمين أولى (٣)

وقال الإمام ابن حبان : "إن المسلمين قاطبة ليس بينهم خلاف أن الخبر لا يجب أن يسمع عند الاحتجاج إلا من الصدوق العاقل ، فكان إجماعهم هذا دليلاً على إباحة جرح

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٨ .

(٢) علل الترمذي مع شرح ابن رجب ١/٤٣ - ٤٤ .

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب ١/٤٤ .

من لم يكن بصدوق في الرواية .

ثم ساق بسنده الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : قالت : أقبل رجل ، فلما  
 رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : بشئ أخوال العشيرة ، أو قال ابن العشيرة . ( ١ )

ثم قال ابن حبان عقبه : وفي هذا الخير دليل على أن إخبار الرجل بما في الرجل :  
 على جنس الإبانة ليس بغيبة ، إذ النبي صلى الله عليه وسلم قال : بشئ أخوال العشيرة أو ابن  
 العشيرة .

ولو كان هذا غيبة لم يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولما الغيبة ما يريد  
 القائل القدح في المقول فيه ، وأئمتنا رحمة الله عليهم - فإنهم إنما يتبنوا هذه الأشياء ،  
 وأطلقوا الجرح في غير العدل لئلا يحتج بأخبارهم ، لا أنهم أرادوا ثلبهم والوقعة فيهم ،  
 وإخبار عن الشئ لا يكون غيبة إذا أراد القائل به غير الثلب . ( ٢ )

وقال الخطيب في "الجامع" : "ذكر ما يجب على الحفاظ من بيان أحوال الكذابين : إذا  
 سلك الراوى طريقاً تلحق به الزئنة ، وتلحق من سلكها للعلماء أمارات التهمة ، لزم أهل  
 المعرفة بيان أمره ، وإظهار حاله ، وإشادة ذكره ، ليتوقف عن الاحتجاج به" . ( ٣ )

وقال الخطيب في كتابه "شرف أصحاب الحديث" بعد نقله أبياتاً قيلت في الامام ابن

معين :

ولا بن معين في الرجال مقالة      سيُسأل عنها والمليك شهيد .

فإن يك صدقاً فهو في الحكم غيبة      وإن يك كذباً فالحساب شديد .

وانتقد الخطيب ذلك بقوله : "وليس الأمر على ما ذهب إليه الشاعر من أن إبانة العلماء  
 لأحوال الرواة غيبة ، بل هي نصيحة ولهم في إظهارها أعظم المشوية ، لكونها ما يجب عليهم

( ١ ) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم  
 فاحشاً ولا متفحشاً ٤٥٢/١٠ رقم ( ٦٠٣٢ ) .

( ٢ ) مقدمة كتاب المجروحين ، لابن حبان ص ١٧ - ١٨ ، وقارن كلام ابن حبان بما في  
 الكفاية ص ٨٣ - ٨٤ للخطيب البغدادي .

( ٣ ) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، للخطيب ١٦٨/٢ .

كشفه ، ولا يسمهم إخفاءً وستره . ( ١ )

وقال الإمام ابن الجوزي في مقدمة كتاب "الضعفاء" له : "استشعر بعض جهلة الزهاد ، ومن قلَّ علمه من العبَّاد ، أنَّ ذلك القدح غيبة ، وهذه غيبة عن معرفة حراسة الشرائع ، وجهل بقدر الوسائط والذرائع . . . ( ٢ )

ونقل الذهبي في ترجمة شيخ الإمام ابن الجوزي ، الحافظ محمد بن ناصر السَّلَامِي البغدادي : "قال السمعاني : كان يجب أن يقع في الناس .  
فردَّ ابن الجوزي هذا وقَّحه وقال : صاحب الحديث يجرح ويعدُّل ، أفلا تفرق يا هذا بين الجرح والغيبة . ( ٣ )

وقال الإمام ابن الأثير في مقدمة "جامع الأصول" : "وانما حَمَلَ أصحاب الحديث على الكلام في الرجال وتعديل من عدَّلوا ، وجرح من جرَّحوا ، الاحتياط في أمور الدين وحراسة قانونه ، وتمييز مواقع الغلط والخطأ في هذا الأصل الأعظم الذي عليه مبنى الإسلام وأساس الشريعة ، ولا يظن بهم أنهم أرادوا الطعن في الناس والغيبة والوقعة فيهم ، ولكنهم بيَّنوا ضعف من ضعفوه ، لكن يُعرف فتُجتنب الرواية عنه والأخذ بحديثه تورعاً وحسبة وتثبتاً في أمر الدين . ( ٤ )

وقال الإمام ابن الصلاح في النوع الحادي والستين ، معرفة الثقات والضعفاء من رواية الحديث : "وجوز ذلك - أي الكلام في الرواية جرحاً وتعديلاً - صوتاً للشريعة ، ونفياً للخطأ والكذب عنها . وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة . ( ٥ )

- ( ١ ) شرف أصحاب الحديث ، للخطيب ص ١٢٤ .
- ( ٢ ) مقدمة كتاب الضعفاء ١ / ٥ ، ونقل هذا المعنى في جوابه ص ٢٩ ، انظر مسائل نفيسة في منهج كتابة التاريخ .
- ( ٣ ) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٢٦٨ ، وانظر تنمة كلام الذهبي في الدفاع عن أبي سعيد السمعي وابن ناصر السَّلَامِي .
- ( ٤ ) مقدمة جامع الاصول ١ / ٣١ .
- ( ٥ ) علوم الحديث ص ٣٨٩ .

وعقد الامام النووي باباً في شرحه لمقدمة صحيح مسلم ، باسم : "باب بيان أنَّ الإسناد من الدين ، وأنَّ الرواية لا تكون إلاَّ عن الثقات ، وأنَّ جرح الرواية بما هو فيهم جائز ، بل واجب ، وأنه ليس من الغيبة المحرمة ، بل من الذبِّ عن الشريعة المكرَّمة" (١) .

وقال أيضاً في كتابه النافع المعطار "رياض الصالحين" باب ما يباح من الغيبة : "اعلم أن الغيبة تباح لفرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول اليه إلاَّ بها ، وهو ستة أسباب : . . . الرابع : تحذير المسلمين من الشرِّ ، ونصيحتهم ، وذلك من وجوه : منها جرح المجروحين من الرواة والشهود ، وذلك جائز بإجماع المسلمين ، بل واجب للحاجة . (٢)

قال الشوكاني معلقاً على كلام الإمام النووي : "وكلامه صحيح ، واستدلّاه بالإجماع واضح ، فما زال سَكُفُ هذه الأمة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواية الشريعة . . . ويمتدّون من يستحق التعديل ، ولولا هذا كثر الكذّابون ، واختلط المعروف بالمنكر ، ولم يتبيّن ما هو صحيح ما هو باطل ، وما هو ثابت ما هو موضوع ، وما هو قوي ما هو ضعيف للقطع بأنه ما زال الكذّابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . فلولاً تعمسرسر جماعة من حملة الحجة لجرح المجروحين ، وتمتدّل العدول ، وذبيهم عن السنة المطهرة ، وتنبئهم لكذب الكذّابين لبقيت تلك الأحاديث المكذوبة من جملة الشريعة ، وعُتِّبَ بها البلوى ، فكان قيام الائمة بهذه العهدة من أعظم ما أوجبه الله على العباد ، ومن أهمهم واجبات الدين ، ومن الحماية للسنة المطهرة ، فجزاهم الله خيراً ، وضاع لهم المشيئة ، فلقد قاموا قياماً مرضياً ، وخلّصوا عباد الله من التعبد بالكذب ، وصفّوا الشريعة المطهرة ، وأما طواعنها الكدر والقدر ، وأخرسوا الكذّابين وقطعوا ألسنتهم وغفلوا رقابهم ، والحمد لله على ذلك" (٣) .

وقال الإمام ابن كثير : "وليس الكلام في جرح الرجال على وجه النصيحة لله ولرسوله

( ١ ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٨٤ / ١

( ٢ ) رياض الصالحين ، باب ما يباح من الغيبة ص ٥٨١ ، والاذكار ، باب ما يباح من الغيبة

ص ٤٨٩ .

( ٣ ) رفع الريبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة ، للشوكاني ص ٢٣ - ٢٦ باختصار .

ولكتابيه وللمؤمنين بغية ، بل يثاب بتعاطي ذلك إذا قصد به ذلك \* (١)

وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" : "أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أمواتاً وأحياءاً" \* (٢)

وقال أيضاً في "مقدمة اللسان" : "أقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذب عن سننه نبيه صلى الله عليه وسلم فتكلموا في الرواة على قصد النصيحة ، ولم يعد ذلك من الغيبة المذمومة ، بل كان ذلك واجباً عليهم وجوب كفاية" \* (٣)

وقد أورد الامامين ابن حبان والخطيب بأسانيدهما خكايات عن السلف في هذا المعنى

أسند ابن حبان في مقدمة "كتاب المجروحين" إلى مكي بن إبراهيم قال : "كان شعبه يأتي عمران بن حدير فيقول : تعال حتى نغتاب ساعة في الله عز وجل ، نذكر مساوئ أصحاب الحديث" \* (٤)

وسنده إلى يحيى القطان قال : سألت سفيان الثوري وشعبة بن حجاج ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة عن الرجل يكون واهي الحديث ، يأتي الرجل فيسألني عنه ؟ فأجمعوا أن أقول : ليس هو بثبت ، وأن أبين أمره" \* (٥)

وأسند إلى أبي زهرة الدمشقي قال : سمعت أبا مسهر يسأل عن الرجل يفلط ويهم ويصحف فقال : بئس أمره . قلت لأبي مسهر : أترى ذلك من الغيبة ؟ قال : لا" \* (٦)

وساق الخطيب بسنده إلى أبي بكر بن خلاد قال : قلت ليحيى بن سعيد القطان ، أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصاءك عند الله تعالى ؟ قال : لأن يكون هؤلاء خصاءي أحب إلي من أن يكون خصي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم يحدث

( ١ ) اختصار علوم الحديث ص ٢٤٣ .

( ٢ ) فتح الباري ٢/٢٥٩ .

( ٣ ) لسان الميزان ١/٤٠٣ .

( ٤ ) مقدمة كتاب المجروحين ص ١٨ . الموضوعات ١/٥٠ .

( ٥ ) المرجع السابق .

( ٦ ) مقدمة كتاب المجروحين ص ٢٠ . الكفاية ص ٩٢ ، شرف أصحاب الحديث ص ١٢٥ .

عني حديثاً ترى أنه كذب" (١)

وسنده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : " جاء أبو تراب النخشي إلى أبي ، فجعل أبي يقول : فلان ضعيف ، فلان ثقة ، فقال أبو تراب : يا شيخ لا تغتاب العلماء ، فالتفت أبي إليه ، فقال له : ويحك ، هذا نصيحة . ليس هذا بغيبة " (٢)

وساق بسنده في " الجامع " إلى محمد بن بشران السبكي الجرجاني (٣) يقول : قلت لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله إنه ليشتد عليّ أن أقول فلان كذاب ، وفلان ضعيف ، فقال لي : إذا سكّأت أنت ، وسكّأت أنا ، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم ؟ (٤)

ولقد كان أئمة السلف من النقاد على جانب كبير من الورع والأمانة والإخلاص والنصح والصدق ، لا يجرحون الرواة ويتكلمون فيهم انتصاراً لأنفسهم أو ازواً وثلباً لهم ، فكانوا يحاسبون أنفسهم

ساق الخطيب في " الجامع " بسنده إلى علي بن الحسين بن الجنيد : سمعت يحيى ابن ميم يقول : " إنا لنظعن على أقوامٍ لعلهم قد حطّوا وحالهم في الجنة منذ أكثر من مئتي سنة .

قال ابن مبرور : قد دخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم ، وهو يقرأ على الناس كتاب " الجرح والتعديل " فحدثته بهذه الحكاية ، فبكى ، وارتعدت يده حتى سقط الكتاب من يده ، وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية ، ولم يقرأ في ذلك المجلس شيئاً " (٥)

( ١ ) الكفاية ص ٩٠ ، وابن الصلاح ص ٣٨٩ ، والسخاوي في الاعلان ص ٥٣ .

( ٢ ) الكفاية ص ٩٢ ، والمحدث الفاصل ص ٥٩٤ ، وابن الصلاح ص ٢٨٩ .

( ٣ ) تصحفت في جواب البدر العيني ضمن كتاب " مسائل نفيسة في منهج كتابة التاريخ " إلى محمد بن بشار ، وترجم له المحقق بأنه محمد بن بشار البصري المعروف ببندار ، والصواب ما أثبتته كما جاء في كتاب " الجامع " للخطيب .

( ٤ ) الجامع لآخلاق الراوى ٢ / ٢٠٢

( ٥ ) الجامع ٢ / ٢٠١ . وقال الذهبي في السير ١٣ / ٢٦٨ : قلت : لعلها من مئة سنة ، فإن ذلك لا يبلغ في أيام يحيى هذا القدر .

قال الخطيب عقب هذه القصة : " وكلام يحيى بن معين هذا فيه بيان أن من علم من حال الرواة أمراً لا يجوز معه قبول روايتهم ، وجب عليه إظهاره لأن الحديث لا يكتفى فـ قبوله لمجرد الصلاح والعبادة ، كما لا يكتفى بذلك في قبول الشهادة " (١)

قال الحافظ الذهبي : " قلت : أصابه على طريق الوَجَل وخوف العقابة ، وإلا فكلام الناقد الورع في الضعفاء من النصح لدين الله ، والذب عن السنة " (٢)

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة إسماعيل بن إبراهيم المشهور بابن طَيِّه : " الإمام الحجة ، إمامة إسماعيل وثيقة لانزاع فيها ، وقد بدت منه هفوة وتاب ، فكان ماذا ، إنسى أخاف الله ، لا يكون ذكرنا له من الغيبة " (٣)

وقال الذهبي أيضاً في مقدمة الميزان : " ثم من المعلوم أنه لا بد من صون الراوى وستره (٤) وقد كثر عند بعض المتأخرين من النقاد ، الكلام في الرجال عن هوى وعصبية ، وإلزام بالرواية للتشقي والانتقام .

ولهذا حذر الإمام ابن دقيق العيد من الخوض في هذا العلم بدون ورع وإخلاص ، أو الكلام في الرواية عن هوى وعصبية فقال : " أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ، وقف على شفيرها طاغتان من الناس : المحدثون والحكام " (٥)

(١) المرجع السابق .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٦٨/١٣ .

(٣) الميزان ٢٢٠/١ .

(٤) مقدمة الميزان ٤/١ .

(٥) الاقتراح ٣٤٤ ، وانظر الفصل النفيس والكلام العالي الرفيع الذي أورده الامام الحافظ ابن دقيق العيد في الاقتراح في الوجوه التي تدخل الآفة فيها في الجرح والتعديل ص ٣٣١ - ٣٤٤ فذكر فيها الكلام بسبب الهوى والتعالي ، والمخالفة في العقائد ، والاختلاف الواقع بين المتصوفة وأصحاب العلوم الظاهرة ، والكلام بسبب الجهل بالعلوم ومراتبها ، والحق والباطل منها ، والخلل الواقع بسبب عدم الورع والاخذ بالتوهم والقرائن التي قد تختلف . وقد اختصر هذا الفصل الذهبي تلخيص الامام ابن دقيق العيد في " الموقظة ص ٨٥ - ٩٢ .

## المبحث الثاني الجرح والتعديل المبهمان

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الامام الحافظ علي بن مَعْبُد بن نوح : " وقال أبو بكر بن الرِّجَاجي : نزل مصر وعنده عجائب <sup>(١)</sup> " .

" قلت : قول أبي بكر - الجماعي - : عنده عجائب ، عبارة محتملة للتليين ، فلا تقبل إلا مفسرة ، والرجل فتحة صادقة ، صاحب حديث ، ولكنه يأتي بفرائب عن من يحتملها <sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً في ترجمة الامام يحيى بن عثمان ، أبي زكريا السَّهْمِي البصري : " وقال ابن أبي حاتم : كتب عنه ، وكتب عنه أبي ، وتكلموا فيه .

قلت : هذا جرح غير مفسر ، فلا يطرح به مثل هذا العلم <sup>(٣)</sup> .

فالذهبي ردَّ هذه الطعون بأنها مبهمة غير مفسرة ، ولهذا أفردت هذه المسألة بالبحث والدراصة .

اتفق العلماء على قبول التعديل المستند إلى سببه الموجب له ، وكذلك الجرح المستند إلى سببه الموجب له إذا صدر عن أهل لصدور عنه .

أما إذا ذكر المعدَّل الجرح حكمه من غير أن يبيِّن السبب الذي استند إليه في تركيته لمن زكَّاه ، وفي جرحه ، وهو ما يسمى : بالتعديل والجرح المُبْهَمَيْنِ الْجَمَلَيْنِ .

فقد اختلف العلماء في مسألة الجرح والتعديل المُبْهَمَيْنِ على خمسة مذاهب :

المذهب الاول : أن التعديل يقبل مبهماً بدون بيان السبب ، أما الجرح فإنه لا يقبل

إلا مفسراً مبيناً فيه سبب الجرح . وذلك لأنَّ التعديل أسبابه كثيرة يشقُّ ذكرها ويصعب حصرها .

قال ابن الصَّلاح : " التعديل مقبول من غير ذكر سببه على المذهب الصحيح المشهور

لأنَّ أسبابه كثيرة يصعب ذكرها ، فإن ذلك يُحَوِّجُ المعدَّلَ إلى أن يقول : " لم يفعل كذا

لم يرتكب كذا ، فعل كذا وكذا " فيعذر جميع ما يفسق بفعله أو يتركه وذلك شاق جداً .

وأما الجرح فإنه لا يقبل إلا مفسراً مبيناً السبب ، لأنَّ الناس يختلفون فيما يجرح وما لا يجرح فيطلق

( ١ ) سير ١٠ / ٦٦٣

( ٢ ) سير ١٠ / ٦٣٤

( ٣ ) سير ١٢ / ٣٥٥

أحد هم الجرح بناءً على أمر اعتقده جرحاً وليس بجرح في نفس الأمر، فلا بدّ من بيان سببه لينظر فيه أهو جرح أم لا ، هذا ظاهر مقرر في الفقه وأصوله <sup>(١)</sup>

وقد أفرد الخطيب البغدادي باباً في كفايته <sup>(٢)</sup> في ذكر بعض أخبار من استفسر في الجرح فذكر ما لا يسقط العدالة، فمنها : أنه قيل لشعبة : لم تركت حديث فلان ؟ قال رأيت يركض على برذون <sup>(٣)</sup> . فتركته .

ومنها : ما ساقه الخطيب بسنده إلى وهب بن جرير قال : قال شعبة : أتيت منزلاً المنهال بن عمرو فسمعت فيه صوت الطنبور فرجعت . قال وهب : فهل سألت ؟ عسى ألا يعلم هو . <sup>(٤)</sup>

ومنها : أنه سئل الحكمين عتيبه : لم لم ترو عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام . ومنها : أنه رأى جرير بن عبد الحميد الضبي يركض بن حرب يبول قائماً فتركه . وقد ذهب إلى هذا القول جمهور المحدثين وغيرهم ، قال الخطيب : " وهذا القول هو الصواب عندنا ، وإلى ذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده مثل محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغيرهما ، فإن البخاري قد احتج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم . . . . . وهكذا فعل مسلم بن الحجاج <sup>(٥)</sup> . . . . . "

وقال ابن الصلاح : وهذا ظاهر مقرر في الفقه وأصوله <sup>(٦)</sup> ووصفه النووي بأنه هو الصحيح المشهور <sup>(٧)</sup>

وهذا المذهب في قبول التعديل بهما بدون بيان السبب ، وعدم قبول الجرح إلا مفسراً

( ١ ) علوم الحديث ص ١٠٦ - ١٠٧ .

( ٢ ) الكفاية ص ١١٠ - ١١٤ .

( ٣ ) قال السخاوي في فتح المفتاح ص ١٢٧ : هو الجاني الخلقة ، الجلد على السيرفسي الشعب والوقر من الخيل غير العربية .

( ٤ ) قال الذهبي في الميزان ١٩٢/٤ : " وهذا لا يوجب غمز الشيخ " .

( ٥ ) الكفاية ص ١٢٩ .

( ٦ ) علوم الحديث ص ١٠٧ .

( ٧ ) التقريب ٣٠٥/١ مع التدريب للسيوطي .

هو الذي ذهب إليه غالب الأصوليين من الحنفية والشافعية والحنابلة .

قال الإمام جلال الدين البخاري المتوفى سنة ( ٦٩١ ) في " المغني " : " الطمأنينة المبهمة لا يوجب جرحاً في الراوي . . . . وكذا المفسر إن لم يوجب طمأنينة ثم ذكر من أشللة الجرح المفسر الذي لا يوجب الرد " الطمأنينة بالنعنة ، مكره الدواب ، وكثرة المزاح بعد أن كان حقاً ، وحدائث السن بعد أن كان متقناً ، ومقالة الرواية وكثرتها ، وكذا من يتهم بالعداوة في الدين والعصية (١)

وقال الكمال بن الهمام الحنفي : " أكثر الفقهاء ، ومنهم الحنفية والمحدثون : لا يقبل الجرح إلا شيئاً لا التعديل (٢)

وقال الجويني في " البرهان " : " قال الشافعي : إطلاق التعديل كاف ، فإن أسبابه لا تنضبط ولا تنحصر ، وإطلاق الجرح لا يكفي ، فإن أسبابه ما اختلف الناس فيه ، فقد يرى بعض الناس الجرح بما لو أظهره لم يوافق عليه فلا بد من ذكر أسباب الجرح (٣)

وقال الرازي في " المحصول " : " قال الشافعي : يجب ذكر سبب الجرح ، دون التعديل لأنه قد يجرح بما لا يكون جارحاً ، لاختلاف المذاهب فيه ، وأما العدالة فليس لها سبب واحد (٤)

وقال الإمام محفوظ بن أحمد الكلوزاني الحنبلي المتوفى سنة ( ٥١٠ ) في " التمهيد " : لا يقبل الجرح المطلق حتى يبين سببه في إحدى الروايتين ، وهو قول أكثرهم . وعنه : يقبل من غير تفسير .

وجه الأولي : أن ما يجرح به قد اختلف الناس في أسبابه فيجب أن يذكره لننظر هل هو ما يجرح ويفسق أم لا ؟

وجه الأخرى : أن أسباب الجرح معلومة ، فالواجب حمل أمر الجرح على أنه لم يقبل

إلا ما علمه من السبب الصحيح .

( ١ ) المغني في أصل الفقه ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

( ٢ ) التحرير في أصل الفقه ص ٣٢١ .

( ٣ ) البرهان في أصل الفقه للجويني ١ / ٦٢٠ .

( ٤ ) المحصول للرازي ٢ / ٥٨٧ . وفي الأصل : " لا سبب " ، ولعل الصواب ما أثبت .

قلنا : إلا أن قوماً يردون بفسق الاعتقاد موقوماً يردون بالتدليس ، وتسبيل الأزار ، والمنعمة ، وقوماً يردون بالكذبة الواحدة في العمر ، وجميع ذلك لا يرد به عند عامة العلماء فلا يؤمنون أن يكون الجرح جرحه لأحد هذه الأشياء ، وكان يعتقد ها دون غيره ، فيجب أن يبين<sup>(١)</sup> المذهب الثاني : وهو عكس المذهب الأول ، وهو أنه يجب بيان سبب العدالة ، ولا يجب

بيان سبب الجرح ، لأن أسباب العدالة يكثر التصنع فيها فيجب بيانها ، بخلاف أسباب الجرح ومن الحجة لهذا المذهب ما ساقه الخطيب في "الكفاية" بسنده عن يعقوب الفوس أنسه قال في "تاريخه" سمعت إنساناً يقول لأحمد بن يونس : عبد الله العمري ضعيف ؟ قال : إنما يضعفه رافضي مبغض لآبائنا ، ولورأيت لحيته وخضابه وهيئته لعرفت أنه ثقة . قال الخطيب : فاحتج أحمد بن يونس على أن عبد الله العمري ثقة بما ليس بحجة ، لأن حسن الهيئـة ما يشترك فيه العدل والمجروح<sup>(٢)</sup>

قال السخاوي في فتح الصفيث : "أسباب العدالة يكثر التصنع فيها ، فيتسارع الناس إلى الثناء على الظاهر ، هذا الإمام مالك مع شدة نقده وتحريه قيل له في الرواية عن عبد الكريم ابن أبي المخارق فقال : غزني بكثرة جلوسه في المسجد ، يعني لما ورد من كونه بيت كـسل تقى<sup>(٣)</sup>

ومن امثلة التعميد المردود ، ما ذكره الذهبي في ترجمة الحافظ محمد بن يونس الكديمي البصري ، فقد نقل اقوال أئمة النقد في جرحه ثم قال : «وأما اسماعيل الخطبي فتبارك وقال : كان ثقة ، ما رأيت ناساً أكثر من مجلسه<sup>(٤)</sup>

المذهب الثالث : وهو لزوم ذكر سبب الجرح والتعديل :

قال السيوطي في "التدريب" : "حكاه الخطيب والأصوليون ، لأنه كما قد يجرح الجرح

(١) التمهيد في أصول الفقه للكلوذاني ٢٨٨/٣ .

(٢) الكفاية ص ١٦٥ .

(٣) فتح الصفيث ٢٨٢/١ . وحديث : "المسجد بيت كل تقى" قال السخاوي في المقاصد الحسنة ٣٨٣/١ : "رواه الطبراني (٦١٤٣) ، والقضاة (٧٢١) من حديث أبي الدرداء" وانظر : فتح الوهاب بتخريج أحاديث مسند الشهاب للشيخ أحمد الغماري ٧٦/١ - ٧٧ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني ٢/٤٤٤ .

(٤) مير ٣٠٥/١٣ .

بما لا يقدح ، كذلك يوثق المعدل بما لا يقتضى العدالة<sup>(١)</sup>

قال الآمدي : "أما في الجرح فلاختلاف الناس فيما يجرح به ، فلعله اعتقده جارحاً وغيره لا يراه جارحاً ، وأما في العدالة فلأن مطلق التعديل لا يكون محصلاً للثقة بالعدالة لجري العادة بتسارع الناس إلى ذلك بناءً على الظاهر<sup>(٢)</sup> كـ

والى هذا المذهب مال الشوكاني فقال : "والحق أنه لا بد من ذكر السبب في الجرح والتعديل ، لأن الجرح والمعدل قد يظنان مالين بجراح جرحاً ، وقد يظنان مالا يستقبل بإثبات العدالة تعديلاً ، لاسيما مع اختلاف المذاهب في الأصول والفروع ، فقد يكون ما أبهه الجرح من الجرح هو مجرد كونه على غير مذهبه وعلى ما يعتقده ، وإن كان حقاً ، وقد يكون ما أبهه من التعديل هو مجرد كونه على مذهبه ، وعلى ما يعتقده ، وإن كان في الواقع مخالفاً للحق<sup>(٣)</sup>

المذهب الرابع : وهو عكس المذهب الثالث تماماً ، وهو عدم لزوم ذكر أسباب الجرح والتعديل إذا كان الجرح والمعدل عالمين بأسباب الجرح والتعديل مع الورع والدين والبعد عن العصبية والهوى .

وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني ، ونقله عن الجمهور<sup>(٤)</sup> ، وقد انتصر لهذا المذهب الإمام أبو الوليد الباجي فقال في "إحكام الفصول" : «اختلف الناس في استفسار المزمكي لما صار به المزمكي عنده ، فذهب الجمهور من الناس إلى أن ذلك ليس بواجب وأنه يكتفى بقوله "عدل رضى" إذا كان ممن يعرف التعديل والتجريح .

وقالت طائفة : لا بد من أن يبين ما صار به عنده عدلاً . والأول هو الصحيح .

والدليل على ذلك : إننا لا نرجح في التعديل إلا إليه ، وإذا كان الأمر كذلك وجب حمل أمره في التزكية على السلامة وما تقتضيه حاله التي أوجبت الرجوع إلى قوله .

( ١ ) تدريب الراوى ٣٠٧/١ .

( ٢ ) الاحكام في اصول الاحكام ١٢٢/٢ .

( ٣ ) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٦٨ .

( ٤ ) انظر : شرح العراقى للألفية ٣٠٤/١ ، والكفاية ص ٧٨ .

أما هم فاحتج من نصر قولهم بأن ما يقع به التعديل أمرٌ مختلفٌ فيه طريقة الرأي والاجتهاد فيجوز لذلك أن يعدله بما لا يقع به التعديل عند غيره .

والجواب : أن حمل أمره على السلامة لعدالته وحسن ظاهره أولى ، ولعلمه بما يقع به التجريح والتعديل . فلو عدنا من هذه صفته واضطررنا إلى أن نسأل عنه العاصي لاستفسرناه عن حاله .

ولو وجب ما قلتم لوجب إذا شهد شاهدان بأن زيدا باع عمراً سلعة بيعاً صحيحاً أو أنكحة انكاحاً صحيحاً وآجره إجارةً صحيحة أن نستفسر عن ذلك كله ، فلا يقبل قوله فيه إلا بأن يبين اختلاف الناس في صحة العقود ، وإن لم يجب هذا لم يجب ما قلتموه " ( ١ )

وقال أيضاً في الجرح غير المفتر : " التجريح من العدل يرد خبر المجرح . . . ولا يحتاج إلى أن يبين المعنى الذي جرحه به إذا كان عدلاً عالمًا بما يقع التجريح به .

وروى عن الشافعي أنه يحتاج إلى بيان المعنى المجرح به .

والدليل على ما نقوله : أنه إذا كان المجرّح عدلاً رضى عالمًا بما يقع به التجريح فإنه يجب حمله على الصحة والاصابه فيما جرح به لأن في كشفه عن معنى التجريح اتهاماً له ونقصاً بنينا عليه أمره من الرضى به والتصديق له . وقد بينا ذلك في باب التعديل ، ولا فرق بين الموضعين .

أما هم فاحتج من نصر قولهم : أن التعديل إنما يقع بالظاهر من حاله ، وأنه لا يعلم إلا خيراً ، وليس كذلك التجريح فإنه لا يكون إلا بما يعلمه منه ، ويقطع به عليه ، ولذلك قُدم التجريح على التعديل .

والجواب : أنه لا فرق بينهما ، فإن التعديل لا يصح أيضاً إلا بأن يعلم منه من ظاهر الحال ما يصح تعديله به ، والتجريح لا يصح إلا بأن يعلم منه ما يصح التجريح به ، فلو وجب استفساره عن التجريح لوجب استفساره عن التعديل ، وقد اتفقنا على بطلان ذلك ( ٢ ) .

( ١ ) أحكام الفصول ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

( ٢ ) أحكام الفصول ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

والى هذا المذهب ذهب أيضاً إمام الحرمين الجويني <sup>(١)</sup> ، وتلميذه الإمام الغزالي <sup>(٢)</sup> ،  
ومن بعدهما الفخر الرازي <sup>(٣)</sup> .

قال الجويني في " دليله " : " والذى اختاره أن الامر يختلف بالمعدل والجرح ، فإن  
كان المعدل إماماً مشوقاً به في الصناعة لا يليق به إطلاق التعديل إلا عند علمه بالمعدلة  
الظاهرة ، فمطلق ذلك كاف منه ، فإننا نعلم أنه لا يطلق إلا عن بحث واستفراغ وسع في النظر  
فأما من لم يكن من أهل الشأن ، وإن كان عدلاً رضاء ، إذا لم يحط علماً بعلم الروايات ، فلا  
بد من البَحِّ بالأسباب وأبداً المباحثة التامة . والجرح أيضاً يختلف باختلاف أحوال من يجرح  
والعامي العري عن التحصيل إذا أوجح ولم يفصل ، فلا يكثر بقوله ، فأما من ينير جرحه  
المطلق خرم الثقة ، فمطلق جرحه كاف في اقتضا " التوقف " <sup>(٤)</sup> . والمذهب الرابع ذهب إليه جماعة  
من العلماء ، قال السيوطي : " وهذا اختيار للقاضي أبي بكر ، ونقله عن الجمهور ، واختاره  
إمام الحرمين والغزالي والرازي والخطيب ، وصححه أبو الفضل العراقي ، والبلقيني في " محاسن  
الاصطلاح " <sup>(٥)</sup> .

واعترض ابن جماعة على استقلال هذا المذهب ، فقال : " أنه ليس بقول بل هو تحقيق لمحل  
النزاع وتحرير له إن من لا يكون عالماً بالأسباب لا يقبل منه جرح ولا تعديل لا بإطلاق ولا بتقييد  
فالحكم بالشئ فرع عن العلم التصوري به " <sup>(٦)</sup> .

قال السخاوي عقبه : " وسبقه لنحوه التاج السبكي وقال : إنه لا تعديل ولا جرح إلا من  
العالم " <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) البرهان ٦٢١ / ١ - ٦٢٢ .

( ٢ ) المستقصى ١ / ٦٣ .

( ٣ ) المحصول ١ / ٥٨٧ - ٥٨٨ .

( ٤ ) البرهان ٦٢١ / ١ - ٦٢٢ .

( ٥ ) تدريب الرازي ١ / ٣٠٨ .

( ٦ ) فتح المغيث ١ / ٢٨٥ .

فالمذهب الأول القائل بلزوم تفسير الجرح وذكر سببه لانراه مطرداً عند الجمهور، وإن  
أنهم غالباً ما يقبلون الجرح دون تفسير .

والمذهب الرابع القائل بقبول الجرح والتعديل دون ذكر سببهما من العالم البصير  
ليس مطرداً أيضاً ، فكثيراً ما ردّ العلماء أقوال أئمة عارفين ورعين صادقين .

فإذا جُمع بين المذهبين الأول والرابع يتحقق مذهب جمهور المحدثين .  
وهذا الخطيب البغدادي بعد ترجيحه للمذهب الأول قال : لأن الجرح يحصل  
بأمر واحد فلا يشق ذكره ، والمعدالة لا تحصل إلا بأمور كثيرة ولاخبار بها يخرج ، قلذلك  
الإجمال فيها كافياً .

ثم قال : " على أنا نقول أيضاً : إن كان الذي يرجع إليه في الجرح عدلاً مرضياً فستبي  
اعتقاده وأفعاله عارفاً بصفة المعدالة والجرح وأسبابها ، عالماً باختلاف الفقهاء في أحكام  
ذلك ، قبل قوله فيمن جرحه مجللاً ، ولم يسأل عن سببه (١) .

وقال الحافظ ابن كثير متعباً ابن الصلاح في توقفه عن وجد فيه جرح مبهم فقال : أما  
كلام هؤلاء الاثمة المنتصبين لهذا الشأن ، فينبغي أن يؤخذ مُسَلِّماً من غير ذكر أسباب  
وذلك للعلم بمعرفتهم ، وإطلاعهم ، واضطلاعهم في هذا الشأن واتصافهم بالانصاف والديانة  
والخبرة والنصح ، لاسيما إذا أطبقوا على تضعيف رجل ، أو كونه متروكاً أو كذاباً أو نحو ذلك  
فالمحدث الماهر لا يتخالجه في مثل هذا وقفة من موافقتهم لصدقهم وأمانتهم ونصحهم، ولهذا  
يقول الشافعي في كثير من كلامه على الأحاديث : " لا يثبته أهل العلم بالحدِيث " ويرد " —  
ولا يحتج به بمجرد ذلك والله أعلم (٢) .

#### المذهب الخامس :

وهو ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله ، وهو ما ذكره السيوطي في التدریس  
فقال : " واختار شيخ الإسلام تفصيلاً حسناً ، فإن كان من جرح مجللاً قد وثقه أحد من أئمة

( ١ ) الكفاية ص ١٦٢ .

( ٢ ) اختصار علوم الحديث ص ٩٥ .

( ٣ ) وإلى هذا القول ذهب الحافظ ابن عبد الهادي حيث قال في التحقيق ٢ / ٨٨٨ :

لا يطلب بيان السبب في التضعيف إلا إذا عارضه تعديل .

هذا الشأن لم يقبل الجرح فيه من أحد كائناً من كان إلا مفسراً لأنه قد ثبتت له رتبة الثقة فلا يزحزح عنها إلا بأمر جلي ، فإن أئمة هذا الشأن لا يوشقون إلا من اعتبروا حاله فسوس دينه ، ثم في حديثه ، ونقدوه كما ينبغي ، وهم أيقظ الناس ، فلا ينقض حكم أحد هم إلا بأمر صريح ، وإن خلا عن التعديل قبل الجرح فيه غير مفسر صدر من عارف لأنه لم يعدل فهو في حيز المجهل ، وإعمال قول المجرح فيه أولى من إهماله <sup>(١)</sup>

وذكر في مقدمة اللسان " نحواً من هذا ، ثم قال : " فوجه قولهم أن الجرح لا يقبل إلا - مفسراً هو من اختلف في وثيقته وتجريحه " <sup>(٢)</sup> .

قال اللكنوي - رحمه الله - " وهذا وإن كان مخالفاً لما حققه ابن الصلاح وغيره ، من عدم قبول الجرح بإطلاقه ، لكنه تحقيق مستحسن وتدقيق حسن " <sup>(٣)</sup>

وكذلك ذهب الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله إلى ترجيح ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر فقال : " والتفصيل الذي اختاره ابن حجر هو الذي يطمئن إليه الباحث في التعليل والجرح والتعديل ، بعد استقرار علوم الحديث وتدوينها " <sup>(٤)</sup>

بعد هذا الاستعراض يظهر أن رأي الجمهور وواقع علمهم أنه لا يلزم ذكر أسباب الجرح وذلك بتحقيق شرطين :

الأول : أن يكون الجرح عالماً بأسباب الجرح والتعديل ، متحققاً بصفات الناقد .

الثاني : أن لا يكون الذي جرحه موثقاً من قبل إمام أو أئمة هذا الشأن .

وقد بين الإمام الذهبي متى يطلب تفسير الجرح وميانه فقال في رسالته " ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل " :

" قسم منهم متمنت في الجرح ، مثبت في التعديل يغمز الراوي بالغلطتين والشلالات ويلين بذلك حديثه ، فهذا إذا وثق شخصاً فعض على قوله بنا جذيك ، وتمسك بتوثيقه

( ١ ) تدريب الراوى ١ / ٣٠٨ ، وانظر نخبة الفكر مع شرحها نزهة النظر ص ٧٣ .

( ٢ ) لسان الميزان ، المقدمة ص ١٦ .

( ٣ ) الرفع والتكميل ص ١١٠ .

( ٤ ) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٠٥ .

وإذا ضَعَّفَ رجلاً فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه ، فإن وافقه ولم يوثق ذاك أحد من  
الحدّاق فهو ضعيف ، وإن وثّقه أحد فهذا الذي قالوا فيه : لا يقبل تجريحه إلا مفسراً<sup>(١)</sup>  
ومن لا يقبل فيه الجرح وإن كان مفسراً ، من كثر مادحوه ومزكوه وعلت جلالته وصدّقته  
وتبيّن التحامل في قول جارحه .

قال الإمام السبكي : " الجرح لا يقبل منه الجرح وإن فسّره في حق من غلبت طاعاته على  
معاصيه ، ومادحوه على ذاميه ، ومزكوه على جارحيه ، إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن  
مثلها حامل على الواقعة في الذي جرحه من تعصب مذهبي أو منافسة ذنبوية كما يكون بين  
النظرّاء أو غير ذلك<sup>(٢)</sup> "

وقال السبكي أيضاً : " لا نطلب التفسير من كل أحد ، بل إنما نطلبه حيث يحتل الحال  
شكاً ، إما لاختلاف في الاجتهاد ، أو لتهمة يسيره في الجرح ، أو نحو ذلك لما لا يوجب  
سقوط قول الجرح ، ولا ينتهي الى الاعتبار به على الإطلاق ، بل يكون بين بين .

أما إذا انتفت الظنون ، واندفعت التهم ، وكان الجرح حبراً من أخبار الأمة ، مبرراً من  
مظان التهمة ، أو كان المجروح مشهوراً بالضعف ، متروكاً بين النقاد ، فلا نلتزم عند جرحه  
ولانحج الجرح الى التفسير ، بل طلب التفسير منه ، والحالة هذه طلب لغيه لا حاجة إليها<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً : " قولهم لا يقبل الجرح إلا مفسراً : إنما هو أيضاً في جرح من ثبتت عدالته  
واستقرت ، فإذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له : اثبت برهان على هذا .

أو فيمن لم يعرف حاله ، ولكن ابتدره جارحان ومزكّيان ، فيقال إن ذاك للجارحين : فسّر  
ما رميتاه به .

أما من كُتِبَ أنه مجروح فيقبل قول من أطلق جرحه لجريانه على الأصل المقرر عندنا ، ولا نطالبه  
بالتفسير إن لا حاجة إلى طلبه<sup>(٤)</sup>

(١) ذكر من يعتد قوله ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) قاعدة في الجرح والتعديل ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٥١ - ٥٢ .

وقد ردَّ الحافظ ابن حجر جرحاً كثيراً للرواة الذين أخرج لهم البخاري في صحيحه لأنها جرح مبهم غير مفترى، وذلك لأنَّ رجال الصحيح عدول ثقات في الجملة، فمن أنص بجرح فيهم لا بد أن يفتره .

قال الحافظ في مقدمة الفتح في الفصل الرابع : " في سياق أسماء من طعن فيه من رجال هذا الكتاب : " إن تخريج صاحب الصحيح لأي راوٍ كان مقتضى عدالته عنده . . . . . وحيث إننا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنًا فذلك الطعن مقابل لتعديل ذلك الإمام، فلا يقبل إلا مبين السبب مفترأ بقادح في عدالة ذلك الراوي وفي ضبطه . . . لأنَّ الأسباب الحاطلة للأثرة على الجرح منها ما يقدر : ومنها ما لا يقدر ( ١ )

وقال الحافظ أيضا : " وقرَّر ابن دقيق العيد بأنَّ من اتفق الشيخان على التخريج لهم ثبتت عدالتهم بالاتفاق بطريق الاستلزام لاتفاق العلماء على تصحيح ما أخرجاه، ومن لازمه عدالة روايته إلى أن تتبيَّن العلة القادحة بأن تكون بفسرة ولا تقبل التأويل " ( ٢ )

ومن جملة هذه الجرح المبهم التي ردها :

١ - في ترجمة سميد بن سليمان الواسطي : " قال الدارقطني : يتكلمون فيه . قلت : هذا تليين مبهم لا يقبل " ( ٣ )

٢ - وفي ترجمة عبد الأعلى بن عبد الأعلى البصري : " وثقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي والمجلى وابن سيرين وغيرهم . . . وقال محمد بن سعد : لم يكن بالقوى . قلت : هذا جرح مردود غير مبين " ( ٤ )

٣ - وفي ترجمة عبد الملك بن الصباح البصري : " ذكره صاحب "الميزان" فنقل عن الخليلي أنه قال فيه : كان متهمًا بسرقة الحديث . وهذا جرح مبهم ( ٥ )

٤ - وفي ترجمة محمد بن بشار البصري المعروف ببندار : " أحد الثقات المشهورين ، روى عنه

( ١ ) هدى السارى ص ٣٨٤ .

( ٢ ) فتح الباري ١٣ / ٤٥٢ .

( ٣ ) هدى السارى ص ٤٠٥ .

( ٤ ) هدى السارى ص ٤١٦ .

( ٥ ) هدى السارى ص ٤٢١ .

الأئمة الستة، وثقة العجلي والنسائي وابن خزيمة وسماه "إمام أهل زمانة" . . . . . وضعفوه عمرو بن علي الفلاس " ولم يذكر سبب ذلك فما عرجوا على تجريحه (١)

٥ - وقال في ترجمة يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الكوفي : " قال ابن المديني : لم يكن بالكوفة بعد الثوري أثبت منه ، وقال النسائي : ثقة ثبت . . وقد احتج به الجماعة إلا أن عمر بن شبة حكى عن أبي نعيم أنه قال : ما كان بأهلي لأن أحدث عنه . وهذا الجرح مردود بل ليس هذا بجرح ظاهر (٢)

٦ - وقال في ترجمة يزيد بن أبي مريم الدمشقي : " وثقه الأئمة وابن معين وزيحيم وأبو زرعة وأبو حاتم قال الدارقطني : ليس بذلك . قلت : هذا جرح غير مفسر فهو مردود (٣)

٧ - وقال في ترجمة أبي بكر بن أبي موسى الأشعري - " وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة . وقال ابن سعد : كان قليل الحديث يستضعف . قلت : هذا جرح مردود (٤)

وقال الحافظ أيضاً في ترجمة عكرمة : " ومن ثبتت عدالته لم يقل فيه الجرح ، وما تيسر من العدالة بالظن (٥)

وقال أيضاً : " القول الذي له وجوه وتصاريف ومعان غير الذي وجهه إليه أهل الغيبة ومن لا يعلم بتصاريف كلام العرب (٦)

وقال الامام الزيلعي في نصب الراية : " قال صاحب التنقيح : قول ابن حاتم : " لا يحتج به " غير قاذح فانه لم يذكر السبب ، وقد تكررت هذه اللفظة منه في رجال كثيرين من أصحاب الصحيح الثقات الاثبات ، من غير بيان السبب كخالد الحذاء (٧) ، وغيره (٨)

(١) هدى البزارى ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) هدى السارى ص ٤٥١ .

(٣) هدى السارى ص ٤٥٣ .

(٤) هدى السارى ص ٤٥٦ .

(٥) هدى السارى ص ٤٢٩ .

(٦) هدى السارى ص ٤٢٩ .

(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣ : ٣٥٢ قال في التقريب : خالد بن سهران البصري الحذاء ثقة يرسل ، وعاب عليه بعضهم دخوله في عمل السلطان .

(٨) نصب الراية ٣ / ٤٣٩ .

## المبحث الثالث

## تعارض الجرح والتعديل (١)

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الحافظ الإمام الكبير أبي زكريا يحيى بن عبد الحميد

الحماني الكوفي المتوفى سنة ( ٢٢٨ )

بعد ما نقل تضعيف الداري وأحمد له، ثم نقل عن ابن معين توثيقه " وقال أحمد بن منصور

الرمادي - عن يحيى - : هو عندى أوثق من أبي بكر بن أبي شيبة ، وما يتكلمون فيه الا من

الحسد .

قلت : الجرح مقدم ، وأحمد والداري بريثان من الحسد ( ١ )

وقال في ترجمة الامام العالم أبي القاسم علي بن محمد الزيدي الحراني الحنبلـيـي

المتوفى سنة ( ٤٣٣ ) : " وأعلى شئ عنده القراءات والتفسير عن النقاش ، والنقاش مجمع

على ضعفه في الحديث لافى القراءات ، فان كان الزيدي مقدوحا فيه فلا يفرح بعمله ورواياته

للأمرين ، وقد وثقه أبو عمر والداني في الجملة ، كما وثق شيخه النقاش ، لكن الجرح مقدم ( ٢ )

وقال الحافظ الذهبي في " الميزان " في ترجمة إبراهيم بن أبي يحيى بعد أن ذكر

أقوال كثير من الأئمة في تضعيفه وتوهمته وتكذيبه ، " وقد ساق ابن عدي لإبراهيم ترجمة

طويلة إلى أن قال : وله كتاب الموطأ ، أضعاف موطأ مالك ، وله نسخ كثيرة ، وقد وثقه

الشافعي وابن الأصبهاني . قلت : الجرح مقدم ( ٣ )

ولقول الذهبي " الجرح مقدم " أحببت أن أفرد هذه المسألة بالدراسة فأقول :

إذا تعارض الجرح والتعديل في راوٍ واحد فجرحه بعضهم وعدله بعضهم ، ففيه

ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الجرح مقدم مطلقاً ، ولو كان المعدلون أكثر .

قال الخطيب في كفايته : " اتفق أهل العلم على أن من جرّحه الواحد والاثنان وعدله

( ١ ) سير أعلام النبلاء ٥٣٥/١٠

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ٥٠٦/١٢

( ٣ ) ميزان الاعتدال ٥٩/١ . وانظر كلام الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٢٢/١-٢٣

مثل عدد من جرحه فإنَّ الجرح به أولى ، والعلة في ذلك أن الجرح يخبر عن أمر باطن قد علمه ، ويصدق المعدل ويقول له : قد علمت من حاله الظاهرة ما علمتها وتفردت بعلم لم تعلمه من اختبار أمره ، واخبار المعدل عن المعدالة الظاهرة لا ينفي صدق قول الجرح فيما أخبر به ، فوجب لذلك أن يكون الجرح أولى من التعديل <sup>(١)</sup> .

وقال أيضا : " لان من عمل بقول الجرح لم يتهم المزكى ولم يخرج به ذلك عن كونه عدلا ، ومتى لم نعمل بقول الجرح كان في ذلك تكذيب له ، ونقض لمعاداته ، وقد علم أن حاله في الامانة مخالفة لذلك " .

ثم قال : " إذا عدل جماعة رجلاً وجرحه أقل عددا من العدلين فإن الذي عليه جمهور العلماء أن الحكم للجرح والعمل به أولى " <sup>(٢)</sup> .

فقد نقل الخطب اتفاق أهل العلم في المسألة الاولى ، وهي تقديم الجرح على التعديل اذا تساوى عدد المعدلين والمجرحين : وعزا المسألة الثانية الى جمهور أهل العلم ، بتقديم الجرح على التعديل ولو كان عدد المعدلين أكثر .

قال الامام أبو الوليد الباجي : " فإن كان عدد المجرحين مثل عدد المعدلين أو أكثر فلا خلاف في تقديم التجريح . . وان كان عدد المعدلين أكثر فالذي عليه أكثر الناس أن التجريح مقدم أيضاً " <sup>(٣)</sup> .

واستدل الباجي على هذا القول بتقديم الجرح بقوله : " فإن قال قائل : فلم قلتم : إن الجرح مقدم ؟ قيل له : لاجتماع الامة على ذلك ، ولا يلزمنا ايراد دليل على الاجماع . وأيضاً : فإن المجرَّح يصدق المعدل فيما أخبر به من صلاح حاله ويزيد علماً على ما علمه المعدل من خير ، وزيادة المعدل مقبولة .

ولأننا إذا علمنا بالتجريح لم نرد شهادة المعدل ، وإذا علمنا <sup>(٤)</sup> بالتعديل

( ١ ) الكفاية ص ١٧٥ - ١٧٦

( ٢ ) المرجع السابق ص ١٧٧

( ٣ ) احكام الفصول في احكام الاصول ص ٣٧٩

( ٤ ) في المطبوعة : علمنا ، ولعل الصواب ما أثبتته .

ردونا شهادة المجرح ، فكان قبول الشهاداتتين من المعدلين أولى <sup>(١)</sup> .

واعتمد ابن الصلاح القول الأول هذا وصححه <sup>(٢)</sup> ، وكذا صححه الأصوليون كالفخر الرازي والسيف الآمدي <sup>(٣)</sup> . وقال السيوطي : هذا هو الأصح عند الفقهاء والأصوليين <sup>(٤)</sup> .

١- وما يتعلق بهذا القول أن تقديم الجرح محمول على كونه مفسراً ، وابن الصلاح لما ذكر هذا القول لم يصرح بهذا الشرط ، إلا أنه أراد ، لأنه لا يقبل الجرح المجرد إلا مفسراً ، فكيف بالمعارض . فالجرح البهم غير المفسر لا يعارض التعديل ، وإن كان مبهماً . قال السخاوي : " لكن ينبغي تقييد الحكم بتقديم الجرح بما إذا فسر ، . . . وعليه يحمل من قدم التعديل كالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره ، أما إذا تعارضنا من غير تفسير فالتعديل كما قاله المزي وغيره " <sup>(٥)</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة اللسان : " الصواب : التفصيل ، فإن كان الجرح والحالة هذه مفسراً قبل ، والا عمل بالتعديل ، وعليه يحمل قول من قدم التعديل كالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره " <sup>(٦)</sup> .

قال الزيلعي في نصب الراية : " قوله : " يكذب " جرح مفسر ، فيقدم على التعديل " <sup>(٧)</sup> .

٢ - ومن الشروط المعتبرة في هذا المذهب : أن لا يكون المجرح من اشتهرت

إمامته وثبتت عدالته عند الأمة . قال الذهبي : " اذا ثبتت امامة الرجل وفضله لم يضره ما قيل فيه " <sup>(٨)</sup>

وقال الإمام السبكي : " الجرح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غلبت طاعاته

( ١ ) أحكام الفصول ، لأبي الوليد الباجي ص ٢٨٠ .

( ٢ ) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٩٩ .

( ٣ ) انظر : المحصول للفخر الرازي ٥٨٨/٢ ، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٢٤/٢ .

( ٤ ) تدريب الراوي ٣٠٩/١ .

( ٥ ) فتح المفتي ٢٨٧/١ .

( ٦ ) مقدمة لسان الميزان ١٥/١ .

( ٧ ) نصب الراية ١٨٤/١ .

( ٨ ) سير ٤٤٨/٨ في ترجمة الفضيل بن عياض وابنه علي رحمهما الله تعالى .

على معاصيه ، وماد حواه على ذاميه ، ومزكوه على جارحيه (١)

ويقول أيضاً : " لا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك ، وابن معين في الشافعي ، والنسائي في أحمد بن صالح ، لأنَّ هؤلاء مشهورون ، صار الجرح لهم كالآتي بخبر غريب لو صحَّ لتوفرت الدواعي على نقله ، وكان القاطع قائماً على كذبه (٢)

٣ - ومن شروط تقديم الجرح على التعديل أيضاً أن لا يدفع المعدل قول الجرح بأمر معتبر وطريق يقيني .

قال الإمام شمس الدين الأصفهاني المتوفى سنة ( ٧٤٩ ) في "بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب" : " اختلفوا في تقديم الجرح على التعديل إذا وقع التعارض بينهما . فقال قحوم الجرح مقدم مطلقاً . وقال آخرون : لا بد من الترجيح في كل صورة ، فأيهما ترجح على الآخر واختار المصنف التفصيل : بأنه إذا عيَّن الجرح سبب الجرح ونفاه المعدل بطريق يقيني قدَّم أحدهما على الآخر بالترجيح .

كأن قال الجرح : رأيت وقد قتل فلاناً ، وقال المعدل : رأيت فلاناً المدعى قتلته حياً (٣) ومن أمثلة ذلك أيضاً ما أوضحه الباجي فقال بعد ما قرر تقديم الجرح على التعديل : " وعندى أنها تحتاج إلى تفصيل ، وذلك أن هذا الحكم الذي حكيناه إنما يثبت في قول المعدل " عدل رضى " وفي قول المجرح : " فاسق قد رأيت يشرب خمرًا " فهاتان الشهاداتتان لا تنافي بينهما فأما أن قال المجرح : رأيت أس يشرب خمرًا . وقال المعدل : ما فارقتي أس ، وقد كنا فـى الجامع مصلين . فهاتان الشهاداتتان متعارضتان ، وفي قبول أحدهما رد الأخرى ، ففى تقديم الترجيح في هذا الموضع نظر (٤)

قال السخاوى : " وكذا قيده الفقهاء - أى تقديم الجرح على التعديل - بما إذا أطلق التعديل ، أما إذا قال المعدل : عرفت السبب الذى ذكره الجرح لكنه تاب منه ، وحسنت

( ١ ) قاعدة فى الجرح والتعديل ص ٢٤ .

( ٢ ) المصدر السابق ص ٢٤-٢٨ ، وانظر ( قواعد فى علوم الحديث ) للتهانوى ص ١٧٦ .

( ٣ ) بيان المختصر للأصفهاني ٧٠٨/١ - ٧٠٩ .

( ٤ ) احكام الفصول للباجي ص ٣٨٠ .

توته ، فانه يقدم المعدل ، مالم يكن فى الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم (١) .  
ومن أمثلة ذلك فى تقديم قول المعدل ورد كلام الجرح إذا ردّ كلام الجرح بأمر يقينى  
معتبر ، أن يقول الجرح قلان مجهول ، فيقول المعدل : روى عنه اثنان وثقة فـلان  
أو جماعة ، فيكون قول المعدل هوالمعتبر . ومثال ذلك ماأورده الذهبى فى ترجمة  
عبد الله بن الوليد المزنى : " وعنه أبو عاصم وأبو نعيم وآخرون . وثقة ابن معين ، والنسائس  
وقال أبو حاتم : صالح الحديث . وقال ابن المدينى : مجهول ، لأعرفه . قلت : قد عرفه  
جماعة وثقوه فالعبرة بهم (٢) "

ومن أمثله ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر فى ترجمة عبد الله بن عصمة الجشمى : " وزعم  
عبد الحق أن عبد الله بن عصمة ضعيف جداً ، ولم يتعقبه ابن القطان ، بل نقل عن ابن  
حزم أنه قال : مجهول ، وهو جرح مردود ، فقد روى عنه ثلاثة ، واحتج به النسائى (٣)  
٤ - ومن الشروط المعتبرة فى تقديم الجرح على التعديل ان يكون الجرح عالماً بأسباب

الجرح والخلاف فيها اضافة الى ما سبق بيانه بأن يكون الجرح مفسراً .  
قال الحافظ ابن حجر : " والجرح مقدم على التعديل ، وأطلق ذلك جماعة ، ولكن محله  
إن صدر مبيناً من عارف بأسبابه ، لأنه إن كان غير مفسراً لم يقدر فيه ثبوت عدالته ، وإن  
صدر من غير عارف بالأسباب لم يعتبر به أيضاً (٤) "

وقال الحافظ أيضاً فى مقدمة الفتح فى سياق أسماء من طعن فيه من رجال البخارى : " إذا  
وجدنا لغيره فى أحد منهم طعناً ، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الامام ، فلا يقبل  
الا مبين السبب مفسراً بقادح يقدر فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقاً ، أو فى ضبطه  
لغيره بعينه ، لأن الأسباب الحاملة للثمة على الجرح متفاوتة ، منها ما يقدر ، ومنها ما لا  
يقدر . . . قلت : فلا يقبل الطعن فى أحد منهم الا بقادح واضح ، لان اسباب الجرح

( ١ ) فتح المغيث ٢٨٢/١ .

( ٢ ) ميزان الاعتدال ٥٢١/٢ .

( ٣ ) التلخيص الحبير ٥/٣ . وانظر نصب الراية ٣٢/٤ ، ٣٣ .

( ٤ ) النخبة وشرحها ص ١٥٥ .

مختلفة، ومدارها على خمسة أشياء : البدعة، أو المخالفة أو الغلط، أو جهالة الحال أو دعوى الانقطاع في السند بأن يدعى قى الراوى أنه كان يدلس أو يوصل<sup>(١)</sup> وقصد أفاض الحافظ في الكلام على هذه الاسباب ودفع جميعها عن الصحيح .

والحاصل : أنه إذا تعارض الجرح والتعديل قُدِّم الجرح ولكن بشروط، ملخصها :

١ - أن يكون الجرح مفسراً معتبراً .

٢ - أن لا يكون المجرى ممن ثبتت عدالته واشتهرت إمامته عند الأمة .

٣ - أن لا يدفع المعدل قول الجرح بأمر معتبر .

٤ - أن يكون الجرح عارفاً بأسباب الجرح .

القول الثاني : يقدّم التعديل إذا كان عدد المعدلين أكثر.

قال الباجي : " وإن كان عدد المعدلين أكثر، فالذي عليه أكثر الناس أن التجريح مقدّم أيضاً، وذهبت طائفة إلى أن التعديل مقدّم، وهذا من باب الترجيح بكثرة الرواة<sup>(٢)</sup> وقد حكى الخطيب البغدادي هذا القول، وذكر حجة، وبين ضعفه فقال : " وقد اعتلت هذه الطائفة بأن كثرة المعدلين تقوى حالهم، وتوجب العمل بخبرهم، وقلة الجارحين تضعف خبرهم، وهذا بعد من توهمه لأن المعدلين وإن كثروا ليسوا يخبرون عن عدم ما أخبر به الجارحون<sup>(٣)</sup> "

كما أن الفخر الرازي ضعف هذا القول فقال : " وعدد المعدل إذا زاد، قيل : إنه يقدّم على الجرح وهو ضعيف، لأن سبب تقديم الجرح إطلاع الجرح على زيادة، فلا ينتفي ذلك بكثرة المدر<sup>(٤)</sup> "

القول الثالث : إنه يتعارض الجرح والتعديل، فلا يترجح أحدهما إلا بمرجّح

( ١ ) هدى السارى ١ / ٣٨٤ .

( ٢ ) أحكام الفصول ص ٣٧٩ .

( ٣ ) الكفاية ص ١٧٧ .

( ٤ ) المحصول ٢ / ٥٨٨ - ٥٨٩ .

حكاه التاج السبكي عن ابن شعبان <sup>(١)</sup> من المالكية ، وحكى هذا القول أيضا أبو عمرو ابن الحاجب في مختصره .

قال ابن الحاجب : " الجرح مقدم ، وقيل : الترجيح " وقال الشارح الاصفهاني : والترجيح يتحقق بكثرة العدد وشدة الورع والتحفظ . <sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ العراقي رحمه الله : " وكلام الخطيب يقتضي نفى هذا القول الثالث ، فانه قال : " اتفق أهل العلم على أن من جرحه الواحد والاثنان ، يعدله مثل عدد من جرحه ، فان الجرح به أولى " نفى هذه الصورة حكاية الاجماع على تقديم الجرح ، خلاف ما حكاه ابن الحاجب . <sup>(٣)</sup>

وهناك قول رابع حكاه الحافظ سراج الدين البلقيني فقال : " وقيل يرجح بالأحفظ " <sup>(٤)</sup>

ولا يعتبر هذا قول مستقل بل هو تابع للقول الثالث في الترجيح عند تعارض الجرح والتعديل ومعد ذكر الاقوال والمذاهب في تعارض الجرح والتعديل أنه الى أن حقيقة التعارض بين الجرح والتعديل غير قائمة اذا أمكن معرفة ما يرفع ذلك التعارض . وقد نبه الى هذه الفائدة العلامة ابن الوزير اليماني في تنقيح الانظار فقال : " واعلم أن التعارض بين التعديل والتجريح انما يكون عند الوقوع في حقيقة التعارض ، أما اذا أمكن معرفة ما يرفع ذلك ، فلا تعارض البتة .

مثال ذلك : أن يجرح هذا بفسق قد علم وقوعه منه ، ولكن علمت توبته أيضا ، والجرح جرح قبلها . أو يجرح بسوء حفظ مختص بشيخ أو بطائفة ، والتوثيق يختص بغيرهم ، أو بسوء حفظ مختص بآخر عمره لقلة حفظ أو زوال عقل .

وقد تختلف أحوال الناس ، فكم من عدل في بعض عمره دون بعض ، فاذا اطلع على

( ١ ) جمع الجوامع بشرح المحلي ١٩٤ / ٢ ، وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان رأس فقهاء المالكية بمصر في وقته توفي سنة ( ٣٥٥ ) ، وانظر : الدياج المذهب ١٩٤ / ٢ .

( ٢ ) بيان المختصر للأصفهاني ٧٠٨ / ١ - ٧٠٩ .

( ٣ ) التبصرة والتذكرة للعراقي ٣١٢ / ١ .

( ٤ ) محاسن الاصطلاح ص ٢٢٤ ، وانظر : تدريب الراوي ٣١٠ / ١ .

التاريخ - أي تاريخ روايته وتاريخ اختلاطه - فهو مخلص حسن . وقد اطلع عليه في كثير من رجال الصحيح جرحوا بسوء الحفظ بعد الكبر ، والصحيح روي عنهم قبل ذلك \* ( ١ )

وقال البخاري أيضاً : إذا كانا من قائل واحد كما يتفق لابن معين وغيره من أئمة النقاد فهذا لا يكون تناقضاً بل نسبياً في أحدهما أو ناشئاً عن تغيّر اجتهاد ، وحينئذ فلا ينضبط بأمر كلي ، وإن قال بعض التأخرين أنّ الظاهر أنّ المعمول به : المتأخر منهما إن علم ، ولا وجب التوقف \* ( ٢ )

\* \* \*

---

( ١ ) تنقيح الانظار للصنعاني ١٦٧/٢ ، وانظر أمثلة وشواهد وزيادة فوائد كتاب " أسباب

اختلاف المحدثين " للأستاذ خلدون الاحدب ٥٥٨/٢ - ٥٦٧ .

( ٢ ) فتح المغيث ٢٨٨/١ ، والمزاد ببعض المتأخرين الإمام الزركشي كما صرح بذلك في حاشيته

على مقدمة ابن الصلاح .

## المبحث الرابع

## المداوة وأثرها في الجرح

ظهرت شخصية الحافظ الذهبي النقدية في ردّه لكثير من الجروح والطعون في الرواة ، لأسباب كثيرة ، ومن جملة تلك الأسباب التي ردّها فيها الحافظ الذهبي كثيراً من الجروح كلام الأقران بعضهم في بعض ، فقد وقع كثير من العلماء بأخرين من أقرانهم ، وحملهم على ذلك المنافسة أو الحسد ، والحقد ، أو المداوة والاختلاف في أمر العقيدة والمذهب . والاختلاف بين العلماء في المذاهب والمشارب أمرٌ مركوز في الطباع والفطر الإنسانية ، ولا يمكن انتفاؤه من صفوف أهل العلم والفضل والصلاح .

قال الإمام أحمد بن حنبل في الإمام إسحاق بن راهويه : " لم يعبّر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق ، وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإنّ الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً " ( ١ ) وهذا الاختلاف بين العلماء لا ينبغي أن يكون سبباً في المداوة والحسد والحقد والجرح بعصبية وهوى .

نقل الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الشافعي : " قال يونس الصّدفي : ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يوماً في مسألة ، ثم افترقنا ، ولقيني ، فأخذ بيدي ، ثم قال : يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً ، وإن لم نتفق في مسألة . قلت : هذا يدلّ على كمال عقل هذا الإمام ، وفقه نفسه ، فما زال النظراء يختلفون " ( ٢ )

ومن شأن العالم إذا اختلف في مسألة أن يكون حريصاً على التماس الحق ، وأن يرجع إلى الحق ولو كان مع خصمه .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ عفان بن مسلم : " قال الفلاس : رأيت يحيى يوماً حدّث بحدّث ، فقال له عفان : ليس هو هكذا ، فلما كان من الغد ، أتيت يحيى ، فقال : هو كما قال عفان ، ولقد سألت الله أن لا يكون عندي على خلاف ما قال عفان . قلت : هكذا كان العلماء ، فانظر يا مسكين ، كيف أنت عنهم بمعزل " ( ٣ ) ولكن الخلاف إذا تحوّل إلى عداوة وشحناء وحسد وبغضاء ، كان مذموماً ، والجرح

( ١ ) تاريخ بغداد ٦ : ٣٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣٧١ / ١١ .

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٠ ، ١٧ ، ( ٣ ) المرجع السابق ٢٤٩ / ١٠ .

إذا صدر من الأقران بسبب البغضاء أو العداوة أو التعصب فيه جرحٌ مردود ويقبل إذا خلا من البغضاء والعداوة والحسد ، لأنَّ القرين أعرف بقرينه .  
ولذلك انتقد الحافظ الذهبي كثيراً من الجروح بأنها من كلام الأقران .

قال في ترجمة رجاء بن حيوة : " وما زال الأقران ينال بعضهم من بعض " (١)

وقال في ترجمة أبي إسحاق السبيعي : " لا يسمع قول الأقران بعضهم في بعض " (٢) وقال

أيضاً : " ونحن لا نقبل كلام الأقران بعضهم في بعض " (٣) ويقول أيضاً : " وكل حال ، فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعول على كثير منه " (٤) ويقول أيضاً : " وكلام المتعاصرين بعضهم في بعض لا يُعْبَأُ به " (٥)

ولا يعول على كلام الأقران إلا إذا اتفق المتعاصرون على الجرح ، ووُجِدَ للكلام الجراح من المتابعات ما يؤيده .

(\*)

قال الذهبي : " كلام الأقران ، يطوى ولا يروى ، فإن ذكر تأمله المحدث ، فإن وجد له متابعاً ، والا أعرض عنه " (٦)

ويقول أيضاً : " وكل حال كلام الأقران بعضهم في بعض محتل ، وطئه أولى من بثه ، إلا أن يتفق المعاصرون على جرح شيخ ، فيعتمد قولهم ، والله أعلم " (٧)

وسأعرض هنا نماذج من كلام الأقران ، وأورد لها مرتبة حسب الطبقات من كتابه " سير أعلام النبلاء " وأتبعها بشواهد وأمثلة من كتبه النقدية الأخرى :

١ - مكحول ورجاء بن حيوة : قال الذهبي في ترجمة رجاء بن حيوة : " قال مكحول : ما زلت مضطرباً على مَنْ ناوأني حتى عاونهم عليَّ رجاء بن حيوة ، وذلك أنه كان سيد أهل الشام في أنفسهم .

قلت : كان مابينهما فاسداً ، وما زال الأقران ينال بعضهم من بعضهم ، ومكحول ورجاء إمامان ، فلا يلتفت إلى قول أحدهما في الآخر " (٨)

- |                                                                         |                                  |
|-------------------------------------------------------------------------|----------------------------------|
| (١) سير أعلام النبلاء ٥٥٨/٤                                             | (٢) المرجع السابق ٣٩٩/٥          |
| (٣) سير أعلام النبلاء ٥٠٥/١٤                                            | (٤) المرجع السابق ١٤٢/٧          |
| (٥) المرجع السابق ٥٠٣/٩                                                 | (٦) المرجع السابق ٢٧٥/٥ - ٢٧٦    |
| (٧) المرجع السابق ٤٣٢/١١                                                | (٨) سير النبلاء ٥٥٨/٤ وانظر ٦٣/٥ |
| (*) وانظر ص ٤٢١ ففيها تفصيل يتعلق بحكم قبول الجرح والتعديل من الأقران . |                                  |

٢ - قتادة بن دعامة ويحيى بن أبي كثير : قال الذهبي في ترجمة قتادة : " ذكر يحيى بن أبي كثير عند قتادة ، فقال : متى كان العلم في السَّاكين ، فذكر قتادة عند يحيى ، فقال : لا يزال أهل البصرة بشرِّ ما كان فيهم قتادة .

قلت : كلام الأقران يُطوى ولا يروى ، فإن ذكر تأمله السَّكَّان ، فإن وجد له متابعا  
والأعرض عنه " ( ١ )  
أبو إسحاق السبيعي والأعشى والمغيرة بن مقسم الضبي الكوفي :  
٣ - وفي ترجمة أبي إسحاق السبيعي : " وقال جرير عن مغيرة : ما أفسد حديث  
أهل الكوفة غير أبي إسحاق والأعشى .

قلت : لا يسمع قول الأقران بعضهم في بعض ، وحديث أبي إسحاق محتج به فليس  
داوود بن الإسلام " ( ٢ )

٤ - أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان ، وربيعة الرأي : قال الذهبي في ترجمة  
أبي الزناد : " وكان أبو الزناد معادياً لربيعة الرأي ، وكانا فقيهي البلد في زمانهما .  
قال إبراهيم بن المنذر الحزامي : هو كان سبب جلد ربيعة الرأي ، ثم ولي بعد ذلك  
المدينة فلان التيمي ، فأرسل إلى أبي الزناد ، فطعن عليه بيتاً ، فشفع فيه ربيعة .  
قلت : تؤول الشحنة بين القرناء إلى أعظم من هذا ، ولما رأى ربيعة أن أبا الزناد  
يهلك بسببه ما وسعه السكوت ، فأخرجوا أبا الزناد ، وقد عاين الموت ، وذبل ومالكت  
عنقه ، نسأل الله السلامة " ( ٣ )

وقال في ترجمة ربيعة بن أبي عبد الرحمن قُروخ : " روى مطرف عن ابن أخى ابن هُرْمَز :  
رأيت ربيعة ، جُلِدَ ، وحُلِقَ رأسه ولحيته ، قال إبراهيم بن المنذر : كان سببه سعايسة  
أبي الزناد به " ( ٤ )

وقال الذهبي في ترجمة أبي الزناد في " الميزان " : لا يسمع قول ربيعة فيه فإنه كان  
بينهما عداوة ظاهرة " ( ٥ ) وقد تكلم فيه ربيعة فقال : ليس بثقة ولا رضى .

( ١ ) المرجع السابق ٢٧٥/٥ - ٢٧٦ . ( ٢ ) المرجع السابق ٣٩٩/٥ .

( ٣ ) سير أعلام النبلاء ٤٤٧/٥ - ٤٤٨ . ( ٤ ) المرجع السابق ٩١/٦ .

( ٥ ) ميزان الاعتدال ٤١٨/٢ .

٥ - الإمام مالك ومحمد بن إسحاق : قال الذهبي في ترجمة محمد بن إسحاق : " وقال مالك ، وذكره فقال : دَجَال من الدجاجة . قال الخطيب : ذكر بعضهم أنَّ مالكا عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة .

قلت : كلا ، ما عابهم إلا وهم عنده بخلاف ذلك ، وهو ثابت على ذلك ، وإن أخطأ اجتهداه ، رحمة الله عليه .

قال : وقال إبراهيم بن المنذر : حدثني عبد الله بن نافع ، قال : كان ابن أبي زئب وابن الماجشون ، وابن أبي حازم ، وابن إسحاق يتكلمون في مالك . وكان أشدَّهم فيه كلاماً محمد بن إسحاق ، كان يقول : ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه ، أنا بيّطـار كتبه " ( ١ )

وقال الذهبي أيضاً في ترجمة محمد بن إسحاق : " قال البخاري : ولو صحَّ عن مالك تناوله من ابن إسحاق فلربما تكلم الإنسان ، فيرمي صاحبه بشيء واحد ، ولا يتهمة فـسـ الأُمور كلها .

قال : وقال إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فُلج : نهاني مالك عن شيخين من قريش وقد أكره عنهما في "الموطأ" وهما يمتن يحتجَّ بهما ، ولم ينحُ كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم ، نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي ، وكلام الشعبي في عكرمة ، وفيمن كان قبلهم ، وتناول بعضهم في العرض والنفس ، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ، والكلام في هذا كثير . ( ٢ )

قلت : لسنا ندَّعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر ، ولا من الكلام بنقسٍ حاد ، فيمن بينهم وبينه شحنة وإحنة ، وقد علم أنَّ كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به ، ولا سيما إذا وثَّق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف ، وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه ، لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين ،

( ١ ) سير النبلاء ٣٩/٧ .

( ٢ ) وثق البخاريُّ ابنَ إسحاق ، وأطال الكلام في توثيقه في كتاب " القراءة خلف الإمام "

ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة ، وارتفع مالك ، وصار كالنجم ، والآخرة له ارتفاع بحسبه ، ولا سيما في السير . وأما في أحاديث الأحكام ، فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن ، إلا فيما شذ فيه ، فإنه يعد منكرأ . هذا الذي عندي في حاله ، والله أعلم <sup>(١)</sup>

وقال الذهبي في ترجمة الإمام مالك مبيناً سبب طعنه في ابن إسحاق : " وروي عن ابن إسحاق أنه زعم أن مالكاً وآله موالى بني تيم ، فأخطأ . وكان ذلك أقوى سبب فسى تكذيب الإمام مالك له ، وطعنه عليه " <sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ ابن عبد البر في " الانتقاء "؛ مبيناً سبب التنافر بين مالك وابن إسحاق : " ولا أعلم أحداً أنكر أن مالكاً ومن ولده كانوا حلفاء بني تيم بن مرة من قريش ، ولا خالفاً فيه إلا محمد بن إسحاق ، زعم أن مالكاً وأباه وجده وأعمامه موالى لبني تيم بن مرة ، وهذا هو السبب لتكذيب مالك لمحمد بن إسحاق وطعنه عليه " <sup>(٣)</sup>

وقال الحافظ ابن عبد البر في " جامع بيان العلم " : " وربما كان تكذيب مالك لابن إسحاق في تشييعه وما نُسب إليه من القول بالقدر ، وأما الصدق والحفظ فكان صدوقاً حافظاً ، أثنى عليه ابن شهاب ومشعبه والشورى وابن عيينه وجماعة جلّة " <sup>(٤)</sup>

وقال الحافظ في " تهذيب التهذيب " في ترجمة ابن إسحاق : " وقال أبو زرعة الدمشقي في تاريخه : وابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وعدلاً وخيراً ، مع مدح ابن شهاب له . وقد ذاكرت دحيماً قول مالك فيه . فرأى أن ذلك ليس للحديث ، إنما هو لأنه اتهمه بالقدر " <sup>(٥)</sup>

وقد ذكر الامام ابن حبان سبب الوحشة والمنافرة بين مالك وابن إسحاق ، واستوفى الكلام في توثيق ابن إسحاق فقال : " وأما مالك ، فإنه كان ذلك منه مرة واحدة ، ثم عاد إلى ما يجب ، وذلك بأنه لم يكن في الحجاز أحد أعلم بأنساب القاس وأيامهم من ابن إسحاق

( ٢ ) المرجع السابق ٧١ / ٨

( ١ ) سير أعلام النبلاء ٤٠ / ٧ - ٤١

( ٤ ) جامع بيان العلم وفضله ١٥٦ / ٢

( ٣ ) الانتقاء لابن عبد البر ١١

( ٥ ) تهذيب التهذيب ٥٣٧ / ١

وكان يزعم أنَّ مالكاً من موالى ذى أصبح : وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم ، فوقع بينهما لذلك مناصرة . فلما صنف مالك "الموطأ" قال ابن اسحاق : أئتنوني به فأنا بيّطاره ، فنقل ذلك إلى مالك فقال : هذا دجال من الداجلة يروي عن اليهود ، وكان بينهما ما يكون بين الناس حتى عزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ ، وأعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراً ونصف ثمرته تلك السنة . ولم يقدح فيه مالك من أجل الحديث ، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد اليهود الذين أسلموا ، وحفظوا قصة خيبر وقرينة والنضير ، وما أشبه ذلك من الغزوات عن أسلافهم ، وكان ابن إسحاق يتتبع هذا عنهم ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك لا يبرى الرواية إلا عن متقن صدوق (١)

٦ - الامام مالك ، وابن أبي ذئب : قال الحافظ الذهبي فى ترجمة الإمام الحافظ المحدث الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب المتوفى سنة (١٥٩) رحمه الله تعالى : " قال أحمد بن حنبل : بلغ ابن أبي ذئب أنَّ مالكاً لم يأخذ بحديث "البيعان بالخيار" . فقال : يستتاب ، فإن تاب ، ولا ضربت عنقه . ثم قال أحمد : هو أورع وأقول بالحق من مالك .

قلت : لو كان ورعاً كما ينبغي ، لما قال هذا الكلام القبيح فى حق إمام عظيم ، فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث ، لأنه رآه منسوخاً . وقيل : عمل به وحمل قوله : "حتى يتفرقا" على التلطف بالايجاب والقبول ، فمالك فى هذا الحديث له أجر ولا بد ، فإن أصاب ازداد أجراً آخر ، وإنما يرى السيف على من أخطأ فى اجتهاده الحرورية . وكل حال فكلام الأقران بعضهم فى بعض لا يعول على كثير منه ، فلا نقصت جلاله مالك بقول ابن أبي ذئب ، بمقالته هذه ، بل هما عالما المدينة فى زمانهما - رضى الله عنهما - ولم يسندها الإمام أحمد ، فلعلها لم تصح (٢) .

(١) الثقات لابن حبان ٣٨٠/٧ - ٣٨١ .

(٢) سير النبلاء ١٤٢/٧ - ١٤٣ . وانظر كلام الامام أحمد فى كتابه "العلل ومعرفة الرجال" رقم (١١٩٥) وانظر قوله فى استتابة مالك وضرب عنقه ان لم يتب؟ (١٢٧٥) . طبعة المكتب الاسلامي .

وقد تعرّض لهذه المسألة القاضي عياض رحمه الله في كتابه " ترتيب المدارك " وبين مراد الإمام مالك فيما ذهب إليه من تأويل هذا الحديث ، ودفع القاضي أن يكون مالك قد رد الحديث " ( ١ )

٧ - الإمام مالك وابن سَعْمَانَ المدني : قال الحافظ ابن حجر في " تهذيب التهذيب " في ترجمة عبد الله بن زياد بن سَعْمَانَ المدني عصرى الإمام مالك ولديه : " قال أحمد بن صالح : قلت لابن وهب : ما كان مالك يقول في ابن سَعْمَانَ ؟ - وكان مالك يقول فيه : كذاب - قال : لا يقبل قول بعضهم في بعض " ( ٢ )

٨ - الإمام الشافعى وأشهب بن عبد العزيز : قال الحافظ الذهبي في ترجمة مفتى مصر أشهب بن عبد العزيز واسمه : مسكين ، وأشهب لقب له : " وعن ابن عبد الحكم قال : سمعت أشهب يدعوى سجوده على الشافعى بالموت ، فمات والله الشافعى في رجب سنة أربع ، ومات أشهب بعده بثمانية عشر يوماً ، واشترى من تركة الشافعى عبداً ، اشترته أنا من تركة أشهب .

ودعاء أشهب على الشافعى من باب كلام المتعاصرين بعضهم في بعض ، لا يُعْبَأُ بِهِ ، بل يُتَرَحَّمُ عَلَى هَذَا وَعَلَى هَذَا ، وَيُسْتَفْرَغُ لِهَما ، وهو باب واسع ، أوله موت عمر ، وآخره رأينا عياناً ، وكان يقال للممر : قتل الفتنة " ( ٣ )

٩ - الإمام الشافعى ويحيى بن معين : نقل عن ابن معين - كما في رواية ابن الجنيّد - أنه قال في الشافعى رحمه الله : إنه ليس بشقة " ( ٤ )

قال الحافظ الذهبي : " قد آذى ابن معين نفسه بذلك ولم يلتفت الناس إلى كلامه في الشافعى ، ولا إلى كلامه في جماعة من الأثبات ، كما لم يلتفتوا إلى توثيقه لبعض الناس ، فإننا نقبل قوله في الجرح والتعديل ونقدّه على كثير من الحفاظ ما لم يخالف الجمهور في

( ١ ) ينظر : ترتيب المدارك ٢ : ٣٠٢ وحاشية محقق كتاب الرقع والتكميل  
— ، ومانقله من " تنقيح الفصول " للقرافى . و " الموافقات " للشاطبى . ص ٤٢٦ - ٤٢٧ من الطبعة الثالثة .

( ٢ ) تهذيب التهذيب ٥ / ٢٢٠ . ( ٣ ) سير أعلام النبلاء ٩ / ٥٠٢ - ٥٠٣ .  
( ٤ ) ليس في رواية ابن الجنيّد هذا القول وإنما فيه قوله ( ٩٢ ) : " ما أرى لسلم أن ينظر في رأى الشافعى . ينظر في رأى أبى حنيفة ، أحب إليّ من أن ينظر في رأى الشافعى " .

اجتهاده ، فإذا انفرد بتوثيق من ليته الجمهور ، أو بتضميف من وثقه الجمهور وقبلوه ، فالحكم لعموم أقوال الأئمة لا لمن شذ ، فإنَّ أبا زكريا من أحد أئمة هذا الشأن وكلامه كثير إلى الغاية في الرجال ، وغالبه صوابٌ وجيد ، وقد ينفرد بالكلام في الرجل بعد الرجل فيلوح خطؤه في اجتهاده بما قلناه ، فإنه بشرٌّ من البشر، وليس بمعصوم بل هو في نفسه يوثق الشيخ تارةً ويُلَيِّنُه تارةً ، يختلف اجتهاده في الرجل الواحد فيجيب السائل بحسب ما اجتهد من القول في ذلك الوقت .

وكلامه في الشافعي ليس من هذا اللفظ الذي كان عن اجتهاده ، وإنما هذا من فَلَاتِ اللسان بالهوى والعصبية ، فإنَّ ابن معين كان من الحنفية الفلاة في مذهبه ، وإن كان محدثاً . ( ١ )

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الشافعي : " ونال بعض الناس منه غصاً ، فما زاده ذلك إلا رفعه وجلالة ، ولا حَ للمنصفين أنَّ كلام أقرانه فيه بهوى ، وقلَّ من برزفسى الإمامة وردَّ على من خالفه إلا وعُودي نعوذ بالله من الهوى " . ( ٢ )

وقال أيضاً : " وقد صَنَّفَ الحافظ أبو بكر الخطيب كتاباً في ثبوت الاحتجاج بالإمام الشافعي ، وما تكلم فيه إلا حاسد ، أو جاهل بحاله ، فكان ذلك الكلام الباطل منهم موجباً لارتفاع شأنه وعلو قدره ، وتلك سُنَّةُ الله في عباده : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً " . ( ٣ )

ويرى الإمام تاج الدين السبكي أنَّ ابن معين لم يُرِدِ الشافعي ، ويقول : " قلت : وقد قيل : إنَّ ابنَ معين لم يُرِدِ الشافعي وإنما أراد ابنَ عمه " . ( ٤ ) ونقل في " الطبقات الوسطى " نقولاً كثيرة وقال : أراد ابن معين : إبراهيم بن محمد الشافعي ، وقد قال ابن معين : محمد بن إدريس الشافعي : إمامٌ حازق ثقة . وروى السبكي بإسناده إلى يحيى بن معين ،

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٨ - ٩ .

( ١ ) الرواة الثقات ص ٧ .

( ٣ ) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٨ . والآية من سورة الاحزاب : ٦٩ - ٧٠ .

( ٤ ) قاعدة في الجرح والتمديد ص ١٧ .

عن يحيى بن سعيد القطان : أنا أَدْعُو الله عزَّ وجل للشافعي منذ  
(١)  
أربعين سنة "

وفي ثبوت كلام ابن معين في الشافعي نظر ، وقد نقل هذا القول عن ابن  
معين محمد بن وضاح الأندلسي (٢) وقد قال فيه ابن الغرضي : وهو بلدِيه وموافق  
له في المذهب — : " غير أنه ينكر عليه رده في كثير من الأحاديث ، وكان ابن  
وضاح كثيراً ما يقول : ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في شيء ، وهو  
ثابت من كلامه صلى الله عليه وسلم . وله خطأ كثير محفوظ عنه ، وأشياء كان يغفل  
فيها ويصحفها ، وكان لا علم عنده بالفقه ولا بالعربية " .

وقال الحافظ ابن حجر في التهذيب : " قال ابن عبد البر في "جامع بيان  
العلم وفعله" : كان الأمير عبد الله الناصر يقول : رأيت أصل محمد بن وضاح الذي  
كتبه بالمشرق ، وفيه : سألت ابن معين عن الشافعي ؟ فقال : ثقة . وقال الحاكم :  
تتبعنا التاريخ وسواد الحكايات عن يحيى ابن معين فلم نجد في رواية واحد منهم  
طعنًا على الشافعي ، ولعل من حكى عنه غير ذلك قليل المبالاة بالوضع على يحيى (٤)  
والذي نقل عنه أنه كان يتكلم في الشافعي ، وأكثر ما فيه كما ذكر ابن عبد البر  
قوله في الشافعي : " ما أحب حديثه وذكره " وهذا له مخرج وليس معناه : ليس  
بثقة ، ومعروف أن ابن معين كان يضغف إبراهيم بن أبي يحيى ويكذبه ، والجمهور معه ،  
والشافعي كان حسن الرأي فيه ، فلا غرابة أن يقول ابن معين : " لا أحب حديثه ولا  
ذكره " . وأكثر الروايات عن ابن معين توثيق الشافعي .

(١) نقل كلام السبكي محقق الطبقات الكبرى ١٤٥/٥ .

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/٤٤٥-٤٤٦ .

(٣) تاريخ علماء الأندلس : ١٦/٩-١٧ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣١/٩ .

١٠ - أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم : قال الذهبي في ترجمة الإمام أصبغ

ابن الفرج بن سميد بن نافع : " وذكر علي بن قديد عن حداثته قال : كان بين أصبغ وابن عبد الحكم مباحة ، وكان أحدهما يرمي الآخر بالبهتان " ( ١ )

١١ - هشام بن عمار والإمام أحمد بن حنبل : تكلم الإمام أحمد في هشام وقال فيه :

طَيَّاس ( ٢ ) قال الإمام الذهبي بعد نقل قول الإمام أحمد فيه في ترجمة هشام بن عمار السُّلَكي الدمشقي : " وكل حال ، كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل ، وطَّيه أول من بثه ، إلا أن يتفق المتعاصرون على جرح شيخ ، فيعتمد قولهم ، والله أعلم . ( ٣ )

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة هشام بن عمار الدمشقي : " وما زال العلماء

الأقران يتكلم بعضهم في بعض ، بحسب اجتهادهم ، وكلُّ أحدهم يؤخذ من قوله ويترك ، إلا - رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ٤ )

١٢ - محمد بن حاتم المروزي والفلاس : قال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي عبد الله

محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ثم البغدادي الملقب بالسمين ت ( ٢٣٥ ) : " وذكره أبو حفص الفلاس فقال : ليس بشيء . قلت : هذا من كلام الأقران الذي لا يسمع ، فإنَّ الرجل ثبتٌ حجة " ( ٥ )

١٣ - البويطي : قال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي يعقوب ، يوسف بن يحيى البويطي

" قال الربيع : سُمي بالبويطي ، وكان أبو بكر الأضم من سعي به . وكان أصحاب ابن أبي دؤاد وابن الشافعي من سعي به ، حتى كتب فيه ابن أبي دؤاد إلى والي مصر ، فامتنع فلم يجب ، وكان الوالي حسن الرأي فيه . . . .

( ٣ ) انظر سبب كلمة أحمد فيه في سير اعلام النبلاء ١١ / ٤٣١ .

( ٤ ) الميزان ٤ / ٣٠٤ .

( ١ ) سير اعلام النبلاء ١٠ / ٦٥٨ .

( ٢ ) المرجع السابق ١١ / ٤٣٢ .

( ٥ ) سير اعلام النبلاء ١١ / ٤٥١ .



" قال أبو سعيد بن يونس : وكان أحمد حافظاً للحديث ، ذكره النسائي يوماً ، فرمى به وأساء الثناء عليه ، وقال : حدثنا معاوية بن صالح ، سمعت يحيى بن معين يقول : أحمد بن صالح كذاب يتفلسف . ثم قال . ابن يونس : لم يكن عندنا - بحمد الله - كما قال النسائي ولم يكن له آفة غير الكبر <sup>(١)</sup> .

" وقال عبد الكريم بن النسائي عن أبيه : أحمد بن صالح ليس بثقة ولا مأمون ، تركه محمد بن يحيى ، ورماه يحيى بن معين بالكذب .

قال ابن عدي : أحمد بن صالح من حفاظ الحديث ، وخاصة لحديث الحجاز ، ومن المشهورين بمعرفته ، وحدث عنه البخاري مع شدة استقصائه ، ومحمد بن يحيى ، واعتمادها عليه في كثير من حديث الحجاز ، وعلى معرفته ، وحدث عنه من حدث من الثقات ، واعتمدوه حفظاً واتقاناً . وكلام ابن معين فيه تحامل ، وأما سوء ثناء النسائي عليه ، فسمعت محمد بن هارون البرقي يقول : هذا الخراساني يتكلم في أحمد بن صالح . وحضرت مجلس أحمد بن صالح ، وطُرد من مجلسه ، فحمله ذلك على أن تكلم فيه . . . . .

ثم قال ابن عدي : ولولا أنني شرطت في كتابي هذا أن أذكر فيه كل من تكلم فيه متكلماً لمكت أحل أحمد بن صالح أن أذكره .

وقال الذهبي أيضاً : وقد ذكر ابن حبان أحمد بن صالح في الثقات ، وما أورده في الضعفاء فأحسن ، ولكن ذكر في الضعفاء أحمد بن صالح المكي الشُّومي وكذبه ، وادعى أنه هو الذي حط عليه ابن معين . وقصد أن ينزه ابن معين عن الوقعة في مثل أحمد بن صالح الطبري الحافظ <sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة أحمد بن صالح المصري في هذي الساري : " استند النسائي في تضعيفه إلى ما حكاه عن يحيى بن معين وهو وهم منه حمله على اعتقاده سوء رأيه في أحمد بن صالح ، فنذكر أولاً السبب الحامل على سوء رأيه فيه ، ثم نذكر وجه وهمه في نقله ذلك عن يحيى بن معين . قال أبو جعفر العقيلي : كان أحمد بن صالح لا يحدث

( ٢ ) المرجع السابق ١٦٦/١٢ ١٦٤ .

( ١ ) سير اعلام النبلاء ١٦٥/١٢ .

( ٣ ) المرجع السابق ١٦٨/١٢ .

أحداً حتى يسأل عنه ، فلما أن قدم النسائي مصرَ جاء إليه وقد صحب قوماً من أهل الحديث لا يرضاهم أحمد فأبى أن يحدثه ، فذهب فجمع الأحاديث التي وهم فيها أحمد وشرع يشنّس عليه وماهره ذلك شيئاً ، وأحمد بن صالح إمام ثقة . وقال ابن عدي : كان النسائي ينكر عليه أحاديث ، وهو من الحفاظ المشهورين بمعرفة الحديث .

وقال ابن حبان : ما رواه النسائي عن يحيى بن معين في حق أحمد بن صالح فهو وهم ، وذلك أن أحمد بن صالح الذي تكلم فيه ابن معين هو رجل آخر غير ابن الطبري . و كان يقال له : الأشموني وكان مشهوراً بوضع الحديث ، وأما ابن الطبري فكان يقارب ابن معين في الضبط والإتقان . انتهى

وهو - أي كلام ابن حبان - في غاية التحرير ويؤيد ما نقلناه أولاً عن البخاري أن يحيى بن معين وثق أحمد بن صالح ، فتبين أن النسائي انفرد بتضعيف أحمد بن صالح بما لا يقبل حتى قال الخليلي : اتفق الحفاظ أن كلامه فيه تحامل ، وهو كما قاله ( ١ )

١٦ - محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري : قال الحافظ الذهبي فـسـى ترجمة محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري : " كان الذهلي شديداً التمسك بالسنة ، قلم على محمد ابن إسماعيل لكونه أشار في مسألة " خلق أفعال العباد " إلى أن تلفظ القاريء بالقرآن مخلوق فلوح واصرّح ، والحق أوضح . . . وسافر ابن إسماعيل مختفياً من نيسابور ، وتألم من فعل محمد بن يحيى .

وما زال كلام الكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده . وقد سقت ذلك في ترجمة ابن إسماعيل ، رَجِمَ الله الجميع وغفر لهم ولنا . آمين ( ٢ )

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام البخاري : " قال الحاكم بسنده إلى محمد بن يحيى الذهلي : لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور . قال : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه ، فذهب الناس إليه ، وأقبلوا على السماع منه ، حتى ظهر الخل في مجلس محمد بن يحيى ، فحسده بعد ذلك ، وتكلم فيه ( ٣ )

( ١ ) هدى السارى ص ٣٨٦ ، وانظر لإتمام الكلام في الدفاع عن هذا الإمام " قواعد في علوم الحديث

ص ٣٩٤ - ٣٩٦ وقاعدة في الجرح والتعديل ص ٢٨ - ٢٩ .

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٨٤ - ٢٨٥ . ( ٣ ) المرجع السابق ١٢ / ٤٥٣ .

فموقف محمد بن يحيى الذهلي سببه الحسد ، وقد نقل ذلك السبب وقرره التاج السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" فقال في ترجمة البخاري : " ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة . وقد سأل بعضهم البخاري عما بينه وبين محمد بن يحيى ، فقال البخاري : كم يمتري محمد بن يحيى الحسد في العلم ، والعلم رزق الله ، يعطيه من يشاء " ( ١ )

١٧ - أبو بكر بن أبي داود ، وابن جرير وابن صاعد : قال الحافظ الذهبي في ترجمة عبد الله بن أبي داود : " قلت : وكان رئيساً عزيز النفس ، مدلاً بنفسه ، سامحه الله " ( ٢ ) وقال أيضاً : " قلت كان شهماً ، قوي النفس ، وقع بينه وبين ابن جرير ، وبين ابن صاعد " ( ٣ ) وقال محمد بن عبد الله القطان : كنت عند ابن جرير ، ف قيل : ابن أبي داود يقرأ على الناس من فضائل الإمام علي فقال ابن جرير : تكبيرة من حارس .

قلت : لا يسمع هذا من ابن جرير للعداوة الواقعة بين الشيخين " ( ٤ )

قال الذهبي في ترجمة عبد الله بن أبي داود في "ميزان الاعتدال" : لا يسمع قول الأعنداء بعضهم في بعض " ( ٥ ) وقال في ترجمته في "تذكرة الحفاظ" : لا ينبغي سماع قول ابن صاعد فيه ، كما لم نعتد بتكذيبه لابن صاعد ، وكذا لا يسمع قول ابن جرير فيه ، فإنَّ هؤلاء بينهم عداوة بينة ، فقد في كلام الأقران بعضهم في بعض " ( ٦ )

وقال في ترجمة ابن صاعد ، يحيى بن محمد البغدادي : " وقد ذكرنا مخاصمة بينه وبين ابن أبي داود ، وحطَّ كل واحد منهما على الآخر ، في ترجمة ابن أبي داود ، ونحن لانقبل كلام الاقران بعضهم في بعض ، وهما بحمد الله ، ثقتان " ( ٧ )

١٨ - المصمري ، الحسن بن علي البغدادي ، وموسى بن هارون : قال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي علي الحسن بن علي البغدادي المصمري : " قال الدارقطني : صدوق حافظ ، جرَّحه موسى بن هارون ، وكانت العداوة بينهما : وكان أنكر عليه أحاديث أخرج أصوله بها

( ١ ) طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٢٢٨ - ٢٣٠

( ٢ ) المرجع السابق ١٣ / ٢٣٠ .

( ٣ ) الميزان ٢ / ٤٣٣

( ٤ ) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥٠٥

( ٥ ) سير ١٣ / ٢٢٥ .

( ٦ ) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٣٠

( ٧ ) تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٧٢

ثم إنه ترك روايتها . ( ١ )

١٩ - مطين ، محمد بن عبد الله الحضرمي ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة : قال الحافظ الذهبي في ترجمة محدث الكوفة أبي جعفر ، محمد بن عبد الله الحضرمي الملقب بمطين : " وسئل عنه الدارقطني فقال : ثقة جيل . قلت : صحف المسند والتاريخ ، وكان متقناً . وقد تكلم فيه محمد ابن أبي شيبة ، وتكلم هو في ابن عثمان ، فلا يُعتدُّ غالباً بكلام الأقران ، لاسيما إذا كان بينهما منافسة ، فقد عُدَّ ابن عثمان لمطين نحواً من ثلاثة أوهام ، فكان ماذا ؟ ومطين أوثق الرجلين ويكفيه تزكية مثل الدارقطني له " ( ٢ )

وقال الذهبي في ترجمة مطين في " الميزان " : حطَّ عليه محمد بن عثمان بن أبي شيبة وحطَّ هو على ابن أبي شيبة ، وآل أمرهما إلى القطيعة ، ولا يمتدُّ بحمد الله - بكثير من كلام الأقران بعضهم في بعض .

قال أبو نعيم بن عدي الجرجاني : وقع بينهما كلام حتى خرج كل واحد منهما إلى الخشونة والوقيع في صاحبه . فقلت لابن أبي شيبة ، ما هذا الاختلاف الذي بينكما ، فذكر لي لحاديث أخطأ فيها مطين ، وأنه ردَّ عليه . . . وذكر أبو نعيم الجرجاني فضلاً طويلاً إلى أن قال : فظهر لي أن الصواب الإمساك عن القبول من كل واحد منهما في صاحبه . قلت : مطين وثقة الناس وما أصحَّوا إلى ابن أبي شيبة ( ٣ )

وقال الذهبي في ترجمة محمد بن عثمان بن أبي شيبة في " ميزان الاعتدال " : " قال مطين : هو عصا موسى ، تلقى ما يافكون ، وقال أبو نعيم ابن عدي : رايت كلاً منه ومن مطين يحطُّ أحدهما على الآخر . ( ٤ )

وقال في ترجمة مطين في " تذكرة الحفاظ " : " فلا يلتفت إلى كلام الأقران بعضهم في بعض ، وبكل حال فمطين ثقة مطلقاً ، وليس كذلك العبسي " ( ٥ ) أي محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي  
( ١ ) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥١١ - ١٥٢ وكلام موسى بن هارون ليس سببه العداوة فحسب وانما سببه أيضاً قصده للفرائب فقد جاء في ترجمته : " كان المصمري يقول : كنت أتولسى لهم الانتخاب فإذا مرَّ حديث غريب ، قصدت الشيخ وحدي ، فسألت عنه . قلت : فموقب بنقيض قصده ، ولم ينتفع بتلك الفرائب ، بل جرت إليه شراً ، فقبح الله الشره " .

( ٣ ) الميزان ٣ / ٦٠٧ .

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤٢ .

( ٥ ) تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٣٤ .

( ٤ ) الميزان ٣ / ٦٤٢ - ٦٤٣ .

الكوفي .

٢٠ - محمد بن إسحاق بن مندّه ، وأبو نعيم الأصبهاني : وقعت بين أبي نعيم وبين محمد بن إسحاق بن مندّه مناقرة ووحشة ، وتكلم كلُّ منهما في صاحبه للاختلاف في المعتقد بينهما . وكمل الذهبي كلام كلٍّ منهما في الآخر من قبيل كلام الأقران المردود .

قال الحافظ الذهبي في ترجمة محمد بن إسحاق بن مندّه : " وقال أبو نعيم في " تاريخ أصبهان " : ابن مندّه حافظ من أولاد المحدثين ، اختلط في آخر عمره ، فحدث عن إبن أسيد ، وابن أخي أبي زرعة الرازي ، وابن الجارود ، بعد أن سُمِع منه أن له عنهم إجازة ، وتخبّط في أماليه ، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يعرفوا بها ، نسأل الله الستر والصيانة "

قلت : لانبأ بقولك في خصمك للعداوة السائرة ، كما لا نسمع أيضاً قوله فيك ، فلقد رأيت لابن مندّه خطأ مقزّعاً على أبي نعيم وتبديماً ، ومالا أحب ذكره ، وكُنَّ منهما فصدوق في نفسه غير متهم في نقله ، بحمد الله .<sup>(١)</sup>

وقال الذهبي في " تذكرة الحفاظ " في ترجمة ابن مندّه ، بعد أن ذكر قول أبي نعيم في ابن مندّه أنه اختلط في آخر عمره . . . وتخبّط في أماليه . . . قلت : لا يعبأ بقولك في خصمك للعداوة المشهورة بينكما ، كما لا يعبأ بقوله فيك ، فقد رأيت لابن مندّه مقبلاً في الخطأ على أبي نعيم من أجل العقيدة أقذع فيه .<sup>(٢)</sup>

وقال الذهبي أيضاً في ترجمة ابن مندّه : " عن يحيى بن مندّه ، قال : سمعت عبيد بن عبد الرحمن ، سمعت محمد بن عبيد الله الظبراني يقول : وقعت يوماً في مجلس والدك رحمه الله ، فقلت : أيها الشيخ ، فينا جماعة ممن يدخل على هذا المشووم - أعني أبا نعيم الأشعري - فقال : أخرجوهم . فأخرجنا من المجلس فلاناً وفلاناً ، ثم قال : على الداخل عليهم حرج أن يدخل مجلسنا ، أو يسمع منا ، أو يروى عنا ، فان فعل فليس هو منا في حلّ .

قلت : ربما آل الامر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة ، فيقع في الهجران المحرّم وربما أفضى إلى التكفير والسعي في الدم ، وقد كان أبو عبد الله وافر الجاء والحرمة إلى الفاية

بيلده ، وشَقَّب على أحمد بن عبد الله الحافظ ، بحيث أن أحمد اختفى <sup>(١)</sup> .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أبي نعيم : " وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب ، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى الفتنـة وقيل وقال ، وصداع طويل ، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام ، وكان الرجل يقتل . قلت : ماهؤلاء بأصحاب الحديث ، بل فجرة جهلة ، أبعد الله شرهم <sup>(٢)</sup> .

وقال في ترجمته أيضاً : " قلت : قد كان أبو عبد الله بن منده يقدح في المال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن ، وإن أبو نعيم أيضاً من أبيي عبد الله في " تاريخه " وقد عُرِكَ وهن كلام الأقران المتنازعين بعضهم في بعض ، نسأل الله السامع <sup>(٣)</sup> .

وقال الذهبي في ترجمة أبي نعيم في " ميزان الاعتدال " : " صدوق ، تُكِّم فيه بلا حجة . ولكن هذه عقبة من الله لكلامه في ابن منده بهوى ، وكلام ابن منده في أبي نعيم لمطـيـع لأحب حكايته ، ولا أقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان .

قلت : كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة ، أو لمذهب أو لحسد ، وما ينجو منه إلا من عصه الله ، وما علمت عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصدّيقين ، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس . اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم <sup>(٤)</sup> .

٢١ - أبو عمرو الثاني وابن حزم : قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام المقرئ أبي عمرو

الداني : " وقد كان بين أبي عمرو وبين أبي محمد بن حزم وحشة ومنافرة شديدة أفضت بهما إلى التهاجي ، وهذا مذموم في الأقران ، موفور الوجود ، نسأل الله الصّـفـح .

وأبو عمرو أقوم قليلاً ، وأتبع للسنة ، ولكن أبا محمد أوسع دائرة في العلوم <sup>(٥)</sup> .

٢٢ - أبو مسلم الليثي ، وأبو زكريا بن منده : قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أبي مسلم

( ١ ) سير اعلام النبلاء ٤١ / ١٢ .

( ٢ ) المرجع السابق ٤٦٢ / ١٢ .

( ٣ ) سير اعلام النبلاء ٤٦٠ / ١٢ .

( ٤ ) سير اعلام النبلاء ٨١ / ١٨ .

( ٥ ) الميزان ١١١ / ١ .

عمر بن علي الليثي البخاري المتوفى سنة ( ٤٦٦ ) : " وقال ابو زكريا بن منده : هو أحد من يَدعى الحفظ ، إلا أنه يدلّس ، ويتعصب لأهل البدع ، أحول ، شرّ ، كلما هاجت ريح قام صعبها ، صنف "مسند الصحيحين"

قلت : آل منده لا يمتبأ بقدرتهم في خصوصهم ، كما لا نلتفت إلى ذم خصوصهم لهم ، وأيسر مسلم ثقة في نفسه " ( ١ )

٢٣ - أبو إسماعيل الأنصاري ، وأبو بكر الحيري : قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ أبي إسماعيل ، عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي المتوفى سنة ( ٤٨١ ) : " قال المؤتمن : قال لي مرة : هذا الشأن شأن من ليس له شأن سوى هذا الشأن - يعني طلب الحديث - وسمعت يقول : تركت الحيري لله . قال : وإنما تركته لأنه سمع منه شيئاً يخالف السنة . قلت : كان - أي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري - يهري الكلام على رأى الأشمري ، وكان شيخ الإسلام أشمرياً قحاً ، ينال من المتكلمة ، فلهذا أعرض عن الحيري ، والحيري فتنة عالم ، أكثر عنه البيهقي والناس " ( ٢ )

٢٤ - ابن سمويه الأصبهاني ، والد قاق : قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أبي الفتح محمد بن أحمد بن سمويه الأصبهاني : " قال الدقاق في رسالته : كان لابن سمويه الكثرة الوافرة في كتب الحديث . قال : ووهمه أكثر من فهمه ، صحب عبد العزيز النخشي إلى نيسابور ، وأقام بهراة سنين يورق ، صادقته بها ، وبينني وبينه ما كان من الحقد والحسد . قلت : بثت الخصلتان أعاننا الله منهما " ( ٣ )

فالدقاق يصرّح بالعداوة القائمة بينه وبين ابن سمويه الأصبهاني ، فلا يلتفت إلى طعنائه وجرحه لأنه صادر عن حقد وحسد كما صرح به الدقاق نفسه .

٢٥ - أبو مسعود الأصبهاني ، ويحيى بن منده : قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أبي مسعود سليمان بن إبراهيم ، الأصبهاني : " وقال يحيى بن منده : في سماعه كلام ، سمعت من ثقات أن له أخاً يسمى إسماعيل أكبر منه ، فحك اسمه ، وأثبت اسم نفسه ، وهو شيخ شمسره

( ١ ) سير أعلام النبلاء ٤٠٨ / ١٨

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ٥٠٦ / ١٨

( ٣ ) المرجع السابق ١٧ / ١٩

لا يتورع لَحَانٌ وَقَّاحٌ (١)

قال الذهبي : " وينبغي التوقف في كلام يحيى ، فبين آل مَنده وأصحاب أبي نعيم

عداوات وإحَن (٢)

وقال في " تذكرة الحفاظ " في ترجمة أبي مسعود الأصبهاني تلميذ الحافظ أبي نعيم

بعد ذكره كلاماً لأبي زكريا ابن منده في سليمان الأصبهاني : " وينبغي أن يتأثَّر في كلام

أصحاب ابن منده في أصحاب أبي نعيم ، فيبينهم إحن (٣)

ومن خلال هذا الاستعراض لرد الذهبي كثيراً من الطعون والجروح بسبب المعاصرة

التي تشير المنافسة والعداوة ، والذي بدت فيه شخصية الذهبي النقدية ، وإن كلام الاقران

في الأعم الغالب غير مقبول ولا يلتفت اليه .

وقد تأثر بهذا المنهج تلميذ الإمام الذهبي ، تاج الدين السبكي ، المتوفى سنة

(٧٧١) حيث قال في ترجمة أحمد بن صالح المصري : " الصواب عندنا أن مَنْ ثَبَّتَ إمامته

وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكوه ، وَتَدَرَّ جارحوه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه ،

من تعصَّب مذهبي وغيره ، فإننا لانتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة . .

وقد عقد الحافظ أبو عمر بن عبد البر في " كتاب العلم " (٤) باباً في حكم قول العلماء

بعضهم في بعض ، بدأ فيه بحدِيث الزبير رضى الله عنه : " دَبَّ إِلَيْكُمْ داءُ الأُمَم من قبلكم :

الحسد والبغضاء " الحديث (٥)

وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " اسمعوا عِلْمَ العلماء ، ولا تصدَّقوا

بعضَهم على بعض ، فوالذى نفس بيده لَهُمْ أَشَدُّ تَغَايِراً من التُّيُوسِ في زُرُوبِهَا " .

(٢) المرجع السابق ٢٤/١٩ .

(١) المرجع السابق ٢٣/١٩ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١١٩٨/٣ .

(٤) انظر : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، باب حكم قول العلماء

بعضهم في بعض ١٥٠/٢ - ١٦٣ .

(٥) رواه أحمد في مسنده ١٦٥ : ١ و ١٦٧ ، والترمذي في سننه (٢٥١٠) في كتاب صفة القيامة

والرقائق والورع ، وفيه ضعف لأجل الانقطاع بين يعيش بن الوليد والزبير بن العوام في الطريق

الذي ليس فيه واسطة ، ولأجل جهالة مولى الزبير عن الزبير ، وهو الواسطة بين يعيش والزبير في

الرواية التي فيها ، وهي الراجعة لأن أكثر الرواة رواها أبو أسباط .

والحديث رواه البزار أيضاً ، وقال الهيثمي : في مجمع الزوائد ٣٠/٨ : أسنده جيد .

وعن مالك بن دينار : يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض  
ثم اندفع ابن عبد البر في ذكر كلام جماعة من النظراء بعضهم في بعض ، وعدم الالتفات  
إليه لذلك إلى أن انتهى إلى كلام ابن معين في الشافعي ، وقال : إنه ما نقم على ابن  
معين وعيب به . . ثم ذكر كلام ابن أبي ذئب وسعد بن إبراهيم <sup>(١)</sup> في مالك بن أنس . قال :  
وقد تكلم أيضاً في مالك عبد العزيز بن أبي سلمة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ومحمد  
ابن إسحاق ، وابن أبي يحيى ، وابن أبي الزناد ، وعابوا أشياء من مذهبه ، وقد برأ الله  
عز وجل مالكا عما قالوا ، وكان عند الله وجيهاً . .

ثم قال ابن عبد البر : فمن أراد قبول قول العلماء الثقات بعضهم في بعض ، فليقبل  
قول الصحابة بعضهم في بعض ، فإن فعل ذلك ، فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً وخسر خسراً مبيناً .  
قال : وإن لم يفعل ولن يفعل - إن هداه الله وألهمه رشده - فليقف عند ما شرطناه أن  
لا يقبل في صحيح العدالة ، المعلوم بالعلم عنايته ، قول قائل لا بهرمان له . <sup>(٢)</sup>

وقال الإمام السبكي : "إنَّ الجرح لا يقبل منه الجرح ، وإن فسَّره في حق من غلبت  
طاعته على معاصيه ، وما دحوه على ذاميه ، ومزكوه على جارحيه ، إذا كانت هناك قرينة يشهد  
العقل بأنَّ مثلها حائل على الوقيدة في الذي جرحه من تعصّب مذهبي ، أو منافسة دنيوية  
كما يكون بين النظراء ، أو غير ذلك .

فنقول مثلاً : لا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك ، وابن معين في الشافعي ، والنسائي  
في أحمد بن صالح لأن هؤلاء أئمة مشهورون ، صار الجرح لهم كالآتي بخبر غريب ، لو صحَّ  
لتوفرت الدواعي على نقله ، وكان القاطع قائماً على كذبه .

وما ينبغي أن يُتفقد عند الجرح : حال المقائد واختلافها بالنسبة إلى الجرح والمجروح  
فربما خالف الجرح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك <sup>(٣)</sup>

( ١ ) في طبقات الشافعية الكبرى ، وفي جامع بيان العلم ١٦١ / ٢ : إبراهيم بن سعد ،  
والصواب : سعد بن إبراهيم كما نبه عليه ذلك محقق كتاب (قاعدة في الجرح  
والتعديل ) ص ١٩ - ٢١ .

( ٢ ) من كتاب " قاعدة في الجرح والتعديل " ص ١٣ - ٢٣ بتصرف واختصار .

( ٣ ) قاعدة في الجرح والتعديل ٢٤ - ٢٩ .

وقال الامام التاج السبكي أيضا في ترجمة الحارث بن أسد المحاسبي : " وينبغي لك أيها المسترشد ، أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض ، إلا اذا أتى ببرهان واضح ، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك ، والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم ، فإنك لم تخلق لهذا ، فاشتغل بما يعنيك ، ودع ما لا يعنيك .

ولا يزال طالب العلم عندى نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين ، ويقضي لبعضهم على بعض .

فإياك ثم إياك أن تصفى إلى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري ، أو بين مالك وابن أبي ذئب ، أو بين أحمد بن صالح والنسائي ، أو بين أحمد بن حنبل والحنبل المحاسبي ، وهلمَّ جرأ إلى زمان المعز بن عبد السلام والتقي ابن الصلاح ، فإنك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك ، فالقوم أئمة أعلام ، ولأقوالهم محامل وربما لم يفهم بعضها ، فليس لنا إلا الترهّي عنهم ، والسكوت عما جرى بينهم ، كما يفعل فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم " ( ١ )

وما ذكر من كلام الأقران بعضهم في بعض بسبب العداوات والخلافات والمنافسات ونحوها ، وما وقع بينهم من ردود فإنما هو ذاهب في بحر علمهم وكثير حسناتهم ونقاء قلوبهم . ذلك أن الكلام في الجرح والتعديل اجتهد ، والمتكلم فيه بشر يخطئ ويصيب إلا أن أئمة هذا الشأن صوابهم أكثر من خطئهم ، وما أصدق كلمة الذهبي حيث يصف هؤلاء الأئمة : " ونحن لا ندعي العصمة في أئمة الجرح والتعديل ، لكن هم أكثر الناس صواباً ، وأندرهم خطأ ، وأشدَّهم إنصافاً ، وأبعدهم عن التحامل ، وإذا اتفقوا على تعديل أو جرح فتمسك به وأعرض عليه بناجذيك ولا تتجاوز ، فتندم ، ومن شدَّ منهم فلا عبرة به ، فخلّ عنك القنأ ، وأعطِ القوسَ باريها ، فوالله لولا الحفاظ الأكابر لخطبت الزنادقة على المنابر " ( ٢ ) ويقول أيضا : " قلت : لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من القلطر النادر ، ولا من

( ١ ) طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكي ٢ / ٢٧٨ .

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ١١ / ٨٢ .

الكلام بِنَفْسٍ حَاد ، فيمن بينهم وبينه شجنا وإحنه ، وقد علم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به ، ولا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم — الانصاف \* ( ١ )

وكان الأقران والنظراء من أئمة السلف - في الأعم الغالب - أهل ورع تام واعتراف بالجميل والفضل لأقرانهم .

قال الذهبي في ترجمة القاسم بن سلام : " قال أحمد بن سلمة : سمعت إسحاق بن راهوية يقول : الحق يحبه الله عز وجل : أبو عبيد القاسم بن سلام أفقه مني وأعلم مني ( ٢ )

وقال الذهبي في ترجمة الإمام عبد الرزاق الصنعاني : " قال علي بن المديني : قال لي هشام بن يوسف : كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا .

قلت : هكذا كان النظراء يعترفون لأقرانهم بالحفظ \* ( ٣ )

ولكن آفات الحسد والمداوة بين الأقران كثيرة في المتأخرين ونادرة في المتقدمين .

قال الذهبي في ترجمة موفق الدين ابن قدامة المقدسي : قال الضياء : كان الموفق

لا ينظر أحداً إلا وهو يبتسم .

قلت : بل أكثر من عاينا لا ينظر أحداً إلا وهو يبتسم \* ( ٤ )

وقال أيضاً في ترجمة محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : " وما زال العلماء قديماً وحديثاً

يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التوايف ، ومثل ذلك يتفقه العالم ، وتبهرهن له

المشكلات ، ولكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك لسوء نيته ، ولطلبه للظهور

والتكبر ، فيقوم عليه قضاة وأضداد ، نسأل الله حسن الخاتمة وإخلاص العمل \* ( ٥ )

وقال الحافظ السخاوي في فتح المفيت : بعد أن ذكر آفات التحامل والانحراف وترك

الانصاف أو الاطراء والافتراء : " والمتقدمون سالمون منه غالباً ، منزّهون عنه ، لوفور

ديانتهم ، بخلاف المتأخرين ، فإنه ربما يقع ذلك في تواريخهم ، وهو مجانب لأهمل

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٠٠ .

( ١ ) المرجع السابق ٧ / ٤٠ - ٤١ .

( ٤ ) المرجع السابق ٢٢ / ١٧٠ .

( ٣ ) المرجع السابق ٩ / ٥٦٦ .

ومعنى قوله : " ينسم " ، من السم ، وهو كل مادة سامية وهذه الكلمة شائعة في بلاد الشام بلد المصنف .

( ٥ ) المرجع السابق ١٢ / ٥٠٠ - ٥٠١ .

الدين وطرأ عليهم " (١)

وقد بين الصنعاني هذه المسألة أتم بيان ، وذكر ما يتعلق بقبول الجرح والتعديل من الأقران :

قال العلامة الصنعاني : " لا يعرف حال الشخص بجرح أو عدالة إلا ممن عاصره ، ولا طريق إلى العلم بأحواله لمن في عصره ممن غاب عنه ، ولمن يأتي بعده إلا من المعاصرين له ، إن من قبلهم لا يعلمون وجوده ، ومن بعدهم لا يعرفونه إلا بنقل الأخبار عن عاصره وشاهده وجالسه وأخذ عنه " (٢)

وقال أيضاً : " واعلم أن مرادهم بالأقران : المتعاصرون في قرن واحد ، والمتساوون في العلوم ، وعلى التقديرين فإنه مشكل ، لأنه لا يعرف حال الرجل إلا من عاصره ، ولا يعرف حاله من بعده إلا من أخبار من قارنه إن أريد الأول ، وإن أريد الثاني فأهل العلم هم الذين يعرفون أمثالهم ، ولا يعرف ذلك الفضل إلا أولو الفضل .

فاذا عرفت هذا فالأولى لئلا ينطأ ذلك بمن علم أن بينهما منافسة وتحاسداً ، فيكون ذلك سبباً لعدم قبول بعضهم في بعض ، لالكونه من الأقران ، فإنه لا يعرف عدالته ولا جرحه إلا من أقرانه " (٣)

لذلك لا ينبغي إطلاق القول بأننا لا نقبل كلام الأقران بعضهم ببعض ، بل يجري فيه القول في قبول الجرح عامة ، والقياس يقتضي قبوله إذا خلا من البغضاء والحسد . وذلك لأن كلام الناقد في غيره فيما يظهر بالتتابع يكون على وجهين :

الأول : ما يخرج مخرج الذم بدون قصد الحكم ، ويستدل لهذا المعنى بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم إنا أنا محمدٌ بشر يفض كما يفض البشر ، وإنسي قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفه ، فأيا مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة " (٤)

وفي رواية أخرى : " فأَيُّ المسلمين آذيته ، شتمته ، لعنته ، جلدته ، فاجعلها له صلاة " (٥)

هذا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبياً ولا لعاناً ، ولا كان الفضب يخرج من الحق ، ولكن كان يرى من البعض ما يكره فربما أظهر كراهية لذلك الأمر ، فهذا اللعن

( ١ ) فتح المفيث ٣ / ٣١٦ .

( ٢ ) توضيح الأفكار ٢ / ١٤٦ .

( ٣ ) توضيح الأفكار ٢ / ٢٧٩ .

( ٤ ) رواه مسلم عن أبي هريرة ٤ / ٢٠٠٧ .

( ٥ ) رواه مسلم عن عائشة ٤ / ٢٠٠٧ .

على وجه التأديب لا على وجه الحكم ،

والوجه الثاني : ما يصدر على وجه الحكم ، فهذا إنما يخشى فيه الخطأ

وأهل الحديث عارفون متيقظون ، يتحرّزون من الخطأ جهدهم ، لكنهم بشر ، —  
وليست جميع أحكامهم مطابقة للواقع . وقد يقع في حالة الاجتهاد ما يسخطه  
فربما جرح الراوى للتحذير منه ، وليس هو مهدراً للمجروح ولا الجارح ، لأن  
الجارح ليس متعمداً في هذا ، إنما ظهر له شيء رأى باجتهاده أن يلصقه  
به ، وهو من جملة الجروح ، وليس اختراعاً ولا اختلاقاً من الجارح ، ولو  
كان اختلاقاً وتعمداً سقطت عدالة الجارح .

ومن أمثلة جرح الساخط كلام النسائي في أحمد ابن صالح المصري ، لما  
ذكر ابن الصلاح ذلك عقبه بقوله : " قلت : النسائي إمام حجة في الجرح والتعديل  
وإذا نسب مثله إلى مثل هذا كان وجهه أن عين السخط تبدي مساوئ لها في  
الباطن مخارج صحيحة تعمى عنها بحجاب السخط ، لا أن ذلك يقع من مثله  
تعمداً بقدر يعلم بطلانه " (١)

## المبحث الخامس الاختلاط والتغير وأثرهما في الجرح

اعتنى الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى - في كتابه "سير أعلام النبلاء" بما يتعلق بضبط الرواة وما يطرأ على ضبطهم من ضعف واختلال ، ومن ذلك ما يتعلق بالاختلاط فقد أولى هذا الأمر عنايته ، وأتى فيه بالجديد المفيد . وسيظهر معنا من خلال استعراض الرواة الذين اختلطوا أو تغيروا ، وكلام الذهبي الدقيق فيما يتعلق بهم ، ما يوضح لنا إمامة الذهبي في هذا الجانب كما بدت في جميع المسائل والمصطلحات التي تناولها الذهبي بالنقد والدراسة .

وقبل استعراض كلامه في الرواة المختلطين ، أقدم بين يدي البحث ، ببيان معنى الاختلاط في اللغة وعرف المحدثين ، وذكر أسباب الاختلاط ، وحكم رواية المختلط رداً وقبولاً .

الاختلاط لغة :

قال مرتضى الزبيدي " اختلط فلان فسَدَ عقله ، واختلط عقله إذا تغير فهو مختلط " ( ١ )

الاختلاط في عرف المحدثين :

قال السخاوي ( ٢ ) وحقيقته : فساد العقل وعدم انتظام الأقوال والأفعال إما بحرف أو ضرر أو عرض ، أو مرض من موت أو سرقة مال كالسعودي ، ( ٣ ) أو زهاب كتب كابن لهيعة ( ٤ )

( ١ ) تاج العروس ٥ : ١٣٤ .

( ٢ ) فتح المغيث ٣ : ٣٣١ .

( ٣ ) هو الفقيه العلامة المحدث عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود المتوفى سنة ( ١٦٠ ) انظر ترجمته في سير الأعلام ٩٣ : ٧ - ٩٥ والكواكب النيرات ٢٨٢ - ٢٩٨ .

( ٤ ) هو القاضي الإمام عبد الله بن لهيعة المتوفى سنة ( ١٧٤ ) احترقت داره وكتبه وسلمت أصوله وقال الذهبي في ترجمته ١٤ / ٨ : بعض الحفاظ يروي حديثه ، ويذكره في الشواهد والاعتبارات والزهد والملاحم لافي الأصول . ومعظمهم يبالغ في وهنه ، ولا ينبغي إهداره وتتجنب تلك المناكير ، فإنه عدل في نفسه . انتهى ، وفي السير أيضاً ١٨ / ٨ قال يحيى بن بكير : احترق منزل ابن لهيعة وكتبه في سنة سبعين قلت : الظاهر أنه لم يحترق إلا بعض أصوله . انتهى .

أو احتراقها كابن الملقن<sup>(١)</sup>.

### أسباب الاختلاط :

قال الحافظ السخاوى فى الفاية : " المختلطون ، وهم من حَصَلَ له من الشقات الاختلاط

فى آخر عمره لفساد عقله وخرفته ، أولذ هاب بصره ، أولغير ذلك من الأسباب<sup>(٢)</sup> .

ويقول الأمير الصنعانى : " قد يعرض للراوى عارض من العوارض يجعله غير ثقة ، وذلك

بأن يصيبه الكبر الشديد بأسقامه فيدعه عرضة للاختلاط ، أو يذهب بصره ، أو تضعيف كتبه وهو معتمد على القراءة فيها ، ثم يحدث من حفظه بعد ذلك فتضعيف الثقة بحد يث<sup>(٣)</sup> .

فقد أبان الحافظ السخاوى أن من أسباب الاختلاط : الكبر والتقدم فى السن وما يتبع

ذلك من فساد العقل وخرفته ، وذكر سببا ثانياً وهو ذهاب البصر ، وزاد الصنعانى سبباً ثالثاً وهو ضياع الكتب لمن كان معتمداً على القراءة فيها \*

ومن خلال تعريف السخاوى فى فتح المفتاح للاختلاط يظهر لنا أنه يرجع الى أسباب

أربعة : الخرف ، والضرر ، والأعراض ، والأمراض . ومن جملة الأعراض الطارئة : موت ابن ، وسرقه مال ، وذهاب كتب أو احتراقها .

### الفرق بين الاختلاط والتفكير :

الاختلاط هو فساد العقل وعدم انتظام الأقوال والافعال ، أما التفكير فهو أخف من الاختلاط

وذلك بسبب تقدم السن وضعف الحواس ونقص حدة الذهن . وقد ميز الذهبي بين الاختلاط والتفكير ورد كثيراً من الجروح بسبب الاختلاط ، بأنها ليست فساداً للعقل ، وإنما هى بسبب قلة

الحفظ لتقدم السن أو غير من الأعراض الخفيفة غير المؤثرة ، وكان الذهبي بهذا التمييز الدقيق

( ١ ) هو الإمام عمر بن علي بن أحمد المصري الشافعي المشهور بابن الملقن المتوفى سنة

( ٨٠٤ ) كان جماعة للكتب ، فاجتمع عنده من الكتب والأجزاء ما لا يدخل تحت حصر ، ولكن

هذه المكتبة احترقت فى أواخر عمره واحترق معها كثير من مسوداته ومصنفاته ، ومن ذلك

كتابه الضخم " جمع الجوامع " فحزن عليها أشد الحزن ، وتأسف عليها غاية التأسف وتفتيت

حال ابن الملقن بعد هذا الحريق ، وأصيب بالذهول فحجبه ابنه ، ولم يلبث إلا قليلاً

حتى توفاه الله ، انظر : الضوء اللامع ١٠٥ / ٦ ، وشذرات الذهب ٤٥ / ٧ .

( ٢ ) الفاية شرح الهداية ص ١٥٢ ( ٣ ) توضيح الأفكار ٢ : ٥٠٢

مَوْفَقًا سَدِّدًا ، رَدَّ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الطَّعْمُونَ عَنْ حُقَافِ الْحَدِيثِ وَرَوَاتِهِ .

قال في ترجمة هشام بن عروة : " ان الحافظ قد يتغيَّر حفظه إذا كبر ، وتنقص حُرْدَةُ ذهنه ، فليس هو في شيخوخته كهو في شببته . . ما هذا التغيَّر بضرٍ أصلاً ، وانما الذي يضر الاختلاط ، وهشام فلم يختلط قط <sup>(١)</sup> ولكن نقصان حدة الذهن تضر ، وهل يستوى الحافظ وضعيف الحفظ ؟ . وقال في ترجمة أبي إسحاق السَّبَّيْمي : " هو ثقة حجة بلا نزاع ، وقد كبر وتغيَّر حفظه تغيَّر السن ولم يختلط <sup>(٢)</sup> . وهذا خلاف ما أثبتته الآخرون .

وقال في ترجمة حَجَّاج بن محمد الأعور : " قال ابن سعد : وقد تغيَّر في آخر عمره حين رجع إلى بغداد . قلت : ما هو تغيَّر يضر <sup>(٣)</sup> .

وقال في ترجمة إسحاق بن راهويه : " قال أبو عبيد الآجري : سمعت أبا داود السجستاني يقول : إسحاق بن راهوية تغيَّر قبل موته بخمسة أشهر ، وسمعت منه في تلك الأيام ، فرميت به . قلت : فهذه حكاية منكورة ، وفي الجملة فكل أحد يتعلَّل قبل موته غالباً ويعرض ، فيبقى أيام مرضه متغيَّر القوة الحافظة ، ويموت إلى رحمة الله على تغيُّره ، ثم قبل موته ببسير يختلط ذهنه ، وتلاشى علمه ، فإذا قضى زال بالموت حفظه ، فكان ماذا ؟ أفبمثل هذا يلين عالم قط ؟ كلا ، والله ، ولا سيما مثل هذا الجبل في حفظه واتقانه <sup>(٤)</sup> .

ولهذا الفرق الدقيق بين الاختلاط والتغيَّر بنقص الحفظ ، نجد أن أئمة الجرح والتعديل ميَّزوا في اصطلاحاتهم وعباراتهم بين الاختلاط وسوء الحفظ والتغيَّر ، وكان الذهبي دقيقاً في نقل ألفاظهم ، ومن تلك الاصطلاحات الدقيقة قولون : تغيَّر حفظه لهما شاخ <sup>(٥)</sup> ، تغيَّر حفظه قبل موته <sup>(٦)</sup> ، وفي آخر عمره ساء حفظه <sup>(٧)</sup> ، ساء حفظه قليلاً في أواخر عمره <sup>(٨)</sup> ، كهيبر وتغيَّر حفظه تغيَّر السن <sup>(٩)</sup> ، مرض مرضه غيَّرت من حفظه <sup>(١٠)</sup> ، تغيَّر تغيَّراً شديداً <sup>(١١)</sup> .

( ١ ) سير ٣٦/٦ . ( ٢ ) سير ٣٩٤/٥ . ( ٣ ) سير ٤١٩/٩ .

( ٤ ) سير ٣٧٧/١١ - ٣٧٨ . ( ٥ ) سير ٤١٣/٦ .

( ٦ ) سير ٤٣٩/٥ . ( ٧ ) سير ٤٢٣/٥ .

( ٨ ) سير ١١٠/٦ . ( ٩ ) سير ٣٩٤/٥ .

( ١٠ ) سير ٤٥٨/٥ . ( ١١ ) سير ٥٣٤/٩ .

فَسَدَ بِأَحْسَرَةٍ (١) ، اِخْتَلَطَ الْبَتُّ (٢) ، عُرِمَ عَقْلُهُ (٣) .  
وقد عَرَفَ الذَّهَبِيُّ الاختِلَاطَ الَّذِي تَرَدَّدَ بِهِ الرَّوَايَةُ تَمَرِيفًا دَقِيقًا ، فَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ  
الثَّبَّتِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ عَارِمٌ : " وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ مَنْ خَلَطَ فِي كَلَامِهِ كَنْخَلِيطَ السَّكْرَانِ لَنْ  
لَا يَحْمِلَ عَنْهُ الْبَتَّةَ ، وَأَنَّ مِنْ تَغْيِيرٍ لِكُرَّةِ النِّسْيَانِ أَنْ لَا يُوْءِخِذَ عَنْهُ " (٤) .  
الامتناع عن الرواية عند كبر السن مخافة سوء الحفظ وتغيير الذهن :

ولدقة الأئمة المحدثين ورعايتهم للسنة النبوية ، وحرصهم على أدائها على أكمل وجه  
ذكروا في آداب المحدث والراوي أن يمتنع عن الرواية والتحديث عند حلول الكبر وتغيير الذهن  
وقد عقد الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه النافع : " الجامع لأخلاق  
الراوي وآداب السامع " باباً في آخر كتابه المذكور ، عُنُونُ لَهُ بِاسْمِ " قَطْعُ التَّحْدِيثِ عِنْدَ كِبَرِ  
السِّنِّ مَخَافَةَ اخْتِلَالِ الْحِفْظِ وَنَقْصَانِ الذَّهْنِ " (٥) وساق فيه بسنده عدَّةَ روايات عن السلف  
في امتناعهم عن التحديث خشيةً من الوقوع في الخطأ والوهم ، ومن تلك الروايات التي ساقها  
بسنده عن ابن أبي ليلى قال : " كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، فَنَقُولُ : حَدِّثْنَا . فَيَقُولُ : إِنَّمَا  
قَدْ كَبِرْنَا وَنَسِينَا ، وَالتَّحْدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ شَدِيدٌ .

وعن عمرو بن مُرَّةٍ قَالَ : " كَانَ عَمِيدُ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ قَدْ كَبِرَ ، وَكَانَ يَحْدِثُنَا ، فَنَعْرِفُ وَنُنْكِرُ " .  
قال أبو بكر الخطيب : إِذَا بَلَغَ الرَّوَايُ حَدَّ الْهَرَمِ وَالْحَالَةَ الَّتِي فِي مِثْلِهَا يَحْدُثُ الْخَرَفُ  
فَيَسْتَحِبُّ لَهُ تَرْكُ الْحَدِيثِ وَالِاسْتِغْفَالُ بِالْقِرَاءَةِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَهَكَذَا إِذَا عَمِيَ بَصَرُهُ وَخَشِيَ أَنْ يَدْخُلَ  
فِي حَدِيثِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ حَالُ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ ، فَالْأَوْلَى أَنْ يَقْطَعَ الرَّوَايَةَ وَيَسْتَغْفَلَ بِمَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّسْبِيحِ  
وَالْقِرَاءَةِ .

وساق بسنده إلى ابن وهب قال : كَانَ عَمِيدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو قَدْ عَمِيَ ، وَقَطَعَ الْحَدِيثَ " (٦) .  
وقال الحافظ الذهبي في الموقظة ، عند كلامه عن آداب المحدث : " وَلْيَسْتَنْعِضْ مَعَ الْهَرَمِ

( ١ ) سِير ٤٠٥ / ١٠ ( ٢ ) سِير ٦١ / ٧

( ٣ ) مِيزَانُ الْاِعْتِدَالِ ٩ / ٤ ( ٤ ) سِير ٢٦٩ / ١٠

( ٥ ) الْجَامِعُ لِاخْتِلَاقِ الرَّوَايِ وَآدَابِ السَّامِعِ ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦

( ٦ ) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦

وتغيّر الذهن ، وليعهد إلى أهله واخوانه حال صحته : متى رأيتوني تغيّرت فامنعوني من الرواية . فمن تغيّر بسوء حفظ وله أحاديث معدودة ، قد أد من في دريتها ، فلا بأس بتحديثه بها زمن تغيّره ، ولا بأس بأن يجيز مروياته حال تغيّره ، فإن أصوله مضبوطة ما تغيّرت وهو فقد وعي ما أجاز ، فإن اختلط وخرف امتنع من أخذ الإجازة منه" (١)

وقال في ترجمة جرير بن حازم : " اختلط جرير بن حازم ، وكان له أولاد أصحاب حديث فلما أحسوا ذلك منه حجبه ، فلم يسمع منه أحد في حال اختلاطه . قال أبو حاتم الرازي : تغيّر قبل موته بسنة" (٢)

وقال في ترجمة حجاج بن محمد المصيصي : " وقال محمد بن سعد : وقد تغيّر في آخر عمره حين رجع إلى بغداد . . . وقد قال إبراهيم الحربي الحافظ : أخبرني صديق لي . قال لما قدم حجاج بغداد في آخر مرة خلط فرأه يحيى يخلط ، فقال لابنه : لا تدخل على الشيخ أحد" (٣)

وفي ترجمة إبراهيم بن أبي العباس السامري : " قال محمد بن يعقوب : اختلط في آخر عمره ، فحجبه أهله في منزله حتى مات" (٤)

وفي ترجمة الإمام أبي بكر جعفر بن محمد الفرياني : " وقال الحافظ أبو علي النيسابوري : دخلت بغداد والفرياني حي وقد أمسك عن الحديث ، ودخلنا عليه غير مرة ، ونكتب بين يديه ، كنا نراه حسرة .

قلت : نعم ما صنع ، فإنه أنس من نفسه تغيّراً ، فتورّع وترك الرواية" (٥)

وفي ترجمة محدث تونس عبد الرحيم بن أحمد المعروف بابن عليم المتوفى سنة ( ٦٥٥ ) : " قال الشريف عز الدين : وامتنع آخر أيامه من الحديث . وقال : قد اختلطت ، وكان كذلك" (٦)

( ١ ) الموقظة ص ٦٦ .

( ٢ ) سير ١٠١ / ٧ .

( ٣ ) سير ٤٤٩ / ٩ .

( ٤ ) انظر : طيقات ابن سعد ٣٤٦ / ٧ .

( ٥ ) سير ٩٩ / ١٤ .

( ٦ ) سير ٣٣٥ / ٢٣ .

حكم رواية المختلط :

قال ابن حبان في مقدمة صحيحه : " وأما المختلطون في أواخر أعمارهم مثل الجريري ، وسميد بن أبي عروة وأشباههما فإننا نروى عنهم في كتابنا هذا ، ونحتج بما رَوَوْا إلا أن لا نعتد من حدِّثهم إلا على ما رَوَوْا عنهم الثقات من القدماء الذين نعلم أنهم سمعوا منهم قبل اختلاطهم أو ما وافقوا الثقات في الروايات التي لا نشك في صحتها وثبوتها من جهة أخرى ، لأنَّ حكمهم وإن اختلفوا في أواخر أعمارهم وحمل عنهم في اختلاطهم بعد تقدُّم عدالتهم حكم الثقة إذا أخطأ ، إنَّ الواجب ترك أخطائه إذا علم ، والاحتجاج بما يعلم أنه لم يخطئ فيه ، وكذلك حكم هؤلاء الاحتجاج بهم فيما وافقوا الثقات وما انفردوا ما رَوَوْا عنهم القدماء من الثقات الذين سمعهم منهم قبل الاختلاط سواء " ( ١ )

وقال أيضاً في مقدمة كتاب المجروحين في النوع السادس من أسباب الجرح : " ومنهم جماعة ثقات ، اختلفوا في أواخر أعمارهم حتى لم يكونوا يعقلون ما يحدثون ، فأحابوا فيما سئلوا ، وحدَّثوا كيف شاؤوا ، فاختلف حدِّثهم الصحيح بحدِّثهم السقيم ، فلم يتميز فاستحقوا الترك " ( ٢ )

وقال الحافظ السخاوي في " فتح المفيث " فما روى المتَّصف بذلك في حال اختلاطه أو أبهم الأمر فيه وأشكَل بحيث لم يُعلم أروايته صدرت منه في حال اتصافه به أو قبله ، سقط حدِّثه في الصورتين بخلاف ما رواه قبل الاختلاط لثقتة " ( ٣ )

وقال أيضاً في " الفاية " : من سمع منهم قبل الاختلاط فيقبل ، أو بعده فيرد ، وكذا ما وقع الشك في وقته ، أو علم بالسماع منه في الوقتين لكنه لم يتميز " ( ٤ )

وقال الأمير الصنعاني : " قد رأى المحدثون أن من أصابه شيء من ذلك يعني من أسباب

( ١ ) الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١ / ٢١ طبعة أحمد شاكر ، وطبعة شعيب

الأرنؤوط ١ / ١٥٠ .

( ٢ ) كتاب المجروحين لابن حبان ١ / ٦٨ .

( ٣ ) فتح المفيث ٣ / ٣٣٢ .

( ٤ ) الفاية ص ١٥٢ .

الاختلاط، ثم روى عنه راوٍ ما، فإن روى عنه بعد ما اختلط أو شككنا في أن روايته عنه كانت بعد الاختلاط أو قبله فتلك الرواية عن أحد هذين الاحتمالين هذرٌ غيرٌ معتبرة، وإن أُيقِنَّا أنه روى عنه في حال ثقته قبل الاختلاط فهي رواية صحيحة معتبرة (١)

ومن خلال هذه النصوص، يتبين أن حكم رواية المختلط مردودة إذا أخذ عنه بعد الاختلاط أو شك فيه ولم يتميز، ولكن ابن حبان رحمه الله قيد هذا الإطلاق، ولم يرد حديث من سمع منهم من الرواة الثقات بعد الاختلاط مطلقاً، بل يحتج بهم فيما وافقوا الثقات ويؤيد هذا ما نقل عن وكيع أنه قال: كنا ندخل على سعيد بن أبي عروبة فنسمع فما كان من صحيح حديثه أخذناه وما لم يكن صحيحاً طرحناه (٢)

وعليه: فإن حديث المختلط الذي ثبتت عدالته ليس مردوداً إطلاقاً فيمن روى عنه بعد الاختلاط، بل يقبل من حديثه حديث من روى عنه قبل الاختلاط، وحديث من روى عنه بعد الاختلاط إذا وافق الثقات، ويتجه هذا الحكم بشكل خاص على من قيل فيه: تفسير حفظه، أو ساء حفظه.

حكم رواية صاحبي الصحيحين لمن اختلط من الرواة الثقات :

أخرج البخاري ومسلم عن بعض المختلطين، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأن روايتهم عن هؤلاء قبل الاختلاط.

قال الإمام ابن الصلاح: "واعلم أن من كان من هذا القبيل محتجاً بروايته في الصحيحين أو أحدهما فإننا نعرف على الجملة أن ذلك ممّا تميّز، وكان مأخوذاً عنه قبل الاختلاط، والله أعلم" (٣)

ومثل جواب ابن الصلاح قال من بعده ممن اختصروا كتابه أو شرحوه (٤)

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة سعيد بن إياس الجريدي: "وقد روى له في الصحيحين،

(١) توضيح الأفكار ٣/٥٠٢ .

(٢) تهذيب الكمال في ترجمة سعيد بن أبي عروبة ٢٩٩/١ مصورة دار المأمون .

(٣) علوم الحديث ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٤) انظر التقريب للنووي ٣٨٠/٢ والارشاد .

وتحايدها ما حدث به في حال تغير حفظه " (١)

ولكن هذا الجواب غير مُطَرَّد ، فقد أخرج البخاري ومسلم عن بعض الرواة الثقات المختلطين بطريق من سمع منهم بعد الاختلاط . فقد أخرج البخاري عن حصين بن عبد الرحمن السلمي المختلط بطريق حصين بن نمر الواسطي كافي هدى الساري ، وقد قال السخاوي : أنَّ حصين بن نمر سمع من حصين بن عبد الرحمن بعد الاختلاط . (٢)

وكذلك روى مسلم عن أبي إسحاق الشيباني بطريق عمار بن زريق . وقد قال أبو حاتم : إنَّ عمار بن زريق سمع منه بعد الاختلاط . (٣)

والجواب عن ذلك هو أنَّ صاحبي الصحيحين لما يخرجان عن المختلطين بطريق من سمع منهم بعد الاختلاط ينتقيان من حد يشهم ولا يخرجان جميع حد يشهم .

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة سعيد بن أبي عروبة : وأما ما أخرجه البخاري من حديثه عن قتادة فأكثره من رواية من سمع منه قبل الاختلاط ، وأخرج عنه سمع منه بعد الاختلاط قليلاً ، كمحمد بن عبد الله الأنصاري ، وروح بن عبادة ، وابن أبي عدي ، فإذا أخرج من حديث هؤلاء انتقى منه ما توافقوا عليه . (٤)

وقريب من قول الحافظ قول تلميذه السخاوي : " وما يقع في الصحيحين أو أحدهما من التخريج لمن وصف بالاختلاط من طريق من لم يسمع منه إلا بعده فإننا نعرف على الجملة أنَّ ذلك ما ثبت عند المخرج أنه من قديم حديثه . (٥)

ويقول السخاوي أيضاً في الفاية : " ثم إنَّ من احتج به في الصحيح منهم فهو ما عُرف بروايته قبل الاختلاط ، ولو اتفق وقوعه من طريق من لم يسمع منه إلا بعده ، والمستخرجات موضحة لكثير من ذلك " (٦)

- |                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) سير ١٥٦/٦ .              | (٢) هدى الساري ص ٣٩٨ .       |
| (٣) فتح المغيث ٣/٣٣٨ .       | (٤) علل ابن أبي حاتم ٢/١٦٦ . |
| (٥) هدى الساري ص ٤١٦ .       |                              |
| (٦) فتح المغيث ٣/٣٣٢ .       |                              |
| (٧) الفاية ، للسخاوي ص ١٥٢ . |                              |

محمد هذا الاستعراض ، نأتي إلى سُرود الرواة الذين ذكروا باختلاط ، وموقف الناقد الذهبي ، وأقواله فيهم وسأذكر هؤلاء الرواة حسب الطبقات اتباعاً لطريقة الذهبي فسي ترتيب كتابه :

( ١ - عطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ( ١١٥ ) :

« وروى محمد بن عبد الرحيم ، عن علي بن المديني قال : كان عطاء اختلط بأخيره ، تركه ابن جريج وقيس بن سعد .

قلت : لم يعين عليّ بقوله تركه هذان الترك العرفي ، ولكنه كبر وضعفت حواسه ، وكان قد تكفياً منه وتفقهها وأكثرا عنه ، فَبَطَّلَا ، فهذا مراده بقوله : تركاه» .<sup>( ١ )</sup>

٢ - وفي ترجمة الإمام المقتي الثبّت نافع مولى ابن عمر وروايت المتوفى سنة ( ١١٧ ) :  
« وقد اختلف سالم ونافع على ابن عمر في ثلاثة أحاديث ، وسالم أجل منه ، لكن أحاديث نافع الثلاثة أولى بالصواب وبلغنا أنهم تذكروا حديث إتيان الدبر الذي تفرد به نافع عن موله ، فقال ميمون بن مهران : إنما قال هذا نافع بعد ما كبر وذهب عقله .  
وقول ميمون بن مهران : كبر وذهب عقله ، قولٌ شاذ ، بل اتفقت الأمة على أنه حجة مطلقاً .<sup>( ٢ )</sup>

٣ - وفي ترجمة الإمام العالم الكبير علي بن زيد بن جُدعان المتوفى سنة ( ١٣١ ) :  
« ولد أعشى كفتاده ، وكان من أوعية العلم على تشيع قليل فيه ، وسوء حفظ يفضّسه عن درجة الإتيان .

وقال القسوى : اختلط في كبره . وقال شعبة : حدثنا قبل أن يختلط .  
( ٣ ) قلت : قد استوفيت أخباره في " الميزان " وغيره ، وله عجائب ومناكير ، لكنه واسع العلم

٤ - وفي ترجمة الإمام المحدث الثقة سعيد بن أبي سعيد المقبري المتوفى سنة ( ١٢٥ )  
وقال ابن سعد : ثقة ، لكنه اختلط قبل موته بأربع سنين .

( ١ ) سير ٨٧/٥ ولم يذكره ابن الكيال في " الكواكب النيرات " .

( ٢ ) سير ١٠١/٥ .

( ٣ ) سير ٢٠٦/٥ - ٢٠٨ .

قلت : ما أحسبه روى شيئاً في مدة اختلاطه ، وكذلك لا يوجد له شيء منكر .<sup>(١)</sup>

٥ - وفي ترجمة الحافظ شيخ الكوفة ومحدثها عمرو بن عبدالله بن زى يُحَدِّد ، أبي إسحاق السَّبَّيحي المتوفى سنة ( ١٢٢ ) :

وهو ثقة حجة بلا نزاع ، وقد كبر وتغيَّر حفظه تغيُّر السن ، ولم يختلط .<sup>(٢)</sup>

وقال في ترجمة الإمام زهير بن معاوية : وقال أبو زرعة الرازي : سمع زهير من أبي إسحاق بعد الاختلاط ، وهو ثقة . فقد أنكر الذهبي اختلاطه أولاً ثم أثبت له وهو مذكور في المختلطين كما بين أئمة النقد من سمع منه قبل الاختلاط وبعده .  
٦ - وفي ترجمة الإمام الحافظ الحجة المصنِّع حصين بن عبد الرحمن المتوفى سنة ( ١٣٦ )

" قال ابن أبي حاتم : قلت لأبي زرعة ، حُصَيْنُ حُجَّة ؟ قال : إي والله . وقال أبو حاتم :

ثقة في الحديث . قال : وفي آخر عمره ساء حفظه . وقال النسائي : تغيَّر .

وقال يزيد بن هارون : طلبت الحديث ، وحصين حي ، كان يقرأ عليه ، وكان قد نسي .

وعن يزيد قال : اختلط حُصَيْن . وقال علي بن المديني وغيره : لم يختلط .

قلت : احتج به أرباب الصحاح ، وهو أقوى من عبد الملك بن عمير ، ومن سيمك بن حرب ،

وما هو بدون أبي إسحاق ، والمجب من أبي عبدالله البخاري ، ومن المُقِيلِي ، وابن عدي ،

كيف تسرعوا إلى ذكر حُصَيْن في كتب الجرح <sup>(٤)</sup> والمُجَب من الذهبي الذي يتعجب من ذكرهم له في كتب الجرح وهو يعرف منهجهم ، بل هو منهجه نفسه في "ميزان الاعتدال" .  
٧ - وفي ترجمة الحافظ عبد الملك بن عمير الكوفي المتوفى سنة ( ١٣٦ ) :

" وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، ليس بحافظ ، تغيَّر حفظه قبل موته .

وروى إسحاق الكُوسَج عن يحيى بن معين ، قال : مخلط .<sup>(٥)</sup>

٨ - وفي ترجمة الإمام المحدث الكبير سهيل بن أبي صالح المدني المتوفى سنة ( ١٤٠ ) :

" وكان من كبار الحفاظ ، لكنه مرض مرضةً غيَّرت من حفظه .

( ١ ) سير ٢١٦/٥ - ٢١٧ وفي الهدى : كان شعبه يقول : حدثنا سعيد المقبري بعد ما كبر .

( ٢ ) سير ٣٩٤/٥ .

( ٣ ) سير ١٨٤/٨ .

( ٤ ) سير ٤٢٣/٥ . وانما ذكره في كتب الجرح لأجل اختلاطه .

( ٥ ) سير ٤٣٩/٥ . لم يذكره ابن الكيال في "الكواكب" .

قال علي بن المديني : مات أخ لسهيل قَوَّجِد عليه ، فنسي كثيراً من الحديث .  
وقيل : إن مالكا أَخَذَ عنه قبل التفسير <sup>( ١ )</sup>

٩ - وفي ترجمة هشام بن عروة الإمام الثقة المتوفى سنة ( ١٤٦ ) :

" قلت : الرجل حجةٌ مطلقاً ، ولا عبرة بما قاله الحافظ أبو الحسن بن القطان من أنه هو وسهيل بن أبي صالح ، اختلطا وتغيرا فإنَّ الحافظ قد يتغير حفظه إذا كبر وتنقص حدة ذهنه ، فليس هو في شيخوخته كهو في شبابه ، وما ثمَّ أحد بمعصوم من السهو والنسيان ، وما هذا التغير بضار أصلاً ، وأنا الذي يضرب الاختلاط ، وهشام فلم يختلط قط ، هذا أمر مقطوع به ، وحدِيثُه محتجٌّ به في "الموطأ" والصحاح ، والسنن ، فقول ابن القطان : " إنه اختلط " قولٌ مردودٌ مردول ، فأرني إماماً من الكبار سليم من الخطأ والوهم <sup>( ٢ )</sup>

١٠ - وفي ترجمة الإمام الحافظ ، محدث الكوفة عطاء بن السائب المتوفى سنة ( ١٣٦ ) :

قال الذهبي : " وكان من كبار العلماء ، لكنه ساء حفظه قليلاً في أواخر عمره <sup>( ٣ )</sup>  
وقال أحمد : عطاء ثقة ، رجل صالح ، وقال : من سمع منه قد يما كان صحيحاً ، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء ، سمع منه قديماً شعبة ، وسفيان ، وسمع منه حديثاً : جرير ، وخالد بن عبد الله ، واسماعيل وعلي بن عاصم <sup>( ٤ )</sup> .

قال ابن عدي : عطاء اختلط في آخر عمره ، فمن سمع منه قديماً مثل الثوري وشعبة فحديثه مستقيم ، ومن سمع منه بعد الاختلاط فأحاديثه فيها بعض النكرة <sup>( ٥ )</sup> .

( ١ ) سير ٤٥٨/٥ - ٤٦٠ .

( ٢ ) سير ٣٦/٦ .

( ٣ ) سير أعلام النبلاء ١١٠/٦ .

( ٤ ) المرجع السابق ١١١/٦ .

( ٥ ) المرجع السابق ١١٢/٦ ، ووقع للذهبي في ترجمة عطاء بن السائب وهم حيث نقل

عن شعبة قوله : حدثنا عطاء وكان نسيّاً . مع أنَّ شعبة روى عن عطاء قبل الاختلاط وكان حافظاً ضابطاً . والمراد بعطاء هنا هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني نزيل دمشق كما جاء في ترجمته في سير النبلاء ١٤١/٦ وقال حجاج بن محمد : حدثنا شعبة ، حدثنا عطاء الخراساني ، وكان نسيّاً .

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير : " زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب

قلت : زياد مختلف في الاحتجاج به ، ومع ذلك فسماعه من عطاء بعد الاختلاط " ( ١ )

١١ - وفي ترجمة الإمام المحدث الثقة ، سميد بن إياس الجريري البصري المتوفى سنة

( ١٤٤ ) :

" وقال أبو حاتم : تغير حفظه قبل موته ، وقال محمد بن أبي عدي : لا تكذب الله

سمعنا من الجريري وهو مختلط ، وقال أحمد بن حنبل : سألت ابن علقمة : أكان الجريري

اختلط ؟ قال : لا ، كبر الشيخ فرق ( ٢ )

وقال الذهبي في آخر ترجمته : وقد روي له في الصحيحين ، وتحايده ما حدث به

في حال تغير حفظه فجري له في الشيخوخة نظير ماتم لمعيد بن أبي عروبة " ( ٣ )

١٢ - وفي ترجمة محدث الكوفة ليث بن أبي سليم المتوفى سنة ( ١٤٣ ) :

قال الذهبي : " محدث الكوفة وأحد علمائها الأعيان ، على لين في حديثه لنقص

حفظه . ( ٤ )

قال ابن حبان : اختلط في آخر عمره ، حتى كان لا يدري ما يحدث به ، فكان يقلب

الأسانيد ، ويرفع المراسيل ، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم . كل ذلك كان منه

في اختلاطه . تركه يحيى القطان ، وابن مهدي وأحمد وابن معين . ( ٥ )

قلت : بعض الأئمة يحسن لليث ، ولا يبلغ حديثه مرتبة الحسن ، بل عداؤه في مرتبة

الضعيف المقارب ، فيروى في الشواهد والاعتبار ، وفي الرغائب والفضائل ، أما فئس

الواجبات ، فلا " ( ٦ )

١٣ - وفي ترجمة مجالد بن سعيد الكوفي المتوفى سنة ( ١٤٤ ) :

قال الذهبي : " وفي حديثه لين . . وقال أحمد بن منان : سمعت عبد الرحمن يقول :

( ٢ ) سير ١٥٤/٦

( ١ ) التلخيص الحبير ١٩٥/٣

( ٤ ) سير ١٧٩/٦

( ٣ ) المرجع السابق ١٥٦/٦

( ٥ ) المرجع السابق ١٨٢/٦

( ٦ ) سير ١٨٤/٦

مجالد حديثه عند الأحداث : يحيى بن سعيد ، وأبي أسامة ليس بشيء . ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد وهشيم وهؤلاء القدماء . يعني أنه تغيّر حفظه في آخر عمره . ( ١ )

١٤ - وفي ترجمة الإمام الحافظ سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ( ١٥٦ ) :

قال الذهبي : الإمام الحافظ ، عالم أهل البصرة ، وأول من صنف السنن النبوية ، وكان من بحور العلم إلا أنه تغيّر حفظه لما شاخ ( ٢ )

وقال أبو حاتم : ثقة قبل أن يختلط ، وكان أعلم الناس بحديث قتادة ( ٣ )

وقال عبد الرحمن بن مهدي : سمع غندر من سعيد - يعني في الاختلاط - ( ٤ )

وقال الذهبي في ترجمة الإمام القدوة يزيد بن هارون المتوفى سنة ( ٢٠٦ ) : وقال

أحمد بن حنبل : سماع يزيد من ابن أبي عروبة ضعيف ، أخطأ في أحاديثه . قلت : إنما الضعف فيها من قبل سعيد بن أبي عروبة ، لأنه سمع منه بعد التغيّر . ( ٥ )

وفي ترجمة الحافظ الحجة عبد الله بن بكر البصري المتوفى سنة ( ٢٠٨ ) : " قال :

سمعت من سعيد بن أبي عروبة في سنة إحدى وأربعين ومئة أو سنة اثنين . يعني : أنه أخذ عنه قبل أن يتغيّر " . ( ٦ )

١٥ - وفي ترجمة أبان بن صمعة البصري المتوفى سنة ( ١٥٣ ) :

" وثقه يحيى بن معين وغيره وقد تغيّر بأخرة . وقال يحيى القطان : تغيّر . وقال ابن مهدي : لقيته وقد اختلط البتة . وقال ابن عدي : إنما عيب عليه اختلاطه لما كبر . " ( ٧ )

١٦ - وفي ترجمة الفقيه العلامة المحدث عبد الرحمن بن عبد الله المسمودي الكوفي المتوفى

سنة ( ١٦٠ ) :

( ١ ) سير النبلاء ٢٨٦/٦ . ( ٢ ) المرجع السابق ٤١٣/٦ .

( ٣ ) المرجع السابق ٤١٥/٦ . ( ٤ ) المرجع السابق ٤١٦/٦ .

( ٥ ) المرجع السابق ٣٦٢/٩ - ٣٦٣ .

( ٦ ) المرجع السابق ٤٥١/٩ . ومن سمع منه قبل الاختلاط يزيد بن زريع كما في فتح

البارى ١٥٨/٥ ، ومن سمع منه بعد الاختلاط مكي بن إبراهيم كما في الفتح ٥٨٥/٦ .

( ٧ ) سير النبلاء ٦١/٧ وانظر : الكواكب النيرات لابن الكيال ص ٧١ - ٧٢ .

قال أحمد بن حنبل : هو ثقة ، وسامع أبي الثضر وعاصم بن علي وهو لا يعد ما اختلط إلا أنهم احتملوا السماع منه .

قال محمد بن عبد الله بن نمير : السمعودي ثقة اختلط بأخرة . قال أبو حاتم : تغيّر قبل موته بسنة أو سنتين . قال : وكان أعلم أهل زمانه بحديث ابن مسعود . وقال معاذ بن معاذ : رأيت السمعودي سنة أربع وخمسين ومئة يطالع الكتاب - يعني أنه تغيّر حفظه - (١)

١٧ - وفي ترجمة الإمام الحافظ الثقة جرير بن حازم البصري المتوفى سنة ( ١٧٠ ) :

" وروى أحمد بن سنان القطان عن عبد الرحمن بن مهدي قال : اختلط جرير بن حازم ، وكان له أولاد أصحاب حديث ، فلما أحسوا ذلك منه حجبه ، فلم يسمع منه في حال اختلاطه شيئاً .

قال أبو حاتم الرازي : تغيّر قبل موته بسنة " (٢)

١٨ - وفي ترجمة الإمام المحدث ، نجيب بن عبد الرحمن أبي معشر السندي ثم المدني المتوفى سنة ( ١٧٠ ) :

وروى أحمد بن أبي خثيمة ، عن محمد بن بكر بن الريان قال : كان أبو معشر تغيّر قبل موته تغيّراً شديداً ، حتى كان يخرج منه الريح ولا يشعر بها " (٣)

١٩ - وفي ترجمة الإمام القدوة حماد بن سلمة البصري المتوفى سنة ( ١٦٧ ) :

" قلت : كان بحراً من بحور العلم ، وله أوهام في سعة ما روى ، وهو صدوق حجة ، إن شاء الله ، وليس هو في الإتقان كحماد بن زيد ، وتحايّد البخاري إخراج حديثه ، إلا حديثاً خرّجه في الرقاق . . ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن ، وسلم روى له في الأصول عن ثابت وحميد لكونه خيراً بهما " (٤)

" قال الإمام ابن دقيق العيد في "الإمام" : إلا أنه لما طمن في السن ، ساء حفظه ،

(٥)

فلذلك لم يحتج به البخاري ، وأما مسلم فاجتهد فيه ، وأخرج من حديثه عن ثابت ، مما سمع

(١) سير النبلاء ٩٣/٧ - ٩٥ وانظر الكواكب النيرات عن ٢٨٢ - ٢٩٨ .

(٢) سير ٤٣٨/٧ . (٤) سير ٤٤٦/٧ .

(٣) سير ١٠١/٧ .

(٥) عدم إخراج البخاري لا يوجب أن يكون عنده غير أهل لذلك ، ولذلك نفاثر فهذا سليمان بن المغيرة وهو أثبت الناس في ثابت ، قال أحمد : ثبت ثابت ، وقال ابن معين : ثقة ثقة ، ومع ذلك ذكروا أن البخاري لم يحتج به ولم يخرج له إلا حديثاً واحداً مقروناً بغيره ، وقد عتب ابن حبان على البخاري في شأن حماد بن سلمة . وانظر التنكيل ٢٤٢/١ .

منه قبل تغييره وماعن غير ثابت ، فأخرج نحو اثني عشر حديثاً في الشواهد ، دون الاحتجاج  
فلا احتياط أن لا يحتج به فيما يخالف الثقات <sup>(١)</sup> ، خالف فيه الثقات حكمه الشذوذ والشاذ  
غير مقبول ، ولكن ما وجه تخصيصه بحمار ؟ .  
وقال الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ أبي الوليد الطيالسي المتوفى سنة ( ٢٢٧ ) :

وقال أبو حاتم : سَمِعُهُ مِنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ فِيهِ شَيْءٌ ، كَأَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ بِأَخْرِهِ ، وَكَانَ حَمَادٌ سَاءَ  
حِفْظُهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ <sup>(٢)</sup> ، وَفُسِقَ بَيْنَ سَوْءِ الْحِفْظِ وَالْإِخْلَاطِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ الْكِتَابِ حَمَاداً  
فِي الْمُخْتَلَطِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ بِسَوْءِ حِفْظِ حَمَادِ الْبَيْهَقِيِّ .  
٢٠ - وفي ترجمة الإمام العلامة القاضي عبد الله بن لهيعة المتوفى سنة ( ١٧٤ ) :

وكان من بحور العلم على لين في حديثه . وقال عثمان بن صالح السهمي : احترقت  
دار ابن لهيعة ، وكتبه ، وسلمت أصوله ، كتبت كتاب عمار بن غزيرة من أصله <sup>(٣)</sup> .

وقال أيضاً : " لا ريب أن ابن لهيعة كان عالم الديار المصرية ، هو والليث معاً . . .  
ولكن ابن لهيعة تهاون بالاعتقان وروى منكرات ، فأنحط عن رتبة الاحتجاج عندهم . وبعض  
الحفاظ يروى حديثه ، ويذكره في الشواهد والاعتبارات ، والزهد والملاحم ، لافي الأصول  
وبعضهم يبالغ في وهنه ، ولا ينبغى إهداره ، وتجنب تلك المناكير ، فإنه عدل في نفسه <sup>(٤)</sup> .  
أعرض أصحاب الصحاح عن رواياته ، وأخرج له أبو داود والترمذي والقزويني . ومارواه عنه  
ابن وهب والقريء والقدماء فهو أجود <sup>(٥)</sup> .

البخاري عن يحيى بن بكير : احترق منزل ابن لهيعة وكتبه في سنة سبعمين . قلت : الظاهر  
أنه لم يحترق إلا بعض أصوله <sup>(٦)</sup> .

وقال ابن سعد : ابن لهيعة كان ضعيفاً ، وعنده حديث كثير ، ومن سمع منه في أول أمره أحسن  
حالاً ، وأما أهل مصر فيذكرون أنه لم يختلط ، لكنه كان يقرأ عليه ما ليس من حديثه فيسكت عليه <sup>(٧)</sup> .  
قال أبو حاتم بن حبان البستي : كان من أصحابنا يقولون : سماع من سمع من ابن لهيعة

( ٢ ) سير ١٠ / ٣٤٤ - ٣٤٥ .

( ١ ) سير ٧ / ٤٥٢ .

( ٤ ) المرجع السابق ٨ / ١٤ .

( ٣ ) سير النبلاء ٨ / ١٣ .

( ٦ ) المرجع السابق ٨ / ١٨ .

( ٥ ) سير النبلاء ٨ / ١٤ .

( ٧ ) المرجع السابق ٨ / ٢٠ .

قبل احتراق كتبه ظل : القَبَارِلَة : ابنُ المبارك ، وابنُ وهب ، والمقرئ ، وعبد الله بن مسلمة القمني (١) فسمعهم صحيح . ومن سمع بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشي .  
قال ابن حبان : قد سَبَرْتُ أخبارَ ابنِ لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه ، فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجوداً ، وبالأصل له في رواية المتقدمين كثيراً ، فرجعت إلى الاعتبار فرأيت يدلس عن أقوام ضَعُفَى ، على أقوام رأهم هو ثقات ، فالزق تلك الموضوعات به . (٢)

٢١ - وفي ترجمة الإمام القدوة سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي المتوفى سنة (١٦٧) :  
"عباس الدوري عن يحيى بن معين ، قال : كان سعيد بن عبد العزيز قد اختلط قبل موته ، وكان يعرض عليه قبل الموت ، وكان يقول لأجيرها . (٣)

٢٢ - وفي ترجمة الإمام الحافظ المكر قيس بن الربيع الكوفي المتوفى سنة (١٦٧) .  
قال الذهبي : أحد أوعية العلم على ضعف من قبل حفظه . (٤)

قال ابن حبان : قد سَبَرْتُ أحاديث قيس وتَبَعْتُهَا ، فرأيت صدوقاً مأموناً حين كان شاباً فلما كبر ساء حفظه ، وامتنحى بابن سوء ، فكان يدخل عليه الحديث ، فوقع في أخباره مناكير . (٥)

٢٣ - وفي ترجمة الإمام المعمر خلف بن خليفة الكوفي المتوفى سنة (١٨١) :  
وقال ابن سعد : تَفَيَّرَ قبل موته واختلط . (٦)

٢٤ - وفي ترجمة الإمام الحافظ الصدوق يحيى بن يمان المتوفى سنة (١٨٩) .

(١) قال الاستاذ محمد عوامة في حاشية التقريب ص ٣١٩ : ويزاد أيضاً : الوليد بن جريد البيروني

ذكره الطبراني ٢٣١/١ في المعجم الصغير ، وقتيبة بن سعيد ، والأوزاعي والثوري وشعبة ، -

وعمر بن الحارث ، فإنهم سمعوا منه وماتوا قبل احتراق كتبه سنة ١٦٩ أو ١٧٠ .

(٢) سير النبلاء ٢٣/٨ وانظر كتاب المجروحين ١٢/٢ .

(٣) سير النبلاء ٣٥/٨ وانظر تاريخ يحيى بن معين ٢٠٤/٢ .

(٤) المرجع السابق ٤٤/٨ وانظر كتاب

سير النبلاء ٤١/٨

المجروحين لابن حبان ٢١٨/٢

(٦) سير النبلاء ٣٤٢/٨ وانظر : الكواكب النيرات ص ١٥٥ - ١٦١

" قال ابن المديني : صدوق ، فُلج فَتَفَيَّرَ حفظه . وعن وكيع قال : ما كان أحد من أصحابنا أحفظ للحديث من يحيى بن يمان كان يحفظ في مجلس واحد خمسين مئة حد يسست ، ثم نسي .

قلت : حديثه من قبيل الحسن " ( ١ )

٢٥ - وفي ترجمة الإمام الحافظ الحجة عبد الوهاب بن عبد المجيد الشقي المتوفى سنة ( ١٩٤ ) :  
" قال ابن معين : ثقة اختلط بأخرة . وقال عقبه بن مُكْرَم المقي : اختلط عبد الوهاب قبل موته بثلاث سنين أو أربع . وقال أبوداود : تَفَيَّرَ . وقال العقيلي : تَفَيَّرَ في آخر عمره . قلت : لكن ماضره تَفَيَّرَ ، فإنه لم يحدث زمن التَفَيَّرَ بشئ " ( ٢ )

٢٦ - وفي ترجمة الإمام الحجة الحافظ حجاج بن محمد المصيصي الأعور المتوفى سنة ( ٢٠٦ ) :  
" قال محمد بن سعد : وقد تَفَيَّرَ في آخر عمره حين رجع إلى بغداد . قلت : ما هو تَفَيَّرُ يضرب . وقد قال إبراهيم الحربي الحافظ : أخبرني صديق لي . قال : لما قدم حجاج بن محمد بغداد في آخر مرة ، خَلَطَ ، قرأه يحيى يخلط ، فقال لابنه : لا تدخل على الشيخ أحداً ! ( \* )  
قلت : كان من أبناء الثمانين ، وحديثه في دواوين الإسلام ، ولا أعلم له شيئاً أنكر عليه مع سعة علمه " ( ٣ )

٢٧ - وفي ترجمة الإمام العلامة المحدث الشقة قاضي البصرة محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري المتوفى سنة ( ٢١٥ ) :

روى الأحموس بن الفضل ، عن يحيى بن معين : ثقة . وقال أبو حاتم : صدوق . وقال النسائي : ليس به بأس . وأما أبوداود ، فقال : تَفَيَّرَ تَفَيَّرًا شديداً " ( ٤ )

٢٨ - وفي ترجمة الحافظ الثبت الإمام عارم محمد بن الفضل السدوسي البصري المتوفى سنة ( ٢٢٤ ) :

" قال أبو علي الزُّرِّيقي : حدثنا عارم قبل أن يختلط . وقال البخاري : تَفَيَّرَ في آخر

عمره .

( ٢ ) سير ٢٢٨/٩ - ٢٢٩ .

( ١ ) سير ٣٥٦/٨ .

( ٤ ) سير ٥٣٤/٩ .

( ٣ ) سير ٤٤٩/٩ .

( \* ) وتتمة كلام يحيى كما في تاريخ بغداد ٢٣٨/٨ : فلما كان بالعشي دخل النار فأعطوه كتاب شعبه فقال : حدثنا شعبه عن عمرو بن مره .

وقال أبو حاتم : اختلط عارم في آخر عمره ، و زال عقله ، فمن سمع منه قبل الاختلاط ، فسماعه صحيح . و كتبت عنه سنة أربع عشرة ، ولم أسمع منه بعد ما اختلط ، فمن سمع منه قبل سنة عشرين ومئتين ، فسماعه جيد . قال : وأبوزرعة لقيه سنة اثنتين وعشرين . قلت : فرج عنا الدارقطني في شأن عارم ، فقال : تَغَيَّرَ بأخرة ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ، وهو شقة .

فانظر قول أمير المؤمنين في الحديث أبي الحسن ، فأين هذا من قول ذاك الخفاف المتفاح أبي حاتم بن حبان في عارم ، فقال : اختلط في آخر عمره ، وتغيَّر ، حتى كسان لا يدري ما يحدث به ، فوقع في حديثه المناكير الكثيرة ، فيجب التنكب عن حديثه فيما رواه المتأخرون ، فإذا لم يُعلم هذا من هذا ترك الكل ، ولا يحتج بشيء منها . قلت : فأين ما زعمت من المناكير الكثيرة ؟ فلم يذكر منها حديثاً . بل لي له عن حاتم ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : " اتقوا النار ولو بشق تمرة " وقد كان حَدَّثَ به من قبل عن الحسن بدل أنس مرسلًا ، وهو أشبه . وكذا رواه غسان وغيره عن حماد . ( ١ ) قلت : لم يأخذ عنه أبو داود ، لتغيُّره ، والذي ينبغي أن من خُلط في كلامه كتخليط السكران أن لا يحمل عنه البتة ، وأن من تغيَّر لكثرة النسيان أن لا يؤخذ عنه . ( ٢ )

٢٩ - وفي ترجمة الإمام المحدث محمد بن كثير بن أبي عطاء الصنعاني ثم المصيصي المتوفى سنة ( ٢١٦ ) :

" قال ابن سعد : يذكرون أنَّ محمد بن كثير الصنعاني اختلط في آخر عمره . قال ابن أبي حاتم : سئل أبوزرعة عن محمد بن كثير . فقال : دفع إليه كتاب الأوزاعي ، وفي كل حديث : حدثنا محمد بن كثير - اسمه - فقرأه إلى آخره يقول : حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي .

قلت : هذا هو التدسيغ ، بكل حال ، فيكتب حديثه ، أما الحجة به فلا تنهض . ( ٣ )

- ( ١ ) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢٦٨ .  
 ( ٢ ) المرجع السابق ١٠ / ٢٦٩ . وانظر التلخيص الحبير ٣ / ١٤٩ .  
 ( ٣ ) المرجع السابق ١٠ / ٣٨٢ - ٣٨٣ ، وانظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٤٨٩ . ومحمد بن كثير الصنعاني لم يذكره ابن الكيال في الكواكب النيرات .

٣٠ - وفي ترجمة الإمام المحدث عبد الله بن صالح كاتب الليث ، المتوفى سنة ( ٢٢٣ ) :

" قد شرحت حاله في " ميزان الاعتدال " وليناه ، بكل حال ، فكان صدوقاً في نفسه ، من أوعية العلم ، أصابه داء شيخه ابن كهيعة ، وتهاون بنفسه حتى ضعف حديثه ، ولم يترك بحمد الله ، والأحاديث التي نقيها عليه معدودة في سعة ما روى " ( ١ )

وقال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عنه ، فقال : قَسَدَ بآخره ، وليس بشيء . ( ٢ )

قلت : قد كان قارب التسعين رحمه الله ، وهو في عقلي أقوى من نعيم بن حماد ، وأسيد الجمال ، وما هو بدون إسماعيل بن أبي أويس الأصمعي . ( ٣ )

٣١ - وفي ترجمة الإمام الكبير ، سيد الحفاظ إسحاق بن راهويه المتوفى سنة ( ٢٣٨ ) :

" فائدة لافائدة فيها ، نحكيها لنليشها :

قال أبو عبيد محمد بن علي الآجري صاحب كتاب " مسائل أبي داود " - وما علمت أحداً

كَيْتَه - : سمعت أبا داود السجستاني يقول : إسحاق بن راهويه تغيّر قبل موته بخمسة أشهر ،

وسمعت منه في تلك الأيام ، فرميت به .

قلت : فهذه حكاية منكورة . وفي الجملة فكل أحد يتعلّل قبل موته غالباً ، ويعرض ، فيبقى

أيام مرضه متغيّر القوة الحافظة ويموت إلى رحمة الله على تغيّره ، ثم قبل موته بيسير يختلط

ذهنه ، ويتلاشى علمه ، فإذا قَضَى ، زال بالموت حفظه ، فكان ماذا ؟ أفبمثل هذا يلسين

( ٤ )

عالم قط ؟ كلا ، والله ، ولا سيما مثل هذا الجبل في حفظه واتقانه .

" ومع حال إسحاق وبراعته في الحفظ ، يمكن أنه لكونه كان لا يحدث إلا من حفظه جرى

عليه الوهم في حديثين من سبعين ألف حديث . فلو أخطأ منها في ثلاثين حديثاً لما حطّ

( ١ ) سير النبلاء ٤٠٥/١٠ .

( ٢ ) المرجع السابق ٤١٣/١٠ .

( ٣ ) المرجع السابق ٤١٥/١٠ . وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح ص ٤١١ : ظاهر

كلامه هو : لا أعلم أن حديثه في الأول كان مستقيماً ، ثم طرأ عليه تخليط ، فمقتضى ذلك

أن ما يجيء من روايته عن أهل الحذق كيجيء بن معين ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم فهو

من صحيح حديثه ، وما يجيء من رواية الشيخ عنه ، فيتوقف فيه .

( ٤ ) سير النبلاء ٣٧٧/١١ .

ذلك رتبته عن الاحتجاج به أبداً . بل كون إسحاق تتبع حديثه ، فلم يوجد له خطأ قط سوى  
حديثين يدل على أنه أحفظ أهل زمانه ( ١ )

٣٢ - وفي ترجمة الإمام أبي الحسين ، عبد الباقي بن قانع البغدادي المتوفى سنة ( ٣٥١ ) :

روى الخطيب عن الأزهرى ، عن أبي الحسن بن الفرات قال : كان ابن قانع قد حدث  
به اختلاط قبل موته بنحو من سنتين ، فتركنا السماع منه ، وسمع منه قوم في اختلاطه \* ( ٢ )

٣٣ - وفي ترجمة الامام أبي أحمد الحاكم الكبير المتوفى سنة ( ٣٧٨ ) :

\* قال أبو عبدالله بن البيع : تغير حفظ أبي أحمد لما كُفَّ ، ولم يختلط قط \* ( ٣ )

٣٤ - وفي ترجمة محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، حفيد ابن

خزيمة المتوفى سنة ( ٣٨٧ ) :

\* قال الحاكم : مرض وتغير بزوال عقله في سنة أربع وثمانين ، ثم أتته للرواية فوجد نفسه

لا يعقل .

قلت : ما أراهم سمعوا منه إلا في حال وعيه ، فإن من زال عقله كيف يمكن السماع منه ؟

بخلاف من تغير ونسى وانهرم \* ( ٤ )

٣٥ - وفي ترجمة الإمام الحافظ محدث الأندلس أبي حفص ، عمر بن عبيد الله بن يوسف الذهلي

القرطبي الزهراوي المتوفى سنة ( ٤٥٤ ) :

\* وكان خيراً ثقةً ، متصاناً ، قد يم الطلب ، حدث عنه أبو علي الفسائي ، وذكر أنه

اختلط في آخر عمره \* ( ٥ )

٣٦ - وفي ترجمة الإمام أبي علي ، محمد بن سميد بن نيهان البغدادي المتوفى سنة ( ٥١١ ) :

\* قال ابن ناصر : بقي قبل موته سنة ملقى على ظهره لا يعقل ، فمن قرأ عليه في تلك

( ٦ )

الحالة ، فقد أخطأ وكذب عليه ، فإنه لم يكن يفهم ما يقرأ عليه من أول سنة إحدى عشرة

وقال في "الميزان" : " اختلط قبل موته بما بين ، فيعتبر تاريخ السماع منه " ( ٧ )

( ٢ ) سير ٥٢٧/١٥

( ١ ) المرجع السابق ٣٧٩/١١

( ٤ ) سير ٤٩٠/١٦

( ٣ ) سير ٣٧٣/١٦

( ٦ ) سير ٢٥٦/١٩

( ٥ ) سير ٢٢٠/١٨

( ٧ ) الميزان ٥٦٦/٣

٣٧ - وفي ترجمة الشيخ الكبير ، أبي المزاحم أحمد بن عبيد الله المعروف بابن كادش المتوفى  
سنة (٥٢٦) :

" قال ابن النجار : كان ضعيفاً في الرواية ، مغلطاً كاذباً ، لا يحتج به ..  
وقال عبد الوهاب الأنطاقي : كان مغلطاً " (١)

\* . \*

## المبحث السادس ال تلقين وأثره في المرح

أجمع أئمة الحديث على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه ،  
واجتماع هاتين الصفتين يصبح الراوي حجةً ويعمل بحديثه ويسمى " ثقة " .

ولكن قد يطرأ على ضبط الراوي بعض آثار الاختلال فينزل عن مرتبة الاحتجاج .  
قال الامام ابن الصلاح : " لأتقبل رواية من عُرف بالتساهل في سماع الحديث أو إسماعه  
كمن لا يبالي بالنوم في مجلس السماع ، وكمن يحدث لامن أصل مقابل صحيح .  
ومن هذا القبيل من عُرف بقبول التلقين في الحديث " ( ١ )

وسأتكلم في هذا المبحث عن " التلقين " وأثره في ضعف ضبط الرواه ، فقد تعرّض الامام  
الذهبي لمعدب من الرواة الذين نسبوا إلى التلقين ، ويّثّن أثر ذلك في قبول رواياتهم أوردها .  
وقد بيّن الذهبي مدلول هذه الكلمة التي تطلق على بعض الرواة فيقال فيه أنه كأن  
يُلَقِّن فقال : " يعني أنه كان يحدثهم بالحديث ، فيتوقف فيه ، ويتغلط ، فيردّون عليه  
فيقول ، ومثل هذا عُرف عن رتبة الحفظ لجواز أن فيما رُدّ عليه زيادة أو تغييراً يسيراً " ( ٢ )  
وقال الصنعاني في " توضيح الأفكار " : " التلقين في اللغة : التفهيم ، وفي المرف : إلقاء  
كلام إلى الغير في الحديث إسناداً أو متناً ، هادراً إلى التحديث بذلك ولو مرة . فلا يُقبل  
لدالته على مجازفته وعدم تثبته وسقوط الوثوق بالمتّصف به " ( ٣ )

قال الإمام الحميدى : " ومن قبل التلقين ترك حديثه الذي لُقِّن فيه ، وأخذ عنه ما أتقن  
حفظه ، إذا علم ذلك التلقين حادثاً في حفظه لا يعرف به قد يماً ، وأما من عُرف به قد يماً  
في جميع حديثه ، فلا يُقبل ، ولا يؤمن أن يكون ما حفظه مألّقن " ( ٤ )

ومن الرواه الذين نسبوا إلى التلقين وذكرهم الحافظ الذهبي في كتابه :

١ - سَمَاحُ بْنُ حَرْبٍ : قال أبو عبد الرحمن النسائي : إذا انفرد سَمَاحٌ بِأَصْلٍ لَمْ يَكُنْ

حُجَّةً ، لِأَنَّهُ كَانَ يُلَقِّنُ فَتَلَقَّنَ .

( ١ ) علوم الحديث ، ص ١١٩ .

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ٢١٠ / ١٠ .

( ٣ ) توضيح الأفكار ٢٥٧ / ٢ ، وفتح المفتي ٣٣٠ / ١ .

( ٤ ) الكفاية ص ٢٣٥ .

وروى حجاج عن شعبه قال : كانوا يقولون لسماك : عكرمة عن ابن عباس ، فيقول : نعم ، فأما أنا فلم أكن ألقنه .

وروى قتادة عن أبي الأسود قال : إن سرك أن يكذب صاحبك فلقنه \* ( ١ )  
٢ - عطاء بن السائب :

قال الذهبي في ترجمته : " وكان عطاء بأخيه يتلقن إذا لقن لأنه كان غير صالح الكتاب " ( ٢ )  
ونذكره مسلم في " مقدمة " كتابه ، فيمن يشملهم المستر والصدق وتعاطي العلم ( ٣ )  
٣ - يزيد بن أبي زياد الكوفي :

قال الذهبي : " وقال العجلي : جازع الحديث ، وكان بأخيه يُلقن " ( ٤ )

قال ابن حبان : " يزيد بن أبي زياد الهاشمي ، كان صدوقاً إلا أنه لما كبر ساء حفظه وتغير ، فكان يتلقن مألّف ، فوقع المناكير في حديثه من تلقين غيره إياه واجابته فيما ليس من حديثه لسوء حفظه ، فسمع من سمع منه قبل دخوله الكوفة صحيح ، وسمع من سمع منه في آخر قدمه الكوفة بعد تغير حفظه وتلقنه ما يلحق سماع ليس بشئ " ( ٥ )

قال الحافظ في " التقريب " : " يزيد بن أبي زياد الهاشمي ، مولا هم ، الكوفي ، ضعيف كبير فتغير وصار يتلقن ، وكان شيعياً " ( ٦ )

٤ - قيس بن الربيع الأسدي الكوفي :

قال الذهبي : " قال عفان : قدمت الكوفة ، فأتينا قيساً ، فجلسنا إليه ، فجعل ابنه يلقيه ، ويقول له : حصين ، فيقول : حصين . ويقول رجل آخر : ومفيرة ، فيقول : مفيرة ، فيقول آخر : والشيباني ، فيقول : والشيباني " ( ٧ )

( ١ ) سير أعلام النبلاء ٢٤٨/٥ ، وقول أبي الاسود : " إن سرك أن يكذب صاحبك فلقنه " ذكره المؤلف في ترجمة قتادة من قوله ، وساقه من كلام أبي الاسود الدؤلي في ترجمته

٢٧٤/٥

( ٢ ) سير ١١٢/٦

( ٣ ) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٥١/١ .

( ٤ ) سير ١٣٠/٦

( ٥ ) كتاب المجروحين ٩٩/٣ ، والميزان ٤٢٣/٤ .

( ٦ ) التقريب ص ٦٠١ ( ٧٧١٧ ) .

( ٧ ) سير ٤٤/٨ . وانظر كتاب المجروحين ٢١٩/٢ .

قال الحافظ في التقریب: "قيس بن ربيع الأسدي ، أبو محمد الكوفي ، صدوق ، تفيّر لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدّث به" (١)

هـ - ومن نسب إلى التلقين الإمام الثقة المتقن يزيد بن هارون الواسطي ، ولكنّ الذهبيّ نفى نسبة ذلك إليه وانتقد ما ادّعى عليه .

قال في ترجمته : "قال أبو خيثمة : كان يعاب على يزيد حيث ذهب بصره ، ربما سئل عن حديث لا يعرفه ، فيأمر جارية له تحفّظه إياه من كتابه . قلت : ما بهذا الفعل بأس مع أمانة من يلقنه ، ويزيد حجة بلا مشنوية" (٢) - أي بلا استثناء -

قال الحافظ في "هدي الساري" : "قلت : كان المتقدمون يتحرزون عن الشيء اليسير من التساهل ، لأن هذا يلزم منه اعتماد على جاريته ، وليس عندها من الاتقان ما يميز بعض الأجزاء من بعض ، فمن هنا عابوا عليه هذا الفعل ، وهذا في الحقيقة لا يلزم منه الضعف ولا التلّين ، وقد احتج به الجماعة كلهم" (٣)

٦ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة (٢١١) :

قال الذهبي في ترجمته : "أبوزرعة الدمشقي ، أخبرنا أحمد ، قال : أتينا عبد الرزاق قبل المئتين ، وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع . قال أحمد بن حنبل : هو "لا سمعوا بعد ما عسى ، كان يلقي ، فلقنوه ، وليس في كتبه ، وقد أسندوا عنه أحاديث ليست في كتبه كان يلقيها بعد ما عسى" (٤)

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي : "قال الإمام أحمد : عبد الرزاق لا يعبأ بحديث من سمع منه وقد ذهب بصره ، كان يلقي أحاديث باطلة ، وقد حدث عن الزهري أحاديث كتبناها من أصل كتابه ، وهو ينظر ، جاءوا بخلافها" (٥)

(١) التقریب ص ٤٥٧ (٥٥٧٣) .

(٢) سير ٣٦٣/٩ ، وانظر : شرح الملل ٥٧٦/٢ - ٥٧٧ .

(٣) هدي الساري ص ٤٥٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٦٥/٩ و ٥٦٩ .

(٥) شرح علل الترمذي ٥٧٧/٢ - ٥٧٨ .

وقال ابن رجب أيضاً : " وقد ذكر غير واحد أنَّ عبد الرزاق حدَّث بأحاديث منكر في فضل علي وأهل البيت ، فلعل تلك الأحاديث ما لقَّنها بعمد أن عبي ، كما قاله الإمام أحمد ، والله أعلم ، ومعضها ما رواه عنه الضعفاء ولا يصح " ( ١ )

٧ - عثمان بن الهيثم ، البصري ، المتوفى سنة ( ٢٢٠ ) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال أبو حاتم : صدوق غير أنه كان بأخرة يُلقن . قلت : يعني أنه كان يحدثهم بالحديث ، فيتوقف فيه ، ويتغلط فيردون عليه ، فيقول " . ومثل هذا غرض عن رتبة الحفظ لجواز أن فيما رد عليه زيادة ، أو تغييراً يسيراً ، والله أعلم " ( ٢ )

٨ - ومن نُسب إلى " التلقين " الإمام الثقة الثَّبت عَفَّان بن مسلم البصري ، فقد لقَّنه الإمام يحيى بن معين مرة واحدة ، والثقة قد يهم .

قال الذهبي في ترجمته : " قال محمد بن عبد الرحمن بن قُهم : سمعت ابن معين يقول : عَفَّان أثبت من عبد الرحمن ما أخطأ عفان قط إلا مرة في حديث أنا لقنته إياه ، فأستغفر الله " ( ٣ )

٩ - إسحاق بن محمد بن إسماعيل القروي المدني ، المتوفى سنة ( ٢٢٦ ) :

قال الذهبي : " قال أبو حاتم : صدوق ، ولكن ذهب بصره ، فربما لقن ، وكتبه صحيحة " ( ٤ )

( ١ ) المصدر السابق ٢ / ٥٨٠ .

( ٢ ) سير أعلام النبلاء ١٠ / ٢١٠ .

( ٣ ) سير ١٠ / ٢٤٩ .

( ٤ ) سير ١٠ / ٦٤٩ .

قال الحافظ ابن حجر فى "التقريب" : " صدوق ، كف فساء حفظه " ( ١ )

١٠ - هشام بن عمار الدمشقى المتوفى سنة ( ٢٤٥ ) :

قال الذهبى : " وقال أبوحاتم : صدوق ، لما كبر تغير ، وكل ما دفع اليه قرأه ، وكل ما لقن تلقن ، وكان قديماً أصح . كان يقرأ من كتابه " ( ٢ )

وقال أيضا : " قال أبو داود : وأبو أيوب - يعنى سليمان بن بنت شرحبيل - خير من هشام حدث هشام بأرجح من أربع مئة حديث ، ليس لها أصل مستندة ، كلها كان فضلك - الفضل ابن العباس الرازى - يدور على أحاديث أبي مسهر - عبد الأعلى بن مسهر الفسانسى - وغيره ، يلقتها هشاماً ، ويقول هشام : حدثنى ، قد روي ، فلا يزال من حمل الخطأ " ( ٣ )  
وقال الحافظ ابن حجر : " صدوق مقرب ، كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح " ( ٤ )

١١ - سويد بن سعيد المتوفى سنة ( ٢٤٠ ) :

قال الذهبى فى ترجمته : " وقال محمد بن يحيى السوسى الخزار : سألت يحيى بن معين عن سويد بن سعيد ، فقال : ما حدثك فاكتب عنه ، وما حدث به تلقينا فلا " أى أنه كان يقبل التلقين .

وقال البخارى : كان قد عمى ، فتلقن مالىس من حديثه .

وقال الحاكم أبو أحمد : عمى فى آخر عمره ، فربما لُقِّن مالىس من حديثه . فمن سمع منه وهو بصير فحديثه عنه أحسن " ( ٥ )

قال الحافظ ابن حجر : " صدوق فى نفسه الا أنه عمى فصار يتلقن مالىس من حديثه فأنحرف فيه ابن معين القول " ( ٦ )

( ١ ) التقريب ص ١٠٢ ( ٣٨١ ) .

( ٢ ) سير ١١ / ٤٢٤ .

( ٣ ) سير ١١ / ١٣٧ .

( ٤ ) التقريب ص ٥٧٣ ( ٧٣٠٣ ) .

( ٥ ) سير ١١ / ٤١٢ - ٤١٣ .

( ٦ ) التقريب ص ٢٦٠ ( ٢٦٩٠ ) .

١٢ - الإمام الحافظ أبو عمير ابن النحاس ، عيسى بن محمد بن اسماعيل الرَّمْلِي :  
قال الحافظ الذهبي : " قال ابن وهب الدينوري : لقنت أبا عمير بن النحاس أربعين  
حديثاً من حديثه ، فلما بلغت أحداً وأربعين حديثاً . قال : أما تستحي ؟ أتحشمــــنــــي  
أن أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس واحد أكثر من أربعين شهادة ؟ " ( ١ )  
وقال الحافظ ابن حجر : " ثقة ، فاضل " ( ٢ )

١٣ - سفيان بن وكيع بن الجراح :  
قال الحافظ الذهبي : " كان من أوعية العلم على لين لحيته . قال البخاري : يتكلمون  
فيه لأشياء لقنوه إياها . وقال ابن أبي حاتم : أشار عليه أبي أن يغيّر وُراقه ، فإنه أفسد  
حديثه . وقال له : لا تحدّث إلا من أصولك . فقال : سأفعل ، ثم تعادى ، وحدّث بأحاديثك  
أدّخلت عليه .

وقال أبو حاتم بن حبان : كان سفيان بن وكيع شيخاً فاضلاً صدوقاً ، إلا أنه ابتلى بوراق  
سوء ، كان يدخل عليه الحديث ، وكان يثق به ، فيجيب فيما يقرأ عليه ، وقيل له بعسد  
ذلك في أشياء منها ، فلم يرجع ، فمن أجل إصراره استحق الترك " ( ٣ )  
قال الحافظ ابن حجر : " سفيان بن وكيع بن الجراح ، كان صدوقاً إلا أنه ابتلى بوراقه ،  
فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه " ( ٤ )

١٤ - يحيى بن عثمان بن سعيد الحمصي :  
قال الحافظ الذهبي : " قال ابن عدي : هو وأخوه عمرو وأبوهما عثمان بن سعيد لا  
بأس بهم ، لم أر من يظعن في يحيى غير أبي عروبة ، سمعته يقول : كان يحيى لا يســــوــــى  
نواة في الحديث . وكان يتلقن كل شيء . قال : وكان يعرف بالصدق " ( ٥ )

( ١ ) سير ١٢ / ٥٣ -

( ٢ ) التقريب ص ٤٤٠ ( ٥٣٢١ ) .

( ٣ ) سير ١٢ / ١٥٢ - ١٥٣ .

( ٤ ) التقريب ص ٢٤٥ ( ٢٤٥٦ ) .

( ٥ ) سير ١٢ / ٣٠٧ .

قال الحافظ ابن حجر: " صدوق عابد " ( ١ )

١٥ - حجاج بن نصير الفساطيطي القيسي ، أبو محمد البصري :

قال الحافظ في " التقريب " : ضعيف كان يقبل التلقين . ( ٢ )

وقد اعتبر أئمة النقد تلقينَ الشيوخ وأدخال الكلام في أحاديثهم إسناداً أو متناً مما يوجب الجرح لفاعله .

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الإمام الحافظ سُنيْد بن داود المِصِّيْصِي : " ضَعْفٌ مع إمامته ومعرفته ، لكونه كان يلقِّن حجاج بنَ محمد شيخه " ( ٣ )

وشيخُه هو حجاج بن محمد المِصِّيْصِي الأعور ، ثقة ثبت ، لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد ( ٤ )

( ١ ) التقريب ص ٥٩٤ ( ٧٦٠٤ ) .

( ٢ ) التقريب ص ١٥٣ ( ١١٣٩ ) .

( ٣ ) التقريب ص ٢٥٧ ( ٢٦٤٦ ) .

( ٤ ) التقريب ص ١٥٣ ( ١١٣٥ ) ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٤٩ .

## المبحث السابع سُرقة الحديث وأثرها في الجرح

عرّف الإمام الذهبي سرقة الحديث، وذكر في كتابه "سير أعلام النبلاء" عددا من الرواة الذين نسبوا إلى سرقة الحديث وتركيب الاسانيد على المتن .

وقال في تعريف سرقة الحديث: " أن يتلفظ - المحدث - أحاديث ، ويدعي روايتها - فيرويها على وجه التدليس ، ويوهم أنه سمعها ، وهذا قد دخل فيه طائفة ، وهو أخف من افتراء المتن (١) "

وقال أيضا في ترجمة محمد بن حميد بن خيمان : " وقال أبو أحمد العسال : سمعت فضلك يقول : دخلت على ابن حميد وهو يركب الاسانيد على المتن .

قلت : آفته هذا الفعل ، والا فما أعتقد أنه يضع متنا ، وهذا معنى قولهم : فلان يسرق الحديث (٢) "

وقال أيضا في ترجمة أبي على الهوازى : " قال أبو بكر الخطيب : الهوازى كذاب في القراءات والحديث جميعا .

قلت : يريد تركيب الاسناد ، وادعاء اللقاء ، أما وضع حروف أو متون فحاشا وكلا ، ما أجوز ذلك عليه (٣) "

فمن استعراض هذه الأقوال النقدية للإمام الذهبي نتعرف إلى مدلول هذه الكلمة التي يطلقها أئمة الجرح والتعديل على بعض الرواة بقولهم : " يسرق الحديث " فهي تركيب أسانيد لمتون وادعاء اللقاء والرواية على وجه يوهم السماع .

( ١ ) سير ٥٣٧/١٠ ولفظ " المحدث " زيادة مني للايضاح . وقال السخاوى في فتمسح المفيت ٣٧٢/١ : فلان يسرق الحديث فإنها - كما قال الذهبي - أهون من وضعه واختلاقه في الإثم "

( ٢ ) سير ٥٠٤/١١

( ٣ ) سير ٨/١٨

( ١ )

وهو على ما فيه من تدليس وكذب أخف من افتراء المتون .

وقد عرّف الحافظ السخاوي " سرقة الحديث " في كتابه " فتح المغيـث " فقال : " سرقة الحديث أن يكون محدث ينفرد بحديث ، فيجسّ السارق ويدعي أنه سمعه أيضاً من شيخ ذلك المحدث ، أو يكون الحديث عرف برأيه ، فيضيفه لراويه غيره ممن شاركه في طبقة . قال الامام الذهبي : وليس كذلك من يسرق الاجزاء والكتب ، فانها أنحس بكثير ( ٢ ) . وقد جعل الحافظ السخاوي ، قول أئمة الجرح والتعديل في الراوي أنه " يسرق " — الحديث " من المرتبة الثالثة من مراتب الجرح الستة ، وأدرج معها : متهم بالكذب أو الوضع ، أو ساقط ، أو متروك ، أو هالك ( ٣ ) . . .

وجعل الحافظ السخاوي تركيب الاسانيد على المتون من انواع الوضع السندی .

فقال عند الكلام عن حديث : " حبّ الدنيا رأس كل خطيئة ( ٤ ) " : ولابد ليل للحكم عليه

( ١ ) وإنما يدفعهم الى ذلك الشره وحب الإكثار من الشيخ والرواية . ومن ذلك ما ذكره الذهبي في سيره ١٢ / ١٤٧ في ترجمة بندار : وقال ابن سيار : سمعت ابا موسى وكان قد صنف حديث داود بن أبي هند ، ولم يكن بندار صنفه ، فسمعت ابا موسى — يقول : منا قوم لو قد روا أن يسرقوا حديث داود ، لسرقوه يعني : بندار " وهذه الكلمة صدرت على سبيل التنافس وتصوير شغف المحدثين بالإكثار من الطرق والروايات وحاشا لبنداراً أن يكون ممن يسرق الحديث .

( ٢ ) فتح المغيـث ص ٣٧٢ طبعة الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي .

( ٣ ) انظر : مراتب ألقاظ التعديل والجرح في فتح المغيـث ص ٣٦٢ - ٣٧٨ من طبعة الأعظمي .

( ٤ ) قال السخاوي في " فتح المغيـث " ص ٢٦٢ : رواه البهيقى في الزهد ، وأبو نعيم في ترجمة الثوري من " الحلية " من قول عيسى بن مريم عليه السلام ، وجزم ابن تيمية بانه من قول جندب البجلي رضى الله عنه ، وأورده ابن ابى الدنيا في " مكائد الشيطان " له من قول مالك بن دينار ، وابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود النجيبى من " تاريخ مصر " له من قول سعد هذا . ولكن قد أخرجه البهيقى أيضاً في " الشعب " بسند حسن الى الحسن البصرى رفعه رسلاً ، وأورد الديلمي في الفردوس وتبعولده بسلا . إسناد له عن على بن أبى طالب رفعه أيضاً . وانظر : المقاصد الحسنة ( ٣٨٤ ) وتخريج أحاديث الأحياء للمعراقى ٣ / ٢٠٢ ، ٤١٣ ، وفيض القدير ٣ / ٣٦٩ . \* ورواه في " ذم الدنيا " ( ٩ ) عن الحسن رسلاً .

بالوضع . . . اللهم الا أن يكون سنده مما ركب، فقد ركب أسانيد مقبولة لمتون ضعيفة أو متوهمة فيكون من أمثلة الوضع السندى (١)

ومن الرواة الذين ذكر الحافظ الذهبي في تراجمهم نسبتهم الى "سرقه الحديث :

١ - ايوب بن سويد الرطبي ، المتوفى سنة ( ٢٠٢ ) :

" روى عباس عن يحيى : ليس بشئ " يسرق الحديث (٢)

٢ - يحيى بن عبد الحميد الحمانى المتوفى سنة ( ٢٢٨ ) :

" قال أحمد : ما كان أجراه : قال : ما زلنا نعرفه أنه يسرق الاحاديث أو يلقطها أو يلقطها .

وقال : قد طلب وسمع، ولو اقتصر على ما سمع لكان له فيه كفاية (٣)

" أحمد بن سعيد المروزي ، عن أبيه : سمعت عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى

( الدارنى ) يقول : قدمت الكوفة فنزلت بالقرب من ابن الحمانى ، فذاكرته بأحاديث

سمعتها بالبصرة ، ومن أحاديث سليمان بن بلال ، وكان يستغربها ، ويقول : ما سمعت

هذا من سليمان ، ثم أودعته كتيبى ، وختمت عليها ، فلما رجعت ، وجدت الخواتيم قد كسرت

فقلت : ما شأن هذه الكتب ؟ قال : ما أدري . وجدت تلك الاحاديث التى ذاكرته بها

عن سليمان ، قد أدخلها فى مصنفاته . فقلت : سمعت من سليمان بن بلال ؟ قال : نعم (٤)

" وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال : أودعته كتيبى يحيى الحمانى ، وكان فيها

حديث خالد الواسطى عن عمرو بن عون وفيها حديث سليمان بن بلال عن يحيى بن حسان

وكنيت قد سمعت منه - أى الحمانى - المسند ، ولم يكن فيه من حديثيها - أى حديث سليمان

وخالد - شئ " فقدمت فإذا كتيبى على خلاف ما تركتها عنده ، وإذا قد نسخ حديث خالد

وسليمان ، ووضعه فى المسند (٥)

( ١ ) فتح المغيث ص ٦٦٢ .

( ٢ ) سير ٤٣١ / ٩ وانظر : تاريخ يحيى بن معين ص ٤٩ .

( ٣ ) سير ٥٣٠ / ١٠ .

( ٤ ) سير ٥٣٣ / ١٠ .

( ٥ ) سير ٥٣٤ / ١٠ .

قلت : لا ريب أنه كان مُبَرَّرًا في الحفظ، كما كان سليمان الشَّاذَّكُونِي ، ولكنه أصون من الشاذكوني ، ولم يقل أحد قط : انه وضع حديثا ، بل ربما كان يتلقط أحاديث ، ويدعس روايتها ، فيرويهها على وجه التدليس ، ويوهم انه سمعها ، وهذا قد دخل فيه طائفة وهو أخف من افتراء المتون ( ١ )

٣ - محمد بن حُمَيْد بن حَيَّان ، أبو عبد الله الرازي المتوفى سنة ( ٢٤٨ ) :

قال الحافظ الذهبي : " وهو مع إمامته منكر الحديث ، صاحب عجائب .

قال أبو أحمد العسالي : سمعت فضلك يقول : دخلت على ابن حميد وهو يركب

الاسانيد على المتون .

قلت : آفته هذا الفعل ، والا فما اعتقد أنه ينفع متنا ، وهذا معنى قولهم : " فمن

سرق الحديث ( ٢ )

٤ - يحيى بن أكرم المتوفى سنة ( ٢٤٢ ) :

" وقال علي بن الجنيد : يسرق الحديث . وقال صالح جزرة : حدث عن ابن

إدريس بأحاديث لم يسمعها " ( ٣ )

٥ - أبو حذافة ، أحمد بن إسماعيل بن محمد الشَّهْبِي القرشي المتوفى سنة ( ٢٥٩ ) :

" قلت : متنا نقموا عليه روايته عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعا : " أفطر

الحاجم "

وهذا المستند حديث : " قضى باليمين والشاهد "

فهذا إسناد مركب ، ولم يأت أبو حذافة بمتن باطل ( ٤ )

٦ - أبو هشام ، محمد بن يزيد الرفاعي ، قاضي بغداد المتوفى سنة ( ٢٤٨ ) :

" قال ابن عُقْدَة : حدثنا مطين عن محمد بن عبد الله بن نعيم أن أبا هشام كان

يسرق الحديث ( ٥ )

( ١ ) سير ٥٣٧/١٠

( ٢ ) سير ٥٠٤/١١

( ٣ ) سير ٩/١٢

( ٤ ) سير ٢٦/١٢

( ٥ ) سير ١٥٤/١٢

٩٨٧ - سويد بن سعيد ، عبد الوهاب بن الضحاك القُرَضي ، والنَّضْر بن طاهر :

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن وهب " بحشل " ابن أخى عبد الله بن وهب :  
 " ابن عدى : حدثنا عيسى بن أحمد ، حدثنا أبو عبيد الله ( هو أحمد بن عبد الرحمن ) ،  
 حدثنا ابن وهب ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير ،  
 عن أبيه ، عن عوف بن مالك ، عن النبی صلى الله عليه وسلم : " يكون فى آخر الزمان قوم يحلون  
 الحرام ويحرمون الحلال ، ويقيسون الامور برأيهم " .

فهذا انما يعرف بنميم بن حماد عن عيسى . وسرقه منه سويد ، وعبد الوهاب المراضى ،  
 والحكم بن المبارك الخاشي ، أنكره على أبي عبيد الله عن عمه . ( ١ )

وقال ابن عدى فى حديث سويد : " انما يعرف هذا بنميم ، وتكلم الناس فيه من أجله ، ثم  
 رواه رجل خراسانى يقال له الحكم بن المبارك أبو صالح ( الخاشي ) \* ، ويقال : انه لا بأس به ، ثم  
 سرقه قوم ضعفاء يعرفون بسرقة الحديث ، منهم عبد الوهاب بن الضحاك ، والنضر بن طاهر ،  
 وثالثهم سويد ( ٢ )

١ - عبد الله بن محمد بن وهب الدينورى المتوفى سنة ( ٣٠٨ ) :

" قال الدارقطنى : متروك الحديث . وقال السلى : سألت الدارقطنى عنه ، فقال :  
 كان يضع الحديث .

قلت : ما عرفت له متناً يُتَّهم به ، فأذكره ، أما فى تركيب الإسناد فلمله " ( ٣ )

١١ - أبو على ، الحسن بن على الأهوازى المتوفى سنة ( ٤٤٦ ) :

" قال عبد الله بن أحمد السمرقندى : قال لنا أبو بكر الخطيب : أبو علي الأهوازى  
 كذاب فى القراءات والحديث جميعاً .

( ١ ) سير ٣٢٠ / ١٢ ، وأورد الذهبى هذا الحديث فى ترجمة نعيم بن حماد ٦٠٠ / ١٠ وقال

" قال أبوزرعة : وقلت لابن معين فى حديث نعيم هذا ، فأنكره . قلت : من أين يؤتى ؟

قال : شُبَّه له . وقال الذهبى أيضاً : ٦٠١ / ١٠ نقلًا عن الخطيب البغدادى : فأما حديث

ابن وهب ، فبليته من ابن أخيه ، لأنَّ الله رفعه عن أدعاء مثل هذا .

( ٢ ) سير ٦٠١ / ١٠ ( ٣ ) سير ٤٠١ / ١٤

\* فى الأصل المطبوع من السير : ( الخواسنى ) والصواب : الخاشى بمعجمتين ثم مثناة ،

وخاشيت بكسر الشين من محال بلخ . وانظر التقريب ( ١٤٥٨ ) .

قلت: يريد تركيب الاسناد ، وادعاء اللقاء ، أما وضع حروف أو متون فحاشا وكلا ، ما أجوز ذلك عليه . ( ١ )

وقد نسب بعض الأئمة الى " سرقة الحديث " ، ولكن تلك النسبة لم تثبت عليهم ومن هؤلاء :

\* محمد بن محمد بن سليمان الباغندي محدث العراق : " قال حمزة السهمي : سألت أبا الحسن الدارقطني عنه ، فقال : كثير التدليس ، يحدث بما لا يسمع ، وربما سرق . قال الخطيب : لم يثبت من أمر الباغندي ما يعاب به سوى التدليس ، ورأيت كافّة شيوخنا يحتجون به ، ويخرجونه في الصحيح " ( ٢ )

\* أبو القاسم البغوي ، عبدالله بن محمد بن عبد العزيز ، الامام الحجة المعمر : " قال أحمد بن علي السليمان الحافظ : البغوي يتهم بسرقة الحديث .

قلت : هذا القول مردود ، وما يتهم أبا القاسم أحد يدري ما يقول ، بل هو ثقة مطلقاً ( ٣ ) وكان الأئمة النقاد يشتد غضبهم على من تعمّد سرقة الحديث وتركيب الاسانيد للمتون ، ومن ذلك ما ذكره الذهبي في ترجمة الامام أبي بكر أحمد بن اسحاق النيسابوري الصّفي المتوفى سنة ( ٣٤٢ ) : وقال أبو بكر بن اسحاق : خرجنا من مجلس ابراهيم الحري ، ومعنا رجل كثير المجون ، فرأى أمره ، فتقدم . فقال السلام عليك ، وصافحه ، وقبل عيّنه وخدّه ، ثم قال : حدثنا الدّبري بصنعاء بإسناده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه " . فقلت له : ألا تستحي تلوط وتكذب في الحديث ؟ يعني أنه ركب إسناده للمتّن " ( ٤ )

( ١ ) سير ١٨ / ١٨ .

( ٢ ) سير ٣٨٧ / ١٤ .

( ٣ ) سير ٤٥٥ / ١٤ .

( ٤ ) سير ٤٨٧ / ١٥ . متن الحديث صحيح ، فقد أخرجه الإمام أحمد ١٣٠ / ٤ ، والبخاري في الأرب المفرد ( ٥٤٢ ) ، وأبو داود ( ٥١٢٤ ) ، والترمذي ( ٢٣٩٣ ) ، والحاكم ١٧١ / ٤ . من حديث المقدم بن معدى كرب . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني حديث ( ٤١٧ ) .

## المبحث الثامن أخذ الأجرة على الحديث وأثره في المخرج

اختلف العلماء في هذه المسألة على مذهبين ، وكان لاختلافهم هذا أثره في الحكم على بعض الرواة .

المذهب الأول : أن من أخذ على التحديث أجراً لا تقبل روايته :

وإليه ذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو حاتم الرازي ، وحماد ابن سلمة ، وسليمان بن حرب ، وغيرهم (١) .

ساق الخطيب البغدادي بسنده ، أن أحمد بن حنبل سئل : أ يكتب عن يبيع الحديث . قال : لا ، ولا كرامة .

وروى بسنده أيضاً عن سلمة بن شبيب أنه سأل إسحاق بن راهويه : عن المحدث يحدث بالأجر . قال : لا يكتب عنه .

وروى كذلك عن أبي حاتم الرازي ، وقد سئل عن يأخذ على الحديث . فقال : لا يكتب عنه (٢) .

ثم قال : " وإنما منعوا من ذلك تنزيهاً للراوي عن سوء الظن به ، لأن بعض من كان يأخذ الأجر على الرواية عثر على تزيفه وادعائه ما لم يسمع ، لأجل ما كان يُعطى ... " (٣) . وذكر الإمام الخطيب عدة مواقف لبعض الأئمة الذين امتنعوا عن أخذ الأجرة ، بل تورعوا عن قبول الهدية .

كما عَقَدَ الخطيب في " الجامع " باباً فيما ينبغي للمحدث أن يصون نفسه عنه من أخذ الأعواض على الحديث .

وساق بسنده إلى عمر بن الخطاب قوله : " يا أهل العلم والقرآن ، لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمناً ، فيسبقكم الدناة إلى الجنة " (٤) .

(١) ينظر : الكفاية ص ٢٤٠ - ٢٤٢ ، وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ١١٨ ، وفتح المغيث للسخاوي .

(٢) الكفاية ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) الكفاية ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/٣٥٦ - ٣٥٧ .

وقال الخطيب في آداب طالب الحديث : " وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى ثقل الأعراض ، وطريقاً لأخذ الأعواض فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه " (١) .

وذكر الحافظ الذهبي مواقف العلماء من هذه المسألة ، فمنهم من امتنع عن أخذ الأجرة بل تورع عن قبول الهدية .

ففي ترجمة الإمام الأوزاعي ، المتوفى سنة (١٥٧) : " عن سعيد بن سالم صاحب الأوزاعي : قدم أبو مرحوم من مكة على الأوزاعي ، فأهدى له طرائف ، فقال له : إن شئت قبلت منك ولم تسمع مني حرفاً ، وإن شئت فضمت هديتك واسمع " (٢) .

وفي ترجمة الإمام القدوة حماد بن سلمة البصري المتوفى سنة (١٦٧) : " قال إسحاق ابن الجراح : حدثنا محمد بن الحجاج ، قال : كان رجل يسمع معنا عند حماد بن سلمة فركب إلى الصين ، فلما رجع ، أهدى إلى حماد هدية ، فقال له حماد : إن قبلتها ، لم أحدثك بحديث ، وإن لم أقبلها أحدثك . قال : لا تقبلها ، وحدثني " (٣) .

ومن العلماء الذين امتنعوا عن أخذ الأجرة على الرواية والتحديث على الرغم من حاجتهم وضيق معيشتهم ، الإمام أبو الفنائم ، محمد بن علي ابن الدجاجي البغدادى ، المتوفى سنة (٤٦٣) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال السمعاني : قرأت بخط هبة الله السقطي أن الدجاجي كان ذا جاهٍ وتقدم وحال واسعة ، وعهدي به وقد أحنى عليه الزمان ، وقصدته فـ في جماعة مُثْرين لنسب منه وهو مريض ، فدخلنا عليه وهو على بارية ، وعليه جبة قد حرقت النار فيها ، وليس عنده ما يساوي درهماً ، فحمل على نفسه حتى قرأنا عليه بحسب شره أهل الحديث . فلما خرجنا ، قلت : هل معكم ما نصره إلى الشيخ ؟ فاجتمع له خمسة مثاقيل ، فدعوت بنته ، وأعطيتها ، ووقفت لأرى تسليمها له ، فلما أعطته ، لطم خُرَّ وجهه ، ونادى : وافضحناه : آخذ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضاً ؟ لا والله . ونهض حافياً إليّ وبكى ، فأعدت الذهاب إليهم فتصدقوا به " (٤) .

(١) الجامع ٨٣/١ وينظر الحديث والآثار التي ساقها .

(٢) سير اعلام النبلاء ١٣٢/٧ ، وانظر : الجامع للخطيب البغدادى ٣٥٦/١ .

(٣) سير اعلام النبلاء ٤٤٩/٧ . (٤) سير ٢٦٤/١٨ ، وانظر فتح المغيب ٣٢٢/١ .

وفي ترجمة الإمام أبي الفتح ، عبد الملك بن عبد الله الكروخي المتوفى سنة (٥٤٨) :  
 " قال السمعاني : وكنت أقرأ عليه ، فعرض ، فنقذ له بعض السامعين شيئاً من الذهب  
 فما قبله . وقال : بعد السبعين واقترب الأجل ، آخذ على حديث رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم شيئاً ، ورثته مع الاحتياج إليه " (١) .

### المذهب الثاني : قبول رواية من أخذ على التحديث أجراً :

لأن المحدث قد يكون فقيراً وله عيال تجب عليه نفقتهم ، وانقطاعه للتحديث يؤدي إلى  
 ترك الكسب لهم .

وممن ذهب إلى هذا القول : أبو نعيم الفضل بن دكين ، وعفان بن مسلم ، وعلي بن  
 عبد العزيز البغوي ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة ، وطاووس ، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي ،  
 وهشام بن عمار ، وغيرهم (٢) .

قال الذهبي : " هذا - أي أخذ الأجرة على التحديث - متوجّه في حق متسبّب يفوته الكسب  
 والاحتراف ، لتعوقه بالرواية .

ثم قال : " فإن كان الشيخ عسيراً ثقيلاً لا شغل له ، وهو غني فلا يُعطى شيئاً " (٣) .  
 وأسوق الآن أسماء من وقفت عليه من العلماء ممن أخذ أجراً على التحديث :

#### ١- الإمام أبو نعيم الفضل بن دكين :

قال الذهبي في ترجمته : " قال بشر بن عبد الواحد : رأيت أبا نعيم في المنام ،  
 فقلت : ما فعل الله بك . - يعني فيما كان يأخذ على الحديث - فقال : نظر القاضي  
 في أمري ، فوجدني ذا عيال فعفا عني .

قلت : ثبت عنه أنه كان يأخذ على الحديث شيئاً قليلاً لفقره .

قال علي بن خنّرم : سمعت أبا نعيم يقول : يلومونني على الأخذ ، وفي بيتي ثلاثة

(١) سير ٢٧٥/٢٠ .

(٢) انظر الكفاية ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وفتح المغيث ٣٢٢/١ - ٣٣٣ .

(٣) سير ٣٢٢/١٢ .

عشر نفساً ، وما في بيتي رغيف .

قلت : لاموه على الأخذ يعني من الإمام ، لا من الطلبة « (١) .

٢- الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المعروف ببطل المتوفى سنة (٢٦٤) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال خالد بن سعيد الأندلسي : سمعت سعيد بن عثمان الأعناقى : قَدِمْنَا مَصْرَ ، فوجدنا يونس أمره صعباً ، ووجدنا أحمد أسهل ، فجمعنا له دنانير ، وأعطيناه ، وقرأنا عليه "موطأ" عمه ، وجامعه . وسمعت ابن فطيم يقول : فصار في نفسي ، فأردت أن أسأل محمد بن عبد الله بن الحكم . فقلت : أصلحك الله ، العالم يأخذ على قراءة العلم . فشعر فيما ظهر لي أنني إنما سألته عن ابن أخي ابن وهب ، فقال لي : جاز ، عافاك الله ، حلال أن لا أقرأ لك ورقة إلا بدرهم ، ومن أخذني أن أقعد معك طول النهار ، وأدع ما يلزمني من أسبابي ونفقة عيالي؟ " .

قال الذهبي : " هذا الذي قاله ابن عبد الحكم متوجّه في حق متسبّب يفوته الكسب والاحتراف لتعوّقه بالرواية . كما قال علي بن بيان الرزاز (٢) الذي تفرّد بعلو جزء ابن عرفة ، فكان يطلب على تسميعه ديناراً : أنتم تطلبون مني العلو ، والا فاسمعوا الجزء من أصحابي ، ففي الدرب جماعة سمعوه مني .

فإن كان الشيخ عسيراً ثقیلاً لا شغل له ، وهو غنيٌّ ، فلا يُعطى شيئاً ، والله الموفق " (٣) .

٣- علي بن عبد العزيز ، أبو الحسن البغوي ، الإمام الحافظ الصدوق المتوفى سنة (٢٨٦) :

قال في ترجمته : " وقال أبو بكر بن الشَّيْبَانِي : سمعت النسائي يُسأل عن علي بن عبد العزيز ، فقال : قَبَّحَهُ اللَّهُ - ثلاثاً - . فقليل : أتروى عنه . قال : لا . فقليل : أكان كذاباً . قال : لا ، ولكن قوماً اجتمعوا ليقرؤوا عليه شيئاً ، وبُروه بما سئل ، وكان فيهم إنسانٌ غريب فقير لم يكن في جملة من برّه ، فأبى أن يحدث بحضرته ، فذكر الغريب

(١) سير ١٥٢/١٠ .

(٢) سيأتي ذكره بعد قليل ، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٥٨/٩ .

(٣) سير ٣٢٢/١٢ - ٣٣٣ ، وانظر فتح المغيث ٢٢٦/١ .

أنه ليس معه إلا قصعة ، فأمره بإحضارها ، وحدث .

ثم قال ابن السني : بلغني أنهم عابوه على الأخذ ، فقال : يا قوم أنا بين الأخشين إذا خرج الحاج نادى أبو قبيس قعيقان ، يقول : مَن بقي؟ فيقول : بقي المجاورون . فيقول : أطبق » (١) .

وقال الذهبي في ترجمته في الميزان : " ثقة ، لكنه يطلب على التحديث أجراً ، ويعتذر بأنه محتاج ، قال الدارقطني : ثقة مأمون " (٢) .

أقول : ترك النسائي الرواية عن علي بن عبد العزيز البغوي ، وهو أحد الحفاظ الكثيرين مع علو الإسناد ، لم يكن لأخذه الأجرة على التحديث فحسب ، وإنما كان لتعنته في الأخذ من ذلك الإنسان الغريب الفقير ، وامتناعه عن التحديث حتى جاءه بقصة يملكها ... والافالنسائي لا يمتنع عن الرواية متى أخذ أجراً على التحديث ولا يرى ذلك جرحاً .

قال الحافظ السخاوي في " بغية الراغب المتمني " : " ولما يقع من الراوي متناً يجرح به بعض الأئمة ، كروايته عن شيخه يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي الحافظ المتقن ، صاحب المسند ، حديث يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً : " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم " . ثم قال : كان يعقوب لا يحدث به إلا بدينار ، ثم أكثر التخريج له في كتابه فدل على أنه لا يرى ذلك جرحاً " (٣) .

٤- الإمام الحافظ الصدوق ، الحارث بن محمد بن أبي أسامة المتوفى سنة (٢٨٢) :

قال في ترجمته : " وقال محمد بن محمد بن مالك الإسكافي : سألت إبراهيم الحربي عن الحارث بن محمد ، وقلت إنه يأخذ الدراهم ، فقال : اسمع منه ، فإنه ثقة . قلت : لا بأس بالرجل ، وأحاديثه على الاستقامة ... وقد سمعنا جملةً من مسنده ،

(١) سير ٣٤٩/١٣ .

(٢) الميزان ١٤٣/٣ .

(٣) بغية الراغب المتمني بختم النسائي برواية ابن السلي ق ١٣ ، وحديث : " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم " رواه النسائي (٥٨) ، وقال عقبه : كان يعقوب لا يحدث بهذا الحديث إلا بدينار . وقد روى عن شيخه يعقوب في سننه (١١٠) حديثاً كما في فهرس شيخوخ النسائي ٢٥٥/٩ .

وَذَنْبُهُ أَخَذَهُ لِلرَّوَايَةِ ، فَلَعَلَّهُ - وَهُوَ الظَّاهِرُ - أَنَّهُ كَانَ مُحْتَاجًا ، فَلَا ضَيْرَ «(١)» .  
 وقال في الميزان : « تَكَلَّمَ فِيهِ بِلا حِجَّةٍ ، وَلَيْتَنِي بَعْضُ الْبَغَايِدَةِ لَكُونَهُ يَأْخُذُ عَلَى الرَّوَايَةِ »(٢)  
 ٥- الشَّيْخُ الْمُحَدِّثُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ ، أَبُو شُعَيْبٍ الْحَرَّانِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٢٩٥) :  
 قَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ : « قَالَ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ : كَانَ يَأْخُذُ عَلَى الْحَدِيثِ ، أَخْبَرَنِي نَصْرُ الْمَائِغِ ،  
 قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا شُعَيْبٍ أَنْ يَحْدِّثَنِي بِحَدِيثٍ عَنْ عَفَّانَ ، فَقَالَ : أُعْطِيَ السَّقَاءَ ثَمَنَ الرَّوَايَةِ ،  
 فَأَعْطَيْتَهُ نَانِقًا ، وَحَدَّثَنِي بِالْحَدِيثِ »(٣) .

٦- الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٢٤٥) :  
 قَالَ الْذَّهَبِيُّ فِي تَرْجُمَةِ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَلَقِّ بِجَزْرَةِ : « قَالَ أَبُو أَحْمَدَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ :  
 سَمِعْتُ صَالِحَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : كَانَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ يَأْخُذُ عَلَى الْحَدِيثِ ، وَلَا يَحْدِّثُ مَا لَمْ يَأْخُذْ  
 فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ! حَدِّثْنِي . فَقُلْتُ : حَدَّثْنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، حَدَّثَنَا  
 أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ : « عَلَّمَ مَجَانًّا كَمَا عَلَّمَتْ  
 مَجَانًّا » . فَقَالَ : تُعَرِّضُ بِي . فَقُلْتُ : لَا ، بَلْ قَصَدْتُكَ »(٤) .  
 وقال في ترجمة هشام بن عمار في الميزان : « قال صالح جزرة : كان يأخذ الدراهم  
 على الرواية »(٥) .

٧- الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ الْفَسَوِيُّ ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٣٠٣) :  
 قَالَ الْذَّهَبِيُّ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي يَعْلَى الْمُوصَلِيِّ : « وَقَدْ بَلَغْنَا عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ حَمْدَانَ : أَنَّهُ  
 كَانَ يَفْضُلُ أَبَا يَعْلَى الْمُوصَلِيَّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ سَفْيَانَ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَفْضُلُهُ ، وَ«سَدَّ الْحَسَنُ»  
 أَكْبَرَ ، وَشَيْوْخُهُ أَعْلَى . قَالَ : لِأَنَّ أَبَا يَعْلَى كَانَ يَحْدِّثُ احْتِسَابًا ، وَالْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ كَانَ  
 يَحْدِّثُ اكْتِسَابًا .

- 
- (١) سِير ٣٩٠/١٣ وانظر فيه الأبيات التي قالها فيه الأخباري خلف بن العزبان .  
 (٢) الميزان ٤٤٢/١ .  
 (٣) سِير ٥٣٧/١٣ .  
 (٤) سِير ٢٨/١٤ .  
 (٥) الميزان ٣٠٢/٤ .

وقال ابن عدى : ما سمعت "مسنداً" على الوجه ، إلا "مسند أبي يعلى" لأنه كان يحدث لله عز وجل " (١) .

٨- الإمام المحدث المسند أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن لؤلؤ البغدادي الوراق المتوفى سنة (٣٧٧) :

قال الذهبي في ترجمته : " قال البرقاني : كان ابن لؤلؤ يأخذ على التحديث دنانير قال : وكانت حاله حسنة من الدنيا " (٢) .

٩- الإمام الحافظ الدارقطني المتوفى سنة (٣٨٥) :

قال في ترجمته : " قال أبو الحسن العتيقي : حضرت أبا الحسن ، وجاءه أبو الحسين البيضاوي بغريب ليقرأ له شيئاً فامتنع ، واعتل ببعض العلل . فقال : هذا غريب وسأله أن يعلى عليه أحاديث ، فأملئ عليه أبو الحسن من حفظه مجلساً تزيد أحاديثه على العشرين ، متن جميعها : " نِعَم الشيء الهدية أمام الحاجة " (٣) .

قال : فانصرفت الرجل ، ثم جاءه بعد ، وقد أهدى له شيئاً ، فقربه وأملئ عليه من حفظه سبعة عشر حديثاً ، متون جميعها : " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا " (٤) .

قلت : هذه حكاية صحيحة ، رواها الخطيب عن العتيقي ، وهي دالة على سعة حفظ هذا الإمام ، وعلى أنه لوح بطلب شيء ، وهذا مذهب لبعض العلماء ، ولعل الدارقطني كان إذ ذاك محتاجاً ، وكان يقبل جوائز دُعَلَج السجزي وطائفة ، وكذا وصله الوزير ابن جنزابة بجملة من الذهب لما خرج له المسند " (٥) .

(١) سير ١٧٨/١٤ ، وانظر أيضاً قول أبي بكر بن شاذويه النيسابوري المتوفى سنة (٣٨٠) : ما سمعنا مسند الحسن بن سفيان إلا حين قدم به والده ، فوزن للحسن مئة دينار ، فسمعنا منه " السير ٤٠٣/١٦ .

(٢) سير ٣٢٢/١٦ .

(٣) أخرجه الطبراني ٢٩٤/١ من طريق يحيى بن سعيد العطار ، قال ابن حبان فيه : يروى الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الاحتجاج به ، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٧٥/٢ وفيه عثمان بن عبد الرحمن ، قال ابن معين : كان يكذب . وأخرجه الخطيب ١٦٦/٨ وفيه عمرو بن خالد الأعمش ، وهو كذاب ، فالخبر باطل . كما في هامش السير ٤٥٦/١٦ .

(٤) حديث حسن ، رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر ١٢٣٣/٣ ، وروى من طريق جرير ، وأبى هريرة ، وأبي قتادة ، وجابر ، وابن عباس وانظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٢ ، ورواه الخطيب في الجامع (٧٩٨) من طريق جرير .

(٥) سير ٤٥٦/١٦ .

١٠- الإمام أبو الحسن علي بن منير المتوفى سنة (٤٣٩) :

قال في ترجمته : " قال سهل بن بشر : اجتمعنا بعصر ، فلم يأذن لنا علي بن منير ،  
وصاح عبدالعزیز في كونه : " مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمِ فَكْتَمِهِ أَلْجَمَ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ " (١) ففتح لنا ،  
وقال : لا أحدث إلا بذهب ، ولم يأخذ من الغرباء ، وكان ثقةً فقيراً " (٢) .

١١- الشيخ الجليل ، مسند العراق ، أبو الحسين ، أحمد بن محمد بن النقور البغدادی

المتوفى سنة (٤٢٠) :

قال في ترجمته : " وكان يأخذ على نسخة طالت بن عباد ديناراً . قال الحافظ ابن  
ناصر : إنما أخذ ذلك ، لأن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أفتاه بذلك ، لأن أصحاب الحديث  
كانوا يمنعونه من الكسب لعياله " (٣) .

١٢- الإمام رزق الله بن عبد الوهاب ، أبو محمد التميمي الحنبلي المتوفى سنة (٤٨٨) :

قال في ترجمته : " دخلت سمرقند ، وكان ملك شاه بها ، فرأيت أهلها يروون الناسخ  
والمسوخ لهبة الله المفترجدي ، بواسطة خمسة رجال إليه ، فقلت لهم : الكتاب معي ،  
ومصنفه جدّي لأمي ، وقد سمعته منه ، ولكن ما أسمع كل واحد إلا بمئة دينار ، فما كان  
الظهر حتى جاء تني خمس مئة دينار " (٤) .

١٣- الشيخ الجليل هبة الله بن عبد الرزاق ، أبو الحسن الأنصاري البغدادی المتوفى

سنة (٤٩١) :

قال في ترجمته : " قال أبو سعد السمعاني : سمعت بعض مشايخي يقول : إن الشريفة  
الله الأنصاري كان يأخذ على جزء الحَقَّار ديناراً صحيحاً " (٥) .

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب العلم ، باب كراهية منع العلم (٣٦٥٨) ، وأخرجه الترمذي في  
كتاب العلم (٢٦٥١) ، وابن ماجه في المقدمة ٩٦/١ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٢٦٣/١  
و ٣٠٥ و ٣٤٤ ، والخطيب في الجامع (٧١٨) عن ابن عباس .

(٢) سير ٦٢٠/١٢ .

(٣) سير ٣٣٣/١٨ ، وانظر مقدمة ابن الصلاح ص ١١٩ .

(٤) سير ٦١٣/١٨ .

(٥) سير ٤٥/١٩ .

- ١٤- أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز البغدادى المتوفى سنة (٥١٠):  
قال في ترجمته : " قال السمعاني : كان يأخذ على نسخة " ابن عرفة " ديناراً من كل  
واحد على ما سمعت ، أجاز لي ، وحدثني عنه جماعة كثيرة .  
سمعت أبا بكر محمد بن عبد الباقي يقول : كان أبو القاسم بن بيان يقول : أنتم ما  
تطلبون الحديث والعلم ، أنتم تطلبون العلو ، والاف في دربي جماعة سمعوه ثم فاسمعوه  
منهم ، ومن أراد العلو ، فلينز ديناراً .  
سمعت محمد بن عبد الله الطار بمرو يقول : ورنى الذى هب لابن بيان حتى سمعت منه  
جزء ابن عرفة ، وكذا ذكر لي محمد بن أبي العباس أنه أعطاه ديناراً وسمعه " (١) .
- ١٥- الشيخ المعمر أبو القاسم يحيى بن أسعد بن بوش البغدادى المتوفى سنة (٥٩٣):  
قال في ترجمته : " وكان يُعطى على الرواية لفقره في بعض الوقت " (٢) .
- ١٦- الشيخ المسند أبو الفتوح ، يوسف بن العبارك الخفاف المتوفى سنة (٦٠١):  
قال في ترجمته : " وكان أُمياً لا يكتب ٠٠٠ وكان يأخذ على الرواية " (٣) .
- ١٧- الواعظ أبو الفتح أحمد بن علي الغزنوي المتوفى سنة (٦١٨):  
قال في ترجمته : " قال ابن النجار : وكان يستمع بالأجرة " (٤) .
- ١٨- الشيخ عمر بن محمد البغدادى ، ويعرف بابن طبرزد المتوفى سنة (٦٠٧):  
قال في ترجمته : " قال ابن النجار : وكان يطلب الأجر على رواية الحديث ٠٠ وخلف  
ما جمعه من الطعام ولم يخرج منه حقاً لله عز وجل . قال عبد العزيز بن هلال : رأيت  
عمر بن طبرزد في النوم بعد موته وعليه ثوب أزرق ، فقلت له : سألتك بالله ما لقيت  
بعد موتك ؟ فقال : أنا في بيت من نار ، داخل بيت من نار ، فقلت : ولم ؟ قال : لأخذ  
الذهب على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سير ٢٥٨/١٩ .

(٢) سير ٢٤٤/٢١ .

(٣) سير ٤١٨/٢١ .

(٤) سير ١٠٤/٢٢ .

قلت : الظاهر أنه أخذ الذهب وكنزته ولم يزكه ، فهذا أشد من الأخذ ، فمن أخذ من الأمراء والكبار بلا سؤال وهو محتاج فهذا مفتقر له ، فإن أخذ بسؤال رخص له بقدر القوت ، وما زاد فلا . وَمَنْ سَأَلَ وَأَخَذَ فَوْقَ الْكِفَايَةِ ذُمَّ ، وَمَنْ سَأَلَ مَعَ الْغِنَى وَالْكَفَايَةِ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْأَخْذَ ، فَإِنْ أَخَذَ الْمَالَ وَالْحَالَةَ هَذِهِ وَكَنْزَهُ وَلَمْ يُوَدِّ حَقَّ اللَّهِ فَهُوَ مِنَ الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ ، فَاسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، وَكُنْ خَصَمًا لِرَبِّكَ عَلَى نَفْسِكَ (١) .

١٩- مسند خراسان ، رضي الدين الطوسي المتوفى سنة (٦١٧) :

قال في ترجمته : " قال عبد العزيز بن هلاله : رأيت كأن المؤيد الطوسي قد مات ودفناه ، فلما انصرف الناس وثقَّ القبر وخرج منه النار وهو ينادي : يا محب ما تبصر ما أنا فيه ؟ قلت : ولم يُفعل بك هذا ؟ قال : لأخذ الذهب على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

٢٠- المسند الكبير أبو يحيى زكريا بن علي ابن العلي المتوفى سنة (٦٣١) :

قال في ترجمته : " وقد كان يطلب على السماع أجراً ، ويصرح به ، فسمع عليه جماعة كتاب "الدارمي" وكتاب "ذم الكلام" ، وعند إنهائه ، قالوا : قد بقي منه شيء ، إلى غد ونعطيك ، ثم لم يعودوا إليه . فكان يشتمهم وينال منهم (٣) .

٢١- المعمر مسند العراق إبراهيم بن عثمان الكاشغري ثم البغدادى المتوفى سنة (٦٤٥) :

قال في ترجمته : " قلت : وقد عُمر ، وساء خلقه ، وبقي يحدث بالجرّة ، ويتعاسر (٤) .

٢٢- الشيخ المسند أبو القاسم ، عبد الله بن الحسين بن راحة الشامي المتوفى سنة (٦٤٦) :

قال في ترجمته : " وساعاته صحيحة ، وكان يطلب على الرواية .

حدثني إسحاق الصفار ، قال : بعث شيخنا ابن خليل إلى ابن راحة يعتب عليه فسي

أخذه على الرواية ، فاعتذر بأنه فقير (٥) .

(١) سير ٥١٢/٢١ .

(٢) سير ١٠٦/٢٢ - ١٠٧ .

(٣) سير ٣٦٠/٢٢ .

(٤) سير ١٥٠/٢٣ وانظر حكاية المحب معه .

(٥) سير ٢٦٢/٢٣ . واسحاق الصفار هو اسحاق بن ابراهيم بن هبة الله الحلبي الحنفي النحاس المتوفى سنة (٧١٠) ، انظر ترجمته في معجم الشيوخ للذهبي (١٧٢) .

وقال في ترجمة راوية الاسلام ، يوسف بن خليل الحلبي المتوفى سنة (٦٤٨) : " وكان أبو الحاج رحمه الله ينطوي على سنه وخير ، بلغني أنه أنكر على ابن رواحة أخذه على الرواية فاعتذر بالحاجة " (١).

x                      x                      x                      x

- ١- وقد كان بعض المحدثين يمتنع من الأخذ من الغرباء خاصة كما سبق بيانه عن الإمام أبي الحسن علي بن منير الخلال ، " ولم يأخذ من الغرباء " (٢).
- ٢- ومنهم من كان يقتصر في الأخذ من الأغنياء دون الفقراء ، كمسند الشام أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن صُرَيْ الدمشقي المتوفى سنة (٦٢٦) : " قال ابن الحاجب : ربما كان يأخذ من آحاد الأغنياء على التسميع " (٣).
- ٣- ومنهم من كان يمتنع عن الأخذ في الحديث خاصة ، كمسند بغداد الإمام محمد بن ناصر السَّلامِي المتوفى سنة (٥٥٠) : " قال ابن النجار : سمعت ابن سَكِينَةَ يقول : قلت لابن ناصر : أريد أن أقرأ عليك ديوان المتنبي ، وشرحه لأبي زكريا التبريزي . فقال : إنك تقرأ عليّ الحديث مجاناً ، وهذا شعر ، ونحن نحتاج إلى نفقة ، قال : فأعطاني أبي خمسة دنانير فدفعتها إليه وقرأت الكتاب " (٤).
- ٤- ومنهم من كان يأخذ وِرَاقَه أو ابنه الأجر دون علمه أو لا يقدر على منعهم ، كما وقع للإمام محمد بن يعقوب الأصب ، أبي العباس النيسابوري المتوفى سنة (٣٤٦) : " قال الحاكم : وكان حَسَنَ الخُلُق ، سَخِيَّ النفس ، وربما كان يحتاج الشيء لمعاشه ، فيـوَرِّق ويأكل من كسبيده ، وهذا الذي يعاب به ، من أنه كان يأخذ على الحديث ، كان يعيبه

(١) سير ١٥٤/٢٣

(٢) سير ٦٣٠/١٧

(٣) سير ٢٨٣/٢٢

(٤) سير ٢٦٩/٢٠

من لا يعرفه ، فإنه كان يكره ذلك أشد الكراهة ، ولا يناقش أحداً فيه ، وإنما كان ورّاقه وابنه يطلبان الناس بذلك ، فيكره هو ذلك ، ولا يقدر على مخالفتها « (١) .

وغالب العلماء الذين كانوا يأخذون على التحديث أجراً ممن سبق ذكرهم ، ما كانوا يأخذون إلا لحاجتهم وضيق معيشتهم ، ولأن أصحاب الحديث كانوا يمنعونهم من الكسب لعيالهم . مثل الإمام أبي نعيم الفضل بن دكين ، والإمام أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، وعلي بن عبد العزيز البغوي ، وابن النُّور البغدادى ، وابن بوش البغدادى ، وابن رواحة الشامي .

وقد قيّد الحافظ الذهبي جواز الأخذ والسؤال لمن كان محتاجاً بقوله : « فمن أخذ من الأمراء والكبار بلا سؤال وهو محتاج فهذا مغتفر له ، فإن أخذ بسؤال رخص له بقدر القوت وما زاد فلا .

ومن سأل وأخذ فوق الكفاية ذمٌ ، ومن سأل مع الغنى والكفاية حرم عليه الأخذ « (٢) . وكذلك قيّد السخاوي جواز ذلك : بأن يكون المأخوذ بقدر الحاجة من غير زيادة . (٣) . وقد تبيّن الحافظ ابن حجر إلى ضرورة نشر العلم والحديث وتحبيبه للناس ، وأن لا يكون أخذ الأجر سبباً في ترك الطلب وموت السنة . يقول : « ومن المهم هنا أن نقول : قد علم أن حرص الطلبة للعلم قد فتر لا بل قد بطل ، فينبغي للعلماء أن يحبّبوا إليهم العلم ، وإلا فإذا رأى طالب الأثر أن الإسناد يباع ، والغالب على الطلبة الفقر ، ترك الطلب ، فكان هذا سبباً لموت السنة ، ويدخل هؤلاء في معنى الذين يصتّون عن ذكر الله ، وقد رأينا من كان على مآثور السلف في نشر السنة ، بورك له في حياته وبعد مماته ، وأما من كان على السيرة التي ذكرناها لم يُبارك له على غزارة علمه « (٤) .

(١) سير ٤٥٦/١٥ .

(٢) سير ٥١٢/٢١ .

(٣) فتح المغيث ٣٢٦/١ .

(٤) نقله عن الحافظ ابن حجر تلميذه السخاوي في فتح المغيث ٣٢٧/١ .

والدليل على جواز اخذ الاجر على التحديث ما ذكره ابن الصلاح في مقدمته: " وذلك شبيه بأخذ الأجرة على تعليم القرآن ونحوه " (١).

وقال الحافظ السخاوي في فتح المغيث: " فالدليل لمطلق الجواز القياس على القرآن فقد جَوِّزَ اخذُ الأجر على تعليمه الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (٢) "أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله" (٣).

وقد توسّع السخاوي في بيان هذه المسألة ، وحاصل ما استقرّ عليه جواز أخذ الأجرة على التحديث ، إذا منع بسبب التحديث عن الكسب ، أو كان بحاجة ، أما إذا لم يكن كذلك بأن كان موسراً ، فإنه يكره منه هذا الأمر ، وتختلف درجات الكراهة حسب حاله ، فإن كان ثقةً في نفسه وحديثه فإنه لا يمتنع عن قبول روايته ولو أخذ أجرأ ، ولو كان موسراً والله اعلم " (٤).

وقد نبّه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد إلى أمر مهم في هذه المسألة حيث يقول: " وأحب أن أنبهك أن خلاف هؤلاء العلماء حاصل في أخذ المحدث العوض عن التحديث من تلاميذه الذين ينقطع هو لهم ، فأما أن يأخذ المحدث من بيت مال المسلمين ما يقوم بهاجاته وحاجات من تجب عليه نفقتهم جراء احتباسه لذلك ، فليس بموضوع خلاف بينهم " (٥).

x x x x

(١) علوم الحديث ص ١١٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب ، باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب (٥٣٧)

(٣) فتح المغيث ١/ ٣٢٦ .

(٤) انظر فتح المغيث ١/ ٣٢٢ .

(٥) حواشي توضيح الأفكار ٢/ ٢٥٣ .

## المبحث التاسع

### تفسير بعض أقوال أئمة الجرح والتعديل

تضمن كتاب "سير أعلام النبلاء" مادة غزيرة ونقولا وفيرة من كلام أئمة الجرح والتعديل، والمتتبع لأقوال الذهبي في كتابه يرى في طياتها تفسيراً وشرحاً لكثير من العبارات، أو بياناً وإيضاحاً لبعض المغلفات.

قال الحافظ الذهبي: "ثم نحن نفتقر إلى تحرير عبارات التعديل والجرح وما بين ذلك من العبارات المتجاذبة، ثم أهم من ذلك أن نعلم بالاستقراء التام عُرْف ذلك الإمام الجليل واصطلاحه ومقاصده بعباراته الكثيرة" (١).

وقد قمنا بجمع ما وقفت عليه من تفسيره وشرحه لكلام النقاد، وعَلَّقت في بعض المواضع ما يزيد شرحه وضوحاً وبياناً بذكر أمثلة أخرى، ونقل كلام الذهبي من كتبه الأخرى ومن كتب غيره من أئمة النقد.

المراد بقول أبي حاتم في الراوى "يكتب حديثه":

قال الذهبي في ترجمة محدث البصرة هشام بن حسان: "وقال أبو حاتم (٢): كان صدوقاً وكان يثبت في رفع الحديث عن ابن سيرين". وقال أيضاً: يكتب حديثه.

قلت: قد علمت بالاستقراء التام أن أبا حاتم الرازي إذا قال في رجل: يكتب حديثه أنه عنده ليس بحجة" (٣).

(١) الموقظة للذهبي ص ٨٢.

(٢) الجرح والتعديل ٥٤/٩.

(٣) سير ٣٦٠/٦. ومن الرواة الذين نقل الذهبي في تراجمهم قول أبي حاتم فيهم: "يكتب حديثه". محمد بن إسحاق ٤٧/٧، وحجاج بن أرطاة ٧٠/٧، وبقية بن الوليد ٥٢٢/٨، وأبو يوسف القاضي ٥٣٨/٨. وقال الحافظ الذهبي في "العيان" ١٩/٢ في ترجمة العباس بن الفضل: قال أبو حاتم: شيخ، فقله: هو شيخ، ليس هي عبارة جرح، ولهذا لم أذكر في كتابنا أحداً ممن قال فيه ذلك، ولكنها أيضاً ما هي بعبارة توثيق. وبالأستقراء يلوح لك أنه ليس بحجة، ومن ذلك قوله: "يكتب حديثه" أي ليس بحجة انتهى.

### إطلاق أبي حاتم وصف الجهالة على الرواة :

قال الحافظ الذهبي في ترجمة سفيان بن موسى البصري : " أورده ابن حبان في "الثقات" وروى له مسلم حديثاً . وسُئل أبو حاتم عنه ، فقال : مجهول . يعني مجهول الحال عنده " (١) .

= وقال الذهبي أيضاً في الميزان ٢٤٥/٤ ، في ترجمة الوليد بن كثير المزني : روى له النسائي ووثق . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . مع أن قول أبي حاتم هذا ، ليس بصيغة ستوثق ، ولا هو بصيغة إهدار . انتهى . أي أن حديثه ليس ضعيفاً جناً ، بحيث لا يصلح للمتابعات والشواهد ، بل يكتب حديثه لصلاحه لذلك .  
وقد انتقد الحافظ ابن تيمية قوله أبي حاتم في بعض الرواة : " يكتب حديثه ولا يحتج به " وجعلها من تعدده وتعنته في التعديل ، قال في مجموع الفتاوى ٢٤٩/٢٤ ، ٣٥٠ : " قول أبي حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به " ، أبو حاتم يقول مثل هذا في كثير من رجال الصحيحين ، وذلك أن شرطه في التعديل صعب .. " انتهى .  
(١) سير ٣٥١/٨ . وأزيد هذا المعنى إيضاحاً بما يلي : قال الذهبي في ترجمة محمد بن يحيى الذهلي في السير ٢٨١/١٢ : " قال محمد بن يحيى الذهلي : إذا روى عن المحدث رجلاً ارتفع عنه اسم الجهالة " .

قال السخاوي في فتح المغني ٢٩٦/١ : " قول أبي حاتم في الرجل أنه (مجهول) لا يريد به أنه لم يرو عنه سوى واحد ، بدليل أنه قال في داود بن يزيد الثقفي - كما في الجرح والتعديل ٤٢٨٣ - : مجهول ، مع أنه قد روى عنه جماعة ، ولذا قال الذهبي عقبه هذا القول يوضح لك أن الرجل قد يكون مجهولاً عند أبي حاتم ، ولو روى عنه جماعة ثقات يعني أنه مجهول الحال . وقد قال في ترجمة عبد الرحيم بن كردم - كما في الجرح والتعديل ٣٣٩/٥ - بغداد أن عرفه برواية جماعة عنه : أنه مجهول ، ونحوه قوله في زياد بن جارية التميمي الدمشقي - كما في الجرح والتعديل ٥٢٧/٣ - مع أنه قيسل في زياد هذا أنه صحابي " انتهى .

وقال الذهبي في المغني (٥٩٦٨) في ترجمة محمد بن مروان بن الحكم : " أخو عبد الملك ، روى عنه الزمري ، مجهول . أي مجهول العدالة لا الذات ، وكذا يقول أبو حاتم في غير واحد ، وانما يريد جهالة حاله " انتهى .

وقد انتقد الذهبي أبا حاتم في إطلاقه الجهالة على الرواة الذين روى عنهم أكثر من واحد ووثقوا ، في مواضع من كتابه (الميزان) ، والذهبي لا ينكر جهالة من روى عنه جماعة ، ولم يوثق ، لكنه يقيد بها بجهالة الحال ، كما في ترجمة سفيان بن موسى

المراد بقولهم : ما أحسن حديثه :

قال الذهبي في ترجمة الإمام عبد الرزاق الصنعاني : " قال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل : رأيت أحسن حديثاً من عبد الرزاق . قال : لا .  
قال كاتبه : ما أنري ما عنى أحمد بحسن حديثه ، هل هو جودة الإسناد ، أو المتن ، أو غير ذلك " (١) .

وقال في ترجمة الإمام الناقد أبي الفضل عباس الدوري : " قال الأصم : لَمْ أَرَ في مشايخي أحسن حديثاً منه . قلت : يحتمل أنه أراد بحسن الحديث الإتقان ، أو أنه يتبع المتن المليحة فيرويه ، أو أنه أراد علو الإسناد ، أو نظافة الإسناد ، وتركه رواية الشاذ والمنكر والمنسوخ ، ونحو ذلك . فهذه أمور تقضي للمحدث إذا لازمها أن يقال : ما أحسن حديثه " (٢) .

= البصري المذكور أعلاه . أما إذا أطلقت الجهالة بدون تقييد فتقتضي جهالة المين .  
ومن المواطن التي انتقد الذهبي فيها صنيع أبي حاتم الرازي ما ذكره في ترجمة العباس بن الحسين البصري ٣٨٣/٢ : " مجهول . قلت : بل هو صدوق ، روى عنه موسى بن هارون ، وعبد الله بن أحمد ، وقال : ثقة " .  
وقال في الميزان أيضاً ٥٨٨/٤ في ترجمة أبي يسار : " قال أبو حاتم : هو مجهول . قلت : قد روى عن أبي يسار إمامان : الأوزاعي والليث ، فهذا شيخ ليس بضعيف " .  
وأبو حاتم يطلق وصف الجهالة على الرواة ويعني مجهول العين ، ومجهول الحال أيضاً ومن أمثلة إطلاق وصف جهالة المين قوله في إبراهيم بن إسحاق : روى عن الحسن عنه إسماعيل بن سلمه والوليد بن الوليد . قال فيه أبو حاتم ٨٦/١/١ : مجهول ، وأقره الذهبي في الميزان ١٨/١ وقال : لا يعرف من هو ؟ وكذلك إبراهيم بن إسحاق الراوي عن طلحة بن كيسان قال فيه أبو حاتم : مجهول ، وأقره الذهبي ، وابن حجر في اللسان ٢٩/١ . وإبراهيم بن حفص بن جندب روى عن أبيه وعنه حماد بن زيد قال أبو حاتم ٩٥/١/١ : مجهول ، وأقره الذهبي في الميزان ٢٧/١ ، وابن حجر في اللسان ٤٩/١ ، وزاد : ذكره ابن حبان في الثقات ولم يذكر له راوياً غير حماد .

( ١ ) سير ٥٦٩/٩

( ٢ ) سير ٥٢٣/١٢

المراد بقولهم : عنده عجائب :

قال الذهبي في ترجمة علي بن مَعْبُد بن نوح : " وقال أبو بكر الجعابي : نزل مصر ،  
وعنده عجائب •

قلت : قول أبي بكر : " عنده عجائب " عبارة محتملة للتليين ، فلا تقبل الا مفسرة ،  
والرجل فثقة صادق ، صاحب حديث ، ولكنه يأتي بفرائب عن من يحتملها " (١) .

المراد بوصف بعض الرواة بالكذب :

في ترجمة أحمد بن عبد الجبار العطاردى الكوفي : " وقال مطين الحضرمي : كان أحمد  
العطاردى يكذب •

قلت : يعني في لهجته ، لا أنه يكذب في الحديث ، فإن ذلك لم يوجد منه ، ولا تفرد بشيء  
ومما يقوي أنه صدوق في باب الرواية : أنه روى أوراقاً من " المغازي " بنزول عن أبيه وعن  
يونس بن بكير • وقد أثنى عليه الخطيب وقواه ، واحتج به البيهقي في مصنفاته " (٢) .

وفي ترجمة أبي بكر بن أبي داود : " ابن عدى بسنده إلى أبي داود يقول : ابني عبد الله  
كذاب • قال ابن صاعد : كفانا ما قال فيه أبوه •

قلت : لعل قول أبيه فيه - إن صح - أراد الكذب في لهجته لا في الحديث ، فإنه حجة فيما  
ينقله ، أو كان يكذب ويورث في كلامه ، ومن زعم أنه لا يكذب أبداً فهو أرعن ، نسأل الله  
السلامة من عثرة الشباب ثم إنه شاخ وارعوى ، ولزم الصدق والتقى " (٣) .

(١) سير ٦٣٤/١٠ • وقال الشيخ ابن عرّاق في تنزيه الشريعة ١٩/١ : " وأما قولهم : له طامات  
أو أوابد ، ويأتي بالعجائب ، فلا أدري هل يقتضي اتهام العقول فيه ذلك بالكذب أم لا يفيد  
غير وصف حديثه بالنكارة ، وقد سألت بعض أشياخي عن ذلك ، فلم يفدني شيئاً ، نعم رأيت  
الحافظ ابن حجر قال في بعض من قيل فيه ذلك : إنه لم يتهم بكذب ، والله أعلم " وانظر :  
الرفع والتكميل ص ١٧٢ •

(٢) سير ١٩٠/١٣

(٣) سير ٣٣١/١٣

وقال في ترجمة أبي علي الأهوازي المتوفى سنة (٤٤٦) : " وقال عبد الله بن أحمد بن السمرقندي : قال لنا أبو بكر الخطيب : أبو علي كذاب في القراءات والحديث جميعاً . قلت : يريد تركيب الإسناد وادعاء اللقاء ، أما وضع حروف أو متون فحاشا وكلاً ، ما أجوز ذلك عليه ، وهو بحر في القراءات ، تلقى المقرؤون تواليغه ونقله للفن بالقبول ، ولم ينتقدوا عليه انتقاد أصحاب الحديث ، كما أحسنوا الظن بالنقاش وبالسامري ، وطائفة راجوا عليهم " (١) .

#### المراد بقولهم : تركه فلان :

في ترجمة عطاء بن أبي رباح : " وروى محمد بن عبد الرحيم عن علي بن المديني قال : كان عطاء اختلط بأخرة ، تركه ابن جريج وقيس بن سعد . قلت : لم يعن بقوله : " تركه " ما ذكره الترمذي المرفي ، ولكنه كبر وضعف حواسه ، وكان قد تكفياً منه وتفقهها وأكثرها عنه ، فبطلاً ، فهذا مراده بقوله " تركاه " (٢) .

#### بيان الذهبي لما ينقل عن بعض الأئمة من حفظ أعداد كثيرة من الحديث :

(١) قال الذهبي في ترجمة محمد بن إسحاق : " قال البخاري : وقال لي إبراهيم بن حمزة : كان عند إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي . قلت : يعني بتكرار طرق الأحاديث ، فأما المتون الأحكامية التي رواها فما تبلغ عشر ذلك " (٣) .

(١) سير ١٨/١٨ .

(٢) سير ٨٧/٥ . وقال المؤلف في الميزان ٢٠/٣ : " قلت : لم يعن الترك الاصطلاحي ، بل عنى أنهما بطلاً الكتابة عنه ، والافعاء ، ثبت رضى حجة إمام كبير الشأن " . وانظر أيضاً : تهذيب التهذيب ٢٠٣/٧ . ثم إن لفظ " تركه فلان " قد يكون جرحاً ، وقد يكون غير جرح ، قال الشيخ ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " ٣٤٩/٢٤ : " قولهم : تركه شعبة ، معناه أنه لم يرو عنه ، وترك الرواية قد يكون لشبهة لا توجب الجرح ، وهذا معروف في غير واحد قد خرج له في الصحيح " انتهى .

(٣) سير ٣٩/٧ - ٤٠ .

٢- وفي ترجمة الإمام يحيى بن معين : " وفي " تاريخ دمشق " من طريق محمد بن نصر سمع يحيى بن معين يقول : كتبتُ بيدى ألفاً حديثاً .

قلت : يعني بالمكرر ، ألا تراه يقول : لو لم نكتب الحديث خمسين مرة ما عرفناه " (١) .

٣- وفي ترجمة الإمام أحمد بن حنبل : " قال عبد الله بن أحمد : قال لي أبو زرعة : أبوك يحفظ ألفاً حديثاً . فقل له : وما يثريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب .  
فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله ، وكانوا يُعَدُّون في ذلك المكرر والأثر وفتوى التابعي وما فُسر ، ونحو ذلك . والافالماتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك " (٢) .

٤- وفي ترجمة الإمام مسلم بن الحجاج : " قال الحافظ ابن عقدة : كتب المسانيد ، ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل .

قلت : عنى بالمقاطيع أقوال الصابة والتابعين في الفقه والتفسير .

قال أحمد بن سلمة : كنت مع مسلم في تأليف " صحيحه " خمس عشرة سنة . قال : وهو اثنا عشر ألف حديث .

قلت : يعني بالمكرر ، بحيث أنه إذا قال : حدثنا قتيبة وأخبرنا ابن رمح يُعَدُّان حديثين ، اتفق لفظهما أو اختلف في كلمة " (٣) .

٥- وفي ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن الحسين الهذلي المعروف بابن ديزيل : " وروي عن عبد الله بن وهب الدينوري قال : كنا نذاكر إبراهيم بن الحسين ، فيذاكرنا بالقمطر ، فذكر حديثاً واحداً فيقول : عندي مئة قمطر . يريد : طرقة وعلله واختلاف ألفاظه " (٤) .

(١) سير ٨٥/١١ .

(٢) سير ١٨٧/١١ .

(٣) سير ٥٦٥/١٢ - ٥٦٦ .

(٤) سير ١٩٠/١٣ .

### الجمع بين أقوال أئمة الجرح والتعديل التي ظاهرها التعارض :

- في ترجمة الإمام الثقة الكبير موسى بن عقبة : " وروى المفضل بن عثمان عن يحيى بن معين قال : موسى بن عقبة ثقة ، يقولون : روايته عن نافع فيها شيء " . وسمعت ابن معين : يضعف موسى بعض الضعف .

قلت : قد روى عباس الدوري وجماعة عن يحيى توثيقه (١) . فليحمل هذا التضعيف على معنى أنه ليس هو في القوة عن نافع كمالك ولا عبید الله .

وكذلك روى إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن يحيى بن معين قال : ليس موسى بن عقبة في نافع مثل عبید الله بن عمر ومالك .

قلت : احتج الشيخان بموسى بن عقبة عن نافع والحمد لله . قلنا : ثقة وأوثق منه ، فهذا من هذا الضرب " (٢) .

- وفي ترجمة الإمام أبي داود الطيالسي : " وقد تكلم فيه محمد بن المنهال الضير ، قال : كنت أتهمه " . قال لي : لم أسمع من عبد الله بن عون ، ثم سأله بعد : أسمع من ابن عون ؟ قال : نعم ، نحو عشرين حديثاً .

قلت : الجمع بين القولين ، أنه سمع منه شيئاً ما ضبطه ولا حفظه ، فصدق أن يقول : ما سمعت منه ، والافأبو داود أمين ما دق ، وقد أخطأ في عده أحاديث لكونه كان يتكل على حفظه ولا يروى من أصله " (٣) .

### بيانه أن بعض الأقوال قيلت على سبيل المبالغة :

- في ترجمة الإمام أبي داود الطيالسي أيضاً : " وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري : أخطأ أبو داود في ألف حديث " .

قلت : هذا قاله إبراهيم بن سعيد على سبيل المبالغة ، ولو أخطأ في سبع هذا لضعفوه " (٤) .

(١) تاريخ ابن معين ، رواية الدوري ٥٩٤/٢ .

(٢) سير ١١٧/٦ .

(٣) سير ٣٨٣/٩ .

(٤) سير ٣٨٢/٩ .

- في ترجمة الربيع بن يحيى بن مقسم الأشعري البصري، الإمام الحافظ الحجة : " قال الحاكم : سألت الدارقطني عنه ، فقال : روى عن سفيان الثوري عن ابن المنكر ، عن جابر في «الجمع بين الصلاتين» . قال : وهذا يسقط مئة ألف حديث .  
يعني : من أتى بهذا معن هو صاحب مئة ألف حديث أثر فيه ليناً بحيث تنحط رتبة المئة ألف عن درجة الاحتجاج ، وإنما هذا على سبيل المبالغة فكم ممن قد روى مثلي حديث وهم منها في حديثين وثلاثة وهو ثقة » (١) .

- وفي ترجمة الإمام محمد بن المسيب الأرميني المتوفى سنة (٣١٥) : " قال الحاكم : سمعت غير واحد من مشايخنا يذكرون عن الأرميني أنه قال : ما أعلم منبراً من منابر الإسلام بقي عليّ لم أدخله لسماع الحديث .

أقول : هذا يقوله الرجل على وجه المبالغة ، ولا فهو لم يدخل الأندلس ولا المغرب ، ولا أظن أنه عنى إلا المنابر التي بحضرته رواية الحديث » (٢) .  
- وفي ترجمة مكحول الشامي : " عن ابن اسحاق : سمعت مكحولاً يقول : طفت الأرض كلها في طلب العلم .

قلت : هذا القول منه على سبيل المبالغة لا على حقيقته » (٣) .

تصحيحه بعض أقوال أئمة الجرح والتعديل واستبعاده صدورها :

- في ترجمة أبي صالح باذان ، ويقال : باذان : " قال النسائي : ليس بثقة . كذا عندى وصوابه : بقوى . فكأنها تصحفت ، فإن النسائي لا يقول : ليس بثقة في رجل مخرج في كتابه وهذا الرجل من طبقة السامك ، ولكنه عاش بعده نحواً من عشرين سنة » (٤) .

(١) سير ٤٥٣/١٠ - ٤٥٣ .

(٢) سير ٤٢٥/١٤ .

(٣) سير ١٥٨/٥ .

(٤) سير ٣٨/٤ . وقال الذهبي في الموقظة ص ٨٢ : " وقد قيل في جماعات : ليس بالقوى ، واحتج به ، وهذا النسائي قد قال في عدة : ليس بالقوى ويخرج لهم في كتابه . قال : قولنا " ليس بالقوى " ليس بجرح مفسد " انتهى .

- وفي ترجمة عمرو بن شعيب: " وقال الترمذى عن البخاري: رأيت أحمد وعلياً وإسحاق و  
أبا عبيد وعامة أصحابنا يحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ما تركه أحد  
من المسلمين، فَمَنْ الناس بعد هم .

قلت: أستبعد صدور هذه الألفاظ من البخاري، أخاف أن يكون أبو عيسى وهم، والاف البخاري  
لا يعرج على عمرو، أفتراه يقول: فَمَنْ الناس بعد هم، ثم لا يحتج به أصلاً ولا متابعة<sup>(١)</sup>.  
- وفي ترجمة أسامة بن زيد، أبي زيد الليثي المدني: " وجاء عن يحيى بن معين: أنه  
ثقة . وجاء عنه: ترك حديثه بأخرة . وهذا وهم، بل القول الأخير هو قول يحيى بن سعيد  
فيه . وقد روى عباس عن يحيى: ثقة<sup>(٢)</sup>. وروى أحمد بن أبي مريم عن يحيى: ثقة حجة، فابن  
معين حسن الرأي في أسامة<sup>(٣)</sup>.

- وفي ترجمة هشام بن حسان: " عبد الرحمن بن المبارك العيشي، عن سفيان بن حبيب  
قال: ربما سمعت هشام بن حسان يقول: سمعت عطاء . وأجيء بعد فيقول: حدثني الثوري  
وقيس عن عطاء، هو ذاك بعينه . قلت له: اثبت على أحدهما . فصاح بي .  
قلت: عطاء هو ابن السائب، ويجوز أن يكون عطاء بن أبي رباح . وقوله: وقيس وهم، و  
إنما هو فيما أرى عن قيس، وهو ابن سعد المكي<sup>(٤)</sup>.

#### تقييده بعض الإطلاقات:

- في ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك: " المسيب بن واضح: سمعت أبا إسحاق الفزاري  
يقول: ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين .  
قلت: هذا الإطلاق من أبي إسحاق معني بمسلمي زمانه<sup>(٥)</sup>.

(١) سير ١٦٧/٥ .

(٢) تاريخ ابن معين ٢٢/١ - ٣٣ .

(٣) سير ٢٤٢/٦ .

(٤) سير ٣٦٠/٦ .

(٥) سير ٣٩٠/٨ .

الاختلاف وتغيير الحفظ :

- في ترجمة مجالد بن سعيد : " سمعت عبد الرحمن يقول : مجالد حديثه عند الأحداث : يحيى ابن سعيد ، وأبي أسامة ليس بشيء " . ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد هشيم ، وهؤلاء القدماء .  
يعني أنه تغير حفظه في آخر عمره . (١) .

- وفي ترجمة سعيد بن أبي عروبة : " وقال أحمد بن حنبل : من سمع منه قبل الهزيمة فمعه جيد .

عنى هزيمة نوبة إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وهي في شوال سنة خمس وأربعين ومئة " (٢) .  
- وفي ترجمة عبد الله بن بكر الباهلي البصري : " قال سمعت من سعيد بن أبي عروبة في سنة إحدى وأربعين ومئة ، أو سنة اثنتين . يعني : أنه أخذ عنه قبل أن يتغير " (٣) .  
- وفي ترجمة جعفر بن محمد الفريابي : " وقال الحافظ أبو علي النيسابوري : دخلت بغداد والغريابي حي ، وقد أمسك عن التحديث ، ودخلنا عليه غير مرة ، ونكتب بين يديه كنا نراه حيرة .

قلت : نعم ما صنع ، فإنه أنس من نفسه تغيراً ، فتورع وترك الرواية " (٤) .

من ألفاظ التوثيق : " الأسطوانة " :

- في ترجمة قيس بن أبي حازم : " قال إسماعيل بن أبي خالد : حدثنا قيس بن أبي حازم ، هذه الأسطوانة . يعني : أنه في الثقة مثل هذه الأسطوانة " (٥) .

المراد بالفضل في عرف المتقدمين :

- في ترجمة الحسين بن علي الجعفي : " قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أفضل من حسين الجعفي . يريد بالفضل : التقوى والتأله . هذا عرف المتقدمين " (٦) .

(١) سير ٢٨٦/٦ . وانظر مدلول هذه اللفظة : " ليس بشيء " في الرفع والتكميل ص ١٤٢ و ٢١٢ - ٢٢١ .

(٢) سير ٤١٥/٦ .

(٤) سير ٩٨/١٤ .

(٣) سير ٤٥١/٩ .

(٦) سير ٣٩٨/٩ .

(٥) سير ٢٠١/٤ .

المراد بقول ابن مهدي : " لم يكن بحافظ " :

- قال الذهبي في ترجمة الإمام الفضيل بن عياض : " وقال أبو عبيد : قال ابن مهدي : فضيل رجل صالح ولم يكن بحافظ .

وأما قول ابن مهدي : لم يكن بالحافظ . فمعناه : لم يكن في علم الحديث كهؤلاء الحفاظ البحور كشعبة ومالك وسفيان وحماد وابن المبارك ونظرائهم ، ولكنه ثبت قيم بما نقل ، ما أخذ عليه في حديث فيما علمت ، وهل يراد من العلم إلا ما انتهى إليه الفضيل رحمه الله " (١) .  
معنى قول أبي حاتم في بعض الرواة أنه أسند حديثاً واحداً :

- في ترجمة النضر بن عربي ، أبي روح ، وقيل : أبي عمر : " وقال أبو حاتم : لا بأس به أسند حديثاً واحداً (٢) . أظن أبا حاتم أراد أنه وهم في رواية حديث واحد فأسنده ، وموابه موقوف " (٣) .

بيان معنى قول أبي حاتم في بعض الرواة أنه قريب من ابن لهيعة :

- في ترجمة الإمام الصدوق عبد الله بن عياض ، القتباني المصري : " وقال أبو حاتم : صدوق ليس بالمتين . وقال أيضا : هو قريب من ابن لهيعة (٤) .

وقول أبي حاتم : هو قريب من ابن لهيعة ، تصليح لحال ابن لهيعة ، إذ يقارب في الوزن بشيخ خرج له مسلم ، ولا ريب أنه أوثق من ابن لهيعة ، وأن ابن لهيعة أعلم بكثير منه " (٥) .  
تدليس أبي قلابة :

- في ترجمة الإمام ، أبي قلابة ، عبد الله بن زيد : " قال أبو حاتم : لا يعرف لأبي قلابة تدليس . قلت معنى هذا أنه إذا روى شيئاً عن عمر أو أبي هريرة مرسل لا يدري (٦) من الذي

(١) سير ٤٢٣/٨ و ٤٢٨ .

(٢) الجرح والتعديل ٤٧٥/٨ .

(٣) سير ٤٠٤/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ١٢٦/٥ .

(٥) سير ٣٣٤ / ٢ .

(٦) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : يدري بالمبني للمجهول .

حَدَّثَهُ بِهِ ، بخلاف تدليس الحسن البصري ، فإنه كان يأخذ عن كل هَرَب ، ثم يسقطهم كعلي بن زيد تلميذه » (١) .

#### مراسيل عبد الرحمن بن عاثر الحمصي :

— قال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن عاثر الحمصي : « قال محمد بن أبي حاتم وغيره : أحاديثه مراسيل • يعني أنه يرسل عن لم يلقه كموائد الشاميين ، وإنما اعتنوا بالإسناد لما سكن فيهم الزهري ونحوه » (٢) .

#### الوقوف في عكرمة وحماة بن سلمة :

— قال الذهبي في ترجمة عكرمة مولى ابن عباس : « عن يحيى بن معين : إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة ، وفي حماة بن سلمة ، فاتهمه على السلام • قلت : هذا محمول على الوقوف فيهما بهوى وخيف في وزنها ، أمّا من نقل ما قيل فسي جرحهما وتعديلهما على الإنصاف ، فقد أصاب • نعم ، وإنما قال يحيى هذا في معرض رواية حديث خاص في رؤية الله تعالى في المنام ، وهو حديث يستنكر » (٣) .

#### الاحتجاج بعمر بن شعيب :

— في ترجمة عمرو بن شعيب : « روى أبو داود عن أحمد ، قال : أصحاب الحديث إذا شاؤوا احتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وإذا شاؤوا تركوه • قلت : هذا محمول على أنهم يترددون في الاحتجاج به ، لا أنهم يفعلون ذلك على سبيل التشهي » (٤) .

(١) سير ٤٣٣/٤ •

(٢) سير ٤٨٨/٤ •

(٣) سير ٣١/٥ • والحديث : « رأيت ربي جعنا امرء عليه حلة خضراء » ذكره البيهقي في الاسماء والصفات ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ • وقال الذهبي في ترجمة شاذان ١١٤/١٠ : وهو خبر منكر ، نساء الله السلامة في الدين • ورواه وان كانوا غير متهمين ، فما هم بمعصومين من الخطأ والنسيان •

(٤) سير ١٦٨/٥ •

### مفاضلة بين حماد بن سلمة وحماد بن زيد :

- قال الذهبي في ترجمة حماد بن سلمة بن دينار : " قال عبد الله بن معاوية الجمحي : حدثنا الحماد بن ، وفضل بن سلمة على ابن زيد كفضل الدينار على الدرهم .  
يعني : الذي اسم جده دينار أفضل من حماد بن زيد الذي اسم جده درهم . وهذا محمول على جلالة ودينه ، وأما الاتقان فمسلّم إلى ابن زيد ، وهو نظير مالك في التثبوت " (١) .  
كلام عفان بن مسلم ، وأبي نعيم في الرجال :

- قال الذهبي في ترجمة عفان بن مسلم البصري : " قال ابن المديني : عفان وأبو نعيم لا أقبل قولهما في الرجال ، لا يدعون أحداً إلا وقعوا فيه .  
يعني : أنه لا يختار قولهما في الجرح لتشديدهما ، فأما إذا وثقا أحداً فناهيك به " (٢) .  
المراد بقول الدارمي : من لم يجمع حديث خمسة من الحفاظ فهو مفلس في الحديث :

- وفي ترجمة عثمان بن سعيد الدارمي : " قال عثمان بن سعيد : من لم يجمع حديث شعبية وسفيان ومالك وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة فهو مفلس في الحديث .  
يريد أنه ما بلغ درجة الحفاظ ، وبلا ريب أن من جمع علم هؤلاء الخمسة ، وأحاط بسائر حديثهم ، وكتبه عالياً ونازلاً ، وفهم علله ، فقد أحاط بشرط السنة النبوية ، بل بأكثر من ذلك ، وقد عُدّ في زماننا من ينهض بهذا ، وبيعضه ، فتسأل الله المغفرة " (٣) .  
الحسين بن إريس الأنصاري ، ثقة حافظ :

- في ترجمة الإمام المحدث الثقة الحسين بن إريس الأنصاري : " قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : كتب إليّ بجزء من حديثه عن خالد بن هياج بن بسطام ، فيه بواطيل ، فلا أدرى البلاء منه ، أو من خالد .

قلت : بل من خالد ، فإنه ذو مناكير عن أبيه ، وأما الحسين فثقة حافظ " (٤) .

(١) سير ٤٤٧/٧ .

(٢) سير ٢٥٠/١٠ .

(٣) سير ٣٢٣/١٣ .

(٤) سير ١١٤/١٤ .

يحيى بن آدم جامع للعلم :

- في ترجمة يحيى بن آدم : " قال أبو أسامة : ما رأيت يحيى بن آدم إلا ذكرت الشعبي .  
يريد : أنه كان جامعاً للعلم " (١).

حياة ابن الشرقي تحجز بين الناس وبين الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- في ترجمة الامام أبي حامد أحمد بن محمد ابن الشرقي النيسابوري : " يقول ابن خزيمة  
وقد نظر إلى أبي حامد ابن الشرقي ، فقال : حياة أبي حامد تحجز بين الناس وبين الكذب  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : يعني أنه يعرف الصحيح وغيره من الموضوع " (٢).

معنى قول ابن منده : لا يخرج الصحيح إلا من ينزل في الإسناد أو يكذب :

- قال الذهبي في ترجمة محمد بن إسحاق بن منده : " قال أبو عبد الله بن أبي ذهل :

سمعت أبا عبد الله بن منده يقول : لا يخرج الصحيح إلا من ينزل في الإسناد أو يكذب .

يعني : أن المنايخ المتأخرين لا يبلغون في الاتقان رتبة الصحة ، فيقع في الكذب الحافظ  
إن خرج عنهم وسماه صحيحاً ، أو يروي الحديث بنزول درجة ودرجتين " (٣).

قول الأنصاري في عبد الرحمن بن منده : " كانت مضرت أكثر من منفعته في الاسلام " :

- قال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده : " قال أبو اسماعيل

الأنصاري في عبد الرحمن بن منده : كانت مضرت أكثر من منفعته في الاسلام .

قلت : أطلق عبارات بدّعه بعضهم بها ، الله يسامحه ، وكان زَعِراً على من خالفه ، فيه

خارجية ، وله محاسن ، وهو في تواليفه حاطب ليل ، يروي الغث والسمين ، وينظم رديء الخرز  
مع الدر الثمين " (٤).

(١) سير ٥٢٤/٩

(٢) سير ٣٨/١٥

(٣) سير ٣٢/١٧

(٤) سير ٣٥٤/١٨

المراد بقول الدقاق في ابن طاهر المقدسي أنه يرى الإباحة :

ـ قال الذهبي في ترجمة الإمام ابن طاهر المقدسي : " ذكره الدقاق في رسالته فحطَّ

عليه .. ثم قال : وذكر لي عنه الإباحة .

قلت : ماذا تعني بالإباحة . إن أردت بها الإباحة المطلقة فحاشا ابن طاهر ، هو - والله -

مسلم أثري معظَّمٌ لحرمة الدين ، وإن أخطأ أو غدَّ .

وان عنيت إباحة خاصة ، كإباحة السماع ، وإباحة النظر إلى المرد ، فهذه معصية ، وقول

للظاهرية بإباحتها مرجوح " (١) .

مفاضلة بين ابن عساكر وابن طاهر السلفي :

ـ قال الذهبي في ترجمة الإمام المعمر ابن طاهر السلفي : " قال الحافظ المنذرى سألت

الحافظ أبا الحسن علي بن المفضل عن أربعة تعاصروا ، فقلت : أيُّما أحفظ ، أبو القاسم بن

عساكر ، أو أبو الفضل بن ناصر ؟ فقال : ابن عساكر .

قلت : أيُّما أحفظ ابن عساكر أو أبو موسى المديني ؟ قال : ابن عساكر .

قلت : أيُّما أحفظ ابن عساكر أو أبو طاهر السلفي . قال : السلفي شيخنا ، السلفي شيخنا .

قلت : فهذا الجواب محتمل كما ترى ، والظاهر أنه أراد بالسلفي المبتدأ ، وبشيخنا الخبير ،

ولم يقصد الوصف ، ولا فلا يشك عارفٌ بالحديث أن أبا القاسم حافظ زمانه ، وأنه لم يسر

مثل نفسه " (٢) .

(١) سير ٣٦٤/١٩ .

(٢) سير ٢٥/٢١ .